















السنه ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في اشهر

تموز - آب سنة ١٩٣٢ م  
ربيع الاول وربيع الآخر سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

—(—)

قيمة الاشتراك السنوي      { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
الدفع مقدماً      { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

بجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

٣٠٠ = السادسة الى الحادية عشرة =

في الخارج ٦٠٠ = الاولى الى الخامسة =

٣٥٠ = السادسة الى الحادية عشرة =







## الحكيم أبو نصر الفارابي<sup>(١)</sup>



لا خلاف بين المؤرخين في أن اسم الفارابي (محمد) وأنه ملقب (بأبي نصر) وقد اختلفوا بعد ذلك في نسبه ، فمنهم من يقول هو أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان كافي (عيون الانباء) لابن أبي أصيبعة ، ومنهم من يقول هو أبو نصر محمد بن طرخان بن أوزلغ كابن خلكان ، ومنهم من يقول هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان كالفقطي والبيهقي ، ومنهم من يقول هو أبو نصر محمد بن محمد بن محمد بن طرخان كابن النديم في (الفهرست) ، ومنهم من يقول : هو أبو نصر محمد بن محمد بن نصر كصاعد في (الطبقات) ويقول صاعد في موضع من كتابه أبو نصر محمد بن نصر .

فلا اتفاق على تسمية آبائه ولا على ترتيبهم ، وإذا كانت اسم ابيه موضع خلاف فلا غرو أن احداً من المؤرخين لم يشر الى اسم أمه ولا الى نسبها .

واكثر المترجمين للفارابي يذكرون أنه تركي لكن صاحب طبقات الأطباء يقول : (وكان أبوه قائد جيش وهو فارسي المنتسب) ولا سبيل الى تحقيق نسبه من هذه الناحية لتقارب البلادين واشتراك الأعلام فيها ، وإذا صح أن أباه كان قائد جيش فهو لم يكن من كبار القواد الذين يشيد بذكرهم التاريخ .

ولعل فيما امتاز به الفارابي من الشجاعة والصبر على احتمال متاعب الدرس ومشاق الأسفار وشظف العيش ما يشعر بأنه سليل أبطال .

ولم يقف الخلاف في أمر الفارابي عند حد التضارب في نسبه فقد اختلف المؤرخون في وطنه الأول ايضاً .

---

(١) للاستاذ المحقق الشيخ مصطفى عبد الرازق من أعضاء المجمع العلمي العربي .



والفارابي منسوب الى (فاراب) ولم يشذ عن القول بذلك الا ابن النديم في الفهرست فانه يقول : أصله من الفارياب من أرض خراسان ، والا البيهقي في كتابه المخطوط في تاريخ الحكماء فانه يذكر أن الفارابي من فارياب (تركستان) لان النسبة الى فارياب هي : فاريابي . وقد ذكر معجم البلدان أسماء جماعة من الأئمة نسبوا اليها : منهم محمد بن يوسف الفاريابي .

وفاراب التي ينسب اليها فيلسوفنا وتسمى (باراب) ايضا هي ناحية كبيرة واسعة وراء نهر جيحون (أموداريا) كذا يقول ياقوت عند الكلام على (باراب) ولكنه يقول عند ذكر فاراب : « ولاية وراء نهر سيجون » . (سرداريا) في تخوم بلاد الترك وهي أبعد من الشاش قريبة من بلاساغون ومقدارها في الطول والعرض أقل من يوم الا أن بها منعة وبأسا وهي ناحية سيخة لها غياض ولم مزارع في غرب الوادي تأخذ من نهر (الشاش) والشاش هي مدينة بما وراء النهر ثم ما وراء نهر سيجون متاخمة لبلاد الترك . وينبئ من ذلك أن لا خلاف بين عبارتي ياقوت فان (فاراب) وراء نهر جيحون وسيجون معا ثم ان فاراب على جانبي الفرع الاكبر لنهر سيجون وهي في طرف بلاد الترك (تركستان) .

ويقول ابن حوقل الذي ظهر نحو سنة ٣٦٧ هجرية ٩٧٧ ميلادية أن على الشاطي الغربي من سرداريا كانت توجد مدينة (وسيج) التي ولد بها الفيلسوف أبو نصر الفارابي . والمستشرقون يعتمدون هذا القول لكن كثيرين من مؤلفي العريضة كالتفطلي وابن أبي أصيبعة وابن خلكان صرحوا بان الفارابي من مدينة (فاراب) وقال ابن خلكان أن هذه المدينة تسمى لهده (أطرار) ويقول الاستاذ (بارتولد) في الفصل الذي كتبه في دائرة المعارف الاسلامية : « ان الاصطخري الذي وجد في أوائل القرن العاشر يذكر أن قصبة ولاية فاراب كانت مدينة تسمى (قَدَر) في شرق نهر سرداريا على نصف فرسخ من مجراه وعلى الشاطي الغربي من هذا النهر على فرسخين دون (قدر) توجد (وسيج) التي هي حصن صغير .

اما المقدسي الذي نبغ في أواخر القرن العاشر الميلادي فهو يذكر ان قصبة (فاراب) كانت تسمى باسم الولاية وعنده أن (قدر) مدينة حديثة النشأة . ويرجح الاستاذ (بارتولد) أن تكون فاراب التي لم يذكرها ابن حوقل ولا



الاصطخري هي المدينة الحديثة النشأة أما (قدر) فهي المدينة القديمة و (أطرار) هي نفس مدينة (فاراب) وهي أحدث منها .

وعلى ذلك فالراجح أن الفارابي ولد بوسيج كما ذكره ابن حوقل ونسب إلى ولاية (فاراب) لا إلى المدينة المسماة بهذا الاسم التي حلت محل مدينة (قدر) ثم حلت محلها (أطرار) .

ولسنا نعرف مولد الفارابي إلا بالتقريب استنتاجاً بما ذكره المؤرخون في وفاته فتد ذكر ابن خلكان أنه توفي سنة ٣٣٩ هـ (٩٥٠ - ٩٥١ م) وقد ناهز ثمانين سنة ويكون إذاً مولده حول سنة ٢٥٩ هـ ٨٧٢ - ٨٧٣ م .

ولا يعرف شيء عن طفولته وشبابه إنما يقول المؤرخون : أنه خرج من بلده وانتقلت به الأسفار إلى أن وصل بغداد وهو يعرف اللسان التركي وعدة لغات غير العربي فتعلم وأتقنه ثم اشتغل بعلوم الحكمة على أبي بشر متى بن يونس وهو مسيحي نسطوري معروف بين تراجمة الكتب اليونانية وإلى انتهت رئاسة المنطقيين في عصره ، وعلى الطبيب المنطقي المسيحي يوحنا بن حيلان ولم يذكر له المؤرخون أساتذة غيرهما .

وإذا كنا لا نعرف التاريخ الذي خرج فيه الفارابي من بلده ولا التاريخ الذي وصل فيه إلى بغداد فإنا نستطيع أن نتلمس بعض هذه التواريخ استنباطاً من ثنايا كلام المترجمين للفارابي .

ويقول صاعد في « طبقات الأئمة » ( أخذ أي الفارابي صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفى بمدينة السلام في أيام المقتدر ) والخليفة المقتدر توفي سنة ٣٢٠ هـ ٩٣٢ م ويقول ابن خلكان : أن الفارابي ارتحل من بغداد إلى مدينة حران وفيها يوحنا بن حيلان فأخذ عنه طرقاً من المنطق . ويؤخذ من ذلك أن يوحنا كان يشتغل بجران أولاً ثم انتقل إلى بغداد ومات بها قبل سنة ٣٢٠ هـ .

أما أبو بشر متى بن يونس فقد كان شيخاً كبيراً يقرأ في بغداد كتاب أرسطاطاليس في المنطق ويعلم على تلامذته شرحه فحضر أبو نصر دروسه زمناً قبل انتقاله إلى حران ولعلنا نستطيع أن نقدر زمن درسه ببغداد ثم اشتغاله بجران ثم انتقاله إلى حران ثم انتقاله إلى بغداد ومقامه فيها إلى أن مات بنحو عشر سنين فيكون دخول الفارابي إلى



بغداد لأول مرة حوالي سنة ٣١٠ هـ ولا يكون هذا الفرض جزافاً اذا راعينا ما ينقله ابن ابي أصيبعة من أن الفارابي كان يجتمع بأبي بكر بن السراج فيقرأ عليه صناعة النحو وابن السراج يقرأ عليه صناعة المنطق وابو بكر بن السراج توفي سنة ٣١٦ هـ فلا بد أن يكون تبادل التعلم بينه وبين الفارابي قبل وفاته بست سنين على الأقل خصوصاً اذا روعي ما لاحظته بعض زملائنا المشتغلين بدراسة تاريخ النحو من أن ابن السراج قد تأثر في مؤلفاته النحوية بأساليب المنطق وقواعده .

قد خرج الفارابي اذاً من بلده قاصداً الى بغداد حوالي سنة ٣١٠ وهو يومئذ يتأخر الخمسين فحضر دروس ابي بشر متى في المنطق وتعلم في اثناء ذلك العربية عن ابن السراج في مقابلة تعليمه المنطق .

والظاهر أن الفارابي حين وصل الى بغداد لم يكن جاهلاً للعربية ولا للعلوم الحكيمية كما يفيد كلام المؤرخين فليس من المعقول أن الامام ابن السراج المجمع على فضله وجلالة قدره في النحو والأدب يتعلم المنطق عن ناشئ يتلقى دروسه الاولى ثم يتأثر عقله بأسلوب هذا الناشئ وتعاليمه وليس بالمعقول أن من يجهد اللغة العربية يتبدى بعلم ألفها وبائها عن ابن السراج . انما خرج الفارابي من بلده ليتصل بأئمة الحكمة والعلم في العراق والشام تكميلاً لما عنده من العلم والحكمة .

وقد ذكروا انه انما أخذ عن ابي بشر متى بن يونس وعن يوحنا بن حيلان علم المنطق وأخذ العربية عن ابن السراج فكيف تعلم الرياضيات وقد قالوا انه كان رياضياً بارعاً ؟ وكيف تعلم الموسيقى وقد كان يحسنها تلحيناً وتوقيعاً حتى ليحكي كما في ابن خلكان « ان الآلة المسماة بالقانون من وضعه وهو اول من ركبها هذا التركيب » ويقول غير ابن خلكان انه وضع آلة تشبه القانون وكتابه في الموسيقى اشهر كتب الفن كما انه كان في صباه يضرب بالعود ويغني » ويقول « كاراده قو » في دائرة المعارف الاسلامية : ان دراويش المولوية لا تزال تحتفظ باغانٍ قديمة منسوبة اليه .

ثم انه كان له بالطب معرفة بل ذكر بعضهم انه مارسه عملاً ، وأنكر ذلك آخرون . فهل تعلم كل هذه العلوم وهي لا تستغني عن موقف الا قبل مجيئه الى بغداد ؟ ؟ ؟ ثم انهم ذكروا انه كان يعرف لغات كثيرة عند قدومه الى بغداد ورووا أساطير ندل



على انه كان يعرف سبعين لغة ومع ما في ذلك من الشطط فانه لا يخلو من اثر الحق اذ هو بالضرورة كان يعرف التركية ولعله كان يعرف الفارسية وقد اتقن العربية وهو يتحدث في بعض كتبه عن اللغة اليونانية حديث خبير بها فهل يضطلع بعلم هذه اللغات الا الرجل العليم ؟ ؟

بعد ان قضى الفارابي وطره من دروس ابي بشر متى تحول عن بغداد الى حران فأخذ عن يوحنا بن حيلان المنطق أيضاً ثم انه قفل راجعاً الى بغداد وكما يقول ابن خلكان وقرأ بها علوم الفلسفة وتناول جميع كتب ارسطاطاليس وتمهر في استخراج معانيها ويقال انه وجد كتاب النفس لأرسطاطاليس وعليه بخط ابي نصر الفارابي: اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة . وتقل عنه انه كانت يقول : قرأت السماع الطبيعي لأرسطاطاليس الحكيم اربعين مرة وأرى اني محتاج الى معاودة قراءته . ويذكر ابن خلكان ان الفارابي الف في بغداد معظم كتبه .

ثم انتقل الفارابي الى الشام ثم توجه الى مصر وعاد الى الشام واتصل هناك بسيف الدولة ابن حمدان الذي عرف له فضله وأكرمه وفادته فعاش في كنفه حتى مات . وكلام المؤرخين مضطرب في امر هذه الانتقالات وتدأورد ابن خلكان في كتاب «الوفيات»: أن ابا نصر ذكر في كتابه المرسوم بالسياسة المدنية انه ابدأ بتأليفه في بغداد وأكمله في مصر .

وليس في كتاب السياسة المدنية المطبوع شي من هذا . وذكر ابن أبي أصيبعة انه ابدأ بتأليف كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المبدلة . والمدينة الضالة ببغداد وحمله الى الشام في آخر سنة ٣٣٠ هـ وتممه بدمشق في سنة ٣٣١ هـ وحرره ، ثم نظر في النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الأبواب ، ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولاً تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر في سنة ٣٣٧ هـ .

وذكر ابن أبي أصيبعة في موضع آخر ان ترجمته مانصه : « وتقلت من خط بعض المشايخ أن ابا نصر سافر الى مصر سنة ٣٣٨ ورجع الى دمشق وتوفي بها سنة ٣٣٩ » . والظاهر ان الفارابي رجع من بغداد الى دمشق سنة ٣٣٠ وهي السنة التي حصل فيها



وباء ببغداد وغلاء مفرط حتى اكل الناس الجيف وفيها حدثت فتنة البريدي .  
 وأقام بدمشق في شظف من العيش وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة ، قال ابن  
 ابي أصيبعة نقلاً عن الآمدي : ان الفارابي كان في اول امره ناطوراً في بستان بدمشق  
 وهو على ذلك دائم الاشتغال بالحكمة والنظر فيها والتطلع الى آراء المتقدمين وشرح معانيها .  
 وكان ضعيف الحال حتى أنه كان في الليل يسهر للمطالعة والتصنيف ويستضيء بالقنديل  
 الذي للحارس وبقي على ذلك مدة .

وملك سيف الدولة حلب سنة ٣٣٣ وبسط حمايته على العلم والأدب فقصد اليه الفارابي  
 فأوى منه الى ركن شديد .

ثم انه عظم شأنه وظهر فضله واشتهرت تصانيفه وكثرت تلاميذه .....  
 وقد عاش منذ ذلك الحين في كنف سيف الدولة منقطعاً الى التعليم والتأليف غير  
 منقطع عن الأسفار التي كان بها مفرماً وبلغت به أسفاره الى مصر ، ثم رجع الى الشام  
 ولعله كان ينتقل بين حلب عاصمة الحمدانيين ودمشق التي كانت تدخل في حوزتهم تارة  
 وتخرج أخرى الى ان توفي بدمشق سنة ٣٣٩ وصلى عليه سيف الدولة في اربعة من خواصه  
 أو خمسة عشر ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير .

كذلك ذكر المؤرخون وفاة ابي نصر وكلامهم يدل على انه مات بدمشق موتاً طبيعياً  
 لكن البيهقي في كتابه المخطوط الموجود بدار الكتب المصرية المسمى « تاريخ الحكماء »  
 روى عن موت الفارابي رواية هذا نصها :

« وقد سمعت من أستاذي رحمه الله ان ابا نصر كان يرتحل من دمشق الى عسقلان  
 فاستقبله جماعة من اللصوص الذين يقال لهم ( الفتيان ؟ ) فقال لهم ابونصر خذوا ماعني من  
 الدواب والأسلحة والسياب وأخلوا سبيلي فأبوا ذلك وهموا بقتله فلما صار ابونصر مضطراً  
 ترجل وحارب حتى قتل ومن معه ودفعت لهذه المصيبة في أفئدة أمراء الشام مواقع فطلبوا  
 اللصوص ودفنوا أبانصر وصابوهم على جذوع عند قبره . وبعض من لم يكن له معرفة  
 بالتواريخ يحكي ان ابا نصر قد صرأ المالىنيوليا ومراً على شط دجلة برجل يبيع التمر فقال له  
 كيف تبيع التمر ؟ فأجاب الرجل بكلام غير ملائم فصر به وقال : أسألك عن الكيف  
 وأنت تبيع عن الكم . »



ولو صحت حكاية قتل الفارابي الأشار إليها من ترجموا له ممن كان زمنهم قريباً من زمنه كأبي الحسن علي السعودي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٢ م . على انا لاحظنا في ترجمة البيهقي للفارابي خلطاً تاريخياً يزعم الثقة بها وهذه الرواية المنقولة عن قتل الفارابي يشبه ان تكون تحريفاً لما رواه المؤرخون عن مقتل أبي الطيب المتنبي الشاعر المشهور في عودته من بلاد فارس الى الشام سنة ٣٥٤ هـ .

وقد وقع للبيهقي خلط ابضاً في ترجمة الفارابي حيث نقل عن كتاب « اخلاق الحكماء » : ان صاحب اسماعيل بن عباد بعث الى ابي نصر هدايا وصلات واستدعاه اليه وابو نصر يتعفف وينقبض ولا يقبل منه شيئاً . حتى ضرب الدهر ضرباته ووصل ابو نصر الى الري . ودخل مجلس صاحب متكرراً الى آخر ما ذكره من رواية تشابه القصة المروية عن اتصال الفارابي بسيف الدولة .

والصاحب اسماعيل بن عباد ولد سنة ٣٢٦ فهو عند موت الفارابي كان صبياً لم يجاوز ١٣ عاماً .

اما صلاة ابن حمدان في بعض خواصه على جنازة ابي نصر التي عني المؤرخون بتسجيلها ، فهي آية مودة وتكريم من سيف الدولة لرجل اتاه الله حكمة تتعالى عن عقول العامة وقلوبهم .

هذه هي جملة حياة الفارابي مستخلصة من الحشد المضطرب في كلام من ترجموا له . وقد عاش الفارابي عيشة الزهاد حياته كلها فلم يقن مالا ، ولا اتخذ صاحبة ولا ولداً وكان يستطيع أن يستمتع برفه العيش خصوصاً في شيخوخته أيام استظلاله بظل الملك الجواد سيف الدولة بن حمدان لكنه لم يكن يتناول من سيف الدولة الا اربعة دراهم فضة في اليوم يخرجها فيما يحتاجه من ضروري العيش وهو الذي اقتصر عليها لقناعته ولو شاء زيادة لوجد مزيداً .

وروى ابن ابي أصيبعة انه كان يتغذى بماء قلوب الحملان مع الخمر الرينحاني فقط - الحملان جمع حمل الذكر من ولد الضأن - قال ابن خالكان : ( وكان مدة مقامه بدمشق لا يكون غالباً الا عند مجتمع ماء أو مشبك رياض ويؤلف هناك كتبه ويتناوبه المشتغلون عليه ) .



وفي مفتاح السعادة لطاش كبري زاده : وكان منفرداً بنفسه لا يكون الا عند مجتمع ماء أو مشتبك رياض ويؤلف كتبه هناك وكان اكثر كتبه في الرقاع ولم يصنف في الكراريس الا قليلاً ولذلك كانت اكثر تصانيفه فصولاً وتعليقات. وبعضها مبتوراً ناقصاً» ج ١ ص ٢٥٦ - ٢٦٠ .

وتلك حياة فيلسوف زاهد موسيقي شاعر اما فلسفة الفارابي فستأتي إشارة اليها واما ابداعه الموسيقي فقد رويت فيه اعاجيب .

وحكى ابن خلكان : ان ابا نصر لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فأدخل عليه وهو يزى الأتراك وكان ذلك زيه دائماً فوقف فقال له سيف الدولة : اقعد فقال : حيث أنا أم حيث أنت ؟ فقال حيث انت فتخطى رقاب الناس حتى انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى اخرجته عنه وكان على رأس سيف الدولة بماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به قل ان يعرفه أحد فقال لم بذلك اللسان : ان هذا الشيخ قد اساء الألب واني مسائله عن اشياء انت لم يوف بها فاخرجوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان : أيها الأمير اصبر فان الأمور بعواقبها فحجب سيف الدولة منه وقال له : أتحسن هذا اللسان ؟ فقال : نعم أحسن أكثر من سبعين لساناً فعظم غنده ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده ثم أخذوا يكتبون ما يقوله فصرفهم سيف الدولة وخلا به فقال له :

هل لك في أن تأكل ؟ فقال لا : فهل تشرب ؟ فقال : لا فهل تسمع ؟ فقال نعم فامر سيف الدولة باحضار القيان فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بانواع الملاهي فلم يحرك احد منهم آله الا وعابه ابو نصر وقال له أخطأت فقال له سيف الدولة وهل تحسن في هذه الصناعة شيئاً ؟ فقال نعم ثم اخرج من وسطه خريطة ففتحها وأخرج منها عيذاناً ور كبتها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس ثم فكها ور كبتها تركيباً آخر ثم ضرب بها فبكى كل من كان في المجلس ثم فكها وغير تركيبها وضرب بها ضرباً آخر فنام كل من في المجلس حتى البواب فتركهم قياماً وخرج .»



ولئن كانت هذه الحكاية أدنى إلى الأساطير منها إلى التاريخ فهي تشبه أن تكون غلوًا مجاوزًا لا اختراعًا صرفًا .

وقد روي للفارابي شعر فيه تقحة من أساليب الفلاسفة أحيانًا وفيه أحيانًا صريح محب للعزلة سيئ الرأي في الناس ومما روي من شعره :

يا علة الأشياء جمعًا والذي كانت به من فيضه المتفجر  
رب السماوات الطباق ومركز في وسطهن من الثرى والأبحر  
أني دعوتك مستجيرًا مذنبًا فاغفر خطيئة مذنب ومقصر  
هذب بفيض منك رب الكل من كدر الطبيعة والعناصر عنصري

وروي له هذا الشعر ابن أبي أصيبعة وروي له أيضًا :

لما رأيت الزمان تكسًا وليس في السحبة انتفاع  
كل رئيس به ملال وكل رأس به صداع  
لُزمت بيتي وصفت عرضًا به من العزة اقتناع  
أشرب مما اقتنيت راحًا لها على راحتي شعاع  
لي من قواريرها ندام ومن قراقرها سماع  
وأجتني من حديث قوم قد افقرت منهم البقاع

وروي له أيضًا :

بزجاجتين قطعت عمري وعليها عولت أمري  
فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر  
فبذي أدون حكمتي وبذي أزيل هموم صدري

«مقدمة المجموعة المسماة — الفلسفة القديمة — المطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر سنة ١٩١٠» وذكر ابن خلكان : انه وجد في مجموعة اياتنا منسوبة إلى الفارابي هي :

أخي خل حيز ذبي باطل ولكن للحقائق في حيز  
فما الدار دار مقام لنا وما المرء في الأرض بالعجز  
ينافس هذا لهذا علي أقل من الكلم الموجز



وهل نحن الا خطوط وقعن      على نقطة وقع مستوفز  
محيط السماوات أولى بنا      فماذا التنافس في مركز

وقد شك ابن خلكان في صحة هذه الايات وذكر أنه رآها في كتاب « الخريدة »  
منسوبة الى شاعر من شعراء القرن السادس معاصر لصاحب الكتاب .  
ونحن نشك في معظم هذا الشعر أن يكون للفارابي لما في أسلوبه من تكلف ينبو عنه  
أسلوب فيلسوفنا وطبعه . ولما في معانيه من تبرم بالحياة والناس واستهتار بالشراب .  
والفارابي انما كان يعتزل الناس ويؤثر الوحدة لما رأى أمر النفس وتقويمها اول ما يتدي  
به الانسان حتى اذا أحكم تعديلها وتقويمها ارتقى منها الى تقويم غيرها كما ذكر ذلك في  
كتاب « الجمع بين رأيي الحكيمين » تبريراً لتخلي افلاطون عن كثير من الأسباب  
الدنيوية وإيثاره تجنبها ولم يكن الفارابي ضيقاً بالحياة ولا متبرماً بالناس أما الخمر فمأنحسبه  
كان يشربها شهوة وتلهياً ، ذلك الرجل الذي كف نفسه عن شهوات الحياة ولموها وقد  
يكون ضاع شعر الفارابي فيما ضاع من آثاره .

ولولا شك ابن خلكان شكاً وجيهاً لرجع عندنا أن يكون الفارابي هو القائل :

محيط السماوات أولى بنا      فماذا التنافس في مركز

بقي الكلام على فلسفة الفارابي ومكانه من الفلسفة الاسلامية .

يقولون : الحكماء أربعة — اثنان قبل الاسلام ، وهما : افلاطون وأرسطو —  
واثنان في الاسلام ، وهما : أبو نصر الفارابي وأبو علي بن سينا . وكان بين وفاة أبي نصر  
وولادة أبي علي حوالي ثلاثين سنة وكان أبو علي تلميذاً لتصانيف الفارابي يعترف أنه  
لولاها لما اهتدي الى فهم ما بعد الطبيعة .

وكما لقب افلاطون بالحكيم الآلهي وأرسطاطاليس بالمعلم الأول لقب الفارابي بالمعلم  
الثاني وابن سينا بالشيخ الرئيس .

وآراء الناس مختلفة في تقديم الفارابي أو ابن سينا فالقفطي يقول عن الفارابي :  
« فيلسوف المسلمين غير مدافع » ويقول ابن خلكان ( وهو اكبر فلاسفة المسلمين ) .

ولم يكن منهم من بلغ رتبته في فنونه والرئيس ابو علي بن سينا المقدم ذكره بكتبه تخرج وبكلامه انتفع في تصانيفه ) .

أما الشهرستاني فيقول عند الكلام علي فلاسفة المسلمين ومنهم الفارابي: « وانما علامة القوم أبو علي الحسين بن سينا » ويقول ابن سبعين الفيلسوف الصوفي الأندلسي الذي يقال : انه انتحر بمكة شوقاً الى الاتصال بالله سنة ٦٦٩ هـ في كتاب له مخطوط مانصه نقلاً عن المجموعة التي نشرها الأستاذ « ماسينيون » :

وأما الفارابي اضطرب وخط وتناقض وتشكك في العقل الميولاني وزعم أن ذلك تمويه ومخرقة ثم شك في النفس الناطقة هل غمرتها الرطوبة أو حدثت بعد ، وتنوع اعتقاده في بقاء النفوس بحسب ما ذكر في كتاب الأخلاق وكتاب الملة الفاضلة والسياسة المدنية وأكثر تأليفه في المنطق وعدة كتبته نحو ٧٥ كتاباً وفيها من الالهيات ، وهذا الرجل أفهم فلاسفة الاسلام وأذكرهم للعلوم القديمة وهو الفيلسوف فيها لا غير ومات وهو مدرك ومحقق وزال عن جميع ما ذكرته وظهر عليه الحق بالقول والعمل ولولا التطويل لذكرت ذلك مفصلاً » .

وابن سبعين هذا قد تناول بالنقد اللاذع بل بالتحقير الشنيع ابن سينا والغزالي وابن رشد ويقول الأستاذ « كاراده ثو » في ترجمته للفارابي بدائرة المعارف الاسلامية : « ومذهب الفارابي هو مذهب الفلاسفة أعني الأفلاطونية الجديدة الاسلامية الذي بدأه من قبله الكندي ووجد في كتب ابن سينا من بعده أكمل عبارة عنه وقد يكون من الراجح أن الفارابي يخالف الكندي وابن سينا في بعض المواضع ولكن من العسير تعيين هذه المواضع ومن المناسب التحفظ بل الشك في تفسير ما يتعلق بتفصيل مذهبه والواقع انا لانعرف من آثاره الا قليلاً ثم ان أسلوبه لا يخلو من غموض وفيما عرفناه من رسائله ما هو مصوغ في صورة حكم في نهاية الإيجاز من غير نظام في ترتيبها ثم انه لا يمكن البتة عن يقين بأن مؤلفات كثيرة كمؤلفات الفارابي يتداولها تأثير أرسطو وأفلاطون وأفلاطون تنجرد من التناقض على أن الفكرة التي تعتبر قاعدة لهذا المذهب وهي التوفيق بين أرسطو وأفلاطون من ناحية وبين هذه الفلسفة الملتفة وبين العقيدة الاسلامية من ناحية أخرى ليست في نفسها سليمة من التضارب » .



وهذه العبارة في جملتها قد تبين بياناً صحيحاً عن مكانة كل من الكندي، والفارابي، وابن سينا، في الفلسفة الاسلامية وان كانت تفاصيلها لا تخلو من نقد . والفارابي من خير المفسرين لكتب أرسطو خصوصاً في المنطق وأثره في هذا الباب هو الذي جعله يستحق التلقب بالمعلم الثاني إذ كان أرسطو هو الأول هذا هو رأي بعض المترجمين للفارابي، ومنهم «كاراده ثو»

وفي كتاب «ابجد العلوم» لحسن صديق خان ما نصه :

« وفي حاشية المطالع لمولانا لطفي : ان المأمون جمع مترجمي مملكته كنين بن اسحاق وثابت بن قرة وترجموها بتراجم متخالفة مخلوطة غير مخلصة ومحرفة لاتوافق ترجمة أعدم للآخر فبقيت تلك التراجم هكذا غير محرفة بل أشرف أن عفت رسومها الى زمن الحكيم الفارابي . ثم انه التمس منه ملك زمانه « المنصور بن نوح الساماني » ان يجمع تلك التراجم ويجعل من بينها ترجمة ملخصة محرفة مذبذبة مطابقة لما عليه الحكمة فأجاب الفارابي وفعل كما أراد وسمى كتابه « بالتعليم الثاني » فلذلك لقب « بالمعلم الثاني » . وكان هذا في خزانة المنصور الى زمان السلطان « مسعود » من أحفاد المنصور كما هو مسوداً بخط الفارابي غير مخرج الى النياض اذ الفارابي غير ملتفت الى جمع تصانيفه وكان الغالب عليه السباحة على زي القلندرية وكانت تلك الخزانة باصفهان وتسمى « صوان الحكمة » وكان الشيخ أبو علي ابن سينا وزيراً لمسعود وتقرب اليه بسبب الطب حتى استوزره وسلم اليه خزانة الكتب فأخذ الشيخ الحكمة من هذه الكتب ووجد فيها بينها « التعليم الثاني » وخلص منه كتاب « الشفاء » ثم ان الخزانة أصابها آفة فاحترقت تلك الكتب فأثمهم أبو علي بأنه أخذ من تلك الخزانة الحكمة ومصفاته ثم أحرقها لئلا تنتشر ولا يطلع عليه فإنه يهتان وافك لأن الشيخ مقر لأخذه الحكمة من تلك الخزانة كما صرح به في بعض رسائله وأيضاً يفهم في كثير من مواضع الشفاء أنه تلخيص « التعليم الثاني » .

وفي ذلك القول خطأ تاريخي فان منصوراً بن نوح الساماني إنما ولي أمر خراسان بعد سنة ٣٤٣ هـ بعد موت الفارابي .

ولا ينتهي فضل الفارابي عند تفسير كتب أرسطو وتصحيح تراجمها والتمهيد بذلك للنهضة الفلسفية في الاسلام التي تكاملت من بعده بل له أيضاً أنظار مبتدعة وابحاث في

الحكمة العلمية والعملية عميقة سامية لما تنهتياً بعد للباحثين كل الوسائل لتفصيلها تفصيلاً وافياً  
والفارابي كتاب في المدينة الفاضلة كما أن لأفلاطون كتاباً في الجمهورية الفاضلة .  
والفارابي هو أول من عني بإحصاء العلوم وترتيبها في كتابه « إحصاء العلوم » الذي  
نشره أحد خريجي قسم الفلسفة من كلية الآداب في سنة ١٣٥٠ هـ / ١٩٣١ م « عثمان أفندي  
أمين » ووضع له مقدمة طيبة والذي يعنى بنشره بعض المستشرقين الاسبانيين أيضاً ومن  
أجل ذلك يعتبر بعض الباحثين أبا نصر أول واضع في العالم لنواة دوائر المعارف .  
ولئن كانت الأجيال تهتف باسم الفارابي منذ ألف عام في الشرق والغرب فإنه قد  
استحق ذلك بما وهب من حياته لخدمة العلم والحكمة وبما ترك من أثر في تاريخ التفكير  
البشري وفي تاريخ المثل العليا للحياة الفاضلة .

« القاهرة » . . . مصطفى عبد الرازق



## اصطلاحات النباتات الدنيا

—(«) —

قلت في المقالة التي عنوانها «الأسماء العربية للثمار النباتية»<sup>(١)</sup> ان الدكتور امين باشا المعلوم نشر في هذه المجلة بحثاً مستفيضاً في اصطلاحات النبات بدأه بالبزرة وانهاى بالزهرة ولم يتعرض العالم المشار اليه للاصطلاحات المستعملة في النباتات الدنيا كالفطر والطحلب والسرخس والأشنه وأمثالها. ولما كانت هذه الاصطلاحات مهمة وكان عددها كبيراً وكانت المعاجم الأعجمية العربية خلواً من معظمها وكانت ما حوته تلك المعاجم فيه نظر رأيت من المفيد استقصاء بعضها في هذه المجلة وذكر الألفاظ العربية التي تصلح لها دون البحث عن شؤونها العلمية لأن القاري يراها في كتب النبات .

جميع النباتات التي تناولها هذا البحث لا زهر لها فهي إذن من عديمة الأزهار. واعلاها السرخس *Fougère*. فان له ساقاً وورقاً وجذراً ومنه الخنشار المسى باللاتينية *Polypodium filix mas* وبليه الطحلب ويسمونه العرماض فان له ساقاً وورقاً وهو بالفرنسية *Mousse*

وأدنى من ذلك الفطر *Champignon* والأشنه *Algue* فليس فيها سوق ولا ورق ولا جذور . والفطور لاخضوب فيها اما الأشنه ففيها خضوب .

وفي صف الفطور اربع رتب وهي اولاً رتبة الفطور البيضية *Oomycètes* وفيها تلك النباتات الدنيا التي تحدث العفونة على المواد العضوية المنحلة ومعظمها من فصيلة العفونة أو المتعنات *Mucorinées*

ثانياً رتبة الفطور الدغامية *Basidiomycètes* وسماها الدكتور شرف في معجمه

رتبة الفطور الاصلية وربما كانت الاولى اصلح . وهي فطور تنشأ غُبيراتها Spores على خلايا خاصة تسمى دعائم Basides . ومنها معظم الفطور الكبيرة التي لها قبعات وتري في الحقول بعضها سام وبعض يؤكل . ومنها ايضاً التي تولد في الحبوب مرض الصدأ Puccinia graminis الخ .

ثالثاً رتبة الفطور الجراينة او القرينة او الزقية Ascomycètes وهي التي تنشأ غُبيراتها على خلايا تسمى واحدها قرية او جراباً Asque ومنها الكمأة والفقع وهما من الفصيلة الكثية .

رابعاً رتبة الفطور المخاطية او الهلامية Myxomycètes وهي ابسط الفطور في تركيبها .

وصف الأشنة هو صف النباتات الدنيا التي تعيش في المياه او في الأماكن الرطبة الهواء وتعرف بوجود الخضوب في خلاياها خلافاً للفطور ويسمى بعضهم الأشنة وشيبة العجوز والضمريع وسماها الدكتور شرف الفوقس وهي ترجمة اللفظة اليونانية وردت في مفردات ابن اليطار مصحفة هكذا ( قوفس البحري ) مع ان الفوقس من اجناس هذا الصف وفي الصف المذكور اربع رتب وهي :

اولاً رتبة الأشنة الزرقاء Cyanophycées وهي الأشنة التي يكون خضوبها مشوباً بمادة زرقاء اللون منتشرة في سجلة الخلايا الأولى Protoplasme .

ثانياً رتبة الأشنة الخضراء Chlorophycées وهي التي لايشوب خضوبها لون آخر . ثالثاً رتبة الأشنة السبراء Phéophycées وهي التي يكون خضوبها مختلطاً بمادة سبراء تجعل النبات اسمر اللون . وفي هذه الرتبة الفصيلة الفوقسية Fucacées ومنها الفوقس Fucus وهي نباتات يسمونها بالفرنسية Varechs .

رابعاً رتبة الأشنة الحمراء Rhodophycées وهي الأشنة التي يكون مع خضوبها مادة حمراء يصطبغ النبات بها .

ويطلقون لفظة الحزاز على نباتات تنبت على لحاء الشجر وعلى الصخور والجدران يسمونها بالفرنسية Lichens وقد وردت بهذا الاسم في كتب الأتراك وسماها به الدكتور شرف



ايضاً كما اطلق عليها لفظة الأشنة وشيبة العجوز . اما الاتراك فانهم اطلقوا لفظة الأشنة على ما ذكرنا دون غيره .

قلت ان الفطور والأشنة بسيطة التركيب لا تتميز فيها السوق عن الورق ولا هذه عن الجذور . وجسم النبات البسيط الذي يكون على هذا الشكل يسمى بالفرنسية Thalle ( وتسمى الشعبة التي تنسب اليها تلك النباتات Thallophtes ) . ولم اجد بالعربية لفظة تفيد هذا المعنى تماماً اي لفظة يمكن اطلاقها على جسم نبات بسيط لا ساق فيه ولا ورق ولا جذور . وسماه الدكتور شرف البارض . فالبارض هو اول ما يطلع من النبات وهو غير التالوس المذكور لأن البارض بعد ان يكبر تتميز فيه الأعضاء المذكورة . ومع هذا لا بأس من استعارة هذه اللفظة واشباهها لهذا المعنى الى ان نجد اقرب منها الى معنى التالوس الحقيقي .

وفي العربية الفاظ كثيرة لها معنى مقارب للبارض اللغوي منها الأساس وهو البقل مادام صغيراً لا تستمكن منه الراعية . ومنها السايخ من سميح الزرع اي طلع اول طلوعه . ومنها المنة رشح من قروح النبات خرجت رؤوس ورقه . ومنها النطفورة ج . النفاطير وهو اول نبات الوسمي ينمو ويصلحها جميعاً لما نحن في صدده المشرة وهي الأغصان الخضراء الرطبة قبل ان تتلون بلون وتشتد وهي ايضاً اول النبات . قلت انها اصل الجميع لأن لفظة Thalle الفرنسية مشتقة من Thallos اليونانية بمعنى الغصن . فيمكننا إذن ان نستعمل المشرة للتالوس والمشريات للتالوفيت .

والمشرة اشكال . فاذا كانت خيوطاً متشابكة سميت بالفرنسية Mycélium وعربها الدكتور شرف بلفظة ميسيل . ورأيت انه يمكن ان نطلق عليها لفظة مشية نباتية . وليس للنباتات الدنيا أزهار كما ذكرنا وهي تتكاثر بالتجزئة او بخلايا خاصة تحصل في المشرة يسمونها Spores وهي من اليونانية بمعنى البذر . فحين اذا اسميناها بذراً او بزوراً كما في المعاجم الأجنبية العربية ومنها معجم شرف التبنس الأمر على القاري لأن البذور في المشهور محبوب ذوات الأزهار وهي بالفرنسية Graines . ولذلك كنت سميت السبور غُبيرة ووجدت اخيراً ان العلامة بوست كان سبقني اليها . والذي دعاني الى استعمال هذه اللفظة ان للسبور شكلاً يسمونه Conidie وهو من اليونانية بمعنى الفبار .

والفرق بين السبور والكونيديا ان الأولى تنشأ في خلية كبيرة يسمونها Sporange اي كيس الغبيرات او وعاءها اما الثانية فتنشأ على قمة الخيوط المشربة مباشرة فهي إذن غبيرات خارجية .

وللنباتات التي يتناولها مقالنا هذا طريقة أخرى للتكاثر وهي حصول بيضة من لقح خلية ذكرية لأخرى انثوية . فالخلية الذكرية تسمى Anthérozoïde وقد رأيت ان اطلق عليها لفظ النطفة النباتية . وهي تكون في وعاء اسمه Anthéridie وهو وعاء النطفة النباتية . اما الخلية الأنثوية فهي تسمى Oosphère من اليونانية Oòn بمعنى البيضة و Sphaira بمعنى الكرة ولذلك سميناها الكرة البيضية . والوعاء الذي تكون فيه يدعى وعاء الكرة البيضية Oogone .

هذا ما رأيت ان أذكره في هذه المقالة ولعلني اتمكن من متابعة هذا البحث في فرصة أخرى .

وبعد تلخص الألفاظ التي مر ذكرها بما يلي :

Oomycètes	الفطور البيضية
Mucorinées	فصيلة المتعفنات
Basidiomycètes	الفطور الدعامية
Basides	دعائم
Puccinia graminis	صدأ الحبوب
Ascomycètes	الفطور الجراية او الزقية
Tubéracée	الفصيلة الكشمية
Myxomycètes	الفطور المخاطية او الهلامية
Algues	الأشنه
Cyanophycées	الأشنه الزرقاء
Chlorophycées	الخضراء
Phéophycées	السمراء
Rhodophycées	الحمراء



Fucus	الفوقس
Lichens	الحزاز
Mousse	الطحلب
Fougère	السرخس
Polypodium filix mas	الخنثار
Thalle	الغشيرة
Thallophytes	الغشيرات
Spore	الغبيرة
Sporange	وعاء الغبيرة
Conidie	الغبيرة الخارجية
Anthérozoïde	النطفة النباتية
Anthéridie	وعاء النطفة النباتية
Oosphère	الكرة البيضية
Oogone	وعاء الكرة البيضية

مصطفى الشهابي

## كتب الادب القديمة والحديثة

— ٣ —

بعد ان انتهيت من الكلمة الأولى في زهر الآداب عثرت في جدول الأغلاط الملحق بالجزء الأول على ثلاث كلمات بين فيه صوابها فأحببت أن أعرض القراء عنها باضعافها فأعدت النظر في الجزء الأول فرأيت فيه ما يأتي :

• قال في صفحة ١٠٧ — وأصاب شواكل المراد • وطبق مفاصل السداد • وقال في الذيل الشواكل جمع شاكلة وهي ما بين الأذن والصدغ • والصواب وهي البياض ما بين الأذن والصدغ • وهذا بعيد عن مراد المتكلم فالأولى تفسير الشاكلة بالخاصرة لقولهم أصاب شاكلة الرمية أي خاصرتها • وأصاب شاكلة الصواب • وهو يرمي برأيه الشواكل • وفي ص ١١٧ — فليس في قوس احسان وراءها منزع • قال في الذيل منزع على وزن منبر السير الذي ينتزع به ولم أجده بهذا المعنى والذي في الأساس • رماه بالمترع وهو السهم البعيد المرمى • وفي اللسان الذي يرمى به أبعد ما يقدر عليه لتقدر به الغلوة • وفي القاموس السهم الذي ينتزع به • وفي ذيل ص ١٢٧ — والجمام بكسر الجيم الراحة • وفي اللسان والجمام بالفتح الراحة • وفي القاموس والجمام كسحاب الراحة • وفي المصباح وجمام الفرس بالفتح لا غير راحته • وكذلك قال الفراء فماتقله عنه التاج •

وفي ذيل ص ١٢٩ — الكعاب اطراف القنا • وفي كتب اللغة الكعاب جمع كعب • وهو الإنبوبة بين العقدتين وقيل العقدة ما بين الانبوين • وفي ص ١٢٩ — اعز مكان في الدنا • والصواب في الدنى جمع دنيا •



وفي ص ١٣٢ -- من ينخر البدر النصار لمن قرا . والصواب قري لأنه من باب رمى كما في المصباح .

وفي ص ١٥١ - صاحت اذن بعلي . والصواب صاحب وفيها عُرْس . ضبطت بضم فسكون والصواب بكسر فسكون .

وفي ذيل ص ١٥٢ - المغفل الطيب القلب . وفي القاموس المغفل من لا فطنة له . وفي ص ١٦٢ - بنفج . ضبطت بكسر السين وقد ضبطه في المدباح بنفجها . وفيها السحالة النخالة . وفي التاج والسحالة بالضم ما سقط من الذهب والفضة ونحوهما اذا برد .

وفيها فسر القارح بالأغر والقارح من ذوات الخافر كالبازل من الابل .

وفي ص ١٦٣ - ابو دعبل الجمحي . والصواب ابو دهب .

وفي ص ١٦٩ - نفجع النصارى ضبط بضم الفاء . والصواب كسرهما . والفتح عا .

وفيها ريق المطر . الغزير منه . وفي القاموس اوله . والريق ان يصببك من المطر يسير .

وفي ص ١٧١ - الماء المقضض . والظاهر انه المقضض .

وفيها على اعلا سماواته والصواب اعلى .

وفي ص ٧٣ - الزرافين الآلات يرفع بها الماء فترى له علينا بريقاً ولمعناً . وفي

القاموس والتاج الزرفين . حلقة للباب . او عام . ومنه درع ذات زرافين . ولم اجد من

ذكر الزرافين بمعنى الآلات ولعل الاستاذ اراد الزرافات وهي المنازف التي ينزف بها الماء

للزراع وما اشبهه . ولكنها غير الزرافين .

وفي ص ١٧٦ - فسر النفق بالسرداب . والنفق مرب في الارض مشتق الى موضع

آخر اي له مخلص الى مكان آخر . والسرداب بناء تحت الارض للصيف فينبها فرق واضح .

وفي ص ١٨٢ - مذق اللسان . يمزج الجذ بالهزل ولم اجد بهذا المعنى وانما يقال

فلان مذق اذا كان ملولاً غير مخلص .

وفي ص ١٩٦ - كما دوى من عضاه الزينة الاسد . قال في تفسيره العضاه جمع عاضة

وهي الحية تقتل لساعتها . والصواب ان العضاه جمع عضادة او عضهة وهو اعظم الشجر او

كل ذات شوك .

واما الحية فيقال لها البعوضة والعاضة وهذه لا تجمع على فعال ولم اجد من نقل جمعها كذلك . وبعد كل هذا فان اصل الرواية كما هو عن غطاء الزينة الأمد . كما رواه المبرد في الكامل .

وفي ص ١٩٨ — اشاط دمي شخص علي كريم . قال في تفسيره اشاط احرق . ولا معنى للاحراق هنا . بل من قولهم اشاط دمه اذا عرضه للقتل او اهذر دمه . او من اشاط دم الجزور اذا سفكه وراقه .

وفي ص ١٩٩ — من شاب شبن له الميودة ضبط شبن بكسر الشين وهي من الشيب والصواب ضمها . من الشوب بمعنى المزج والخلط .

وفيهما اذال ذبول الهوى . قال في تفسيره اذال اهان . ولا يلتئم هذا التفسير مع قوله : جرّ ازار العبا فالأولى أن يقال أطال او أرخى .

وفي ص ٢٠١ — قبل ان تدرج لذاته . والصواب لذاته .

وفيهما عمر بن قنئة . والصواب عمرو بن قنئة .

وفي ص ٢٠٤ — حرزاً لشلو من الاعداء مشجون . وهو في ديوان ابن الرومي . حرزاً لشلو من الآفات مشجون .

وفيهما فسر النون بالتمساح وهو تخصيص غريب لم أجده لغيره .

وفي ص ٢٠٥ — رفاق الثنايا عذبة المترنق . قال في تفسيره المترنق العين وتقول

رنق اليوم في عينه خالطها وهو تفسير بعيد يقسم ابو حية النخري انه لم يرده . فالصواب ان يقال المترنق الريق المصنفي من قولهم رنق الماء صفاء عن الكدر . وهذا يلتئم مع قوله : سقتني بكأس الحب صرفاً مرزقا رفاق الثنايا عذبة المترنق

وفي ص ٢١١ — صليل البيض تفرع . ضبط البيض بكسر الباء والصواب فتحها .

وفي ص ٢١٤ — اذا طرب الطائر المستحر . قال المستحر الحران . والصواب المفرد في

السحر يقال استحر الطائر اذا غرّد في السحر واستحر الدبك صاح فيه .

وفي ص ٢١٨ — مقدم بسبا الكتاب ملثوم . أراد بسبائب . قال في تفسيره :

السبائب جمع سبيبة وهي الحبل . والصواب ان السبيبة شقة كتان رقيقة . وبعضهم خضعها بالبيضاء وبه فسر قول علقمة المتقدم .



- وفي ص ٢٢٨ — ثم دعا تسعة من رقيقة . والصواب من رقيقه .  
 وفي ص ٢٣٠ — فهل تستطيع . وبها يختل الوزن والصواب تستطيع .  
 وفي ص ٢٤٤ — أجنبتك الورد أغصان . والصواب والرواية أجنبت لك الوجد .

\*\*\*

وقد رأيت ان اجتزي بثلاثين كلمة فاكثر أقدمها للقراء بدلاً عن تلك .  
 والآن أودع الجزء الاول وأنا واثق بانى أقيمت فيه لنظرة أخرى أكثر مما ذكرته  
 وأعود الى سرد ما جاء في الجزء الثاني :

- قال في ص ٨٦ — اذا كان في ايجاشهم والصواب ايجاشهم .  
 وفي ص ٩٠ — ذو مقلة بصرتة منسية . وفي الديوان بصيرة مذهبة .  
 وفي ص ٩١ — لولاه ماصح خط دائرة . وفي الديوان شكل دائرة .  
 وفي ص ٩٢ — تمثال طرف بشكر الخدق مكبوح . والرواية بشكر جمع شكمة  
 وهي الموافقة لمكبوح .  
 وفي ص ١٠٧ — فلج بقلب ضبطت بكسر الفاء . والصواب فتحها .  
 وفيها . ورمى الكرى رأسي ومال به رمس . ولا معنى للرسم هنا . والظاهر انه رعى  
 وهو هن الرأس في النوم .  
 وفيها واذا له علق وحشرجة . والصواب غلق وهو ضيق الصدر وقلة العبر وهو الملائم  
 لحشرجة .

- وفيها . حتى دفعت به لمصرعه سوق المعيز تساق للعر . قال في تفسيره العتر اسم نبات  
 او شجر صغير . والصواب ان العتر هنا الدج . ومنه العتر والعيرة .  
 وفي ص ١٠٨ — باعني رستاهي دالج . ولم أجد رستاهي فيما لدي من كتب اللغة .  
 وفي ص ١١٠ — اريتك ان شطت . ضبطت بضم التاء والصواب فتحها .  
 وفيها . الا ان حسيًا . ضبطت بفتح الحاء والصواب الكسر .  
 وفيها . متاعهم فوضى قضا . والصواب فوضى قضا .  
 وفي ص ١١١ — قام الثقات . والصواب نام كما في الديوان والكمال .  
 وفي ص ١١٣ — من قره يعطلونا . ضبطها بضم القاف والصواب كسرهما .

- وفي ص ١١٦ — والله لولا الخليفة والصواب لولا رضى الخليفة وبه يستقيم وزن البيت .  
 وفي ص ١١٧ — مساك السحاب . ضبطت بكسر الميم والصواب فتحها .  
 وفيها اذا غدى . والصواب غدا .  
 وفي ص ١١٨ — في طلا الاعناق . ضبطت بفتح الطاء والصواب في طلى بضمها .  
 وفي ص ١١٩ — لهم احنة . والرواية بهم جنة .  
 وفي ص ١٣٣ — أكلنا قريسا . ضبطت بضم القاف وفتح الراء . والصواب فتح الأول  
 وكسر الثاني .  
 وفي ص ١٤٥ — قد شذ هذا . والصواب شد .  
 وفيها نطل نلطم . والصواب تطل نلطم .  
 وفي ص ١٥١ — ودمع العاشقة المرءاء . نسر المرءاء بالياء . والصواب هي التي  
 لا تكتحل .  
 وفي ص ١٥٢ — او كعرق السام . والصواب السام بغير مد رعاية للوزن والمعنى .  
 وفي ص ١٥٥ — من برأي يعلم . والصواب برأي من يعلم .  
 وفيها قد صاب آخر . والصواب صار .  
 وفي ص ١٦٣ — ولا سايح . والصواب سايح  
 وفي ص ١٦٧ — وان سمع العلم وعما . والصواب وعى .  
 وفي ص ١٦٨ — دعا صرد . والصواب صرد  
 وفي ص ١٨٠ — فقلت الزيز ملبية . والصواب لمهاة .  
 وفي ص ١٨٣ — عقبة بن ابي شفيان . والصواب عتبة .  
 وفي ص ١٩٨ — فما بالوا . والصواب بالو .  
 وفي ص ١٩٩ — الحلي بضم الحاء . والصواب كسرهما . . .  
 وفي ص ٢٠٧ — عتاد بكسر العين . والصواب فتحها .  
 وفي ص ٢١٤ — لمع من حمم . والصواب حمم بضم الحاء .  
 وفي ص ٢١٧ — جبال شدورى . والصواب شرورى .  
 وفي ص ٢١٨ — كحلية العروس . والصواب كحلة .



وفيها . والسوس الآزاد . والظاهر الآزر .  
 وفيها . ثمار الكنكر . والصواب الكبير .  
 وفي ص ٢١٩ - ثم سما . والصواب همي .  
 وفيها . احمره واصفرد . بكسر الراء والصواب فتحها رعاية للقفية والاعراب .  
 وفي ص ٢٢٣ . تبريح الأحياب . والصواب ترنج .  
 ولنكتف بما اوردناه مما في الجزء الثاني تاركين فيه ما لا يقل عما ذكرناه خشية ان  
 تدب السامة الى نفس القاري .

\*\*\*

وقد افتتح الجزء الثالث بمقدمة قال فيها :  
 اجمع رجال العلم والأدب على استحسان المنهج الذي سلكته في احياء زهر الآداب .  
 فقد ظهر الجزء الأول والثاني ولم اسمع من احد منهم غير الثناء . وقد زادني هذا التشجيع  
 حباً فيما أعاني من التعب في ضبطه وتنقيحه وتفصيله وشرح ما فيه من الغريب الخ .  
 ومن وقف على الجزءين الثالث والرابع لا يسعه الا ان يدعو لهؤلاء المجتهدين على  
 الثناء . بان يوفقهم الله بعد اليوم حتى لا يقولوا الا الصدق ولا يثنوا الا بحق . وسيري  
 القاري من الشواهد والأدلة على صحة هذا . ما بغينا عن الإطالة والإسهاب .  
 فما جاء في الجزء الثالث ( في ص ١ ) ذات الرقم ( ٥ ) المجتري . ولو لم يكن في كفه  
 غير نفسه . الخ . والصواب ان هذا البيت لا يبي تمام .  
 وفي ص ٦ - الخمار بالضم ما يعتري الشارب من الألم عند فقد الشراب . والذي  
 في لسان العرب والتاج وغيرهما . خمار الخمر ما أصابك من ألمها وصداعها وأذاها . فزيادة  
 عند فقد الشراب غير صواب .  
 وفي ص ٧ - وحملت المسن على الرياضة عمى . والصواب عناء . وفي المثل ومن العناء  
 رياضة الهرم .

وفيها . وبذل الانصاف . والصواب وبذلي .  
 وص ٨ - بغضه . وصوابها بغضه .  
 وفيها . عرصات السلطان . والصواب . مرضاة .

- وفيها . القارح هو الذي بلغ تمام القوة والجذع دون ذلك . وفي اللسان وغيره .  
 الفرس في السنة الأولى حولي ثم جذع ثم ثني ثم رباع ثم قارح فالمناسب لسياق القول  
 وللمعنى اللغوي ان يقال القارح المسن . والجذع دونه .
- وفي ص ٩ — بان فضل شجاع الفضل النج . وهذا يشبه كلام الحكل . والظاهر ان  
 يقال فان فضل شاع الفضل في الزمان واهله .
- وفيها . وتحملى للعيون . والمناسب للمقام . وتحملى للعيون .
- وفيها . بتكثير قليلها النج والصواب وتكثير قليلها . وايضاح مجهولها سبباً النج .
- وفي ص ١ — ان ذل السلطان اتبعت الرذيلة . والمناسب لسياق الكلام . ان رذل .
- وفيها . بملتقى طرفيها . والمناسب للمعنى والسجع . طرقها .
- وفيها . وحشية المضاع وجيرة المرتاع . والصواب وحشة . وحيرة .
- وفيها . او تزورهم وصوابها او تزورهم كما هي الرواية .
- وفي ص ١١ — يحوي المجد . والصواب يحوي المجد بمحذف الياء للمجزم .
- وفيها . وافنى فيثها . والاقرب الى الصواب نيتها أي شحمها .
- وفي ص ١٢ — فلا الاعجاز جازلة . وقال في تفسيره جازلة : اصابها الدبر . ورواية  
 البيت خاذلة والدبر لا يكون في الاعجاز .
- وفي ص ١٣ — غناؤك به . والاولى له .
- وفي ص ١٤ — حسام جلت عنه العيون . والصواب القيون .
- وفي ص ١٥ — ابرى جورها . والصواب جوزها .
- وفيها . ومدرجة للريح غيراء . والصواب غيراء .
- وفي ص ١٦ — اثارها المحاسن مشيها . والصواب المها . حسن مشيها .
- وفي ص ١٧ — وصراط، في الشعر المستقيم نضى تيساره واوقد بالبقاع ناره . وفي  
 العبارة ركازة وتحريف والظاهر ان اصلها . نصب له مناره واوقد بالبقاع ناره .
- وفي ص ١٩ — وسارية تزداد ارضاً . ولا معنى لها ولعل محرفة عن تزداد او ترتاد .
- وفيها . فتاة ترجيها . والصواب ترجيها .
- وفيها . وللخوط ضبطت بفتح الخاء . والصواب الضم كما في القاموس .



- وفي ص ٢١ — ومشرقة في النظم غُرّاً • ورواية البيت • ومشرقة في النظم غُرّاً •  
 وفي ص ٢٢ — بالحصا • والصواب بالحصى •  
 وفي ص ٢٣ — وعصب اليمن بضم العين والصواب فتحها •  
 وفي ص ٢٤ —  
 غدت تستجير الدمع خوف نوى غد      وغذّى تتادى عندها كل مرقد  
 هكذا اورد البيت وضبطه وهو مطلع قصيدة لابي تمام بلغ الغاية من الشهرة والجودة  
 وصوابه •  
 غدت تستجير الدمع خوف نوى غد      وعادقتاداً عندها كل مرقد  
 وفيها • فاذرى لما الاشفاق • والذي في ديوان ابي تمام فاجرى •  
 وفيها • تقضي زمام • وصوابها زمام •  
 وفي ص ٢٥ — وموامي وصوابها ومواس •  
 وفيها • وقد حنقوا • وصوابها حنقوا كما في المصباح والقاموس •  
 وفيها • استبطي نفقاً • وفي الديوان استبطي •  
 وفي ص ٢٦ — من بنات النيد وصوابها العيد  
 وفي ص ٢٧ — جلّيت جلاء الحضرمية • وفي ديوان ابي تمام حذبت حذاء • •  
 وفيها • قد حاكها • وفي الديوان احذا كها •  
 وفيها • يمده حسب • وفيه : جفر • وهو انسب •  
 وفيها • ابكار اذا نصت • وصوابها نصت • من نص العروس اقمدها على المنصة •  
 وفيها • قد طوقت عناباً • والانسب طرفت • يقال طرفت المرأة بنائها خضبت اطراف  
 اصابعها بالخناء •  
 وفي ص ٢٨ —

تطير عنها حصى الفزان من بلد      كما توقد عند الجبهة الورق  
 وهذا البيت لا يمكن فهمه على هذه الصورة • ولعل اصله •  
 تطير عنها حصى الظّرآن من بلد      كما تنقد عند الجبهذ الورق  
 والظران جمع ظر وهو الحجر • والجبهذ النقاد الخبير وحيثئذ يصح اللفظ والمعنى •

وفيه قول امري القيس :

كأن صليل المسرحين تشده

وصوابه كان صليل المرو حين تشده .

وفيه اسعى الى الافلاك . والرواية اسمو .

وفي ص ٢٩ - شغل المرء منظر ثم نطق

وأظن ان أصل البيت

يشغل المرء عن تظن ونطق فهو يصني بظاهره وضمير

وفيه منعمات كأنها حافلات . وصوابها منعمات .

وفي ص ٣٠ - ولم اعقل لمن حسابا . والرواية لم اغفل .

وفيه . فاغار ذاك على يد . فلي . والرواية على يدي فلي .

وفيه . كل اللباس عليها معروض حسن . صوابها معروض . وهو ثوب تجلى فيه

الجارية . وكذلك قوله ومعروضها . صوابه معروضها .

وفي ص ٣١ - تاهم الصوت . صوابها تاهم .

وفي ص ٣٢ - سقى بضرب من المزن . والاحسن بصوب .

وفيه . به وجد وعد . ووسواس ودق . والرواية وجد وعد ووسواس برق وهي أولى .

وفيه . فجزي التسيم على غلائل خده . والاولى يجزى او فجري .

وفيه . لم يكن قبلها من الماء جرم حاض بي نفسه بغير أوان

والظاهر حاصر نفسه أو حاض نفسه لأن الماء لا يبيض في نفسه .

وفيه . مارآه خائب فاثني بغير امان . والمناسب خائف

وفي ص ٣٣ - وضروب طربه لا تضرب . وصوابها وضروب ضربته لا تضطرب .

وفيه . وقبل السماع منقحة الاسماع<sup>٢</sup> وأدام المدام . وصواب العبارة . وقيل . السماع

متعة الاسماع وإدام المدام .

وفيه منهدة من يعتاد الملوك . والصواب منهدة من عتاد الملوك

وفي ص ٣٤ - وحسن العهد والبغيا . والصواب والبقيا

وفيه . ولا بوردت . والصواب بودرت .

- وفيهما . وتناجها التأليف . و صوابها وتناجها .
- وفي ص ٣٦ — ومستنبطاً بانواره ظلم الجنان . ولا اعلم كيف تستنبط الظلم بالانوار .  
والظاهر ان اصل الكلام . ومستنبطاً ماتواريه ظلم الجنان .
- وفيهما . فكان من فرسان خيولهم و كنت عميدهم و اقران نصر عليهم و انت صنديدهم .  
وهذه الجملة في غاية الرككة . ولعل صوابها هكذا : وله فرسان خلق لهم و كنت عميدهم .  
واقران قصر عليهم و كنت صنديدهم .
- وفيهما . مؤلفة مختلفة اركانها وطباعها الخ . .
- وهذه الجملة رككة متناقضة . وربما كان اصلها هكذا : يؤلفه مختلف انوائها ومتباين  
الوانها وانحائها . وتؤيده بقواها الخ .
- وفيهما . فلما قادته السعادة التي ارته نسج وحده في الاقلام الخ . والذواب قادته السعادة  
الي ورأيته نسج الخ . وبهذا يلتئم اللفظ والمعنى .
- وفي ص ٣٧ — والصمامة مصلتها . والذواب والصمصامة .
- وفيهما . للأيمة بعثته . . وله اذا لم يجرها .
- ولعل صواب البيت  
للأيمة نقتته . . . اذا لم يجر . .
- وفي ص ٣٨ — والريح في جوفها حريق . والذواب خريق اي باردة شديدة  
الهبوب .
- وفيهما . اي ثوية ابتدل . والذواب اي ثويد .
- وفي ص ٣٩ — احدثت بعد ياعتابي . والاولى بعدي .
- وفيهما . وان امير المؤمنين اعزاني مع ايها الخ .
- والرواية . وان امير المؤمنين اغصني مغصها الخ . وفي هذه الايات كلها اضطراب .  
وهي مذكورة على وجه صحيح في لسان العرب في مادة . برد .
- وفيهما ان البرامك لانجيك انجية بصنجة الدين الخ . وهذا البيت لا يكاد يفهم .
- وفيهما . وانما اجتازه فاخطره ذلك الزيارة . والاولى وانما اجتازه فاخطر تلك الزيارة .
- وفيهما . فادفع مقالتهن بثنائية . وسباق القول يقتضي . بثنائية .



- وفي ص ٤١ — بعد ما ترأين كان تلاق . والاولى بعدما قد ترين .  
 وفيها . وادى اليها الحق فهو معينها . والاولى . امينها .  
 وفي ص ٤٢ — مقيم بمستن الفلا والمقام يقتضي العلى .  
 وفيها . اما غافر او معاتب . والظاهر او معاقب .  
 وفيها . فاترك من هجرانك اليأس . والظاهر فانزل بي هجرانك النخ .  
 وفيها تثوب بساق . والظاهر تنوء بياق .  
 وفيها . فاقلمن عنه راميات الخالب . والصواب داميات .  
 وفيها . فها انا مغض في رضاك . والاولى مقصى .  
 وفيها . اشيعت مشتاقاً . والصواب واشعث مشتاق .  
 وفي ص ٤٣ — قصر سوقه . والظاهر شوقه .  
 وفيها . هندي الحسام المضارب . والصواب حسام على حد قول ابي خراش . حسام  
 الحد مذروباً خشيباً .  
 وفيها . لو رأيتني دزى المجادة فردا . ولعل اصله اطوى المحارة وهي المكان يحار فيه .  
 او بذى المجازة فردا .  
 وفيها . بين صرحي ومنحنى اعوادي . ولعل اصله بين مرجي .  
 وفيها . علي الخدين محمول . وسياق القول يقتضي . محلول .  
 وفي ص ٤٤ — ماعلى الرزح الرقائل . والصواب المراقل جمع 'موقل' . والذي في  
 الديوان . ماعلى الوصح الرواتك .  
 وفيها . ظرف الصداقة . من ظرف العلاقة . والظاهر ارق من ظرف العلاقة .  
 وفيها . واراكها وعدادها . والظاهر . وعمرادها وهو الغليظ من النبات .  
 وفي ص ٤٥ — قالت الورد والمدامة والبدر ضيائي ولون خدي ووجهي  
 والتقسيم يقتضي ان يكون رضائي بدلاً من ضيائي .  
 وفيها . يجدران امسى . وصوابها بجوران .  
 وفيها . اطلقت من السب . والصواب حي الشيب .

وفي ص ٤٦ — وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر لك ان يعتب الخ والعبارة في غاية الركاكة والتموض ولعل اصلها وله فصل الى بعض اخوانه يعتذر اليه :

لك ان تعتب ولشبهك ان يعتذر فهب اقل الامر من الخ :

وفيها • الحزن احسن من كلامه • والصواب الخرس •

وفيها • قصير جامع الكتابة • وصوابها باع •

وفي ص ٤٧ — ويستنحي الصدر • والظاهر يسجي او يشجي •

وفيها • وينقش الانقاس • والصواب ينقش اي يشعث او ينقس او يعيب •

وفي ص ٤٨ — اللطيف فهم • وصوابها فهمهم •

وفي ص ٤٩ — وأضاء له نور الزجاجاة • صوابها الزجاجاة •

في ص ٥٠ — وشحذت مدارس الادب فواصله • وصوابها فياصله •

وفيها • تسوء شكوكه ببيان الخ • والظاهر يشوب الخ •

وفي ص ٥١ — مطالعاً يمينه • والظاهر مطالباً •

وفيها • كأنه وحمارة تجارياً كلاً واحداً • وسياق الكلام يقتضي هكذا : كأنه وعمارة تجاذباً كلاماً واحداً •

وفي ص ٥٢ — لماحتف صرفه • وصوابها لما خفت •

وفي ص ٥٣ — وتلقانا شاب • وصوابها • وتلقاونا •

وفي ص ٥٥ — فقلت ياسادات نفسي صبراً • وصوابها قلت • الخ •

وفيها الاسكندر • وصوابها الاسكندري •

وفيها الم تكن فينا وليدا • والرواية الم نربك فينا وليدا •

وفيها • البعث المنقري • والمعروف ان البعث الذي هجاه جرير : مجاشعي فليتأمل •

وفي ص ٥٦ — شيجج الغزال • وصوابها القذال •

وفيها • ومحتفل دائري والظاهر دائر •

وفي ص ٥٧ — فما لم في القلا والظاهر في العلى •

وفيها • ولا لم في الوغا وصوابها الوغى كما نص عليه أئمة اللغة •

وفيها • يمنعني القوم • والظاهر النوم •

- وفي ص ٥٨ — من لأود وصوابيا من الأود .  
 وفيها . ومذهب مقروض . وصوابيا مرفوض .  
 وفي ص ٥٩ — احق الناس باللوم . وسياق القول يقضي ان يكون . باللوم .  
 وفيها . على التدي . وصوابيا على التدي .  
 وفيها . أكثر صارخاً واشد معيبة . ولعل الأصل واشد معتبة .  
 وفيها . لما هجوتك . وصوابيا ولما .

سليم الجندي



## رحلة اوليا جلي

« في البلاد العربية »

— ٢ —

ثم رحلنا من هنا وسرنا نحو القبلة فاجتزنا قره مغرط الى ان وصلنا بعد اثنتي عشرة ساعة الى انطاكية (١) .

(١) قره مغرط قرية صغيرة في اسفل قلعة بغراس وشرقيها كان في جوارها خات قديم دثر في العهد الاخير وتقضت احجاره بعد ان كانت عامراً وصالحاً لايواء القوافل والمسافرين . وقد فات الجلي ان يصف ما يراه السائح على هذه الطريق التي عبثت من عهد قريب وطولها من طوب بوزاز الى انطاكية ثلاثون كيلومتراً . وهي تسير محاذية لسفوح الجبل الاسمر التي يتركها السائح على يمينه ويرى على يساره سهل العمق الفسيح وبحيرة انطاكية الزرقاء والمستنقعات الواسعة الممتدة حولها . وهو بعد مغادرة الطريق الصاعدة غرباً الى قره مغرط وقلعة بغراس التي ترى عن بعد يمر حذاء ضيعة تدعى بعلامه تعد فوضة على شاطئ المستنقعات المتصلة بالبحيرة وفيها القوارب الرفيعة التي تغدو وتروح في هذه المياه وفي المسالك المنشقة بين نصب الآجام يركبها الصيادون الذين يقدون في الربيع لقنص الاوز والبط ودجاج الماء والشقب وغيرها من الطيور المائية واسرايها تفوق الحصر وثمة الثعالب والخنازير البرية وكلاب الماء ايضاً . ثم يجتاز الطريق وادياً عريضاً حافلاً بالبساتين فيه قريتا بدركة العرب وبدركة الشر كس ثم قريتا يافاري وسردلي وهنا يرى السائح في الافق الجنوبي جبل القصير وجبل الاقرع الشاخر كالحرم فوق البحر الى علو ١٧٥٩ متراً وبعد اجتياز قرية عواقية التي اتخذت قاعدة لناحية قره مغرط يودع المستنقعات ويدخل الارضين المحروثة والمزروعة من سهل العمق فيرى على يساره مخرج البحيرة الضيق يمتد من

الشمال الى الجنوب ويجري ماءه متشاقلاً ببطء زائد وهو يلتوي كالافعى الى ان يلاقي العاصي . وماء المخرج اصفر اللون لزج مملوء بالحنكليس الذي يصطاد بكثرة ويملح ويصدر الى البلاد . وهنا يشاهد عن بعد في الأفق الجنوبي جبل حبيب التجار او سيلبيوس المشرف على انطاكية وفي الافق الغربي جبل موسى معقل أرمن هذه الديار ( ١٧٠٠ متر ) ثم يسير محاذياً لنهر العاصي الذي ينحرف عند جسر الحديد من الشرق الى الغرب متجهاً نحو انطاكية فالسويدية . اما سهل العمق فقد قال الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية ما خلاصته : تبلغ مساحته ١٦٠٠٠٠ هكتار منها ٣٠٠٠٠ هكتار لا يمكن استغلاله يدخل فيه ٢٢٠٠٠ مستنقعات و ٩ — ١٠ آلاف لبحيرة انطاكية . ويصب في هذا السهل ثلاثة انهر تأتيه من جبال عينتاب واللكام وجبل الكردي وهي عفرين ويغرا والنهر الاسود وثمة نهير يدعى البراك ينحدر من الجبل الاعلى . وجل صخور العمق طباشيرية وارضيه طينية كلسية الا في قليل من المواضع تكون صلصالية والصخور بازالتية ( حري ) . وكية امطاره لا تزيد في السنة على الخمسمائة ميليمتر وهواؤه وييل ووطأة الحر فيه اشد منها في الساحل وتفوح من مستنقعاته رائحة تعاقبها الانفس تنشأ من تفسخ نباتات الآجام وتنتشر فيه سحب قائمة من اسراب البعوض هي علة الوبالة ( حمى البرداء ) التي تفتك في اهله . وسبب وجود هذه المستنقعات كون ماء البحيرة لا يندفع بسهولة في المجرى الخارج منها الى العاصي حيث الميل لا يزيد في الكيلومتر عن عشرة سنتيمترات وثمة سكور اقامتها اهل شطوط البحيرة لاصطياد السمك لاسيما الحنكليس والساور يدعونها داليان هي ابضاً من العثرات الواقفة في وجه الماء . ويقال ان مستنقعات العمق كانت قديماً اقل سعة مما هي عليه الآن ويعزى ازديادها الى الفتك بجراج جبل اللكام مما ادى الى انهيار التربة من سفحه وسيرها مدفوعة بالسيول الجارفة نحو السهل فرسبت في طريق انهره الثلاثة وتبسطن ولم يبق ثمة انحدار كاف لجريان الماء بسهولة فحدثت المستنقعات وما زالت تكثر بمرور الاعصر والاستمرار على تجريد الجبال من اشجارها حتى بلغت سعتها الحاضرة . ولو تسنى تجفيفها لطاب المناخ وامكن استغلال هذه المساحة الشاسعة بمختلف الزروع كالقطن وقصب السكر والأرز وغيرها . ويرى العارفون ان التجفيف بكون بازالة السكور التي وضعها الصيادون وبكري قاع البحيرة ويجري العاصي

حتى انطاكية وتعميقها ليسهل جريبات الماء ويفتح أخاديد واسعة تحصر فيها مياه الأنهر الثلاثة وغيرها من الينابيع الواردة الى العمق لتسيل فيها كما ينبغي . وجل أهل العمق عرب يسودهم نفر من سراة التركان المنتسبين لآل مرسل وبعض الملاكين من الارمن وثمة بضع مئات من مهاجري الشركس في قرى الريحانية وبني شهر وضواحيها جاؤا منذ نصف قرن في زهاء مائتي بيت من مهاجري الارمن اختطت لهم السلطة الفرنسية منذ عهد قريب قرى في المرعى العسكري وغيره اد .

قلت ويرى السائر الى انطاكية مستنقعات العمق وآجام القصب والاسل المنتشرة والباسقة فيه يتخللها كثير من القرى الصغيرة مما لا يمكن الوصول الى معظمها في زمن الفيضان الا بقوارب خاصة ويوتها أشخاص من القصب المطلي بخثي البقر الجاف مكتظ بعضها ببعض بين الأوحال والادغال . وأهلها صفر الوجوه هنري من وبال المرتع لكنهم مرذوقون في الجملة فهم يقلعون عرق السوس ويستردون البان الجواميس ويبقى لهم قدر غير يسير من الغلة بعد اقتطاع ما يصيب أصحاب القرى . والزروع الشتوية والصيفية في العمق تربو وتبسق كثيراً لكاء تربته وهو على علاته ما يرح منذ القديم ملجأ المعوزين من سكان الجبال والبقاع الممتدة بين ضواحي حلب الى شرقي اللاذقية يقدون اليه أفواجا في السنين التي يصيبهم المحل كما منا هذا ( ١٣٥ ) فيؤجرون من العمل في مزارعه الخصبه ويقفون ويمتارون بفضلات حصائده وأعشابه ثم يرجعون .

وللعمق وبطائحه ذكريات عديدة في تاريخ أم الشرق والغرب التي استولت او جاءت تستولي على انطاكية عاصمة شمالي الشام وعروس مدنها في العصور القديمة . فالأشوريون والحثيون والفرس واليونان والرومان والسلمون والصليبيون والمصريون بقيادة ابراهيم باشا مروا من هذا السهل ذي المكنانة الحربية الكبرى أو نطاحنوا فيه بعمارك دامية . عرفه من ملوك المسلمين ابن طولون في حروبه مع سيا الطويل صاحب انطاكية سنة ٢٦٤ كما ذكرناه في بحث بنراس ووصف المتنبي بحاري العمق ووجوله سيفه احدى قصائده يمدح بها سيف الدولة لما عنزم على السفر من انطاكية الى حلب في ايام شديدة الامطار في سنة ٣٥٥ وكان أوقع في العمق باهل انطاكية الذين عصوا عليه قال :



وما أخشى نبوك عن طريق      وسيف الدولة الماضي الصقيل  
وكل شواة غطريف تمني      لسيرك انت مفرقها السبيل  
ومثل العمق مملوء دماء      مشيت بك في مجاريه الخيول  
اذا اعتاد الفتى خوض المنايا      فاهوت ما يمر به الوحول

وعرفه منجوتسكين قائد جيش الفاطميين الذي اوقع بجيش ميخائيل البرجي نائب  
قيصر الروم في انطاكية وذلك في سنة ٣٨٤ وتعرف بوقعة المخاضة . وحصلت فيه بين نور  
الدين الشهيد وصليبي انطاكية حروب كثيرة اخصها المصاف الذي كان في سنة ٥٤٣  
في ارض ينرا من العمق فانهمز الفرنج وقتل منهم وامر جماعة كثيرة هذا عدا ما جرى  
لنور الدين حول قلاع حارم وارتاح وعمما جرى لصالح الدين الايوبي وللظاهر بيبرس  
حول دربساك وبغراس وكلها من قلاع العمق المخصصة لحفظ انطاكية . اما حصن  
ارتاح الذي عده ياقوت من امنع الحصون في العواصم فقد دثر ولم يبق من رسمه الا اسمه  
واحدث في جواره قرية تدعى الآن « ريجانية » وكذلك الامر في عم التي خاض رسمها  
واسمها وصار في مكانها قرية تدعى « بني شهر » ويسكن هاتين القريتين مهاجرو  
الشركس وفيها بنايع سارية ورباع مروية خصبة يزرعون فيها انواع البقول التي تحصل  
باكراً وتصدر الى حلب . قال ياقوت : عم بكسر اوله وتشديد ثانيه قرية غناء ذات  
عيون جارية واشجار متدانية بين حلب وانطاكية وكل من بها نصارى وقد نسب اليها قديماً  
قوم من اهل العلم والحديث قال ابن بطلان في رسالته التي كتبها في سنة ٥٤٠ الى ابن  
الصابي : وخرجنا من حلب الى انطاكية فبتنا في بلدة الروم تعرف بعم فيها عيون جارية بصاد  
فيها السمك ويدور عليها رحى وفيها مشارير للخنازير ومباح النساء والزنا والخمر امر عظيم  
وفيها اربع كنائس وجامع يؤذن فيه سرّاً اه . وقلعة حارم لا تزال رابضة باطلاها بالدارسة  
فوق تلها المشرف على بلدة حارم التي اصبحت مركز قضاء وفيها عدد غير يسير من الدور  
والابنية الرسمية والحوانيت قال ابو الفداء : حارم بلدة صغيرة ذات قلعة واشجار وأعين ونهر  
صغير . قال ابن سعيّد هو حصن كثير الارزاق وقد خص بالرمان الذي يظهر باطنه من ظاهره  
مع عدم العجم وكثرة المياه . وقال عن دربساك : من جند قنسرين ذات قلعة مرتفعة ولها

ذكر أوليا جلي نبذة من تاريخ انطاكية قبل الاسلام وبعده ونوه بفتحها على يد السلطان سليم العثماني عقيب معركة مرج دابق ثم قال ما خلاصته (١) : وعين السلطان اذ ذاك محمد باشا البيقلي واليا على انطاكية

اعين وبساتين وهي خصبة ولها مسجد جامع ومنبر ولها من شرقها مروج متسعة حنت كثيرة العشب يمر فيها النهر الأسود وهي عن بغراس في الشمال تبيلة الى الشرق وبينهما نحو عشرة اميال وفي شرقي دربساك يغرا وهي قرية اهلها نصارى صيادون يصيدون السمك وهي على بعد مرحلة من دربساك اه . قلت ويظن ان يغرا هي الآن قرية قالا التي اختص اهلها بصيد الساور في بحيرة يغرا وهذه تدعى الآن كولباشي وهي الى الشمال من جسر مراد باشا على طريق حلب - قرق خان . وقد مر ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ بالعمق بعد ان غادر حصن بغراس وقال عنها « حصن بغراس حصن منيع لا يرام عليه البساتين والمزارع ومنه يدخل الى بلاد سيس وهي بلاد الأرمن وامير هذا الحمن صارم الدين ابن الشيباني ولقد لقيت هذا الامير ومعه قاضي بغراس بموضع يقال له انمق متوسط بين انطاكية وتيزين وبغراس ينزله التركمان بمواشيهم نخصبه وسعته » . وقال شيخ الربوة شمس الدين محمد الدمشقي المتوفى سنة ٧٢٧ في كتابه نخبة الدهر في عجائب البر والبحر : ومن الثغور الساحلية الجبلية دركوش ودربساك وبغراس وحجر شغلان والاسكندرونة وقصير انطاكية ويغرا ولما بحيرة حلوة من النهر الاسود بينها وبين بغراس اه .

(١) قال ياقوت في معجم البلدان بحف انطاكية في القرن السابع : ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية وهي من اعيان البلاد وامهاتها موصوفة بالزهوة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير . وقال ثم لم تزل بعد ان فتحها ابو عبيدة بن الجراح في ايدي المسلمين وثغراً من ثغورهم الى ان ملكها الروم في سنة ٣٥٩ بعد ان ملكوا الثغور المصيصة وطرسوس واذنة واستمرت في ايديهم الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتيلش السلجوقي احد ملوك آل سلجوق في سنة ٤٧٧ فاستقام امرها وبقيت في ايدي المسلمين الى ان ملكها الافرنج بعد حصار شديد وطويل من واليها باغيسيان

ورامي علي افندي قاضياً وهي لا تزال بيد العثمانيين فيها نائب ومحتسب ونقيب  
الاشراف وقاضي وكتبخدا جند وسردار انكشارية ودردار قلعة وفيها جنود  
وعتاد وعشرون مدفعا بين كبير وصغير . وسور انطاكية مبني على خمسة  
التركي على اثر خيانة احد قواده المسمى فيروز الارمني وذلك في سنة ٤٩١ . قلت وبقوا  
فيها الى ان افتتحها الملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٨ .

وقال ابو الفداء في القرن الثامن : « انطاكية قاعدة العواصم بلدة كبيرة ذات اعين  
وسور عظيم داخله خمسة اجبل وقلعة يمر بظاهرها نهر العاصي والنهر الاسود بمجموعين وبها  
قبر حبيب النجار . قال ابن حوقل : انطاكية ازده بلاد الشام بعد دمشق عليها سور من صخر  
يحيط بها ويجبل مشرف عليها ويجري مياههم في دورهم وسككهم ومسجد جامعهم ولها  
ضباع وقرى ونواح ختمية جداً . قال في العزيزي ومساحة دور السور اثنا عشر ميلاً .  
وقال شيخ الربة في القرن الثامن ايضاً : انطاكية قصبة السواحل وكانت إحدى  
كراسي الروم وتسميها الروم تعظيماً لها مدينة الله كما تسمى الارض المقدسة وانطاكية من  
المدن القديمة ويحيط بها سور كبير يحيط على اربع جبال وشعاري ولها بساتين وحبيب  
النجار منها وله قصعة في سورة يس في القرآن الحكيم في قوله تعالى : يا ليت قومي يعلمون بما  
غفر لي ربي وجعلني من المكرمين . ولها فرضة تسمى السويدية عند الساحل عند مصب  
العاصي في البحر اه .

ومر ابن بطوطة بانطاكية في ذلك القرن في سنة ٧٢٥ هـ فقال عنها : مدينة عظيمة  
أصلية وكان عليها سور محكم لا نظير له في أسوار بلاد الشام فلما فتحها الملك الظاهر هدم  
سورها ، وانطاكية كثيرة العمارة ودورها حسنة البناء كثيرة الأشجار والمياه وبخارجها  
نهر العاصي وبها قبر حبيب النجار وعليه زاوية فيها الطعام للوارد والصادر اه .

ومما ذكره الكولونل جاكو مؤلف كتاب انطاكية المطبوع في سنة ١٩٣١ ان  
عدد سكان انطاكية في يومنا هذا ٣٥٠٠٠ اكثرهم من المسلمين السنيين الترك والنصيرية  
العرب وأقلهم من المسيحيين العرب المنتسبين لطوائف مختلفة وفيها كثير من الفنادق الجميلة  
والمقاهي والنوادي والمصارف والمدارس والجوامع ( اكبرها الجامع الكبير وجامع حبيب



جبال ونصف قلعتها في منحدرات تلك الجبال ونصفها الثاني في سفوحها وقرب  
نهر العاصي . ومحيط هذا السور اثنا عشر ميلاً . وفي الحق انني لم أر حتى  
الآن أسواراً وأبراجاً عالية مثلاً رأيت في انطاكية . وربما بلغ علو السور

التجار ) والكنائس ومتحف أثري في دار الحكومة وانما اكثر ما تصدر الصابون ثم فياج  
الحزير والسمك والصوف والحبوب وزيت الزيتون والقطن والقطران وزيت الفار والجلود  
والفواكه الطيبة وغيرها . وفيها صناعات غزل احرير وعمل الصابون والدباغة ونسج الاقمشة  
الحريفة والقطنية والطنافس ونجارة الامشاط ونجارة الاثاث المعمولة من خشب الجوز  
وتجارة النقود والعاديات وان جسامه انطاكية في يومنا لا تزيد عن عشر ما كانت عليه في  
العصور الغابرة وان من أكبر أسباب انحطاطها بعد الزلازل الهائلة التي انتابتها مراراً هو  
تخريب الملك الظاهر ميناء السويدية . وقد كانت انطاكية بفضل هذه الميناء مركزاً  
تجارياً عظيماً بين ممالك البحر المتوسط والاقطار الشرقية اه . وما قاله مؤرخنا في وصف  
انطاكية : يمكن للسائح ان يتلى بروية هذه البلدة الجميلة اذا وقف فوق التل المتخذ مقبرة  
للمسلمين وهو في شمالي البلدة على يمين العاصي وقد كان عليه فيما مضى حصن بناء كودفروا  
منه يرى دور انطاكية المبنية على الطراز التركي وقد علتها اسطحة مائلة مغطاة بالقرميسد  
ويرى العاصي وقد عرض وضخم اكثر مما كانت في حماة وعليه هنا ايضاً نواعير تدور  
بنفثات لا تخلو من اللطافة وتحيط بانطاكية كهنا رياض تزيدها نفرة وجوراً . قد  
نورت انطاكية حديثاً بالكهرباء وسيأتون اليها بمياه الشرب من شلالات دفنة الشهيرة  
كما كانت في العصور الغابرة اه .

وما قاله الشيخ كامل الغزي مؤلف نهر الذهب في تاريخ حلب عن اهل انطاكية :  
الجمال غالب . في نسائهم وقد اشتدت سيف وجهائهم واعيانهم محبة الجاه والتقرب الى  
الحكومة يزاحمون بعضهم في ذلك ليمتكنوا من اخضاع مزارعهم ويصونوا حقوقهم  
وغلاتهم منه ومن غيره من ارباب الصولة في البر . وبعد من مساوي انطاكية كثرة  
الامطار والرعود والصواعق والزلازل وفي الصيف انجاس النسيم عنها في بعض الليالي  
وكثرة الرطوبة وقال مما انفردت به انطاكية من الفواكه المشمش العجمي المعروف

الراكب على الجبال في الجهة الشرقية نحو ثمانين ذراعاً . اما السور القريب من نهر العاصي فواطي ولا يعلو اكثر من عشرين ذراعاً كما انه غير ضخم واذا دخلت من بابي حلب ودمشق وصعدت ترى أمامك ابراجاً وباشورات

بشكر باره والدراقن والسفرجل واليني دنيا وقصب السكر والبرتقال والليمون وانواع البطيخ الاصفر والعنب والرمان وحب الآس والعناب وانفردت ايضاً بلبن الجاموس وما يعمل منه كالتزبدة والجبن فهما مما لا نظير له في غيرها وانفردت بتبغها وفليفلتها الحمراء وصابونها الجنداه . قلت واللغتان التركية والعربية شائعتان على السواء في انطاكية يتكلم الاولى المسلمون السنيون والثانية النصيرية والمسيحيون على ان كلا الطرفين يفقه لغة الآخر والترك والمسيحيون في رغد من العيش والرفه العصريين ومنهم كثير من المتعلمين . هذا وفي الجنوب الغربي من انطاكية على مقربة منها قرية تدعى الحرية فيها شلالات دفنة الشهيرة تنحدر من عل نحو وادي سميق وتدير عدة طواحين تدعى طواحين بيت الماء ولها خريز ورغو زائدين بين اشجار الدلب والدفلى والاعشاب انضراء مما يبهج السمع والبصر عدا عما هنالك من المناظر الرائعة والحدائق الغناء والآثار القديمة الباقية من عهد الرومانيين الذين اتخذوا هذا المكان محلاً للقصف والنزهة . وثمة شرقي دفنة وفي الهضاب الوعرة المطلة على صوفيل احدى قري كورة القصير التي سيأتي ذكرها شعاب تصل الى حصن القصير كان من معاقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب وهو مبني فوق رابية منفردة تحيط به وهاد سميقة وخندق ولا يزال بعض ابراجه وأسواره قائماً مر به ابن بطوطة واستحسنه وذكر اسم اميره وقاضيه . وفي غربي انطاكية على ساحل البحر بالقرب من مصب العاصي السويدية وهي قرية جميلة كبيرة اهلها نصيرية وروم وعلى مقربة منها خرائب سلوقية يزورها السواح لامتاع النظر في اطلالها العجيبة وقنواتها الفخمة الممتدة تحت الارض وقد كانت سلوقية فيما مضى فرضة انطاكية ومن اعظم موائئ الساحل الشامي وظلت في زهوها الى ان ردم الملك الظاهر بيبرس ميناءها بعد استخلاص انطاكية من ايدي الصليبيين حذراً من ان يعودوا فأفل نجمها من ذلك الحين .

يعلو بعضها فوق بعض . اما الاحجار التي بنيت منها هذه القلعة فهي جد ضخمة وقد ركت والصقت بمهارة كائية . وعلو باب حلب المتجه الى الشمال نحو عشرين ذراعاً (١) وكان ينبس من الصخور التي في داخله مياه فوارة . وفي غربي هذا الباب جسر عظيم يعبر منه فوق العاصي . ولوفرة علو الجبال المحيطة بانطاكية وارتفاع الاسوار الراكبة عليها لانتشر الشمس على هذه البلدة الا بعد ساعتين من طلوعها .

وفي انطاكية ثمانية قصور عظيمة اهمها قصر كتاج باشا فيه كثير من الابهاء والغرف العديدة المزخرفة وبابه من الحديد . واكثر دور انطاكية الفخمة واقعة على العاصي . وفيها من الاولياء حبيب التجار الذين يزعمون انه كان من حواربي السيد المسيح وبعد قتله حفظ رأسه في نكية يزورها ويتبرك بها المسلمون والنصارى على السواء . وفي انطاكية مدارس للعلوم الشرعية وكتاتيب للصبيان . وفيها نكية لحبيب التجار يهبط اليها بدرج ملئت بالدرائش وأخرى في اعلى الجبل في مكان عال مشرف بوصل اليه في خلال ساعة . وفيها حمامات تأتي مياهها من العاصي بالنواعير وفيها خانات وأسواق وحوانيت عديدة . ومياه هذه البلدة غزيرة تتحد من الجبال العالية المحيطة بها لذلك ترى سبلها وبنائيعها كثيرة كما ان الفاكهة تجود وتغزير

(١) هدم هذا الباب في الزلزلة التي حدثت عام ١٢٩٠ هـ اما الاسوار والابراج التي ذكرها اوليا چلي فقد كانت باقية في الجملة على النحو الذي وصفها به الى ان جاء ابراهيم باشا المصري وافتتح انطاكية فنتفض احجار الاسوار والابراج وبنى بها عام ١٢٤٧ ثكنة عظيمة لجيشه فلم يبق منها الآن الا آثار ضئيلة .



أصنافها في البساتين التي تروى من الأنواع الرأكبة على نهر العاصي . هذا وبعد ان انتهينا من زيارة انطاكية عزمنا على السفر في صليحة اليوم الاول من شوال سنة ١٠٥٨ وبعد ان أدبنا صلاة العيد في جامع السوق ضرب نغير الرحيل في قافلتنا فغادرنا انطاكية متجهين نحو القبلية وبعد ان اجتزنا كثيراً من القرى العامرة نزلنا بعد ثماني ساعات في قرية الزنبقية على شاطئ العاصي (١)

(١) يظهر ان قافلة الجلي اختارت الطريق الصاعدة في عقبات القصير بضم القاف وشعابه وطوله ثلاثون كيلومتراً لم يتم تعبيدها بعد وفيها قرى عامرة كما قال وهذا الطريق يمر القوافل منذ القديم فقد سلكها الرحالة ابن بطوطة في سنة ٧٢٥ حينما مر بجدة القصير ثم بحصن الشمر بكاس . والقصير كورة جبلية خضراء يحدها من الشمال والشرق وادي العاصي ومن الغرب البحر ومن الجنوب ينابيع نهر الكبير الشمالي وهي تشمل الآن ناحية الحربية والنواحي الثلاث القصير الفوقاني والوسطاني والتحتاني وناحية الاردو وكسب . وهذه النواحي الست تتبع قضاء انطاكية وثمة ناحية دركوش تتبع جسر الشمر وفيها سلسلتان من الجبال ممتدتان من الشمال الى الجنوب تتصل بهما فروع واعفاد كثيرة تجعل هذه الكورة ذات حزون ونجود متموجة يتراوح علوها من ٧٠٠ الى ١٠٠٠ متر في الاكثر وفيها نهران يصبان في العاصي الاول نهر الابيض يخرج من هضاب الاردو مياهه عذبة والثاني نهر البواردة يخرج من قرب قلعة القصير ويصب في الشمال جنوبي جسر الحديد . وهي في الغرب في جهات الاردو وكسب مزدانة بمختلف الحراج الجميلة أخص اشجارها الصنوبر الحلبي واللبننة والبلوط اما في الشرق فهي خالية من ذلك ولكن اوديتها ومنحدراتها مغروسة بمختلف الاشجار المثمرة لاسيما الزيتون يأتي بعده التوت واللوز والتين والشمش وفي منخفضاتها الرطبة الحور واللب والصفصاف والدقلي . وهذه الكورة كثيرة الغلال وافرة الخيرات تتوالى على سكانها المواسم واجل موسم فيها الزيتون ويعد زيتة الجيد الى انطاكية وصنع الصابون ثم يأتي بعده الحرير والبطيخ والتين والعنب والجبن والسمن والحنطة القصيرية مشهورة في هذه الربوع ومفضلة على غيرها وطيور الصيد ودوابه

وهذه القرية واقعة في واد خصب له كروم وحدائق ذات بهجة وفيها نحو ثلاثمائة بيت . وقد اشتهرت بجودة تينها وجمال زنبقها . وهنا أقام علي باشا

كثيرة . ويبلغ سكان هذه الكورة في النواحي التي عددناها زهاء ٤٥٠٠٠ معظمهم من التركمان السنيين ويأتي بعدهم العرب السنيون ثم النصيرية وثمة قرى للأرمن واخرى للروم وواحدة للاسماعيلية تدعى جندالية وتاريخ هذه الكورة مرتبط بتاريخ انطاكية وقد كانت تمر منها الجيوش الزاحفة نحو هذه العاصمة من اللاذقية او من جسر الشغز وفيها من الحصون المنيعة التي كانت تخفر انطاكية من جنوبها القصير ودر كوش والشغر وبكس وكفردبين . وفيها الآن من امهات القرى ( قرية الشيخ ) وهو الشيخ اسماعيل القصيري كان معدوداً من الاولياء وضميره لا يزال مقصوداً بالزيارة ولا حفاة في هذه الديار حرة زائدة وقد اتخذت هذه القرية قاعدة لناحية تدعى الغوثاني وفي غربيها نجود هي اعلى ما في هذا الجبل لما منظر جميل وهواء نقي تشرف على وادي العاصي والجبل الاحمر وسهل العمق والجبال المحيطة به وقرية ( بابطرون ) قاعدة ناحية القصير الوسطاني و ( قارصو ) قاعدة ناحية القصير التيجاني وهناك قرية ( الاردو ) وهي قصبة الناحية واهلها تركمان ثم ( كسب ) واهلها ارمن وفيها دير كبير للرهبان الفرنسيين ومنها يمكن الصعود الى جبل الانزع الشامخ . وفي الشرق من الامهات قرية ( در كوش ) قاعدة هذه الناحية اهلها عرب سنيون عددهم ( ٢٥٠٠ ) مبنية على يسار العاصي في اضيق مكان من واديه يعلوها من الغرب جبل شامخ وعلى العاصي نواعير كما في حماة . عد شيخ الربوة در كوش من الثغور الساحلية الجبلية وقال عنها ياقوت : در كوش حصن قرب انطاكية من اعمال العواصم اه . وقد زالت اثار هذا الحصن المنيع الذي عجز هولاء عن فتحه وفتح في در كوش فواكه جيدة كالتفاح والرمان ترسل الى حلب . وهناك ( القنية ) قرية جميلة اهلها كاثوليك فيها دير للرهبان الفرنسيين ومأواها قليل وبقيتها ( كفردبين ) على راية وكان لها حصن ذكره ياقوت يمر من تحته الدرب الذاهب الى ( حمة الشيخ عيسى ) وهي ذات مياه معدنية حديدية حارة تنفع للاستشفاء من داء المفاصل يقصدها الناس من كل الجهات ولوشيدت فيها ابنية صالحة للاستحمام والميت ل زاد الاقبال عليها . ومن الامهات ( قارياز ) اهلها تركمان

الجانبولاد لمرتضى باشا وليمة عظيمة لم يسمع بمثلهما . فقد اكل كل الجند الذي بمعية علي باشا وعده كان ينوف على الستة آلاف واكل خلق عظيم لا يسعه الحصر ممن حضر من الجوار ومع ذلك فقد بقيت الصحون والقدر

وعلوها ٨٠٠ متر وتعدا كبرواغنى قرى القصير اشتهرت بعنبها الفاخر ولوزها . و(جنيدو) واهلها روم يقام فيها في فصل الصيف سوق عام كل يوم خميس وفي غربها طريق تأخذ الى قلعة القصير الأثرية التي ذكرناها في بحث انطاكية . و(صورية) وهي كبيرة واهلها روم فيها مدرسة وكنيسة ومعاصر زيتون .

والسائر في الطريق الذي سلكته قافلة الجليلي بعد ان يغادر انطاكية يتسلق عقبات جبل القصير وشعابه وهضابه فيمر بقرى نارنجيه وقيارينار ثم يجتاز وادي نهر البواردة ثم بقرية الفاتكية التي اشتهرت بكثرة اشجارها وفاكهتها ثم بصورية وقليزان ومزرعة التركمان وفلنجار وكفر عابد وسفريه وقارينار والهيئة التي تنتهي فيها حدود لواء الاسكندرونة وبالقنية حتى يصل الى جسر الشجر . ولعل قافلة الجليلي انحرفت من قاريياز الى الزبقية وهي الآن ضيعة صغيرة قرب دركوش فيها اطلال خان قديم ثم تابعت سيرها نحو الجنوب مارة بدركوش وبالقنية الى ان وصلت الى جسر الشجر . هذا والمجتاز هضاب هذه الطريق لا بد ان يلمح من أعاليها في الأفق امتداد شرقي العاصي آكام جبل الأعلى الغربية الغضراء وجلها مزدان باشجار الزيتون تختفي في أوديتها بلدان صغيرة جميلة عامرة كحارم وسلقين وكفر تخاريم وأرمناز وقرى اسقاط والعلافي وتل عمار والدويلي وهذه فيها حصن خراب وفي جنوبها الجبل الوسطاني الحائل بين سهل الروج ووادي العاصي وينسأوحه من الشرق جبل بني عليم الذي صار يسمى الآن جبل الزاوية نسبة لزاوية في قرية منه تدعى أم درعيان ويسمى القسم الشمالي منه جبل الاربعين لمقام فيه يعرف بمقام الاربعين اختص بالاشجار المثمرة التي تنبت عذياً كالكرز والكثيرى والتفاح والتين والجوز والعنب وهو صحيح الهواء طيب الماء ذو مناظر جميلة تشرف على سهول حلب الغربية الشاسعة وما فيها من البلدات والقرى كأريحا وادلب ومعرّة مصرين وسرمين وغيرها . وفي جبل الزاوية كله قبور



ملاّنة بالأطعمة النفيسة . وأهدى علي باشا الى مرتضى باشا ثلاث أفراس من عتاق الخيل فقابلته مرتضى باشا بفرو من السمور المرصع (١) . ثم استأنفنا المسير الى الجنوب الى ان وصلنا الى جسر الشفر وهو مكان موحش على شاطئ العاصي وتحيط به مروج خضراء وفيه خان صغير . على ان الأمن هنا مفقود نرجو الله ان يوفق اهل الخير لعمران هذا المكان وتوطيد الامن فيه

كثيرة منقورة في الصخور وخرائب أثرية أهمها في قرى أم رعيان والمغارة والحاس وادرم الجوز وكفرلاتا والبارة . والبارة هذه تشبه خرائب بومبي في ايطاليا لا تزال قصورها ومعابدها وشوارعها كما كانت تمتد في مساحة واسعة تدل على ما كانت عليه هذه المدينة من العظمة . هذا وبين جبل الزاوية والجبل الوسطاني سهل الروج المشتهر بخصبه وكثرة منافعه ورداءة هوائه (مساحة ٢٠٠٠٠ هكتار منها ٩٠٠٠ مستنقعات) وبما كذب في كورته لصليبي انطاكية من المعامل المخصصة لحراسة انطاكية من الجنوب . قال عنه ياقوت : الروج كورة من كور حلب المشهورة في غربيها بينها وبين المعرة ولها ذكر في الأخبار .

(١) من هو هذا الباشا الكبير الذي استطاع ان يقوم بتلك الوليمة العظيمة . لم يذكر الجلي وظيفته ولا من أين أتى وما سبب مجيئه لمقابلة مرتضى باشا إذ لا بد ان يكون غير علي باشا الجانبولاد الشهير الذي حكم حلب في سنة ١٠١٤ ثم خرج عن طاعة الدولة العثمانية وحارب جيوشها مدة مديدة الى ان قتل في سنة ١٠٢٠ أي قبل مرور قافلة الجلي بثاني وثلاثين سنة على ما رواه المحي في خلاصة الأثر . ولما حسبت انه والي حلب جاء يحثي بزميله مرتضى باشا وجدت ( سالنامة ولاية حلب ) تذكر في قائمة اسماء ولايتها احمد باشا الدباغ في سنة ١٠٥٧ ومصطفى باشا المستاري في سنة ١٠٦٠ والجلي لم يذكر احداً منهما . فهل كان مخطئاً في بيان الاسم ؟ .

يسهل مرور الحجاج منه (١) .

وصفي زكريا

«للبحث صلة»

(١) يظهر ان رجاء الجلي استجيب فوراً . لان محمد باشا الكوبرلي الشهير الذي كان نائباً في طرابلس الشام قبل ان يصبح صدرأ اعظم مر من هنا بعد مدة وجيزة من مرور الجلي فرم الجسر الكبير المعقود فوق العاصي وقيل انه هو ايضاً بنى الجامع الكبير وخاناً وحماماً فعمرت بلدة الجسر على يد هذا الوزير بعد دثورها لانه كان في مكانها في العصور الغابرة على ما قاله الافرنج بليدة اسمها Niacculha او Séleucie ad Bellum ومن الغريب ان جغرافي العرب لم يذكروا عنها شيئاً . واكتفى ابو الفداء بذكر السوق العام الذي كان يقام قرب جسر ها وقد دعاه جسر كسفنجان . ومما يمكن فابذا الجسر مكانة لا تنكر من الناحية الحربية والاقتصادية فقد كان يمر منه الرصيف الروماني القديم الزاهب من اللاذقية الى حلب الذي لا تزال آثاره ظاهرة في موقع يسمى اسفكوب قرب خان الزعرور . وليس جسر الشجر مستقيماً بل في وسطه كوع جعل لمقاومة دفع العاصي كما ان ظهره أفقي ليس فيه الاحديداب الذي يرى في معظم جسور البلاد الشامية وطول هذا الجسر اربعمائة متر معقود على اربع عشرة قنطرة تدل حجارته على انه رمم مراراً وفي منتصفه وعلى جانبه حجرة زيرت عليها كتابة عربية فيها اسم جقمق ولعله الملك الظاهر جقمق الذي حكم مصر والشام في سني ٨٤٢ — ٨٥٧ . وفي بلدة جسر الشجر الآن من السكان سبعة آلاف اكثرهم مسلمون وفيها دار للحكومة جديدة ومساجد ومدارس ودور للاهلين مبنية بالحجر الابيض حسنة في الجملة ويمر منها طريق السيارات الزاهب من اللاذقية الى حلب لكن هواءها رديء لقرب مستنقعات الروج والغاب منها . وفي اواخر القرن الماضي جعلت مركزاً لقضاء يشمل قسماً من سهل الغاب وجبال النصيرية وتتبعه ناحيتا الجسر ودر كوش . ومعظم سكان هذا القضاء من العرب السنين والنصيرية وقليل من التركمان القاطنين في مرتفعات جبل القصير ومن الروم في قريتي القنية وانكزيك وتكثر اشجار الزيتون في بقعة التركمان والاشجار المثمرة والكرمة في قرى بداما والجسر ودر كوش والقنية وزراعة الارز والقطن في سهول قسطون وماجاورها . وفيه من المحاصيل

بزر الخردل وجزور المحموده المعروفة في الطب باسم سقمونيا . واشتهرت فيه قرية اشتبرق  
بجداثقها وبناييها ومنتزهاتها وانكزبك بجوده هوائها وصلاحها للاصطياف وزعيته بمراجها  
ومياها ومصاندها وقسطون بخصب تربتها وبليس ومشمشان وعين عيسى وبشون بذكرياتها  
التاريخية . وكان لبلدة الجسر على بعد ساعة في شمالها قلعة حصينة مقابلها أخرى يقال  
لها بكاس على رأس جبلين بينهما واد كالخندق كل واحدة تناوح الاخرى وفوق الوادي  
جسر كان يعبر من فوقه من احدهما الى الأخرى . صراين بطوطه في سنة ٧٢٥ بحصن  
الشفر وبكاس وقال انه منيع في رأس شاقق وذكر اسم اميره وقاضيه ونوه بفضل الأول  
وان الثاني من اصحاب ابن تيمية . وقال ابو الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ : الشفر وبكاس من  
جند قنسرين قلعتان حصينتان بينهما رمية سهم على جبل مستطيل وتحتها نهر يجري ولها  
بساتين وفواكه كثيرة ولها مسجد جامع ومنبر ورستاق ومما بين انطاكية وفامية على  
قريب منتصف الطريق بينهما وفي شرقيها على شوط فرس جسر كشفهان وهو جسر على  
النهر وهو مشهور وله سوق يجتمع الناس فيه في كل اسبوع والشفر وبكاس في جهة  
الشرق والشمال عن صهيون وفي الجنوب عن انطاكية وبينهما الجبال اه .

فيستدل من هذا الوصف ان كشفهان ربما كانت هي بلدة جسر الشفر الحالية . وكانت  
الشفر وبكاس وما حولها من الحصون من معقل الصليبيين المخصصة لحراسة انطاكية  
ومركز اتصال قواتهم بقوات قص طرابلس وملك القدس ومن هنا كانوا يغيرون على  
المسلمين في شيرز وحماة عن طريق افامية وعلى حلب عن طريق سهل ادلب . وظل هذا  
الحال الى ان جاء الملك الناصر صلاح الدين بن ايوب سنة ٥٨٤ فافتتح انطربوس وجبله  
وصهيون والشفر وبكاس وحصن برزية ودرساك وبغراس فاصبحت انطاكية بعد فقدان  
هذه المعاقل كما قال في الروضتين « معدومة الاطراف قد قطعت ايديها وارجلها من  
خلاف » . ولم يبق الآن من آثار هاتين القلعتين الا اسس الجدران واحجارها المتهدمة  
وعلى بعضها كتابات عربية . وعلى مقربة من القلعتين قرية تدعى الشفر القديم تحيط بها  
المزارع والحدائق .



# جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٢ —

حدثني ابو يعلى محمد بن يعقوب البريدي الكاتب قال لما قصدت سيف الدولة اكرمني وانس بي وأنعم عليّ و كنت أحضر ليلاً في جملة من يحضر قال فقال لي ليلة من الليالي كان قتلُ ابيك أبرك الأشياء عليّ . فقلت كيف ذاك اطال الله بقاء مولانا ؟ قال : لما رجعنا من بغداد اقتصر بي اخي ناصر الدولة على نصيبين فكننت مقيماً فيها ولم يكن ارتفاعها يكفيني فكنت أدافع الأوقات وأصبر على مضض من الاضاقة مدةً ثم بلغتني اخبار الشام وخلوها الا من ( يانس المؤنسي ) وكون ابن طنج بمصر بعيداً منها ورضاه بأن يجعل ( يانس ) عليها ويحمل اليه الشيء اليسير منها . ففكرت في جمع جيش وقصدها وأخذها وطرده ( يانس ) ومدافعة ( ابن طنج ) ان سار اليّ بجهدى فان قدرت على ذلك والا كنت قد تعجلبت من اموالها ما تزول به إضاقتي مدة ووجدت جمع الجيش لا يمكن الا بالمال وليس لي مال . فقلت اقصد اخي واسأله ان يعاونني بألف رجل من جيشه يزيج هو علتهم ويعطيني شيئاً من

من المال واخرج بهم فيكون عملي زائداً في عمله وعزه . قال وكانت تأخذني  
 حمى ربع . فرحات الى الموصل على ما بي ودخلت الى اخي وسلمت عليه فقال  
 ما اقدمك ؟ فقلت امر اذكره بعد . فرحّب وافترقنا فراسلته في هذا المعنى  
 وشرحته له فأظهر من المنع التيسير والرد الشديد غير قليل . ثم شافهته فكان  
 اشد امتناعاً وطرحته عليه جميع من كان يتجاسر على خطابه في مثل هذا  
 فيردهم . قال وكان لجوجاً اذا منع من الاول شيئاً يلتمس منه اقام على المنع .  
 قال ولم يبق في نفسي من يجوز ان اطرحه عليه واقدّر انه يحببه الا امرأته  
 الكردية والدة ابي تغلب قال فقصدتها وخاطبتها في حاجتي وسألته مسائله  
 فقالت انت تعلم خلقه وقد ردك وأن سألته عقيب ذلك ردني ايضاً فاخرق  
 حاجي عنده ولم يقض الحاجة ولكن اقم اياماً حتى اظفر منه في خلال ذلك  
 بنشاط او سبب اجعله طريقاً للكلام والمشورة عليه والمسألة له . قال فعلت صحة  
 قولها . فأقمت قال فاني جالس بمحضرة يوماً اذ جاءه برّاج بكتاب طائر  
 عرفه سقطه من بغداد فلما قرأه اسود وجهه واسترجع واظهر قلقاً وغماً وقال  
 انالله وانا اليه راجعون . يا قوم ! المتجرف ! الأحمق الجاهل المبذر السخيف الرأي  
 الرديّ التدبير الفقير القليل الجيش يقتل الحازم المرتفق العاقل الوثيق الرأي  
 الضابط الجيد التدبير الغني الكثير الجيش . ان هذا لأمر عجيب قال فقلت له  
 يا سيدي ما الخبر فرمى بالكتاب وقال قف عليه فاذا هو كتاب خليفته  
 ببغداد بتاريخ يومين يقول ان في هذه الساعة تناصرت الأخبار وصحت بقتل  
 ابي عبد الله البريدي اخاه ابا يوسف واستيلائه على البصرة .

قال : فلما قرأت ذلك مع ما سمعته من كلامه متُّ جزعاً وفزعاً ولم أشك .  
 انه يعتقدني كأني ابو عبدالله البريدي في الأخلاق التي وصفه بها ويعتقد في  
 نفسه انه كأبي يوسف وقد جئته في أمر جيش ومال ولم أشك ان ذلك  
 سيولد له أمراً في القبض عليّ وحبسي فأخذت أداريه وأسكن منه وأطعن  
 على أبي عبدالله البريدي وأزيد في الاستقباح لفعله وتبجيز رأيه الى ان انقطع  
 الكلام . ثم أظهرت له انه قد ظهرت الحمى التي تبجيني وانه وقتها وقد جاءت  
 فتمت فقال يا غلمان بين يديه . فركبت دابتي وحركت الى معسكري .  
 وقد كنت منذ وردت ومعسكري ظاهر البلد . ولم أنزل داراً . قال فحين  
 دخلت الى معسكري وكان بالدير الاعلى لم أنزل وقلت لغلماني ارحلوا  
 الساعة الساعة ولا تضربوا بوقاً واتبعوني : وحركت وحدي . فلحقني نفر  
 من غلماني وكنت أركض على وجهي خوفاً من مبادرة ناصر الدولة اليّ  
 بمكره . قال فماعتلت حتى وصلت الى بلد في نفر قليل من اهل معسكري  
 وتبعني الباقون فحين وردوا نهضت للرحيل ولم أدهم ان يُرخوا (١) وخرجنا  
 فلما صرنا على فرسخ من البلد اذا باعلام وجيش لاحقين بنا فلم أشك ان اخي  
 أنفذهم للقبض عليّ فقلت لمن معي تأهبوا للحرب ولا تبدأوا وحشوا السير قال  
 فاذا باعراي يركض وحده حتى لحق بي وقال أيها الأمير ما هذا السير  
 المحثّ خادمك (دنحا) قد وافى برسالة الامير ناصر الدولة ويسألك ان تتوقف  
 عليه حتى يلحقك قال فلما ذكر (دنحا) قلت لو كان شراً ما ورد (دنحا) فيه

(١) لعل صوابه : يراخوا



فنزلت وقد كان السير كدّني والحمى قد اخذتني فطرحت نفسي لما بي .  
 ولحقني (دنحا) واخذ يعاتبني على شدة السير فصدقته عما كان في نفسي فقال  
 اعلم ان الذي ظننته انقلب وقد تمكنت لك في نفسه هبة بما جرى وبعثني  
 اليك برسالة يقول لك « انك قد كنت جثتي تلتبس كيت وكيت  
 فصادتني ضجراً وأجبتك بالرد ثم علمت ان الصواب معك فكنت منتظراً  
 أن تعاودني في المسألة فاجيبك فخرجت من غير معاودة ولا توديع والآن  
 ان شئت فأقم بسنجار أو بنصيبين فاني منفذ اليك ما التمتست من المال والرجال  
 لتسير الى الشام .»

قال فقلت لدنحا تشكره وتجزيه الخير وتقول كذا وكذا . أشياء  
 واقفته عليها . وتقول : اني خرجت من غير وداع لخبر بلغني في الحال من  
 طرق الاعراب لعملي فركبت لالحقهم وتركت معاودة المسألة تخفيفاً .  
 فإذا كان قد رأى هذا فانا ولده وان تم لي شيء فهو له وانا مقيم بنصيبين  
 لا أنتظر وعده . قال : وسرت ورجع (دنحا) فما كان الا ايام يسيرة حتى  
 جاءني (دنحا) ومعه الف رجل قد أزيحت عليهم وأعطوا أرزاقهم ونفقاتهم  
 وعرضت دوابهم وبغالهم ومعهم خمسون الف دينار وقال هو لاء الرجال وهذا  
 المال فاستغفر الله وسر . قال فسرت الى حلب وملكته وكانت وقائعي مع  
 الإخشيدية بعد ذلك المعروفة . ولم يزل بيني وبينهم الحرب الى ان اسفرت  
 الحال بيننا على ان أفرجوا لي عن هذه الأعمار وأفرجت لهم عن دمشق  
 واستغفرت عنه وكل ذلك فسببه قتل عمك لأبيك .

أنشدني ابو علي الحاتمي فصلاً في رسالة عملها الى بعض الرؤساء في صفته :  
 أفكاره همهم ايعاده نغم وعوده قسم تأمله عصم  
 الفاظه حكم اوطانه حرم الحاظه نغم (١) آلاؤه ديم  
 تبغي الخلائق ان يحصوا فضائله ودون ذلك ما يستنفد الكلم  
 ولو أرادوا جميعاً كتم معجزه ابى له الله ما يأتون والكرم  
 تبغي مجاراته في فعله شير (٢) قد قصرت عندهم (٣) عن لعبه الفقم  
 وكيف يسطاع فعل او يرام علا ما ليس يدركه الا وهام والفهم

\*\*\*

حدثني بعض الأهوازيين قال رأيت ابا الحسن الثوري الشامي الطائي  
 الشاعر بالأهواز على باب الحسين بن علي المنجم وهو عاملها يتردد مدة وكان  
 قدامتدحه قال فتذاكرنا شدة تلون (٤) اخلاق المنجم وجنونه ونواميسه (٥)  
 في وقت وعدوله عن ذلك في آخر ثم قلت له فأين أنت منه فقال ما آيس من  
 رده ولا أطمع في وعده قلت انا : وهذا كأنه مأخوذ من الأبيات التي هجا بها  
 الحسن بن رجا وهي مشهورة فلذلك لم أوردتها على جهتها والاخير (٦) من  
 الأبيات وهو :

لكنها خطرات من وساوسه يعطي وينع لا بخلاً ولا كرماً

\*\*\*

(١) لعله : نعم . (٢) لعله : بشر . (٣) لعل صوابه : عنهم عن كعبه البهائم .  
 (٤) بالاصل : تكون . (٥) لعله : تأنسه . (٦) لعله : الا الاخير .

حكى لي عن بعض الصالحين في إخراج السرقة قال تأخذ قدحاً فيه ماء وتأخذ خاتماً فتشده فيه بشرة وتدليه في القدح وتكتب خمس رقاع فيها أسماء المتهمين بالسرقة وتكتب «السارق» في القدح وتضع رقعة تكتب فيها اسم من تهمه على حرف القدح وتقرأ عليه ( وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلمكم تتقون . ) فإذا ضرب الخاتم القدح نظرت في الرقاع (١) فإن السارق هو صاحب الاسم وإن لم يضرب القدح فتضع أخرى فإن السارق هو إذا ضرب . وقال لي في الآتي تكتب فاتحة الكتاب مدورة وتكتب في وسطها : ( كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ) اللهم اجعل الأرض علوها وسفلها وسهاها وجبلها وبرّها وبحرها في قلب فلان بن فلان أضيق من مسك شاة حتى يرجع .

\*\*\*

تذاكرنا في مجلس بغداد حضره ابو علي بن محمد بن منصور الشاهد المعروف بابن كردي حديث غلبة النساء على الرجال الا نفر من الرجال فقال لي ابو علي كان لنا شيخ فاضل من اهل القطيعة (٢) كان يضرب لنا في هذا مثلاً فيقول : ان في جهاز العروس الى زوجها سرجاً ولجماً فإذا انقضت ايام العرس : إن سبق الرجل فأسرج المرأة ووضع اللجام في رأسها وركبها ملك

(١) لعله : الرقعة . (٢) القطيعة اسم لعدة أماكن في بغداد .



عليها امرها . وان تراخي لحظةً وضعت هي السرج على قفاه واللجام في فيه  
فركبته فلم تنزل عنه الا بطلاق او موت .

\*\*\*

حدثني ابو الفضل محمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي قال  
حدثني سهل بن نظير اليهودي الجهمي قال حدثني جدي سهل بن نظير وكان  
يتجهز للوزير على قديم السنين منذ ايام الفتنة والى ان مات قال لما نكب  
عبيد الله بن سليمان بعد نكبه (١) للموفق النكبة العظيمة كنت اتوسم فيه  
الرفعة وعلو الحال فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار وهو في  
الحبس ثم أطلق فكنت احملها اليه الى ان ولي الوزارة فعرف لي ذلك وبلغ  
في كل مبلغ وشكرني عليه اتم شكر قال ثم ان عبيد الله نكب جرادة  
الكاتب وكان قد جرت له عليه الرياسة وعلى الناس والروضاء وكان له  
احسان سالف الي كثير فكنت احمل الى عياله في كل شهر مائة دينار واحذر  
به الى البصرة قال فبلغ ذلك عبيد الله بن سليمان وانا لا اعلم فدخلت اليه يوماً  
فقال لي ياسهل بارك الله لك في عداوتنا قال فقلت له ايها الوزير من انا  
حتى اعديك وانا اخس كلب يبابك قال واكثر التنصل والتهيب وبكيت  
وقلت يا سيدي ما هذا الكلام ان كان شيء رقي الى الوزير ايده الله عني  
واقفني عليه ولعل عندي فيه حجة او برهاناً على بطلانه قال فقال لي تحمل الى  
عيال جرادة في كل شهر مائة دينار قال فقلت ايها الوزير انا ما فعلت هذا ولا

(١) لعله : وزارته .

تجاسرت عليه انما فعله الرجل الذي كان يحمل الى عيال الوزير ايده الله مائة  
دينار في كل شهر رعاية لحق احسانه اليه فرعى لجرادة احساناً له اليه ايضاً  
فحمل اليه مثل ما كان يحمل الى عيال الوزير ايده الله فاحمر وجهه خجلاً  
واطرق وسكت ملياً ثم تصبب وجهه بالعرق وقلت قبض والله علي ونكبنني  
قال فاسقطت فرفع رأسه وقال احسنت يا سهل ماترى بعد هذا مني منكراً  
ولا بقي في نفسي عليك شيء فاجرهم على رسمهم ولا يوحشك ما خاطبتك به .

« البقية تأتي »



# آراء وافكار

— (١) —

## الفاظ عربية في اللغة الارمنية

وفقت بعد بحث طويل الى جمع ما يقرب من ١٥٠٠ كلمة من اللغة الارمنية وجدت بينها وبين طائفة من الكلمات العربية مشابهة في لفظها ومعناها وهذا العدد عظيم بالنسبة للغة الارمنية التي لا يتجاوز عدد كلماتها ٢٠٠٠٠ كلمة هو دليل مقنع على ان الشعبين العربي والارمني كانا يقطنان قبل التاريخ بقاءً واحدة . ويتكلمان لغة ابتدائية واحدة . ودليلنا على صحة هذه النظرية ان البشر في حالتهم الاولى كانوا لا يملكون من اللغة الا الكلمات الضرورية التي تفيدهم في حاجاتهم البسيطة : كالأكل والشرب والفاظ العقيدة وهذه الكلمات التي استعملها العرب والارمن في زمن وحدتها في الازمنة المتوعدة في القدم بقيت الى الآن مشتركة بينهما بالفاظها ومعانيها .

وهاء نذا أقدم نماذج من تلك الكلمات المشتركة ليطلع عليها علماء اللغة العربية وعسى ان أكون اديت بذلك بعض الواجب عليّ في خدمة اللغات السامية .

الارمنية <sup>(١)</sup>	العربية	معناها في اللغتين
ح ا ث	ح ت	الخبز القفار
وارت	ورد	ورد
ذبال	الذب	كثير الحركة
غاراس	خرس	ابريق او جرة

(١) قد اثبتنا الكلمات الارمنية بحروف عربية لعدم وجود حروف ارمنية في مطبعتنا ولتسهيل امر المقارنة بين كلمات اللغتين .



الارمنية	العربية	معناها في اللغتين
ووصد	وصد	نسيج
ت آر	دهر	الزمن الطويل ( قرن )
ام وز	همزه	همس في قلبه وسواساً
ت رز	درز	خاط
ح اد	حد	حد السيف او السكين
ح د - ح ور	حر	ضد البرد
خ اب	خب	صار خداعاً
ش وق ا	سوق	موضع المبيع والشراء
ش ي ن ع	شنع	قيح المنظر
ص د وق	صدق	ضد الكذب
ص ورد	صرد	سريع التأثير في البرد
ص ور	صور	الميل العوج
ص وم	صوم	الامساك عن الطعام
منقطا ار	طار	ارتفع في الهواء
ع ار ص	عرس	زوجة
تيا ويا تنفلا	وغر	توقد عليه من الغيظ
خم ور	خمير	ما يجعل في العجين ليخمر
واد	نبتة لا يوضع	ذليل
ع ون ث	لفعل تنبت	يبس العشب
ان س	انس	انسان
ع وق	تلاخوق	ضد العجلة
ح ال	فج محل قريه	فك
غوث	غوث	لشبهه في الميثاق
غوث	غوث	لشبهه في الميثاق

قذرت	قذع	قوزوت
الجلد اليابس	قشع	قاشي
قتل الشيء	قلد	قيل دو
تفقد بالبصر	قن	قنن
المخلوط من الأخلاق	دغمري	دغم ار
مال الى الباطل ، جنابة	حنث	حانث
بخل	كرز	كززي
كيس الدراهم وغيرها	كيس	كيس
كل واحد معه آخر من جنسه	زوج	زوك
انحرف	زور	زور
شجر يقتدح به	مرخ	مارخ
متمرد	مرد	مارد
سفا السفيل	مرق	موروق
قل لجه	مثل	ماشيل
شديد العضل	ميز	ميس
الفاسد	تغل	ناغيل
الفصن الناعم لسنه	مخوط	مخوط
ضعيف تحيل	هنل	هوزال
الجل	أعط	اوود
هبوب الريح	هف	هوو
رعد السماء	رعد	ورود
الارض	ارض	ارض
ما يمس الجسد من اللباس	شعار	شور
الشابة الناعمة	رودة	اورى ورت

## مجلس إحياء المعارف النعمانية « في الهند »

الفنا لجنة علمية دعوناها ( مجلس إحياء المعارف النعمانية ) بمعاونة لفيف من العلماء والفرض منها طبع المصنفات لتقدمي الاحناف مثل الامام ابي حنيفة وصاحبيه وحسن بن زياد والطحاوي والخصاف والكرخي والخصاص وغيرهم من الاعلام الذين لم تطبع كتبهم بعد ولم تقصد من وراء ذلك الا نشر الدين وليس القصد التجارة . وقد وفقنا الله الى طبع كتابين ( الأول ) كتاب العالم والمتعلم للامام ابي حنيفة و ( الثاني ) شرح الصدر الثالث يد على كتاب ( نفقات الخصاف ) ونحن اليوم في صدد طبع الجامع الكبير والمبسوط والزيادات خاصة ولدينا نسخ من هذه الكتب غير ان زيادة التنقيح والتصحيح تقتضي الحصول على نسخ أخرى وقد ظفرنا بنسخة من المبسوط ونسخة من الجامع الكبير ولم نوفق الى الآن الى نسخة من الزيادات ونرجو من اعضاء المجمع العلمي وغيرهم من اهل الفضل ان يرشدونا الى مواطن الكتب التالية :

مصنفات الامام ابي يوسف كالأمالى والجوامع ، اختلاف الامصار ، المبسوط ، سند الامام له ونوادره رواية بشر بن الوليد . ومصنفات الامام محمد كالمبسوط ، الجامع الكبير ، الزيادات . زيادات الزيادات . السير الصغير . السير الكبير . كتاب الصلوة . الأمالى اي الكيسانيات . الهارونيات . الجرجانيات . العمريات . الرقيات . ومسند الامام ابي حنيفة له ونوادره رواية تلاميذه : ابي سليمان — ابن سماعة . ابن رستم . الملقى . هشام . وكتاب الحجة على اهل المدينة له وغير ذلك . ومصنفات الطحاوي كالمختصر له — اختلاف العلماء . احكام القرآن وغيرها . ومصنفات الكرخي : مختصره شرحه للجامع الصغير والكبير وغير ذلك — ومصنفات الخصاف نحو كتاب أدب القضاء له وغير ذلك . ومصنفات الخصاص مثل شرحه على الجامع . وشرحه على مختصر الطحاوي والكرخي واصوله وغير ذلك . وكتاب العلل ويقال له العجيج لعيسى بن ابان . وكتاب العجيج لبشر بن غياث الرئيس . وغيرهم من الاعلام .

وتهمنا هذه الكتب وامثالها والوقوف على طريقة الحصول عليها وخاصة كتاب الحجة

على اهل المدينة والبسوط والجامع الكبير والزيادات . وكتاب الحجة وان كان قد طبع في الهند قبل خمسين عاماً الا ان فيه يباضات واغلاطاً وتقديماً وتأخيراً وتكراراً فان وجدت نسخة صحيحة منه نعمل على طبعها ونشرها .

ابو الوفاء

رئيس اللجنة والمدرس بالمدرسة النظامية

في حيدر اباد الدكن ( الهند )

حارة شبلي كنج

( المجمع ) نذكر في ما يلي طائفة من المصنفات المذكورة الموجودة في دار الكتب الظاهرية ليطلع عليه الاستاذ ابو الوفاء ونرجو من اهل الفضل ان يكتبوا اليه بعنوانه المذكور بما لديهم من أمثلة هذه المصنفات :

(١) الجامع الكبير في الفتاوى : تأليف الامام محمد بن حسن الشيباني المتوفى سنة ٨٩ هـ نسخة في ٤٣٢ صفحة كبيرة بنقص من أولها ورقة واحدة كتبت سنة ٧٦٦ بخط معتاد [رقم ١١٢]

(٢) الجامع الصغير : للامام محمد والموجود منه ثلاث نسخ الأولى كاملة في ٤٧٥ صفحة كتبت سنة ٧٦٠ وفي هذه النسخة اوراق كتبت بخط حديث [رقم ١٠٩] .  
(٣) النسخة الثانية في ٥٨٠ صفحة كبيرة كتبت بخط فارسي وعليها تعليقات وهوامش [رقم ١١٠] .

(٤) النسخة الثالثة غير كاملة في ٣٣٢ صفحة ناقصة من آخرها كتبت بخط نسخ [رقم ١١١] .  
(٥) شرح الجامع الكبير : للامام محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ يوجد منه مجلد واحد يتندي من كتاب البيوع وينتهي بباب الايمان كتب بخط تعليق [رقم ١٥٨] .

(٦) شرح الجامع الصغير : للامام محمد ايضاً والشرح لبرهان الدين امام الحرمين في ٤٦٠ صفحة صغيرة بخط سعيد بن محمود الرازي سنة ٥٨٥ [رقم ٣٧٣]

(٧) شرح السير الكبير : للامام محمد ايضاً والشرح لشمس الأئمة ابي بكر محمد بن احمد بن ابي سهل السرخسي المتوفى سنة ٥٤٩ هـ نسخة في ٧٧٢ صفحة متوسطة القطع نفيسة الخط محلاة بالذهب [رقم ١١٥] .

وهذا الكتاب طبع مؤخراً في مطبعة حيدر اباد الدكن في الهند .



## مطبوعات حديثة



اتحاد اعلام الناس

« بيجال أخبار حاضرة مكناس »

تصنيف مولاي عبد الرحمن بن زبدات طبع في المطبعة الوطنية برباط الفتح

سنة ١٩٣١ في ٦٠٠ صفحة

( جزؤه الثالث )

هذا الكتاب النفيس وان كان عنوانه ( اخبار مكناس ) هو في الحقيقة تاريخ مملكة مراکش بمجموعها فالمؤلف بصورها في مختلف عصورها للقاري كأنه يراها وقد صدر منذ حين الجزآن الأولان منه ثم صدر جزؤه الثالث في هذه الأيام وهو يشتمل على تراجم كثيرين من علماء تلك الديار ويتخللها تراجم بعض ملوك مراکش فان ملوكها يكادون يمتازون على سائر ملوك الاسلام باشتغالهم في العلوم الدينية على طريقة العلماء المعروفة وآخر من اشتهر منهم مولاي عبد الحفيظ ملك مراکش السابق . وقد نشر المؤلف في هذا الجزء وثائق تاريخية مما يتعلق بالشؤون المراكشية الداخلية ووثائق أخرى خارجية تتعلق باسبانيا وفرنسا والدانمارك وهي منشورة بصورها الفوتوغرافية على غاية الضبط والجمال عدا الصور والرسوم التاريخية الأخرى : من ذلك صورة تمثل سفير الدانمارك وهو داخل على سلطان مراکش مولاي محمد . وصورة تمثل سفير الانكليز كذلك . وصورة كتاب باللغة الافرنسية من ملك فرنسا لويس السادس عشر يبشر السلطان بولادة ابن له وكتاب آخر من نابليون الثالث بعزي سلطان مراکش بوفاة والده . وكتاب من اسرى الاسبانيين المسجونين في احدى قرى السوس . الى غير ذلك من الصور والوثائق التي تصف الحالة السياسية والادارية في بلاد مراکش مما كان له تأثير كبير في ضعفها واستيلاء الأجنبي عليها . وقد الحق

بالكتاب عدة فهارس للتراجم وللأعلام التاريخية والجغرافية . والكتاب حسن الورق والطبع لكن الاغلاط فيه كثيرة كسائر ما يطبع في الاقطار المغربية ومع عناية المطبعة في تصحيح الاغلاط بنشر جدول خاص في آخر الكتاب لمخا اغلاطاً أخرى كثيرة العدد فعسى ان ينتبه ارباب المطابع ثمة الى تدارك هذا التقصير في مطابعهم وقد ذكرنا ان مما نشر في الكتاب صورة كتاب ارسله لويس السادس عشر الى سلطان مرا كش يهنؤه بولادة ابن له والكتاب نشر باللغة الافرنسية وهذه ترجمته العربية :

« من عظيم النصارى ملك فرنسا الى عظيم المسلمين ملك مرا كش والمغرب سلاماً وبعد فان المولى جل جلاله حقق امنيتنا وامنية فرنسا فرزقنا اميراً وضعتة والحمد لله الملكة زهجتنا العزيزة وقرينتنا وقد بادرت باعلامكم بهذا الحادث العظيم الذي يضمن السعادة لرعينتنا ويخلد هذه العائلة الملوكية وانا متحقق انكم ستثقلون هذا النبأ الذي يسر عائلتنا المشهورة ورعينتنا بكل سرور لما بيننا من روابط المودة وان السرور الذي ستقابلون به هذا الحادث سيكون شاهداً جديداً على ما بيننا من الصداقة المؤبدة وانا ندعو لكم ولملككم بالنصر والعافية والرفاهية ونطلب من الله ان يجرسكم بعنايته اهـ » .

والكتاب نشرت فتوغرافيته باللغة الافرنسية وقد كتب بخط دقيق جداً وهو لا يتجاوز خمسة الاسطر ولا يكاد يقرأ .

هذا وان تاريخ مكناس طرفه من طرف العلم التي اتجفنا بها مولاي عبد الرحمن لا يستغني عنها مؤرخ ولا سيما المتخصصين في تاريخ علاقة الشرق بالغرب في العصور الأخيرة تلك العلاقة التي هي اساس الحالة السوأى التي نحن عليها معشر الشرقيين .

« المغربي »

## نظرات الشورى

« في الأحوال الشرقية الحاضرة . وهو يقع في ٢٦٠ صفحة من القطع »

« المتوسط . تأليف الأستاذ محمد علي الطاهر »

صاحب جريدة الشورى الأستاذ محمد علي الطاهر من ذوي العقيدة الراسخة الناصرين  
لحزبهم السياسي اشد النصر والطاعنين في اعدائه بلا هوادة . وقد اصدر هذا الكتاب  
اثناء احتجاب « الشورى » وضعه احاديث وحوادث سياسية واجتماعية وادبية في كثير  
منها فائدة وطلاوة ونكات مستلحة . ولو جوزنا لمجلة المجمع العلمي ان تبحث في الأمور  
السياسية لقرضنا هذا الكتاب بما يستحقه لأن معظم ابحاثه في السياسة الحاضرة ورجالها .  
وربما رأى بعض الناس ان كثيراً من ابحاث الكتاب تصلح للجرائد اليومية ولا  
تستحق النشر في الكتب اما انا فأرى انهم غير مصيبين فيما ذهبوا اليه لأن بعض الحوادث  
التي تبدو صغيرة تكون في الحقيقة صورة صادقة لبعض الأوضاع الاجتماعية والأخلاقية  
والأدبية كالحوادث التي تضمنها (نشوار الحاضرة) للتوخّي وكالنكتة الآتية التي تدل على  
كثرة الجرائد في بلادنا ووفرة محترفي حرفة الصحافة عن جدارة او عن غير جدارة وقد  
اوردناها مثلاً لأشبابها مما حواه كتاب « نظرات الشورى » قال المؤلف :

« كُن بعض الأصدقاء يسعون بالقدس وكان الموضوع كثرة الجرائد التي تُرمى  
على الناس فقال الأستاذ احمد حلمي باشا مدير البنك العربي بالقدس انا مشترك في جريدة  
كذا وجريدة كذا ومجلة كذا الخ ولكن يصلني أكثر من ثلاثين جريدة ومجلة برغم اني .  
فقيل له وكيف ذلك يا باشا ؟ فقال لأن الجرائد الأخرى التي لم اشترك بها قد  
اشتركت بي ! »

فهذه النكتة الصغيرة اجمل صورة لموضوع اجتماعي مهم ولا يمكن ان يختلف في  
جمالها اثنان اما في السياسة فمن البديهي ان الصور التي بصورها الأستاذ المؤلف مستقيمة  
يراهما خصومه في السياسة مقلوبة . والعكس بالعكس . وهذا مالا شأن لنا به في هذه  
المجلة .

مصطفى الشهابي

## الخزف الشامي العراقي « في القرن الرابع عشر »

للمسيو سوقاجه : عدد صفحاته ٢٦ وعدد لوحاته المصورة ٤٩ طبع باريز

سنة ١٩٣٢

Jean Sauvaget - Poteries Syro - Mésopotamiennes du XIV<sup>e</sup> Siècle; 26 Pages et 49 Planches . Paris 1932.

بدأ نشاط المعهد الافرنسي الفني بدمشق يتجلى للعيان منذ تولت إدارته يد مخرصة وهو يضم اليوم نخبة من الشبان الافرنسيين العاملين يشتغل كل منهم في نطاق اختصاصه وهم يتخفوننا من حين الى آخر بثمرات جهودهم في الابحاث العلمية والتاريخية المتعلقة بالبلاد السورية . والمسيو سوقاجه هو احد هؤلاء العاملين في خدمة الآثار الاسلامية في بلادنا فقد ضمن كتابه هذا بحثاً عن طائفة من الخزف الاسلامي المطبوع المعروف بالخزف الشامي العراقي وقد صنفها بحسب أنواعها مستعيناً بمجموعة من هذا الخزف عثر عليها في دمشق وهي محفوظة في المعهد الافرنسي المذكور . وقد ادلى بنظرية جديدة بالاعتبار توضح لنا تاريخ تسرب هذا النوع من الخزف العراقي الى دمشق وبقية المدن الشامية البعيدة عن الحدود العراقية مستنداً الى العوامل التاريخية التي اوجدته ويرى ان هذه الصناعة قد حملها بعض سكان مدن الفرات الشامية الذين التجأوا الى داخلية البلاد فراراً من جموع التتر التي تقدمت من العراق الى بلاد الشام في اوائل القرن الرابع عشر للميلاد .

جعفر الحسني



## البيت الشامي

« في حوران ووادي بردى وجبل قلمون »

للمسيور . تومن — عدد صفحاته ٣٩ وعدد لوحاته المصورة ٣٥ مع خارطته

طبع باريز سنة ١٩٣٢

R. Thoumin - La Maison Syrienne dans la plaine hauranaise ,  
le bassin du Barada et sur les plateaux du Qalamun. 39 pages  
avec 35 planches et une carte. Paris 1932 .

وهذا الكتاب هو الجزء الثاني من مطبوعات المعهد الافرنسي في دمشق ضمنه المؤلف  
بحثاً عن دور سكان القرى في العهد الحاضر في حوران ووادي بردى وجبل قلمون ووصف  
تقسيم هذه الدور ومواد بنائها في كل من هذه المناطق بوضوح يتجلى من الرسوم الجميلة  
التي زين بها الكتاب . وسبب هذا البحث وثيقة للمستقبل عن حالة البناء في هذه المناطق  
لان هذا النوع من البناء سيندر قطعاً ليحل محله طرائق جديدة في البناء تجمع بين الطراز  
الشرقي والطراز الغربي كما هو الحال في معظم قرى لبنان .

وقد ذكر المؤلف في ص : ٢ س : ٢٥ ( عتال الورد ) وصوابه ( عتال الورد )  
وذكر ايضاً في اللوحة العاشرة ( شكل ٢ ) مدرسة ( السباعية ) وصوابه المدرسة ( السباعية ) ٤

جعفر الحسني



## اصلاح سهو

ذكرنا في الكلام على طوق الحمامة لابن حزم ( م ١٢ ج ٤ ص ٢٢٥ ) ان المؤلف لم  
يشر الى اسم الطابع الأول لهذا الكتاب والحقيقة انه اشار اليه وذكر طرقاً من مقدمته  
وهنا لابد من شكر الطابع على عنايته في نشر هذا السفر ونرجو ان يوفق الى طبع كثير  
من الكتب النافعة .



## الثقالة والثقلاء (١)



ما كان ينبغي أن أثقل عليكم أيها السادة بحديث هؤلاء الثقلاء . الذين ضجّت منهم الأرض والسماء . ولا أن أهتم بجمع أخبارهم ولا تعجيبكم من غريب أطوارهم — لولا أنني رأيت كبيراً من علماء السلف أفردهم بالذكر في مؤلف خاص سماه ( كتاب الثقلاء ) . وقد جمع فيه زبدة من آراء مفكري العرب في با هي الثقالة . ومن هم الثقلاء ؟

- فالكتاب صفحة من تاريخ أدبنا القومي الاخلاقي ومؤلفه كثيره من علمائنا الأقدمين الذين اهتموا بجمع أخبار فئات من الناس شاذة في بعض جوانب اخلاقها ومناحي طباعها . فهذا الجاحظ جمع لنا أخبار ( البخلاء ) كما جمع في كتاب آخر أخبار ( اللصوص ) . وابن الجوزي صنف في أخبار ( الحمقى والمغفلين ) . والخطيب البغدادي وصف لنا في كتاب خاص أحوال ( الطفيليين ) الذين يغشون الولائم من دون دعوة .

وكل هؤلاء العلماء لم يهتموا بهذه الطبقات من الناس إحياء لذكورهم . أو تمجيذاً لقدرهم . وإنما كان غرضهم إعطاءنا دروساً في أخلاق السوء التي كانت عليها هذه الفئات المأفونة فتتأملوها . ونظّم أنفسنا من أدرانها . على حد قول الشاعر :

( عرفت الشر لا للث — مر لكن لتوقيه )

( ومن لم يعرف الخير من الشر — يقع فيه )

إذ لا ينبغي عليكم أيها السادة أن ساحة هذا الوجود تشبه المسرح الذي يُمثّل عليه الروايات . قوم يمثّلون وقومٌ نظّارة : يشاهدون ثم ينصرفون .

(١) هي المحاضرة التي القاها الانتاذ المغربي في ردهة المجمع العلمي مساء يوم الجمعة الواقع في ١٨ كانون الأول سنة ١٩٣١ .

وكذلك آحاد الناس على مسرح هذه الكائنات: يثقل قوم وينظر آخرون اليهم . حتى اذا انقضى دورهم سعد الى المسرح من يثقل دوره مكانهم ثم يخلفه غيره وهكذا . ولا يوجد في هذا العالم أحد لم يثقل دوراً يتحدث عنه الناس مستحسنين أو مستهجنين . والغرض من مشاهدة التمثيل سواء أكان على المسرح ( التياتري ) الصغير . أو على المسرح العالمي الكبير إنما هو العظة والاعتبار . يرى المرء الحسنة فيرغب فيها . ويرى السيئة فينفر منها : فالموفق هو الذي اذا نظر الى الممثلين اتعظ واعتبر . والمخذول من تمر به العبر . فلا يكون له حظ منها سوى النظر . حتى اذا مثّل دوره قبح مثلاً . وأضحى في الحماقة أو الثقالة آيةً ونكالا .

ومثل ذلك يقال في تأليف كتب الأدب والتاريخ وأخبار الناس وما تضمنته الأسفار المقدسة من القصص والمواعظ والأمثال — كل هذا إنما أريد منه عرض صور الممثلين الماضين على انظار الممثلين الآتين : فيجيد كل منهم تمثيل دوره . ويتجنب خطيئات غيره : فابن الجوزي الذي عرض تحت مواقع أبصارنا ما مثله الحق والمغفلون من الأذوار المضحكة إنما أراد أن يحملنا على الانتباه لأنفسنا فنطهرها من الحماقة في حركاتها وسكناتها . وهو في عمله هذا عامل بآداب القرآن . لأن القرآن أرشدنا الى الاعتبار بأفعال الحق . وحذّرنا أن نكون مثلهم . وأن نأق من الأعمال مآتيهم . فقال تعالى : ( ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا ) اي لا تنقضوا عهودكم وتكونوا كذلك المرأة المتناهية في الحق ( وهي ربيعة بنت عمرو من نساء مكة ) . كانت تنهك في غزلها هي وجواربها حتى اذا أحكت قتلها . عمدت اليه فنقضته أنكاثاً . أي خيوطاً غير مفتولة .

ولا ينبغي أن الوحي الإلهي لم يقصد من ذكر قصة ( ربيعة ) المذكورة إضحاكنا وتسليتنا . وإنما قصد إرشادنا وتربيتنا .

وكذلك شأن أولئك المؤلفين . في ما قصوه علينا من أخبار الحق والمغفلين ومثلهم مؤلف ( كتاب الثقلاء ) الذي جعلناه موضوع محاضرتنا اليوم .

وقد حلل شارح القاموس كلني ( الثقالة والثقيل ) وأشار الى كتابنا هذا اي كتاب الثقلاء فقال معلقاً على قول القاموس ( وثقال الناس وثقلاؤهم من تكره صحبته الناس ويستثقلونه ) — ما نصه ( وواحد الثقلاء ثقیل يقال أنت ثقیل على جلسائك . وما أنت

الا ثقل الظل • بارد النسيم • ويقال : مجالسة الثقل تضيئ الروح • ومن أبدع ما أنشدنا في التقبل بعض الشيوخ :

( وثقل قال صفني قلت أيش فيك أصف )

( كل ما فيك ثقل حل<sup>(١)</sup> عني وانصرف )

وقال الراغب : الثقل في الانسان يستعمل تارة في الدم وهو أكثر في التعارف • وتارة في المدح نحو قول الشاعر :

( تجف الأرض إما زلت عنها وتبقى ما بقيت بها ثقيلًا )

( حلت<sup>(٢)</sup> بمستقر العز منها فتمنع جانبها أن ييلا )

وقد ألف في اخبار الثقل • كتاب اه كلام التاج •

ونحن اليوم نستعمل كلمة الثقل في الدم وإذا أردنا المدح حرفناها وقلنا فلان ( طقل )  
بالتاء المفخمة كالطاء تريد انه وقور رزين •

\*\*\*

في المكتبة الظاهرية طائفة من المجاميع المخطوطة • تحتوي كل مجموعة منها على عدة رسائل مختلفة في أبحاثها • متنوعة في موضوعاتها • وقد كنت يوماً أنقب في هذه المجاميع وأتصفح ما أودعته من الرسائل • وإذا بي أمام رسالة عنوانها ( الثقل ) فأول ما خطر ببالي أن الثقل • هم إخوان الحمقى والبخلاء •

فلا جرم أن تكون النتيجة من دراسة أحوالهم واحدة • وإذا قد طبعت المصنفات عن ( الحمقى ) وعن ( البخلاء ) • وعرفت أطوارهم • وشاعت بين الناس أخبارهم فلا يحسن أن نبخس إخوانهم ( الثقل ) حقهم • فلا نعلن أمرهم • ولا نذيع سرهم • فرأيت من

(١) قوله ( حل عني ) كذا بالحاء المهملة ولعل صوابه ( خل عني ) بالمججمة على أن عامتنا اليوم يقولون — إذا استقلوا مخاطباً — « حل عنا يا » بالحاء المهملة •

(٢) قوله حلت الخ ويروى ( لأنك موضع القسطاس منها ) وأذكر أن هذين البيتين للناطقة قالهما في النعمان وقد لاموه على مخاطبته الملك بكلمة ( ثقل ) حتى اضطر الى تغيير الشطر •



وفاء النعم أن أظن من مضمون هذا الكتاب أعني (كتاب الثقل) محاضرة : ألقيا في هذه الردهة . كما كنت منذ سبع سنوات . أليت فيها محاضرة عن (الحق والمقلين) .

\*\*\*

وكتاب الثقل أيها السادة في نحو عشرين صفحة . صغيرة القطع . قديمة الخط . كامدة اللون . قد تكون كُتبت في القرن السابع للهجرة . وهي ضمن مجموعة رسائل محفوظة في دار الكتب الظاهرية تحت رقم (١٨) في قسم المراجع . وفي النسخة أغلاط وتماريف كثيرة . وقد لحقتها رطوبة في أوساط صفحاتها . فتلاصقت وانسحبت وتفسدت . ولما شققتها وباعدت بعضها عن بعض فسد كثير من كلماتها في مكان الالتصاق فكان أحيانا يغيب معنى الجملة . ويتبع ذلك إيهام وغموض في أصل القصة التي جاءت فيها تلك الجملة .

والثقل : وان كان الناس يمتنونهم ويتجنبون ذكرهم بل ذكر أسمائهم أحيانا فان السلف الصالح رضي الله عنهم اهتموا بهم وثبتوا في نقل أخبارهم الى حد الورع : فهم لم يذكروا لنا تلك الأخبار كيفما اتفق . وانما ذكروها بطريق الرواية والسند . كما اذا كانوا يروون أخبار أنبياء مرسلين . لا ثقل . بمقوتين . بل الأمر أعظم من ذلك فان رسالة (الثقل) هذه رويت عن مؤلفها بعدة طرق : فقد وجد في أولها وآخرها ما يفيد أن (الحسن بن عمار) قرأها على (اسماعيل بن جلدك) القلانسي . وأجازها بها . وأن (علي بن مظفر) قرأها عليه ايضا مرة على افراد . ومرة مع جماعة . وذلك سنة ٦٤١ للهجرة .

أما (اسماعيل بن جلدك) فروى الرسالة عن (ابي منصور بن مكارم) المؤدب سنة ٥٨٥ للهجرة . وابن مكارم رواها (سنة ٤٨٣ هـ) عن جماعة : فيهم (علي السراج) و (الحسين النجار) . وهؤلاء رووها عن (هبة الله السمان) . وهبة الله رواها عن (الحسن الآدمي) والحسن الآدمي رواها عن مؤلفها (ابن المرزبان) سنة ٢٨٠ للهجرة .

أرايتم ياسادتي مبلغ اهتمام سلفنا الصالح بالثقل . ومقدار ما تبشروا من الثقل في جمع أخبارهم ؟ ونحيط رواياتهم .

ثم أياكون هذا شأن سلفنا الصالح في العناية بهم ونحن نزهد فيهم . ونعرض عنهم . ولا نسمع بساعة واحدة من وقتنا في استماع رواياتهم . والاستفادة من دراسة ثقلاتهم .

أما مؤلف كتاب ( الثقلاء ) فهو من علمائنا الثقات الاقدمين . ذكره صاحب كتاب (شذرات الذهب . في اخبار من ذهب) . وشذرات الذهب مخطوط<sup>(١)</sup> من أنقش مخطوطات ( المكتبة الظاهرية ) .

قال مؤلفه (وفي سنة ٣٠٩ للهجرة توفي ابو بكر محمد بن خلف بن المرزبان البغدادي الاخباري صاحب التصانيف . روى عن الزبير بن بكار وطبقته . وكان صدوقاً . والمرزبان كلمة فارسية معناها (حارس الحدود) اهـ : (مر) حد و (زبان) بمعنى حارس او محافظ .

وقد لاحظت في مخطوطة (الثقلاء) اموراً تدل على قدم المخطوطة واتصالها بالأولين من علمائنا .

من ذلك ان جملة (صلى الله عليه وسلم) التي تذكر عقب اسم سيدنا الرسول لا تكتب في المخطوطة الا مرموزاً اليها بحروف اربعة : الصاد (من صلى) واللام (من الله) والياء (من عليه) و(الواو) (من وسلم) هكذا (صليو) لابتكالا صلح كما تفعل نحن اليوم .

وقد رأيت في (رسائل إخوان الصفا) رمزاً للتصليية بحروف ثلاثة فقط وهي (صلع) متصلة من دون يم . اما (صلع) فيظهر أنها اخترعت في حدود التسعمائة للهجرة : جاء في شرح الفية العراقي في مصطلح الحديث عند قول الناظم : ( واجتنب الرمز لها والحذف ) أي اجتنب الرمز للتصليية النبوية وحذف حرف من حروفها وانما إئت بها في النطق والكتابة كلها . ثم ذكر شارحها الشيخ زكريا الانصاري أن الشيخ (النودي) نقل اجماع من يعتمد بهم على سنينة الصلاة على النبي نطقاً وكتابة اذن لا يكون من السنة أن يرمز اليها بحرف ما .

ثم ذكر الشيخ الانصاري أن الكاتب الذي كان أول من رمز للتصليية بحروف (صلع) قطعت يده والعياذ بالله تعالى : ولا يخفى أن الشيخ زكريا الانصاري توفي في القرن العاشر للهجرة (٩٢٦) هـ .

\*\*\*

(١) شرعوا في طبعه بمصر وقد طبع منه الى اليوم ست مجلدات .

يرجع من وصف (كتاب الثقلاء) الى وصف (الثقلاء) أنفسهم فنقول :  
 (الثقالة) لغة من صفات الاجسام ثم أجدثوا لها اصطلاحاً وجعلوها من صفات الارواح .  
 والروح في أصل خلقتها . ومحض جوهرها ألطف شيء في الوجود ولذا يسميها بعضهم  
 (اللطيفة الربانية) . لكن قد يعترى هذه اللطيفة حالة مرضية تجعلها غير لطيفة ولا  
 مرضية بحيث يصبح الانسان الذي يجالسها أو يكالمها أو يشاهدها — كأنما حملت نفسه من  
 ثقالتها جبلاً راسخاً أساساً . أو كأن أحد الناس ضغط على أكتافه فأخذ منه الأتقاس .  
 فالثقالة الممقوتة هذه تكون في روح الثقيل لاني جسمه . بل كثيراً ما يكون جسمه  
 شحنتاً نحيماً قليل الجرم . ومع هذا تشعر النفس بثقله . وعلى العكس يكون الرجل أحياناً  
 بادنًا لحماً ضخماً الجثة لكن تكون روحه خفيفة الحمل . لطيفة الظل .

وقد لاحظ علماء الأخلاق أن خفاف الروح يكونون في الغالب سماتاً ضخام الاجسام  
 فما علاقة خفة الروح والدعابة بضحامة الابدان ؟ سرٌ ذلك ما زال مجهولاً .  
 أما الثقالة ولماذا تكون في أرواح بعض الاشخاص دون بعض — فقد ذهبوا في  
 تعليل ذلك (يسكولوجياً) كل مذهب :

فقال بعضهم : إن الثقالة عدوى واكتساب : فالثقيل يعدي الثقيل . كما أن  
 الأجرع يعدي الأجرع . ولو صح هذا لوجب على الحكومة أن تلقي حجرًا صحيحاً على  
 الثقلاء . وهذا غير مستطاع .

وقال آخر : إن الثقالة ناشئة عن تأثير البيئة والوسط وليس هذا بصواب ايضاً لأن  
 الثقلاء واخذادهم اللطفاء يعيشون في بلدة واحدة وبيئة واحدة . وهواء وماء وطعام  
 واحد ومدرسة وحكومة وعائلة واحدة . ومع هذا يكون أحدهم ثقيلاً . والآخر  
 خفيفاً ظريفاً .

وقال آخرون : إن الثقالة وراثية فهي 'خلق' يرثه الثقيل من أبيه أو أحد أجداده كما  
 تورث اللطافة وخفة الروح . وإني اعرف في طرابلس الشام (بل وفي دمشق كما أخبرني ايضاً)  
 — أخوة خمسة كلهم بلغوا سن الشيخوخة وهم من أظرف الناس وأخفهم روحاً . وأحبهم  
 للنكسة . ويخبرنا المعمرين من أهل طرابلس أن امهم كانت عجوزاً خفيفة الروح حلوة الكلام  
 كثيرة المزاح والدعابة .

وربما كان هذا القول ( أي ان الثقالة وراثية كاللطافة ) — قولاً صحيحاً . ولكن  
 الأصح منه في اعتقادي أن الثقالة استعدادٌ خاص . ومزاجٌ خاص . في بعض الأشخاص  
 فيكون هذا الانسان مستعداً لقبول هذا المرض الخلقي الخبيث . بينما ذاك الآخر مزاجه  
 غير قابل له بالخلقة والاستعداد . وهذا كمرض السرطان الذي لم يهتدِ الأطباء الى سببه  
 وجُلُّ ما يمكنهم أن يقولوه : إنه ناشئ عن مزاجٍ خاص في الانسان لاعلاقة له بالارث .  
 هذه بيسكولوجية (الثقالة) أما بيسكولوجية (الاستقلال) أي شعور الانسان بثقالة  
 غيره ومناشئ هذا الشعور وأسبابه فأمره غامض جداً وذلك لتشعب هذه الأسباب  
 واختلاف تلك المناشئ ونضرب لكم مثلاً قاله<sup>(١)</sup> أحد (البيسكولوجيين) .  
 نرى أحياناً رجلاً فتستثقله ولا ندري السبب في كراهته له . فمنا من يستثقل  
 الرجل السمين . ومنا من يستثقل الأشقر أو رجلاً آخر له أنف أقنى كمنقار النسر أو نحو ذلك  
 وقد يعلل بعض هذا النفور في بعض الناس بمصادفة حدثت له في الصغر ثم انطبع أثرها  
 في نفسه ولازمه حتى الكبر . مثال ذلك ان طفلاً كان يلعب فقابضه رجل سمين وخوفه :  
 إما مزاجاً أو لغرض آخر . فانطبع الخوف في ذهن الطفل من كل رجل سمين وشب على  
 كراهة السمان وهكذا يقال في كثير من حالات الاستقلال اه .

\*\*\*

وتجمل الثقلاء والصبر على ثقلهم سنة من سنن الدين ومما ينبغي أن يسعه صدر الحليم .  
 ولكن الى حد محدود .

أما اذا تجاوزت الثقالة حداً . وزاد يردّها . وطغى مدّها . فحينئذٍ لا الوحي الآهي  
 يأمر بالصبر عليها . ولا الأنبياء عليهم السلام بملومين اذا انقضوا من حوالها . وشاهد  
 ذلك ما جاء في القرآن والسنة وآداب السلف .

قال تعالى خطاباً لمحمد صلى الله عليه وسلم : ( ولو كنت فظاً غليظ القلب لانقضوا  
 من حولك ) . والفظاظة هي الثقالة بعينها : فالله تعالى يقول لو كنت يا محمد فظاً ثقیلاً  
 الروح لكركهك العرب ولتفرقوا من حولك لكبك لست بفظ ولا ثقیل فلم ينقضوا بل التفوا  
 حولك . وسمعوا قولك . وآمنوا بك . وهذا من فضل الله على الناس : إذ خلق لهم محمداً صلى

(١) رأينا هذا في مقال نشره بعض الفضلاء حديثاً .



الله عليه وسلم غير فظٍّ ولا ثقیل الروح حتى آمنوا به . ولو خلقه ثقیلاً لما آمنوا بالطبع  
ولكانت لهم الحجة على الله في إرساله رسولاً ثقیلاً .  
فانظروا أيها السادة ما أبشع الثقالة وأسوأ أثرها في الأمم وكيف ان غلاظة نبي  
من الأنبياء تصلح عذراً لأمته في أن يكفروا بدينه .

\*\*\*

وقد افتتح ( ابن المرزبان ) كتابه ( الثقلاء ) بقوله : عن أنس بن مالك رضي الله عنه  
قال : ( لما أهديت زينب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صنع طعاماً ودعا القوم . فجاؤا  
فدخلوا فعملوا يتحدثون وجعل رسول الله يخرج ثم يرجع . وهم يعود فنزلت ( فإذا طعمتم  
فانتشروا الآية ) وقد علق الحسن البصري رضي الله عنه على هذه الآية فقال : انظروا  
كيف أن الله تعالى ذمَّ الثقل في القرآن . فقال : ( فإذا طعمتم فانتشروا ) .  
ويظهر من مجموع الآثار الواردة عن السلف أن استئصال الثقل أدب من آدابهم إذ  
في ذلك تربية للثقل وتنبه له إلى إصلاح نفسه . وتدارك شر ثقالة . وقد جرس  
كثيرون من السلف الصالح على هذا الأدب حتى كان أبو هريرة رضي الله عنه إذا ثقل  
عليه أحد قال : اللهم اغفر له . وأرحنا منه .

فأبو هريرة يرى أن ثقالة الثقل ذنب . ولذا دعا لصاحبها بالمغفرة أولاً . ثم الراحة  
من ثقالة ثانياً . وقال بعض الفضلاء الثقل إذا عرف نفسه أنه ثقل لا يكون ثقیلاً .  
وهذا ما عناه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله : ( من خاف أن يكون ثقیلاً فهو  
خفيف . وأما من أمن الثقل فهو ثقیل ) وقوله ( أمن الثقل ) معناه أن يبرر نفسه ويشهد  
لما بأنها ليست ثقیلة . وهذه الطمانينة لنفسه تجعله يغفل عن ردعها فتسرح وتمرح في مينادين  
الثقالة . وهو لاه عنها . غير شاعر بثقالتها . وهذه هي المصيبة العظمى . فسيذنا عمر  
رضي الله عنه نكته الناس وحذروهم من هذه الخطة الملعونة . وأوصاهم بأن يسيثوا الظن  
بأنفسهم لئلا يتورطوا في الثقالة من حيث لا يشعرون .

وكما أن الثقل إذا اعترف بثقالته لا يكون ثقیلاً كذلك اللطيف الخفيف الروح إذا  
تباهى بلطافته وانفخر بجفته لا يكون لطيفاً ولا خفيفاً . وزيد علي ذلك أنهم صرحوا بأن  
اللطيف الخفيف الروح إذا استأنس بالثقل واستلطفه كان ثقیلاً مثله : قال المؤلف ( ابن

المرزبان) نقلاً عن بعض النضلاء : ( إن الاستئناس بالثقل آية على الثقالة : اذ كل طير إنما يطير مع شكله ) .

ومن علامات الثقالة الإلحاح في طلب الحاجات من الإخوان معها اعتذروا له بعدم إمكان إجابة سؤاله . وقديماً ما أوصى الحكماء بترك الإلحاح حتى قال حكيم العرب اكتم ابن صيني ( من ألحف في مسألة فقد أبرم وأثقل ) .

ومن علامات الثقالة أيضاً أن يتبوأ الزائر من المحالسين مكاناً ليس من العادة الجلوس فيه كوسط الحلقة مثلاً . وقد روي أن رجلاً قعد وسط حلقة سيدنا حذيفة بن اليمان رضي الله عنه . ولم يكفه هذا حتى التفت إلى حذيفة وقال له : ان فلاناً جديك مات . فاغتاض حذيفة . وقال له وانت أحق على الله أن يميتك : سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يلعن الجالس وسط الحلقة .

وما كان السلف يتورعون من ذكر الثقل بما فيه : فكان حماد ابن زيد اذا رأى ( عفان ) قال ما أثقلك !!

وقال ابو نعيم سمعت سفيان الثوري يقول لزائدة بن قدامة لو كنت من البغال لكنت من بغال النقل . اي لأن بغال النقل تكون كبيرة ضخمة غير مروضة ولا مهذبة بينما بغال الركوب تكون مرهفة الأعضاء لطيفة الجرم وتكون مع هذا مروضة مطبوعة على حسن السير .

وعن محمد بن عبد الرحمن قال : قال ابن طاووس ( لكلام الثقل أشد علي من الشيطان ) وروى محمد بن أنس أن ابا غصم كان يقول ( اذا ابغضت الرجل لثقله ابغضت شقي الذي يليه ) اي يبغض جسمه الواقع من جهة ذلك الرجل .

بل غلا ابن السماك في ذلك حتى قال : كم من رجل خفيف الروح اذا نزل به بلاء تمينا لو نحمل عنه بلاءه بينا آخر من الثقلاء نحب ان يموت ونرتاح منه وأنشد :

( وثقل أشد من ثقل الموت ومن شدة العذاب الاليم )

( لو عصت ربها للجحيم لما كانت سواء عقوبة للجحيم )

وروى نصر الصائغ قال كنت عند ( أسود بن سالم ) فجاءه رجل من احد جانيه فسلم عليه فلم يرد ابن سالم السلام عليه . وغمض عينيه . فدار الرجل وجاءه من الجانب

الآخر فسلم . فلم يرد عليه . فقال له : يا أبا محمد لم لا ترد السلام ؟ فالتفت أبو محمد الى من حوله . وقال لهم : انظروا الى رجل غمضت عيني لثلا أراه ومع هذا فهو يريد مني أن أرد عليه السلام . الى هذا الحد كانوا يتبرمون من الثقلاء حتى استجازوا عدم رد السلام عليهم مع أن رد السلام فرض . وكان ابن سالم لما رأى الثقيل قد سلم دون أن يحافظ على آداب التسليم رأى هو أن يقابله على عمله فلا يرد عليه السلام .

وكان السلف يتفنونون في هجوم الثقيل ووصفه بأساليب كلامية : فيها حسن صنعة . وفيها شفاء غيظ : قال المؤلف : حدثنا محمد بن قدامة عن أبي أسامة قال سمعت هشام ابن عروة يقول لرجل ( لانت أثقل من الزواقي ) فلم يفهم ابن قدامة معنى كلمة ( الزواقي ) قال : فذهبت الى ( الفراء ) إمام النحاة فسألته ما الزواقي ؟ فلم يعرفها . فقال بعض جلسائه : إن العرب كانت تسمر بالليل سمرأ يلذ لها وبطيبي . فاذا سمعت زقاء الزواقي ( اي صياح الديوك ) شق عليها محجي الصبح المؤذن بفرقهم . قال ابن قدامة فأعجب الفراء بذلك . فالزواقي إذن هي الديوك التي تزقو أي تصبح وقت الفجر وتفرق أرباب السمر وتشتت شملهم فهم يستثقلونها اذا سمعوا صوتها .

بل الأعجب من ذلك ما رواه محمد بن سعد قال : كانت في المدينة المنورة رجل له ولدان لم يكن بالمدينة أثقل منها وكان أبوهما صالحاً طيب النفس . فذكروا يوماً الثقالة في مجلسه فقال : ( على رسلكم : امرأته طالق ) كانت الزوراء عند أحد ابني (الجاروثة) : و ( الزوراء ) قصر عظيم جداً بناء عثمان رضي الله عنه في المدينة . فالأب يحلف أن ذلك القصر على ضخامته ما هو الا جاروثة (أي حجر طحن) بالنسبة الى ثقالة ولديه حقاً إن ظرافة هذا الأب تخفف من ثقالة ولديه . وتجمعنا ترحم عليهما وعليه .

وحاصل القول أن السلف رضي الله عنهم كانوا اذا اشتدت عليهم ثقالة الثقلاء فرجوا كربهم . وفشوا وطبهم . بما يصوغونه من الأساليب البليغة . والنكت المستملحة . ولكن بعضهم كانت تفاجئته ثقالة الثقيل قبل أن يستعد لها فيدهش ويفهم : فقد روى حماد بن زيد قال : حدثني شيخ من اعراب البادية قال : كان عمي رحمه الله إذا رأى ثقيلاً غشي عليه . وهذا الإغماء الذي كان يصيب ذلك الأعرابي عند رؤية الثقلاء يدل على رقة شعور وحساسية نفس أكثر من اللازم . أما ابن عائشة المغني المشهور فقد كان اذا رأى ثقيلاً

اكتفى بقوله : صنجة ميزان . وهي عياره من النحاس الأصفر كالرطل ونحوه . والأفصح في كلمة (صنجة) ان تلفظ (سنجة) بالسین لا الصاد . وهي معرب (سنكة) بالفارسية .  
وابو أسامة كان إذا رأى رأسه ثقيلًا مقبلًا لا يغمى عليه بل يكتفى بقوله نعيم السماء .

وروى المؤلف عن والده أنه قال : كان بعض مشايخنا إذا رأى ثقيلًا صاح : (الحجر الحجر) ومراده بالحجر الحجر ان الثقل في ثقافته يشبه الحجر (ويحتمل أن يكون أراد إئتوني بحجر لأرشفه به واطرده عن مجلسي) .  
أما (وكيع) رضي الله عنه فأمره غريب : ذلك انه اذا جالس اليه احد الثقلاء غمض عينيه وقام كيلا يراه .

ووكيع هذا هو شيخ الامام الشافعي رضي الله عنه . وقد عناه الامام بقوله :  
(شكوت الى وكيع سوء حفظي . فأشدني الى ترك المعاصي) .  
(واخبرني بأن العلم نور . ونور الله لا يهدي لعاصي)  
وهكذا كانوا يتفتنون في اساليب الكلام ليدلوا على فقرتهم من الثقل . وبعضهم كان لا يرى شفاء غيظه منه إلا بأن يعرفه صراحة بأنه ثقل . فقد روى معمر رضي الله عنه قال كنت جالسًا في مجلس بصنعاء اليمن مع السماك بن الفضلي . فدخل عليه فتى يستثقله فقال لي يا معمر تعال حتى نعد ثقلًا صنعاء . فجعل يعدم واحدًا واحدًا ثم عدني أنا منهم ثم عد الفتي بعدي . فكت الفتى ولم يمكنه الاحتجاج .

وروى بحال ان الشعبي كان يقول (من فاته ركعتا الفجر فليمن الثقلاء) . وقد يقال إن إبليس هو الذي شغله عن الصلاة فما ذنب الثقل ؟ ولكن الشيخ الشعبي هكذا رأيه في المسألة . وروى أيضًا عنه أنه كان قاعدًا في مجلس فأقبل رجل فلما رآه الشعبي قام منصرفًا وقال ثقيل والله .

والصحابي الجليل (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه كان يذهب في استئصال الثقلاء إلى أبعد من هذا كله : كان يقول (إن الثقل يدعوني أحيانًا إلى طعام فأقول له إني صائم . ولا أكون صائمًا) يعني انه كان يترك إجابة الدعوة المستونة في الإسلام كي لا يجالس الثقل على طعام .



وعن ابن شهرمة قال سمعت الشعبي يقول : من الناس من يخفُّ ومنهم من يثقل حتى كأنه ركب فوق ظهري .

والامام الشعبي هذا من كبار علماء السلف وقد تكررت الروايات عنه في استئصال الثقلاء . ومثله في ذلك ( شعبة ) و ( شريك ) و ( الأعمش ) فإنهم أيضاً من علماء السلف ورواة أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد روى ( ابن المزيان ) في كتابه ( الثقلاء ) الذي نحن بصدده أخباراً كثيرة مروية عن هؤلاء الأئمة الأربعة : الشعبي وشعبة وشريك والأعمش : اربعتهم من علماء السلف . وأول اسمائهم شين . الا الأعمش فشينه في آخره . وهم متماثلون في حب النكته والميل الى الدعابة البريئة . كما أنهم رضي الله عنهم اتفقوا على استئصال الثقلاء . والتفنن في إظهار النقرة منهم .

وفي كتاب الثقلاء الكثير الطيب من أخبارهم وأقوالهم . وقد سمعتم أنفاً ما قاله ( الشعبي ) من أن من فاتته ركعتا الفجر فليمن الثقلاء أما ( شعبة ) فقد روى مزاحم عنه قال : سألت شعبة عن رأيه في أبي بكر الهذلي فقال ( دعني لا أق ) أي إن مجرد ذكر الهذلي بكاد يضطره الى التي . فكيف به لو رآه أو جالسه أو سمع كلامه ؟

وأما ( شريك ) ويسمى ( النخعي ) أيضاً : فقد روى عبدالرحمن الخوارزمي عنه قال : لقبت شريكاً فقلت حدثني بحديث كذا وكذا . فحدثني . فقلت : حديثاً آخر . فحدثني . فقلت وآخر . فقال لي باللغة الفارسية ( أنت ثقيل . ولو كنت ثقيلاً بالبيان خلف الأمر وهان ولكذك ثقيل على القلب ايضاً ) .

والحق أن الخوارزمي لو لم يكن ثقيلاً لما استوقفه في الطريق وكلفه أن يحدثه المرة بعد المرة . واذا كانت الأحاديث التي كلفه اياها من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم ( وهي كذلك في الغالب ) كانت ثقافته أشد وانكى . اذ كيف يليق أن تتخذ قارعة الطريق حيث العامة والغواص — مدرسةً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قلنا إن ( شريكاً ) هو الذي يلقب بالنخعي . فهو عربيٌّ فحٌ منسوب الى قبيلة النخع إحدى قبائل مذجج العربية اليمنية القحطانية . ولا نعلم كيف تعلم اللغة الفارسية . وكان

رضي الله عنه يقصد من جميع الأقطار لتلقي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد تولى قضاء الكوفة في زمن الخليفة المهدي ثم ابنه هرون الرشيد . ومات سنة ١٧٧ للهجرة فلنفرض أنه حذق الفارسية بسبب من الأسباب ولكن ما هو السبب الذي جعله يشتم الثقلاء باللغة الفارسية لا العربية ؟

هل ان شدة تعصبه للغة العربية الشريفة حملته على ان يكرمها ولا يلوئها بسبب الثقلاء . ومن سببه للثقلاء بالفارسية ايضاً ما رواه ابن المزياني قال : حدثنا احمد بن زهير قال حدثنا يحيى بن أيوب قال حدثنا بعضهم أن رجلاً كان يتكلم في مجلس شريك فأكثر من الثثرة وهراء القول فقال له شريك بالفارسية ( گران گران سخت ) ومعنى ذلك بالفارسية ( ثقيل ثقيل جداً ) .

ذكرنا آنفاً أيها السادة أن هؤلاء الأئمة الاربعة ( شريك وشعبة والشعبي والاعمش ) كانوا أهل ظرف ونكتة وأشهرهم في هذا المعنى الأعمش . فقد روى العباس بن يزيد قال : أهدى رجل إلى الأعمش بطيخة . فلما أخذ الأعمش مجلسه في الصباح حضر الرجل فقال له : ( يا أبا محمد كيف كانت البطيخة ) قال : طيبة ثم عاد الرجل ثاني يوم وسأله عن البطيخة فقال طيبة ثم ثالث يوم كذلك . فصرخ الأعمش ان كففت عني وإلا تقيأتها . فالتذكير بالاحسان من آيات الثقالة ايضاً اذ هو كالمنع المنهي عنه شرعاً . وجاء حجاج ابن أرمطة إلى الأعمش فاستأذن عليه فقال : قولوا له ابن أرمطة على الباب . فقال الأعمش . ( أبكي على بكى ؟ ) ولم يأذن له . واصل العبارة في كتاب الثقلاء هكذا ( ابكي عليه ابكي عليه ) ولا معنى لما ولعل الصواب ما قلته وأن يكون أصلها ( ابكي على بكى ) و ( بكى ) فعيل من البكا بالهمزة وهو قلة لبن الناقة . هذا أصل معناه في اللغة ثم نقله البلغاء إلى معنى قلة الكلام عيافاً وفهافة . فالأعمش بسبب مرضه أصبح بكياً أي ثقيل اللسان عسر النطق . وذلك الزائر ( اي الحجاج بن أرمطة ) غير فصيح ولا يحسن الكلام فهو قدّم عي . وأسي مصاب أن يجتمع عيان : لا يتفاهمان . ولا يخلصان في حديثها إلى بيان .

وعن اسماعيل بن ابي خالد عن الشعبي أنه قال : ( عيادة حمقى القرءاء أشد على أهل المريض من مرض مريضهم ) وذلك أنهم يعودونه في غير وقت عيادة ويطيّلون الجلوس .

وكانوا يريدون بالقراء ما نريده اليوم بكلمة ( فقهاء ) أو ( طلبة ) وفي مصر ( مجاورون ) وفي بلاد الترك ( صُفْتَه ) وعكوف هؤلاء السُّنْط على دراسة علوم الدين يجعلهم كغيرهم من المتخصصين في فنهم : منعزلين عن الناس ذوي عقلية خاصة غير ملين بطبيعة البيئة التي يعيشون فيها ولا بعادات أهلها ولا يعرفون شيئاً مما يندور في مجالس أنسهم وإذا تكلموا فإنما يتكلمون في مسائل فنونهم التي تخصصوا فيها . ولا كل أحد يفهمها أو يهتم بها . فإذا كانوا في مجلس لم يعرفوا كيف يجارون أهلهم في حديثهم . ولا يشاركونهم في مطارحاتهم . ولا يتفطنون إلى نكاتهم . ومن أجل ذلك يستثقلهم الناس ولا يحبون مخالستهم .

على أن الشعبي نسب ثقالة طول الجلوس عند المريض إلى حمى القراء . مع أنها دأب كل ثقيل لا حمى القراء وحدهم . ألم يبلغكم خبر الأعمش مع عُوَّاده ؟

مرض الأعمش مرة وعاده جماعة من الثقلاء . فأطالوا الجلوس عنده حتى ملَّ وسئم ثم ما كان منه إلا أن قام وتناول وسادته وخرج من الباب قائلاً : شفى الله مريضكم . وعن علي بن يحيى أن المأمون قال يوماً لجلسائه : لم صار الثقيل أثقل على القلب من الحمل الثقيل على الجسم ؟ فلم يجب منهم أحد وقالوا : أمير المؤمنين أعلم . فقال : لأن الحمل الثقيل يحمله كل من الروح والبدن . أما الشخص الثقيل فتنفرد بحمله الروح ولا يعاونها الجسم . فترزح المسكينة تحت عبء الثقالة من دون معين إلا الله . ولا عجب أن يصدر هذا التعليل من المأمون فهو حكيه خلفاء العرب وأرقهم شعوراً وأكثرهم ظرفاً . وقد اتفق له أن تورط يوماً مع مغنٍّ ثقيل فقال لجلسائه ما تعرفون في الثقيل ؟ فقال بعضهم : يقول الحكماء يا أمير المؤمنين : إن مجالسة الثقيل حمى الربيع . فقال لهم المأمون : فكيف إذا كان مغنياً .

قال المؤلف : وروينا عن أبي الحسن قال : أتى شريك بن عبد الله رجل من أصحاب الحديث أي من طلابه الذين يقصدون المحدثين للتلقي عنهم . وكان هذا الطالب يسمى ( أبا سويد ) فجاء يسأل شريكاً عن أطراف كانت معه . ويعني علماء الحديث بالأطراف عبارات من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتصر عليها الراوي ولم يرو بقية عباراتها فالرجل جاء يسأل شريكاً عن أطراف من أحاديث لا عن أحاديث تامة كاملة . وكان ذلك في يوم شديد الحر فأكثر على شريك من الكلام والثثرة وثقل عليه جداً . وشريك

صابر وفي آخر الأمر صاح شريك : ( يا جارية تعالي ) فأقبلت . فقال لها : ( أسيلي الستر وأخرجني الدباب وأبا سويد أيضاً ) .

وطلاب الحديث عادةً يكونون شديدي الحرص في طلبه . وتحقيق ألفاظه . وضبط أسماء رواته . فإذا ظفروا بمحدث أبرموه بالسؤال وأتبعوه بالإلحاح . ولذلك كثر تغبير المحدثين منهم كما سمعت من خبر شريك مع ( أبي سويد ) .

وكما روي أيضاً أن يحيى بن سعيد قال مرة لأحد هؤلاء الطلاب لأنت تضربني بالسوط أحب اليّ من أن تسألني عن حديث . وقال عبيد الله بن عمر : جئت يحيى بن سعيد يوماً فأذن لي وقال من رأيت بالباب قلت فلاناً . فصكّ رأسه بينديه وقال . جبل جبل . ثم خرجت فرأيت الرجل مازال على الباب ولم أدر إن كان أذن له بالدخول أو لا .

والمحدث أبو أسامة اشترط في المستملي عنه أن لا يكون ثقيلاً : فقد قال سلمة بن شبيب سمعت أبا أسامة يقول إيشوني بمستملي خفيف على اللسان خفيف على الفؤاد : إياي والثقلاء . إياي والثقلاء .

وقوله ( إياي والثقلاء ) أسلوب فصيح من أساليب كلام العرب . ومعناه باعدوا بيني وبينهم واحذروا أن تجعلوهم يقتربون مني . ومثله الحديث الشريف ( إذا بلغ المرء الستين فإياه وإيا الشواب ) يعني إذا صار عمره ستين سنة فليحذر أن يتزوج من النساء الشابات وإنما له الزوج بمن كانت عجوزاً مثله .

وهنا ملاحظة وهي أن أبا أسامة اشترط في تلميذه أن يكون خفيفاً على اللسان فهو إذن يتشاءم بالثقلاء حتى باسمائهم التي أصبحت ثقيلة بدلالاتها عليهم .

وروي أبو الحسن المدائني قال : جاء رجل إلى الأعمش فقال له ( يا أبا محمد أكثريت حماراً بنصف درهم وأنتك أسألك عن حديث كذا وكذا ) فأجابه الأعمش ( أكثر بالنصف الآخر حماراً وارجع حالاً ) .

على أنني أقول ما كان ينبغي للمحدثين أن يستثقلوا طلاب الحديث فان لتحصيله لذة تحملهم على كل هذا الإلحاح والإحراج : وقد قلت في ذلك :



( كلُّ <sup>(١)</sup> العلوم سُمِّتَها تجدبدها بالـ رثيث )  
 ( الا الحديث فانه مثل اسمه ابدأ حديث )  
 وأخشي اذا تبرم المعلمون من طلابهم أن يقابلهم طلابهم بالمثل فيستثقلوهم وينشدوهم :  
 ( لا تمتنع العلم طالبه فسواك أيضاً عنده خبر )  
 ( كم من رياض لا أنيس بها هجرت لأن طريقها وعسر )  
 قال المؤلف : وأنشد ابو سعيد الاهوازي يصف ثقيلاً بشعر على نسق عجيب فقال :  
 ( لشوم بخت . وقضم قتي <sup>(٢)</sup> ) والف سبت وأربعاء )  
 ( وتقل صخر . وغيم شهر وطول هجر . على جفاء )  
 ( وكسر ضلع . وتنف صدغ بماء صمغ ومويساء <sup>(٣)</sup> )  
 ( أهون من أن تراك عيني تمشي اختيلاً على الثراء )

والايات ظاهرة المعنى سوى قوله : ان الف سبت والف اربعاء هي اخف على القلب من رؤية ذلك الثقيل . فلعل المعنى أنهم قديماً كانوا يتعطلون عن العمل يومين في الاسبوع (الثلاثاء) و (الجمعة) فيكونون فيها في مسرة وهناء . فاذا جاء يوم الاربعاء بعد الثلاثاء استثقلوه أما يوم السبت بعد راحة الجمعة فاسألوا صبيان الكتاب يخبروكم عن مقدار ثقافته . قال ودخل رجل على ( ابن مصقلة ) يعود فكان من حديثه أن قال له : يا ابا عبد الله مات فلان . ثم سكت . ثم عاد . فقال مات فلان . وسكت . ثم ثالثة . فلما اراد ان يخرج قال يا ابا عبد الله ألك حاجة . قال نعم : لاتعودني مادمت مريضاً . وذكر الزبيدي في شرحه على القاموس ان ابن مصقلة هذا يسمى رقبة وكان من المحدثين روى عن انس بن مالك و روى له الترمذي في صحيحته .

(١) اليتان لابن الرومي واصلها هكذا :

( ولقد سُمِّت مآري فكأن طيبتها خبيث )  
 ( الا الحديث فانه مثل اسمه ابدأ حديث )

قوله الا الحديث أراد به حديث الندماء .

(٢) القتي النصفصة اليابسة وهو التي تسمى في مصر برسيا .

(٣) كأنه اراد بالمومياء الشمع .

وعن حماد الراوية قال : اخبرني رجل عن نفسه أنه قال للفرزدق يا ايا فراس انشدني من شعرك قصيدة كذا وكذا . فأجابه الفرزدق ( يا هذا إن قدرت ان لا تكون ثقيلاً فافعل ) وقد أصاب الفرزدق : لأن هذا الثقل وهو من عامة الناس يكلفه ان ينشده شعره . وهو انشاده تتنافس به الخلفاء . فيحق للفرزدق ان يستثقل ذلك الرجل مذ استنشده على هذه الصورة .

وكما اجلي الفرزدق بهذا الثقل ابتلي زميله ( الاخطل ) بثقل آخر تورط معه في غوطة دمشق .

ذلك ان الأخطل الشاعر الاموي المشهور كان يسمع بمعبد المغني الكبير ولا يعرفه فاتفق وجودهما في دمشق على باب الخليفة الاموي . فتعارفا وتآلفا وخرجا الى الغوطة ومعهما شراب وفاكهة وريحان وجلسا في احد البساتين على نهر جار . وتغريد اطيبار وتنشد اشعار . واذا برجل قيل له : ان هذين هما فلان وفلان . فأحب الرجل مجالستهما وكان يسمع بشهرتهما فانسلا اليهما . ونزل نزول العمى عليهما فصبرا صبر الكرام . وبعد سكوت عميق التفت الثقل الى الأخطل وقال له : يا أخطل ( أنظر القذى في كأسك ) فحينئذ أفرج الكرب عن صدر الاخطل وشفى قلبه من الثقل بهذين البيتين :

(وليس القذى بالعود يسقط في الانا ولا بذباب وقعه أيسر الأمر)

(ولكن ثقل لا نود اقترابه رمتابه الا قد ار من حيث لا ندري)

وروي الاصمعي عن ابن ابي طرفة ( أن مجالسة الثقل حمى باطنة ) لكن ( جبريل الطبيب ) الدمشقي كان يقول : اننا معشر الاطباء نجد في كتبنا أن مجالسة الثقل حمى الروح . وقيل للشعبي هل تمرض الروح قال : نعم من ظل الثقل . قال فررت به يوماً فوجدته قاعداً بين ثقلين . فقلت له كيف الروح الآن ؟ قال في النزع .

ولعل العنصر العربي بطبيعته وأصل غريزته بكره الثقالة وينفر منها . واذا رأيت عربياً ثقيلاً أو يالف الثقل . وبحث عن نسبه وجدت فيه عرفاً عجيباً .

هذا معن بن زائدة ( أمير العرب المشهور ) كان اذا تذاكروا بين يديه في ملذات الدنيا يقول : ( ان الوقعة في الثقل من الملذات ) ومعنى الوقعة فيهم غيبتهم وذكرهم بسوء . دعونا من ( معن أمير العرب ) ودونكم ما زوي عن ( علي أمير المؤمنين ) فقد روى

(يمان بن ربيعة) أن رجلاً قال لسيدنا علي (ثبتك الله يا أمير المؤمنين) فقال (على صدرك) يعني ثبتني الله في القعود على صدرك فأنتك أو أثقل عليك كما ثقلت علي بهذا الدعاء . ولعل في جو هذه الحادثة ما يمد العذر للإمام علي كرم الله وجهه في أن يظهر كل هذا الضجر من ذلك الرجل الذي دعا له .

وروى الامام ابن المزيان في (كتاب الثقل) خبراً عن علي رضي الله عنه له علاقة بالثقالة وهو أغرب من الخبر السابق :

تعلون أيها السادة أن الاشر النخعي من اكبر قواد سيدنا علي وأشد شيعته حباً له . ومغامرة في سبيله . وهو الذي شرب العسل في طريقه الى مصر فمات . فبلغ معاوية الخبر فقال (ان الله جنوداً منها العسل) .

فقد روى المؤلف ابن المزيان قال : حدثنا ابو العباس عبدالله بن نصر حدثنا الحسين ابن علي حدثني محمد بن ابي الحرث حدثنا سفيان بن عيينة عن مخلد عن الشعبي قال : أخبرني عبد الله (ونعمه يعني ابن عباس) أن علي بن ابي طالب عليه السلام كان يستقل الاشر اه . هذا هو الخبر بسنده ومتمه . وهو محل غرابة لا يكشف سرها الا المؤرخون المدققون في أخلاق السلف .

وأشجع انواع الثقالات (الثقالة المسجلة) تلك التي يكتبها الثقيل بقلبه في مكاتباته : فقد ولد لبعض فضلاء بغداد (واسمه ابراهيم . على اسم سيدنا ابراهيم الخليل) - ولد لسماء محمداً (باسم النبي صلى الله عليه وسلم) فأرسل اليه ثقيل من أهل البصرة يهشبه به فقال (بلغني أنك سميت ابنك محمداً . وانت الى أعمال الانبياء . اخرج منك الى اسمائهم . وقبل هذا كان سماك ابوك ابراهيم . فما منعك هذه التسمية من سفك الدم الحرام . وشرب الكواب المدام . واكتساب المال من الآثام . وما أدري كيف ادعو لابنك : إن دعوت له ان يشبهك فالعار والنار . وان دعوت اد لا يشبهك فالظنة والتهمة والشناراه) يعني اذا كان الولد لا يشبه اياه كانت امه موضع تهمة والعياذ بالله تعالى .

واستقال بعض افراد العائلة لبعضهم من اشد منغصات العائلة : كتلك الاعرابية المسكينة التي أعيتها ثقالة بعلمها فهربت من بيتها وقال فيها شاعر القبيلة :

(وتاركة للبيت من ثقل بعلمها كأن بعينها قذى منه تهمل)

(تود على حسن التبعل انهما رأيت بعلمها بين العمودين يحتمل)  
ومعنى قولها (حسن التبعل) انها وان كانت تربت على طاعة بعلمها وحسن معاشرته  
كما امرها الله والرسول لكن ثقافته جعلتها تهرب منه وتتمنى ان يموت ويحتمل بين عمودي  
النش .

ومن هذا القيل ناروي عن الاعمش انه استثقل جلساءه يوماً فهرب منهم الى داخل  
الدار . ثم لم يلبث أن عاد اليهم فقالوا له مالك عدت ؟ فقال هربت منكم فاذا في البيت  
من هو أثقل . قالوا من ؟ قال : زوج بنتي .

والاعمش على جلالة قدره وحبه للنكته يوجد في الامة العربية من هو أكبر مقاماً .  
وأحب للنكته منه : ذلك هو الامام الثوري رضي الله عنه فقد سأله سائل ثقیل عن المسح  
على اللحية في الوضوء ؟ فقال له : خللها ( اي ادخل أصابعك المبللة في خلال شعرها زيادة  
في التنظيف ) فقال له الرجل ( اتخوف ان لا يبلغها الماء ) . فقال له اتقها من اول الليل .  
أما ( سويد بن عبد العزيز ) فانه لا يعجبه هذا من الثوري ولا يرضيه اطالة الحديث  
مع المحدثين في السوال . فهو ينصح ويقول : اذا ثقل عليك احد في سؤاله فألزمه عيناً عمية  
وأذنأ صماً .

قلنا ان أعراب البادية تغلب عليهم الرقة ولطف الحس والنفرة من الثقاله والثقلاء  
ولكن ما بالك اذا كان اعرابياً وعاشقاً ايضاً كيف تكون رفته ولطافته ؟ فقد روى  
الاصمعي قال : اراد اعرابي ان يكلم امرأة يحبها . فنظر فاذا رجل يراقبه فامتنع من كلامها  
وثقل عليه الرجل فما ملك نفسه أن خاطبه بهذه الجمل التي جمعت بين خشونة السب . ونعومة  
العتب . فقال له : ( مالك رماك الله بداء عضال . يفقدني شخصك . ويسكنك رمسك .  
فقد ثقلت على عاشق مسكين . لم تشبع عينه من سهادها . كما شبت عيون الناس من رقادها )  
وكان ابن مصقلة أرق الناس وأرحمهم بالثقلاء فهو لا ينتهرهم ولا يسبهم . بل يتلطف  
بهم ويخاطبهم بعبارات غاية في اللين والنعومة فيقول للزائر الثقيل مثلاً ( يا هذا داركم بعيدة  
والسماء متغنية فقم مصحوباً بالسلامة ) .

وفارنوا أيها السادة بين عبارة ( ابن مصقلة ) المصقولة الناعمة وبين ماخاطبه متصور  
ابن الحجاج الثقيل فقال ( اللهم اقله . وان كان قتله يقتلني فاقله واقتلني ) .



يكفي يا سادتي إزعاجكم بأخبار التقلاء : وقد مضى الوقت أو كاد . وأخشى  
أن أثقل أنا عليكم أيضاً إذا زدت على ما تقدم .

بلي يمكنني أن أزيدكم . لكن زيادة لا تعدونها من الثقل بل تعدونها من التخفيف  
وترويح النفس — زيادة من أحب ما تمتعه نفوسكم . وترتاح إليه قلوبكم :

تلك الزيادة هي حب النبي صلى الله عليه وسلم للزح الحق إذ كان صلى الله عليه وسلم  
يمزح ولا يقول إلا حقاً حتى إنه كان له من الصحابة ( رضي الله عنهم ) من يضحكه وأشهرهم  
في ذلك الصحابي ( نعيمان بن عمرو بن رفاعة الانصاري ) ممن شهد وقعة بدر رضي الله عنه .

فمن دعايات ( نعيمان ) أن أعرابياً قصد النبي صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد وأناخ  
نائه بفنائه . فقال بعض الصحابة لنعيمان لو عقرتها فاكلناها . فأننا في شهوة إلى اللحم ففقرها  
نعيمان لم . وخرج الأعرابي من عند النبي صلى الله عليه وسلم فرأى راحلته بمقورة فصاح  
( واعقراه يا محمد ) فخرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال من فعل هذا ؟ قالوا نعيمان . فلحقه  
النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الصحابة وإذا بنعيمان قد أختبأ في دار السيدة ( ضباعة بنت  
الزبير ) فجعلوا يفتشون عليه . فأشار رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ورفع صوته قائلاً  
ما رأيت يارسول الله وأشار بإصبعه إلى حيث كان . وكان مختبئاً في سرب تحت أغصان من  
جريد النخل فأخرجه صلى الله عليه وسلم من غبأه وقال له :

— ما حملك على ما صنعت ؟

— الذين دلوك على يارسول الله : يعني انهم هم الذين امروه بما فعل .

فجعل رسول الله يمسح التراب عن وجه نعيمان ويضحك . وغرم ثمن الناقة للأعرابي .  
وكان نعيمان يدخل السوق فيشتري من ما كولاتها بالدين ويأتي به النبي صلى الله عليه  
وسلم قائلاً أهدي هذا إليك : ثم إذا طالبه صاحب الهدية بثمانها جاء به إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم . ويقول له : أد هذا ثمن متاعه . فيقول النبي صلى الله عليه وسلم لنعيمان : أو لم  
تهده إلي ؟ فيقول : ( والله إنه لم يكن عندي ثمنه ولقد أحيت أن تأكله ) .

فيضحك النبي صلى الله عليه وسلم وبأمر لصاحبه بثمانه وهكذا كان صلى الله عليه وسلم  
يكره البؤس والتبؤس . ويجب إحداث المسرة في نفوس أصحابه وأهل بيته . ومن قوله  
في ذلك ( ألهوا والعبوا فاني أكره أن يرى في دينكم غلظة ) .

ومن الطف الاحاديث النبوية والمسامرات العائلية القدسية ماروقه السيدة عائشة رضي الله عنها وهو ان امرأة من اهل مكة كانت تدخل بيوت قريش وتضحك النساء وقد اشتهرت بذلك : قالت عائشة فلما هاجرنا الى المدينة ووسع الله علينا دخلت تلك المرأة علي فقلت لها (فلانة !! ما أقدمك ؟ ) قالت ( قدمت اليكن ) . قلت فأين نزلت ؟ قالت علي فلانة و كانت فلانة المذكورة امرأة من اهل المدينة تضحك نساءها ايضاً .

قالت عائشة وبعد قليل دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

فلانة المضحكة عندهم ؟ ؟ قلت : ( نعم ) . قال :

( فعلى من نزلت ) ؟

قلت : نزلت علي فلانة المضحكة فقال :

« الحمد لله ! إن الأرواح جنود مجنونة : ما تعارف منها ائتلف . وما تناكرت اختلف » .

## مخطوطات المدرسة العثمانية

« بحلب »

كانت في الشهباء مكاتب متعددة في مدارسها وزواياها الكثيرة ، الا ان ابدى الزمان قضت عليها وشتتت شملها والبقية الباقية منها الآن هي في مكتبة الأحمديّة والعثمانية والشرفية التابعة للأوقاف والمولوية وهذه المكتب الأربع لا تمنع يد لاس بالرغم عن وجود محافظين لها . ومنذ ثلاث سنوات وقعت في الأحمديّة سرقة مهمة بلغت عدد المسروق منها بالإحصاء الرسمي ٩٠ كتاباً منها ما هو في النفاسة في الدرجة الأولى وكانت النتيجة بعد المحاكمة والتحقيقات الكثيرة تبرئة السارق كأن السرقة لم تكن . ولو وقع اقل من ذلك بكثير في مكاتب اوروبا لقامت القيامة لذلك الحادث وتوالى البحث والتحقيق الى ان تظهر تلك اليد الآثمة وتجازى بما تستحقه .

ومنذ سنتين ايضاً ظفرت عند بعض باعة الكتب بكتاب عليه ختم المكتبة العثمانية فابتعته من هو عنده بعد استئذان ادارة الأوقاف عندئذ اهتمت الدائرة ببعض الاوتام واحببت على اثر ذلك ان اتحرى هذه المكتبة واكتب ما فيها فباشرت ذلك وعمل فهرس لها ولكن حالت عوائق دون اتمام ما شرعت فيه والآن عدت الى ذلك واتممت كتب التفسير والحديث فأحببت ان اتحف القراء بالفخمة من هذين القسمين اذ لا يخلو ذلك من فائدة لعشاق الكتب المخطوطة النادرة ومجبي الاطلاع على نقائسها .

« كتب التفسير »

الجزء الأول من تفسير الوسيط للامام الواحدية فيه من تفسير سورة الأنعام الى قوله تعالى ( ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ) لتاريخ لكتابته وبظهر انه مما كتب في القرن السابع أو الثامن .

الجزء الثاني منه فيه من سورة يونس الى آخر سورة الكهف لا تاريخ لكتابته ايضاً .  
الجزء الثالث منه اوله سورة مريم وفي آخره من سورة الأحزاب الى قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) لم يذكر ايضاً تاريخ كتابته لكنه اقدم كتابة من الجزئين الأولين يظهر انه مما كتب في القرن السادس .

الجزء الرابع منه اوله سورة الصافات الى آخر القرآن محرر سنة ٥٧٢ بخط ابي العباس احمد بن الحسين بن حيدرة السيراقي الواسطي وهذا الجزء اقدم من سابقه .  
نقبة البيان في تفسير القرآن لأبي عبد الله العارف بالله الشيخ عمر بن محمد السهروردي البكري وعليه خطه في اوله وفي آخره في ذيل سماع الكتاب عليه نسخة تامة نفيسة جداً محررة سنة ٦١٣ وهذا التفسير والذي قبله لم يطبع بعد .

الجزء الأول من النهر للامام ابي حيان محمد بن يوسف آخره قوله تعالى (يا أيها الناس قد جاءكم رسول من ربكم) من سورة يونس بخط احمد بن محمد بن عثمان الخطيب الطوخي بمدرسة الكهربية (من مدارس مصر على ما ظن) يظهر انه مما كتب في القرن الثامن .  
جزء منه فيه من سورة الأنعام قوله تعالى (واذ قال ابراهيم لبيه آزر) الى آخر سورة مريم لا تاريخ عليه غير انه على ما ظهر لي مما كتب في القرن الثامن . وهو من وقف الملك المؤيد ابي النصر شيخ اوقفه وما قبله وما بعده على الجامع الذي انشأه بباب زويلة (في مصر) وعليه خط احمد بن علي العلاني .

جزء منه اوله سورة الكهف الى آخر القرآن لا تاريخ لكتابته غير انه مما كتب في القرن الثامن ظناً وعلى الورقة الأولى منه خط العلامة ابراهيم البثروني الحلبي سنة ١٠٤٧ .  
الجزء الأول من النهر ايضاً الى آخر سورة يونس بخط محمد الأشموني بخط عادي محرر سنة ١١٤٧ والثاني منه اوله سورة هود الى آخر القرآن .

تفسير الكواشي المعروف بالتلخيص لأبي العباس احمد بن يوسف الكواشي المتوفى سنة ٦٨٠ الورقة الأولى مذهبة محرر سنة ٧١٠ بخط عمر بن عبد الرحيم الكردي .  
إعراب بعض آيات من القرآن العظيم لجمال الدين ابي عمرو المعروف بابن الحاجب نسخة قديمة الخط لا تاريخ في آخرها يرجع عهد كتابتها الى القرن الثامن .

إعراب آيات من القرآن العظيم لأبي عبد الله الحسين بن خاويه المتوفى سنة ٣٧١ الفاتحة



وآيات من جزء عم اسئلة القرآن لمحمد بن ابي بكر الرازي محرر سنة ١٠٥٩ قطع ربع .  
ايضاً اسئلة القرآن للرازي نسخة ثانية وصل فيها الى سورة (والتين والزيتون) تنقص  
اوراقاً .

حواشي قطب الدين علي تفسير الكشاف الى اواخر سورة طه .  
عمدة الحفاظ في تفسير اشرف الألفاظ لابن السمين احمد الحلبي محرر سنة ١٠٥٦ .  
ومن هذا الكتاب نسخة ثانية في مكتبة الأحمديّة بحلب وربما كان الناسخ واحداً .  
أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري .  
الزبور قطع كامل خطه حسن محرر برسم عثمان باشا وباني المدرسة العثمانية وواقف  
الكتب فيها بخط محمد بن عيسى الكردي .  
كتاب في القرائات لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني .  
حاشية السعد على الكشاف نسخة نفيسة قديمة الخط من الأول الى آخر سورة الانعام .

### « نفائس كتب الحديث »

الجزء الاول من المفهم لما اشكل من تلخيص كتاب مسلم تأليف الامام ابي العباس احمد  
ابن عمر بن ابراهيم القرطبي لاتاريخ كتابته ويظهر انه مما كتب في القرن الثامن .  
الجزء الثاني منه مثل الاول خطأ وحجماً وعليه خط العلامة ابراهيم بن الملا الحلبي وخط  
المحدث الشيخ احمد الشراباتي الحلبي .  
الجزء الثالث منه مثل الاول والثاني خطأ وحجماً .  
الجزء الرابع منه عليه خط الملا ايضاً اوله كتاب ففائل الصحابة الى آخر الكتاب  
محرر سنة ٧٢٤ بخط محمد بن عيسى بن رزبك محرر الأجزاء التي قبله .  
الجزء الأول من شرح الشفا لشيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي المتوفى سنة ١٠٢٤  
واسمه فتح الغفار قطعه كامل بخط خليل بن محمد محرر برسم نعمة الله افندي الكواكبي  
نقله من نسخة المصنف .

الجزء الثاني منه . والثالث منه بخط عمر بن احمد محرر سنة ١١٤١ وبه تم الكتاب  
ومن هذا الشرح نسخ متعددة في الاستانة ذكرت اما كتبها في تاريخي ( اعلام النبلاء ) في

ترجمة المؤلف وهو شرح جليل اعتنى به مؤلفه وقد ذكره الشهاب الخفاجي في مة لمة شرحه للشفاء .

الجزء الثاني والرابع والخامس من تخریج احاديث الهداية للزبلي . ومن هذا الكتاب نسخة كاملة في مكتبة الأحمديّة بحلب .

الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحافظ الحازمي المتوفى سنة ٥٨٤ عليه سيفه آخره خط الحافظ محمد بن سعيد الديبني وغيره من الحفاظ محرر في بغداد سنة ٦٣٢ بخط محمد بن احمد بن ابي بكر بن خليل البكري . وعلى هذه النسخة وعلى نسخة مطبوعة في الهند طبعت هذا الكتاب في مطبعتي العلمية .

جامع الأصول للإمام بن الأثير وهو الذي جمع فيه الكتب الستة مجلد ضخّم قطع كامل مذهب الصحيفة الأولى جميل الخط لا تحاله الا طبعا وفي آخره رجال الكتب الستة لاتاريخ كتابته ويظهر انه مما كتب في القرن العاشر في بعض بلاد العراق (١) .

فتح المتعال في مدح النعال للعلامة احمد بن محمد المقرئ المغربي التلمساني نزيل القاهرة جلد واحد نسخة المصنف كما هو مذكور في آخره وفيه سبعة رسوم لنعل النبي صلى الله عليه وسلم ملونة بالألوان البدعية وفي آخرها تقاريط لعلماء عصره من علماء الديار المصرية آخرهم سيدي محمد بن رأس العين . وهذا الكتاب طبع الآن في الهند .

نسيم الرياض في شرح الشفا للقاضي عياض للشهاب الخفاجي في مجلد ضخّم مذهب الورقة الأولى محرر سنة ١١٢٩ .

توثيق عرى الأيمان في تفضيل حبيب الرحمن للإمام العلامة الشيخ ابراهيم بن البارزي الحموي . مجلد واحد ضخّم . النسخة مقروءة على المؤلف سنة ٧٣٣ وهي بخط علي بن جمعة ابن ابي الحسن الشافعي الهلالي الحموي حررها سنة ٧٢٢ . وهذا الكتاب نادر الوجود ولا اعلم له نسخة ثانية .

(١) في مدرسة يحيى باشا في الموصل نسخة في مجلدين ورقها حريري جلد محلي بخط حمو الكردي في الموصل خطها في غاية الجودة وقد رتب حواشيه احسن ترتيب . اه مخطوطات الموصل للدكتور داود الجلي ص ٢٣١ .

الكاشف في رجال الكتب الستة للحافظ شمس الدين عبد الله محمد البغدادي نسخة نفيسة جداً محررة سنة ٧٥٦ هـ بعد وفاة المؤلف بقليل ومقابلته .

دلائل النبوة للحافظ البيهقي مجلد ضخيم بخط مغربي محرر سنة ٨٧٤ هـ بخط محمد بن محمد ابن عبد الله بن بن اسماعيل الدفري المائكي .

جزء منتخب من تهذيب الكمال للزبي اختصار عماد الدين أبي بكر بن أبي المجد الحنبلي البعلبكي الأصل المتوفى سنة ٨٠٤ هـ ومعه كتاب الضعفاء المختصر من تهذيب الكمال .  
الكواكب الدراري في شرح البخاري للعلامة الكرمانلي نسخة في ٣ مجلدات قطع كامل .  
خلافة الأئمة الأربعة للإمام أحمد بن حجر العسقلاني مجلد وسط قطع وسط محرر سنة الف بخط تقي الدين بن الحاج أبي بكر الموقت بجامع الكبير بحلب حسن الخط .

شرح الامام سراج الدين عمر بن أبي الحسن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ هـ في أربع مجلدات ضخام المجلد الأول يقتصر من أوله قليلاً وأول ما فيه باب ما ذكر من ذهاب موسى في البحر إلى الخضر عليه السلام .

والمجلدات الأربع هي بخط دقيق جداً وناسخها الحافظ الكبير الامام ابراهيم بن محمد ابن خليل سبط ابن العجمي الحلبي المعروف بالبرهان الحلبي المتوفى سنة ٨٤٠ هـ .

المجلد الأول محرر سنة ٧٨٥ هـ والثاني سنة ٧٨٦ هـ وعليها خط المؤلف في عدة محلات وقد حررها البرهان الحلبي حينما كان في مصر . وجاء في آخر المجلد الثاني ما نصه : ثم بلغ في الثاني بعد المائة قراءة علي ومقابلته بأصله نفعه الله وإياي . كتبه مؤلفه غفر الله له .  
والمجلد الثالث والرابع حررها الحافظ البرهان الحلبي سنة ٨٢١ هـ في حلب في المدرسة الشرفية بهذا الخط الدقيق وفي نهاية الرابع تم الشرح .

جاء في كشف الظنون في الكلام على جامع الصحيح للإمام البخاري وشروحه في ص ٣٦٦ وشرح الامام سراج الدين عمر بن علي بن الملقن الشافعي المتوفى سنة ٨٠٤ هـ وهو شرح كبير في نحو عشرين مجلداً أوله ربنا آتانا من لدنك رحمة الآية أحمد الله سبحانه وتعالى على توالي انعامه الخ قدم فيه مقدمة مهمة وذكر انه حصر المتصود في عشرة اقسام في كل حديث وسماه شواهد التوضيح قال السخاوي اعتمد فيه علي شرح شيخه مغلطاي والقطب وزاد فيه

قليلاً قال ابن حجر وهو في أوائله أقعد منه في أواخره بل هو من نصفه الباقي قليل الجدوى انتهى .

وذكر الحافظ السخاوي في الضوء اللامع في ترجمة الحافظ البرهان الحلبي التي نقلناها عنه إلى تاريخنا ( إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ) ( في ج ٥ ص ٢٠٧ ) وكتب عنه شرحه على البخاري في مجلدين بخطه الدقيق الذي لم يحسن عند المصنف لكونه كتب في عشرين مجلداً . وجاء في ترجمته بعد ذلك واجتهد الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الفن ( فن الحديث ) اجتهداً كبيراً وكتب بخطه الحسن الكتب فمن ذلك كما تقدم شرح البخاري لابن الملقن بل فقد منه نصفه في الفتنة ( فتنة تيمورلنك ) فأعاد كتابته أيضاً .

ويستفاد من كلام الحافظ السخاوي أنه كتب جميع الشرح في مجلدين وليس كذلك لما تقدم من أنه كتب النصف الأول في مجلدين سنة ٧٨٥ وسنة ٧٨٦ ويحتمل أنه تم كتابة الجميع في أربع مجلدات ثم فقد منه النصف الثاني في الفتنة فأتمه في مجلدين سنة ٨٢١ بالمدرسة الشرفية في حلب .

وولادة الحافظ البرهان الحلبي سنة ٧٥٣ وكتابته لهذين المجلدين اللذين يبلغان عشرة مجلدات سنة ٨٢١ فيكون عمره حين اشتغاله بكتابتهما ٦٨ سنة ومن دنا تعلم علوهم هؤلاء الرجال وحرصهم على الاستفادة والاستفادة وإن كبر السن لم يكن مانعاً لهم من الاشتغال والتحرير .

وطريقة الامام ابن الملقن في هذا الشرح أنه يذكر الحديث بتمامه ثم يشرع في الكلام عليه من عشرة وجوه وهكذا وفي الجملة فهو شرح جليل من أجل شروح البخاري بضاهي شرح العيني وابن حجر ولعله في كثير من المواضع أعظم فائدة منها ولا يؤثر فيه ما تقدم من قول الحافظ السخاوي .

وهو لعظم فائدته جدير بالطبع فحسب أن ينهض لبرازه إلى عالم المطبوعات بعض أرباب المطابع في مصر فتتم الاستفادة منه .

شرح المصابيح للامام فضل الله التوربشتي مجلد واحد محرر سنة ٧١٢ .

شرح المناوي الكبير للجامع الصغير للجلال السيوطي في سبع مجلدات نسخة كاملة .  
الجزء الثاني من المناوي أيضاً .



القرب في فضل العرب تأليف الحافظ الزين العراقي .  
 بهجة المحافل واجمل الوسائل بالتعريف برجال الشئام تأليف الشيخ ابراهيم اللقاني .  
 الاصابة في اسماء الصحابة للحافظ بن حجر في مجلدين بخط محمد الداغستاني كتبها  
 سنة ١١٢٩ .

التنقيح لألفاظ الجامع الصحيح للإمام الزركشي جلد واحد محرر سنة ٨٤٨ .  
 الجزء الاول من سنن ابي داود الى آخر الجزء السادس من اجزاء الخطيب وعليه خط  
 الحافظ يوسف بن عبد الهادي وسماعات كثيرة .  
 الاستيعاب في اسماء الأصحاب للحافظ بن عبد البر الاندلسي في اربع مجلدات بخط  
 مغربي وعليها سماعات متعددة مكتوبة بقرطبة والأجزاء بخط ابراهيم بن يحيى بن ابراهيم  
 حررها سنة ٥٢٣ فهي محررة بعد وفاة المؤلف بقليل ولعل هذه النسخة انفس نسخ  
 الاستيعاب الموجودة في الدنيا .

المنهاج للإمام بي عبد الله الحسين بن الحسن الحلبي المتوفى سنة ٤٠٣ وهو من رجال  
 ابن خلكان وهو في ثلاث مجلدات ضخام وهو شرح الحديث واحد وهو قوله صلى الله عليه  
 وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة آخر الجزء الاول «فصل: فأما الفرق بين دعاء الرجل لغيره  
 بالحضر وبين الشفاعة له» . قال في آخره بتلوه في الجزء الثاني : الثالث عشر من شعب  
 الايمان وهو باب التوكل على الله جل ثناؤه . وهو بخط محمد بن احمد بن سليمان المالكي محرر  
 سنة ٧٤٥ .

والجزء الثاني ليس عليه تاريخ كتابه لكنه بخط الناسخ الأول وعلى هذا الجزء خط  
 شيخ الاسلام الشيخ عمر العرضي الحلبي شارح الشفا للقاضي عياض .  
 الجزء الثالث منه وهو نتم الكتاب عليه خط العرضي ايضاً وليس عليه تاريخ كتابته  
 لكن الناسخ واحد . ومنه نسخة في المكتبة السلطانية بمصر ولكن مما يؤسف له ان كثيراً  
 من اوراقه في الأجزاء الثلاثة ملتصقة بعضها ببعض لمطر كان اصاب هذه النسخة وغيرها  
 وذلك لقلة العناية بأمر المكتبة وعدم المبالاة في امر حفظها من امثال ذلك .  
 واتمنى ايضاً ان يقيض الله لهذا الكتاب من يقوم بأمر طبعه لينتشر وتعم فائدته .  
 الحلية النبوية الشريفة وهي ورقة واحدة فيها صحيفتان فيهما نعت النبي صلى الله عليه

وسلم بخط درويش محمد المولوي بخط جميل جداً الصحيفة اليمنى ضمن سطور مكتتفة بالوان من الاحبار والدهانات العجيبة ومموهة بالذهب واليسرى شجرة ملونة كذلك ومموهة بالذهب وهي ضمن غلاف من جلد .

كتاب فضل الخيل للحافظ شرف الدين الديماطي المتوفى سنة ٧٠٥ مجلد واحد عليه في آخر صحيفة منه خط المؤلف وسماع عليه منة ٦٨٩ بالقاهرة وخطه حسن وهو مضبوط بالشكل وهو من نفائس هذه المكتبة ايضاً .

وقد وفقت لطبع هذا الكتاب على هذه النسخة وعلى نسخة أخرى هي في مكتبة المدرسة الأحمدية بحلب محررة سنة ٧٢٩ وقد اخذت بالمصور الشمسي صحيفة من تلك وصحيفتين من هذه وطبعت معه كتاب رثجات المداد فيما يتعلق بالصافنات الجياد للعلامة الشيخ محمد البخشي الحلبي المتوفى سنة ١٠٩٨

حلب : محمد راغب الطباخ

## رحلة اوليا جلبي

— ٣ —

ثم سرنا الى الجنوب فكنا نجتاز تارةً أما كن صخرية وتارةً مستنقعات وآجماً الى ان وصلنا بعد ست ساعات الى قلعة المضيق (١) . وهي قلعة صغيرة

---

(١) اخطأ الجلبي في المدة التي ذكرها . فالبعد بين جسر الشفر وقلعة المضيق ٤٥ كيلو متراً لا تستطيع القافلة اجتيازها باقل من اثنتي عشرة ساعة . والخارج من جسر الشفر في يومنا يسير باديء بدء في طريق السيارات المعبدة احسن تعبيد الآتية من اللاذقية والتمجة شرقاً نحو الجبل الوسطاني سهل الروج فجبل الزاوية فسهول اريحا وادلب وحلب وبعد ستة كيلومترات يودعها عند مفرق بين قريتي فريكة وسللي وينحرف الى الجنوب فيمر باراضي قرية الزيادة ويلمح عن بعد على عيّن العاصي قرى الكفير وقرقور والزيارة . ثم يمر بقرية قسطون التي تعد من اخصب قرى الروج وأكثرها غللاً وكان فيها حصن قال عنه ياقوت : قسطون حصن كان بالروج من اعمال حلب نزل فيه ابو علي الحسن العقيلي في سنة ٤٤٨ فاستولى عليه وخربه اه .

وبعد قسطون ينتهي سهل الروج ويدخل السائح في سهل الغاب متتبّعاً الرصيف الروماني القديم وهو صنع الذين بنوا مدينة افامية ومدوه منها الى انطاكية ولا تزال اجمار هذا الرصيف وامياله ماثلة للعيان في مواضع كثيرة من سهل الغاب وفي الشمال عند دركوش تغيب تارة وتظهر أخرى فتسير في سفح اعضاد جبل الزاوية ولا تفارقه وتري عليه كثيراً من جلاميد الصخور المتدحرجة بفعل العوامل الطبيعية على كمر الدهور . واعضاد جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شمشو نسبة لقرية ذكر ياقوت انها من قرى افامية واقفة كالجدار

شرقي سهل الغاب كما ان جبال التصيرية التي كان يدعوها الرومانيون برجيليوس ودعاها ابو الفداء جبل الخيط واقعة في غربيه اما المستنقعات والآجام التي اشار اليها اوليسا جلبي فهي بطائح سهل الغاب القسيح وادغاله وهذه تنقلب في فصل الشتاء الى بحيرة عظيمة تدعى بحيرة افامية تحصل من نهر العاصي الذي لا يجرد متسعاً عند قرية قرقور وما بعدها ليجري براحة في زمن طغيانه ثم من الانهر والينابيع الكثيرة التي تنبع من سفوح الجبال المحيطة بذلك السهل من الشرق والغرب . وبحيرة افامية ما برحت كما وصفها ابو الفداء « يحيط بها القصب والصفصاف من كل جانب وفي وسطها غابة من القصب والبردي وبها من انواع الطيور مثل الثبات مثلثة الناء والغريرات والبنج والاصواغ والاوز والطيور التي تأكل الاسماك مثل البخلط والايضانيات وغير ذلك من طيور الماء وفي ايام الربيع ينبت فيها النيلوفر الاصفر حتى يغطي مجموعها اه .

وقال شيخ الربرة : بحيرة افامية بحيرة كبيرة يدخلها العاصي ويخرج منها ولها سكر يصاد فيه نوع من السمك شبيه بالحيات يسمى انكليس لحمه شبيه بالآلية المشوية وللناصرى (لعله يعني الملك الناصر محمد بن قلاوون) فيه رغبة عظيمة يحمل في المراكب اليهم (كذا) داخل البحر ضماته في السنة نحو ثلاثين الف درهم . وقال في موضع آخر : بحيرة فامية يشقها العاصي ولا يلتقي احدهما بالآخر وفيها من السمك الانكليس والسلور ما لا يوجد بغيرها اه . ومن الغريب ان جغرافي العرب واخص بالذكر ياقوت وشيخ الربرة وابو الفداء اكتفوا بوصف بحيرة افامية ولم يذكروا اسم سهل الغاب ولا وصفوه حتى انه لم يرد في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ الا مرة ( طبع جامعة برنستون صحيفة ٢١٨ ) في حكاية « انهزم فيها السبع الى الغاب » . ولم أقفهم اي غاب كان يعني . لأنه ذكر هذا السهل في موضع آخر ( صحيفة ٥٨ ) باسم مرج افامية وانه استاق منه غنمة كبيرة من الجواميس والبقر والغنم . اما كتبة الافرنج فقد قالوا ان سهل الغاب كان في زمن السلوقيين محفلاً بزرع ويستثمر وان استرابون اطنب بخضبه ووفرة غلاله وربما كان يربى فيه من قطعان الجواميس والخليل وان القدماء اقاموا فيه سدوداً وحفروا خنادق لمنع طغيان العاصي . ذكر السائح الافرنسي « كيليوم راي » انه شاهد منها في سنة ١٨٦٠ سدأله فجحات وفي جنوبي الغاب ضيعة



تدعى الخندق في جوارها خندق قديم كان خاصاً بتصريف المياه نحو العاصي وكانت برزية تفرق عن افامية ببجيرة تحصل من سد على النهر الذي ذكره ابو الفداء فيما نقله عنه في وصف برزية . هذا وقد درس المهندسون في زمننا مشروع تخفيف الغاب وتنظيم طرائق ربه واعداده للحرث والزرع ولا يعلم متى يمكن البدء بالعمل . فمن عني بهذا المشروع وكتب عنه تقريراً ضافياً للمهندس ويلهم مستشار وزارة الاشغال العامة في حكومة الاتحاد السوري الملقاة في سنة ١٢٤٤ قال ما خلاصته : بعد ان يجتاز نهر العاصي حماة يجري في واد يختلف سعة وضيقاً بين مكان وآخر ثم يسيل في مضيق عميق النور ينفرج فجأة في بدء سهل متسع يبدأ من قلعة شيزر وعلى بعد عشرة كيلومترات من هذه القلعة يصبح السهل مستنقاعاً وبدعى (الغاب) وهو يبدأ من قرية تل سلحج وينتهي قرب قرية قرقر وطوله ستون وعرضه عشرة كيلومترات ومساحته ٦٠٠٠٠ هكتار وأرضه تتألف من تربة عميقة ينساب العاصي فوقها معاطاً بالمستنقعات الكثيرة وهي في الضفة اليسرى أكثر منها في اليمنى . لكن هذه التربة تصبح بعد قرية قرقر مؤلفة من الحارر فيعود العاصي للجري في واد ضيق تحيط به الجلاميد العظيمة العالية . يبقى العاصي هادئاً سالكاً مجراه خلال اشهر الصيف . فاذا جاء الشتاء يرتفع مستواه فيطغى على الارضين المحيطة به وهي مساوية له في الارتفاع فيغمرها الى مسافات بعيدة ناهيك بالامطار التي تهطل هنا اي تهطل ، والسيول التي تتساقط من الجبال المجاورة والينابيع التي تنبع من سفوحها . وتخفيف سهل الغاب واستثماره بحسب الاساليب الزراعية الحديثة مشروع عظيم ينفع بلاد الشام ويدر عليها ارباحاً جزيلة لان ارضه مؤلفة من طمي الحرات المعروف بخصبه ووفرة مياهه الغذائية . ولأجل ذلك ينبغي منع فيضان العاصي عليه ثم تخفيفه باقامة مجار كثيرة للصرف ثم ربه خلال اشهر الصيف بشبكة من القنوات . ففيضان العاصي يمنع تعميق مجراه واقامة جدراناه وتخفيض السد الموجود امام قرية قرقر . ولا صعوبة في هذا العمل لولا انه كثير النفقات . ويقام سدان عظيمان من التراب على ضفتي العاصي يبعد الواحد عن الآخر ٤٠٠ - ٥٠٠ متر حتى اذا ما طغى العاصي كان للماء من سعة الارض بين السدين ما يحول دون انهدامهما . ويجفر في جانبيهما الايسر وفي قاعدتيهما خنادق او مصارف للمياه المنصبة من السهل فتوصلها الى العاصي

في نقاط مناسبة منه ، وقد حسبوا كمية ماء العاصي في اوائل اخريف بالامطار المكعبة وفي الثانية فبلغت عند خروجه من شيزر ١٨ وفي مصبه عند قرقور ٢٧ وتغذي هذه الزيادة الينابيع الكثيرة التي تنبجس من سفوح الجبال وتنبع في جوانب السهل ، واهمها نبع ( باب الطاقة ) في الضفة اليمنى فان قوة مائه لا تقل عن المترين المكعبين في الثانية . هذا وليست الاراضي القابلة للري منحصرة في سهل الغاب بل هناك سهول ونجود واسعة تمتد من قلعة شيزر على ضفتي نهر العاصي يسهل ربيها فيقام لهذه الارضي في زور ( التريسة ) سد قليل العلو يسقي قناتين الواحدة لرسي ارض الضفة اليمنى والثانية لري الضفة اليسرى وطول كل منهما ٧٥ كيلو متراً ثم يبنى في نقاط مختلفة وعلى طول قناتين القناتين مأخذ يجري الماء منها الى قنوات ثانوية ومن هذه الى قنوات التوزيع على اخطول ، فيصبح الغاب مخترقاً بشبكة من القني تسوق الماء الى مختلف مواقع وارااضيها وما فاض منها يصب في العاصي امام قرقور . والمساحة الممكن ربيها بعد اتمام هذا المشروع الكبير تقرب من تسعين الف هكتار وهي تنتج احسن الفلال من القطن وغيره لزكاة التربة كما اسلفنا وغزاراة مياه الري وجودة الاقليم اذ السهل لا يعلو عن سطح البحر اكثر من ٢٠٠ متر وجبال النصيرية تدرا عنه الرياح الغربية اه .

هذا والسائح يدخل بعد قسطون في سهل الغاب فيمر بضياع تدعى قليدين والعنقاوي والعمقية وحواش والحويجة والحويز وبعض سكان هذه القرى بدو حراثون يدعون ان جدودهم جاؤا من بطائح الفرات في العراق ، ويمر بالعربجي والجماسية والشربعة والتويني الى ان يصل الى قلعة المضيق . ويلمح في وسط سهل الغاب ضياع تكون في ايام الفيضان كالجزائر لا يوصل اليها الا بقوارب رفيعة تدعى الجروف منها الجيد والرصيف والقريم والخندي واهلها نصيرية . ويوت ضياع الغاب اخصاص حقيرة تحيط بها الأذغال والمياه واهلها صفر الوجوه هنلي يتنقلون كسكان اواسط افريقية في القوارب التي ذكرناها ويعيشون على تربية الجاموس وصيد السلور الذي يرسل في فصل الشتاء لاكثر بلاد الشام الشمالية حيث يؤكل بكثرة وبصطادون الطيور المائية وعد ابر الفداء بعضها فينتفون ريشها وبلتقون يوضها ويزرعون الذرة البيضاء في الارض التي تنحسر عنها المياه في

من اعمال أباله حلب بنيت قرب بحيرة تسمى باسمها فوق هضبة مشرفة على السهول والآجام المحيطة بها . وقد سميت بالمضيّق لان الذي بناها كان من وزراء نور الدين الشهيد واسمه مضيّق (١) . ثم غادرناها فوصلنا بعد سبع الصيف . ونبع الطاقة من احسن اما كن حيد السلور لانه حينما يقرس الشتاء وتبرد مياه العاصي يلجأ السلور الى مياه هذا النبع الدافئة في كثرة هائلة فيسطو عليه اهالي الغاب ويصطادونه بحراب خاصة . وجبال النصيرية المطلة على سهل الغاب من علو ١٦٥٠ متراً فمادون تنحدر نحو ميل مربع فتؤلف بقعة وعرة يدعونها (الشعرة) فيها وهاد سحيقة وعقبات كأداء تزينها الغابات الغياض من مختلف الأشجار والأشجار فيها انثور والدب والثئاب وقطعان الخنازير البرية يقصدها غواة الصيد منذ القديم . وفي سفح هذه الجبال على يسار العاصي مما يتبع قضاء صهيون من اعمال حكومة اللاذقية قرى سرمانيا وبرزية وفريكة ونبول وشطحة واستركي وغيرها وسكانها نصيرية . وصف ابو الفداء برزية وقلعتها فقال : حصن برزية من جند قنسرين قلعة صغيرة في ذيل الجبل المعروف بالخيّط من شرقه مطلة على بحيرات فاميا ويتصل بها مياه البحيرات والأقصاب الى تحت برزية وليس بها كائن ساكن الا المرتبون لحفظ القلعة ويعتصم بها اهل البلاد في ايام الجفل وهي عن فامية في جهة الشمال والغرب على نحو مرحلة في الماء فان بحيرات فامية واقعة بينهما وبرزية في جهة الجنوب عن الشجر وبكس على مرحلة قوية اه . وفي أعالي هذه الجبال المطلة على البحر من القلاع التاريخية التي ذكرت في وقائع الصليبيين والاسماعيليين ايدو وصهيون والمهيلة (بلاطفس) وثمة قرى وضياح كثيرة منتشرة بين أودية هذه الجبال وآجامها الوعرة وفيها الحراج الغياض والينابيع السارية والمناظر الجميلة . وبعد ان بقيت هذه القرى في السنين الخالية في منزل لاتنالها ايدي الجيوش الا بالعناء لوعورة مسالكها وجلفة اهلها ذلت في العهد الأخير صعايبها ومهدت شعابها فصارت السيارات تجول فيها وجعل في بعض قراها المرتفعة الجيدة الهواء والماء والمنظر كصناعة أما كن للاصطياف والقصف على الطراز الحديث .

(١) قلعة المضيّق هي قلعة مدينة أبامية القديمة التي كان يدعوها مؤرخو العرب تارة

باسم فامية وتارة أفامية وقد ذكرت سيف شعراي العلاء بالالف حيث قال : ولولاك لم  
تسلم أفامية الردي . قال عنها ياقوت في المشترك : أفامية مدينة عظيمة قديمة على نشر  
من الارض لها بحيرة حلوة يشقها النهر المقلوب اه . كان اسم هذه المدينة قديماً فارناك ثم  
دعاها الاسكندر المكدوني بللا باسم البلدة التي ولد فيها ابوه فيليب وبعد موته دخلت في  
حوزة سلوقس نيكاتور مؤسس الدولة السلوقية فزاد في عمرانها وتحسينها ودعاها باسم امرأته  
الاميرة الفارسية اباميا وجعلها موقعا عسكريا مجهزا بجميع العدد والعدد والمصانع  
والاصطبلات وشاد فيها مدرسة حرية للفرسان ، وخصب سهل الغاب القريب منها ووفرة  
سراعيه دخر فيها مئات من الفيلة المجلوبة من الهند وعشرات الالوف من الجياد والجواميس .  
وظلت أفامية في عهد السلوقيين زاهية بعظمتها وجمالها ووفرة سكنها ورفههم تحسب الاولى  
بين مدن الشام الشمالية بعد العاصمة انطاكية الى ان جاءها كبحسرو الثاني ملك الفرس في  
سنة ٥٧٣ ميلادية فنهبا وأحرقها وسبي أهلها وجاءت الزلازل فقضت على ما بقي منها قائما  
ولم يرتفع لها شأن بعد ذلك ولم يبق الدهر من تلك المدينة الجميلة سوى حصنها الذي كان  
مبنيا فوق تل قريب في غربيها دعي بعد حين باسم قلعة المضيق ؛ ولما فتح المسلمون هذه  
الديار شاهدوا أفامية خرابا كما هي الآن فاكتفوا بحصنها ولم يعمروها قط وهم اذا ذكروها عنوا  
حصنها والقرية المبنية داخله . قال البلاذري : سار ابو عبيدة في سنة ١٧ بعد افتتاح  
شير الى فامية فتلقاها أهلها بالصلح فصالحهم على الجزية والخراج . وذكر ياقوت حادثة جرت  
في ابام العباسيين للثولي عليها وكان رجلا كرويا أغرى القرامطة في سنة ٢٩٠ باهل المعرة  
فقتلوهم قتلا ذريعا فلما انقلبت الآية وقتل رئيس القرامطة عوقب الكردي فهرب والقي  
بنفسه في بحيرة افامية فقال فيه احد شعراء المعرة :

توهم الحرب شطرنجا بقلبيها      للقمر ينقل منه الرخ والشاها  
جازت هزيمته أنهار فامية      الى البحيرة حتى غط في ماها

وفي العهد العباسي ظلت تتعاور حصن افامية أبدي الامراء التابعين للفاطميين  
والسلجوقيين وفي الحروب الصليبية استولى عليه تنكرد برنس انطاكية وبقي بيد الصليبيين  
نحو نصف قرن ثم جاءه نور الدين الشهيد في سنة ٥٤٥ فاستخلصه منهم . قال ابن الأثير



في حوادث هذه السنة : وفيها سار نور الدين الشهيد الى حصن افامية وهو للفرنج ابغاً وبينه وبين حماة وشيزر مرحلة وهو حصن منبع على تل مرتفع عال من احسن القلاع وامنعها وكان من به من الفرنج يغيرون على اعمال حماة وشيزر وينهبونها فسار نور الدين اليه وحصره وملكه وحصنه بالرجال والدخائر وكان قد اجتمع الفرنج وساروا ليرحلوه عنه فملكه قبل وصولهم فلما بلغهم فتحه تفرقوا اه . وفي الزلزلة المائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ خرب حصن افامية فيما خرب من بقية الحصون والمدن في شمالي الشام فرحمه نور الدين واليه ينسب معظم مبانيه . وبعد وفاة السلطان صلاح الدين الايوبي في سنة ٥٨٩ استقر هذا الحصن ومثله حصون يرزية وكفر طاب وبعريز بيد الأمير عز الدين ابراهيم بن المقدم ثم اخيه شمس الدين عبد الملك من بعده . لكن ابن صلاح الدين الملك الظاهر غازي صاحب حلب استخلفه منه ولما زالت دولة الايوبيين عن الديار الخلية انتقل حصن افامية كغيره الى يدي المماليك . ولا بعد اذ كان جيش هولاكو التتري وصل اليه في ذلك العهد ونال منه . وفي سنة ٦٦٨ جاء الملك الظاهر بيبرس الى حصن افامية وجمع جيوشه فيه ثم زحف منه على انطاكية واستولى عليها وفي ايام الملك المنصور قلاوون كان حصن افامية في حوزة الأمير الثائر سنقر الأشقر . وبعد خروج المسلمين وذهاب اخاجة للدفاع لم يبق لهذا الحصن مكانة حرية بل ظل كما هو الآن عبارة عن قرية يعتصم أهلها فيها من هجمات البدو والصبورية وهؤلاء كثيراً ما كانوا يغيرون عليها وعلى غيرها من القرى ايام الفتن في عهد المماليك والعثمانيين .

هذا ومدينة افامية لا تزال على ما فعل بها الفرس خراباً يباباً تروى الزائر بفخامة اطلالها وجمال رسوماتها وعظمة مساحتها البالغة مائتي هكتار . ففيها انقاض سورها القديم وكان عليه ابواب لم يبق منها الا الباب الشمالي الذي قنطرته واحلال البرجين المحيطين به مائلة . وثمة شارع عظيم مستقيم يمتد من الشمال الى الجنوب طوله يزيد عن ١٦٠٠ متر كان على جانب صفان متقابلان من الاعمدة النجسية لا تزال قواعدها . بعض اقسامها المهشمة ظاهرة . وهناك شوارع أخرى مستقيمة تتشابك في مواقع عديدة مع الشارع الاعظم . وحول هذه الشوارع تجد ابنا ممرث دوراً وقصوراً مهتمة وجدراناً متداعية واحجاراً منحوتة

مبعثرة وقواعد وتيجان اعمدة واعمدة طويلة ضخمة متعددة او منتصبة سطوح بعضها مستوية وسطوح الأخرى مخرمة بخطوط مقعرة وناثئة مستقيمة او حلزونية وكلها من الصخر الجيري الأشهب الذي فضمه الطحلب وفعل فيه كمر الدحور . وقد كانت افامية في عهد أسامة بن منقذ على هذه الحالة اذ يقول في كتابه الاعتبار صفحة ٤٧ : «وسرنا الى افامية فلقينا فارسهم وراجلهم — يعني الافرنج — في الخراب الذي لها وهو مكان لا ينصرف فيه الخيل من الحجارة والاعمدة واصول الحيطان الخراب » . قامت بعثة اثرية بلجيكية منذ خريف سنة ١٣٤٩ بحفر تلك الخرائب فكشفت آثار عديدة بانت منها شوارع المدينة وبعض مبانيها وجدرانها وكثير من تيجان الاعمدة وقواعدها المنقوشة والخططة بأشكال واغصان جميلة ونبتت البعثة مركز توزيع المياه الآتية بقناة عظيمة من شمال البلدة وظهرت الاسماوات الحجرية الضخمة والفساطل الخزفية الصغيرة التي كانت تتألف منها قنوات الماء الموزعة على المدينة كلها بأسلوب غاية في الاتقان والمتانة واطلمت على بعض الآثار الخاصة بعبادة باخوس اله الخمر وهي دابة على العمل في خريف كل سنة وعساها تتوفق لآظهار دفائن هذه المدينة التاريخية الجميلة .

اما حصن افامية فلا يزال فوق تله الكبير العالي يشرف في الغرب على جبال النصيرية وعلى سهل الغاب ووادي العاصي وفي الشمال على جبل الزاوية وفرعه الجنوبي المسمى شجشبو وفي الجنوب والشرق على سهول ناحيتي طارالعلا وخان شينون . وكان يحيط بالتل خندق عظيم زال معظمه على انه ليس في هذا الحصن قلعة كبيرة كما في حصن شيزر وحصن الاكراد بل سور عظيم على هيئة مضلع غير منتظم تتخلله ابراج كثيرة مربعة الشكل وفي اسفل السور رصيف من الحجارة كان التل مصفحاً به كما في قلعة حلب وحمص وغيرهما وقد خرب القسم الغربي من السور كما ان المباني التي كانت تعلوه دثرت بالكلية . وفي شمالي الحصن برج جميل البناء في وجهه القبلي كتابة تحوي اسم الملك الظاهر غازي صاحب حلب تاريخها ٦٠٤ وفي قبليه باب كبير ذو قنطرة يدخل منه الى القلعة يحرسه برجان متقاربان وعلى الباب كتابة تحوي اسم الملك الناصر يوسف صاحب حلب وهو حفيد الظاهر غازي تاريخها ٦٥٤ وهاتان الكتابتان ، وفقدان كل اثر للسوقيين والصليبيين ، وشكل الابراج المربعة واقسامها

الداخلية والاعمدة التي حشيت في عرض جدرانها ، وشكل برجى الباب اللذين يؤلفان ما يسمى في كتب العرب باشورة كل ذلك يدل على أن بناء هذا الحصن عربي صرف وكذلك طراز هندسته وهو من آثار نور الدين محمود بن زنكي والأيوبيين من اعقاب صلاح الدين - حكم حلب - هذا والقرية التي في داخل الحصن كبيرة يبلغ عدد سكانها نحو الفين حافلة بالدور المبنية من انقاض السور والايراج واهلها يصعدون وينزلون كل يوم الى مزارعهم ومراعيتهم التي في اسفلها وجوارها ويشربون من الينابيع التي في سفح التل وشأنهم في الهزال واصفرار الوجوه شأن بقية قرى الغاب الا قليلا . وفي خارج الحصن على مقربة من بابه القبلي جامع صغير حسن البناء من عهد العثمانيين لكنه اصبح خراباً مهجوراً وفي قربه خان خراب من آثار الوزير سنان باشا الشهير كانت تأوي اليه قوافل التجار والحجاج القادمة من انطاكية الى حماة وماوراءها . واقاموا في غربي الحصن على احد روافد العاصي سداً له فتحات يحصل بسببه بحيرة تمتلئ بالسمك فيصطادونه . وقد اتخذت قرية قلعة المضيق قاعدة لناحية الحقوها في السنين الأخيرة بقضاء المعرة تتبعها القرى التي تقدم ذكرها في بحث سهل الغاب . ولا يعرف العهد الذي تبدل فيه اسم حصن افامية وهو المصطلح عليه في عامة التواريخ القديمة فصار قلعة المضيق ولم اعلم من اين اتى اوليا چلي برواية ان احد قواد نور الدين الشهيد كان اسمه مديق او مضيق تولى عليها مدة فسميت باسمه . ولم اعثر في كتبنا القديمة على كلمة المضيق الا عرضاً في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي عند ذكره الموقعة التي جرت حول افامية في سنة ٣٨٧ لما حاصرها الروم وضابقوا اهلها وجاء جيش ابن الصمصامة والي دمشق لاستخلاصها فكسر الروم وقتل ملكهم قال : وكانت الموقعة في مرج افيج بطيف به جبل يعرف بالمضيق لا يسلكه الا رجل في اثر رجل ومن جانبه بحيرة افامية ونهر المقلوب فلم يكن للروم مهرب في الهزيمة اه . فيظهر من ذلك ان سهل الغاب كان يدعى مرج افامية وقلعة المضيق حصن افامية وذيل جبل الزاوية المشرف على هذه القلعة المضيق ونهر العاصي النهر المقلوب ، ولم يشذ احد من الكتب التي اطلعت عليها عن ذلك .

ساعات الى قلعة شيزر (١) .

« للبحث صلة » وصفي زكريا

(١) بعد قلعة المضيق يجتاز السائح وادي الجفر ويتجه جنوباً فيغادر ولاية حلب ويدخل ناحية طار العلا من اعمال لواء حماة التابع لدمشق ويمر في سهول بيتدة الاطراف لا شجر فيها ولا حجر ذات تلمعات متموجة وتلال بعثت فيها كثير من القرى والضيايع ومضارب البدو فيمن ضيايع صغيرة كالجرينة وحيالين وجملة وتل ملح ويرى على يمينه على سيف الغاب الصقيلية ذات الدور البيضاء وهي كبيرة واهلها روم ارثوذكس يبلغون الالفين اشتهرت بقمحها الذي يتخذ للبذر في الديار الحموية وقرى صلبا والمونية وكفر يهود وثمة على العاصي عمورين والعشارنة والترميسة او تل الترمسي كما قال أسامة وفي العشارنة جسر على العاصي يجتازه قاصدو جبال الكلبية وقراها . وفي شرقي هذه الطريق كفر نبوذا ومغير وكرناز وبريدج والشيخ حديد وجبين والزلاقيات ووراء هذه القرى كفر زيتا واللطامنة ومورك الشهيرة بطيخها وصوران وطيبة الامام . وهكذا الى ان يهبط السائح وادي العاصي ويصل الى جسر شيزر وقلعتها بعد اجتياز ٢٧ كيلومتراً . وكل هذه القرى التي عددناها ذات تربة رملية طينية حمراء معروفة بخصبها وانباتها الزروع الصيفية والشتوية عذياً ويتوتها في الضيايع تكون اكواخاً مستطيلة من القصب والقش بدعونها طامات وفي القرى قباب مخروطية او دور حجرية . ذكر ياقوت في محجمه من هذه القرى عمورين وسماها عمورية ودعاها بليدة وهي الآن ضيعة صغيرة قال : عمورية بليدة على شاطئ العاصي بين فامية وشيزر فيها آثار خراب ولها دخل واقر ولها رحي تغل مالا اه . وذكر أسامة بن منقذ في كتابه الاعتبار اسماء كفر نبوذا وتل ملح وتل التلول . وقال ان تل ملح كان مكاناً للافرنج عند اغارتهم على شيزر .

وجبال النصيرية المشرفة على هذه الطريق تعد من الشعرة التي تقدم ذكرها ووصفها في سفحها من القرى الجديدة بالذكر مرداش وعناب وعين الكروم وهذه كبيرة ذات اربع ضيايع اتخذت مركز ناحية وفقر وحاددي ، وكل هذه القرى على سيف الغاب وثمة عين تدعى عين الجراص في قربها هضبة قامت عليها ضيعة تدعى قلع الشيخ ملوخ بلوخ لي انها



مكان حصن الجراص الذي استخلفه ابو الحسن علي بن منقذ من الروم قبل ان يستلم منهم شيزر في سنة ٤٧٤ . قال البستاني في دائرة المعارف عن عناب التي تناوح قلعة المضيق انها هي آنب التي حدثت حولها في سنة ٥٤٤ هـ معركة هائلة بين نور الدين وريموند دوبرواتية برنس انطاكية فانتصر نور الدين وهناك القيسراني بقصيدة جاء فيها :

وعسكرك الذي استولى مسجماً      على ما بين فامية وسج  
بآنب يوم ابرزت المذاكي      من النقع الغزالة في مسوح  
غداة كأنما العاصي احمراراً      من الدم عبرة الجفن القريح

وجاء في كتاب الدليل الازرق لمونمارشة ان هذه المعركة حصلت عند ضيعة تدعى إنب في سهل الروج وفي خطط الشام للاستاذ كرد علي ج ٢ ص ٢٣ ان إنب هذه من اعمال اعزاز . على ان اوصاف القصيدة تنطبق في الغالب على عناب القريبة من افامية والعاصي بينما إنب الروج او تذب اعزاز بعيدتان عنها .

# جامع الثوار ريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٣ —

حدثني عبيد الله بن محمد بن عبد الله الأهوازي قال حدثني ابو الفضل  
البلخي الفقيه قال حدثني الخليل بن احمد السجستاني قاضيها قال قدم علينا  
صاحب جيش خراسان من قبل نصر بن احمد ومعه خلق عظيم من الجيش  
فملك سجستان واكثر أصحابه الفساد في البلد وامتدت أيديهم الى النساء في  
الطرق قهراً . قال فاجتمع الناس اليّ والى فلان الفقيه وقد ذكره البلخي  
وأنسيته انا وشكروا الحال فمضينا معهم الى صاحب الجيش فدخلت اليه انا  
والفقيه وجماعة من رؤساء البلد وكان المبتدي بالخطاب الفقيه فوعظه وعرفه  
ما يجري قال فقال له يا شيخ ما ظننتك بهذا الجهل معي ثمانون الف رجل نسائهم  
ببخاري فاذا قامت . . . . . كيف يصنعون ؟ ينفذونها بسفاح الى حرمهم ؟  
لا بد لهم ان يضعوها فين ها هنا كيف استوى لهم هذا الامر فلا يمكنني (١)  
افساد قلوب الجيش بنهيهم عنه فانصرف . قال فخرجنا . فقالت لنا العامة

(١) كذا بالاصل .

ايش قال الامير قال وأعاد عليهم الفقيه الكلام بعينه فقالوا هذا القول منه فسق وامر بالفسق ومكاشفة بمعية الله تعالى فهل يحل لنا عندك قتاله بهذا القول؟ فقال لهم الفقيه نعم قد حل لكم قتاله قالوا: فتأذن قال: نعم. قال فبادرت العامة وانسلنا من الفتنة فلم نصل المغرب من تلك الليلة وفي البلد احد من الخراسانية. قال: لانه اجتمع من العامة من لا يضبط عدده فقتلوا خلقاً عظيماً من الخراسانية واستحرقوا القتل فيهم ونهبت دار الامير وطلبوه ليقتلوه فافلت على فرسه ومعه كل من قدر على الهرب ومضوا على وجوههم فما جاءنا بعدهم جيش من خراسان اصلاً.

\*\*\*

حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد بن مهرويه المعروف بابن ابي علان قال حدثني ابن ابي القاسم قال كنت اكتب لعبيد الله بن الحسن بن يوسف على كور الأهواز فكتب علي بن عيسى يطالبنا بالحساب فتقدم الى ابي احمد عبيد الله بن الحسن بعمله وبالحروج للمواقفة عليه وذلك في سنة ٣٠٦ قال: فجمعت الحساب وحملت (١) جماعة (٢) لسنة ٣٠٥ بارتفاع مال الخراج بالأهواز وكورها سوى الضياع فكان مبلغ ذلك ستة عشر الف الف وثمانمائة الف درهم وكسروا كلها قد صبح في الاستخراج ولم يبق للسلطان الا نيف واربعين (٣) الف درهم قال فكان مال الضياع يقارب هذا الا انه لم يكن في حسابنا.

(١) لعة وحصلت وعملت. (٢) قال في مفاتيح العلوم: المواقفة والجماعة حساب جامع يرفعه العامل عند فراغه من العمل. (٣) كذا بالاصل.

حدثني عبد الله بن عمر الجارثي قال عجل عليّ الشيب فغممني ذلك وفكرت في ان أخضب لحيتي فتمت فرأيت في النوم كأنني أثار طيباً في خضاب فقال لي لا تحتاج الي خضاب ولكن أصف لك شيئاً يسود الشعر ويحفظ لونه ويمنع من السواد ان يبيض . خذ دهن النرجيل العتيق وزن خمسة دراهم ومن الاهليلج الأصفر وزن نصف درهم ومن النوشادر وزن دائق واسحق الجميع ودفه بالدهن حتى يختلط واطل به الشعر فانه يسود . فانتبهت وقد حفظت ذلك فعملته فاسود شعري وتأخر الشيب عني دهراً طويلاً .

\*\*\*

وحدثني قال كنت في شبابي أمتنع بالجوارى والماليك فكان الهزل يثقل عليّ جداً فاشتريت جارية بدنانير كثيرة و كنت أخاف ان تحبل فيذهب ثمنها فتمت مشغول القلب بذلك فرأيت قائلاً يقول اذا أحببت ان لاتحمل المرأة فخذ بنجاً واسحقه واعجنه بلبن فرس وجففه واجعله في كيمخت (١) وعلقه على المرأة فانها لاتحبل فقلت له ما سمعت هذا من طيب . قال : ان أحببت ان تمنح صحة ذاك فخذ هذا الدواء واجعله في قارورة ماء واجعلها على النار واوقد تحتها فانه لا يغلي ولو مكث سنة قال وانتبهت ووجرت ذلك فوجدته صحيحاً .

\*\*\*

وحدثني ايضاً الجارثي قال حدثني ابي و كانت يخدم في دار الموفق والمعتضد بعده . ان المعتضد أراد ان يشهد على نفسه العبدول في كتاب صدره (١) نوع من الجلد مأخوذ من كفل الفرس أو الحمار ومذبوغ دباعة خاصة :



( هذا ما شهد عليه العدول جميعاً ان امير المؤمنين عبد الله ابا العباس المعتضد بالله اشهدهم على نفسه في صحة منه وجواز امره ) وعرضت النسخة على عبيد الله ابن سليمان ف ضرب عليها وقال هذا لا يحسن كتبه عن الخليفة اكتبوا ( في سلامة من جسمه واصابة من رأيه ) .

قال لي الحارثي استهديت من صديق لي نبذاً فانفذ اليّ نبذاً حامضاً فرددته عليه وكتبت اليه الجيران : أحق بهذا من الاخوان . ووصف لنا مرة نبذاً طرياً شربه فقال هو دواء الفهم عمل من ثمر البلاذر اي هو لا يسكر لضعف فعله .

\*\*\*

حدثنا ابو الفتح عبد الله بن محمد البرودي الكاتب قال حدثني بعض شيوخ الكتاب قال (١) قال ابن الفرات لابي منصور بن جبير . كاتبه ايما أكفا (٢) انا او علي بن عيسى فقال الوزير اكفا واضبط قال دعني من هذا قال توّمتني قال قد امتك قال علي بن عيسى اذا حضر بين يدي الخليفة فاراد ان يكتب سرّاً له لم يجتمع الي غيره وكتب هو وسبحا وختم وخرط (٣) بيده وانفذ العمل وانت لا بد لك من زنجي ولوطي صاحب دواته فيطيل (٤) الامر بظهور اثنين عليه قال فضلت علينا علياً؟ قلت لا والله ياسيدي ولكن يكون علي بن عيسى كاتبك .

\*\*\*

(١) كتاب الوزراء لهلال ص ٦٣ . (٢) الصواب ايناً أكفى .  
(٣) يعني : جعل في الخريطة . (٤) لعله : فيطيل . والعبرة عند هلال غير هذه .

حدثني عبد الله بن محمد بن داسه ان ابا القاسم البريدي ايام تقلده الامر  
بالبصرة شرب يوماً وعنده جماعة من ندمائه فافتقد قحف بلور كان معجياً به  
وطلبه الشراية فلم يعرف له خبر فحلف انهم ان لم يحضروه ضربهم بالمقارع  
فقال له احدهم لا تعجل ولكن امر (١) باحضار كل من كان البارحة حاضراً  
فأمر باحضارهم فجلسوا وأنفذ الغلام الى منزل كل واحد منهم برسالة منه أن  
انفذوا القحف البلور الذي حملته اليكم البارحة فعاد احد الرسل من دار احدهم  
ومعه القحف فافتضح ذلك النديم وسقط محله . وهذا مضاد لما حكى عن  
بعض الاكاسرة انه كان يشرب فوقعت عينه على غلام من غلمانه وقد سرق  
صينية ذهب مع ما فيها وحملها فأمسك الملك وفاز بها الغلام فافتقدها الخزان  
من الغد وجاؤا في طلبها فدعاهم وقال لا تتبعوا في طلبها فقد اخذها من لا يردها  
ورآه من لا ينم عليه قال فأمسكوا فلما كان بعد سنة كان الملك يشرب فدخل  
ذلك الغلام عليه فرأى عليه منطقة ذهب حسنة فقال له الملك سرّاً أهذا من  
ذلك فقال نعم . فقال ان كان ما عندك من تلك الدنانير التي من الصينية قد  
نفد فعرفني لا دفع اليك أخرى .

\*\*\*

وحدثني قال وحدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال لما قدم  
حامد بن عباس الابلّة يريد الأهواز وهو وزير خرجت لتلقيه فرأيت له حراقة  
ملاحوها خصيان بيض وعلى سطحها شيخ يقرأ القرآن وهي مظلمة مستورة .

(١) يعني : أمر .

فسألت عن ذلك فقالوا هذه حراقة الحرم لا يحسن ان يكون ملاحوها  
فحولة .

قال وقال لي ابو الحسين دخلت الى ابن الجصاص في داره ببغداد فرأيت  
خصياناً بيضاً مزيينين .

\*\*\*

قال حدثنا ابو الحسين قال رأيت لابي العيناء خادمين خصيين أسودين  
يقودانه فقليل له كيف اتخذت خصيين أسودين فقال حتى لا يتهما بي ولا  
أثرهما .

\*\*\*

وحدثني قال حدثنا ابو الحسين قال قدم ابو العيناء البصرة في سنة نيف  
وثمانين بعد الغيبة الطويلة التي غاب عنها وخدمته للخلفاء والوزراء بسر من رأى  
وكان ابو خليفة اذذاك عالم البصرة بالحديث والأخبار واللغة والنحو ومحمد بن  
جعفر بن بسام قاضيها وكان له محل من الادب واللغة والشعر كبير وكنت  
منقطعاً اليه ملازماً له أدرس عليه الفقه فكان اول من ائتمني ورفع  
شأني . فقال لي يا ابا الحسين قد قدم ابو العيناء وأحب ان أجمع بينه وبين  
ابي خليفة وننظر اثرهما (١) فقلت علي ذلك فقال مضيت ولقيت ابا العيناء  
وعقدت عليه وعداً للمضور عند ابن بسام وعلي ابي خليفة فاجتمعا فأخذ ابو  
العيناء في الرواية عن الأصمعي ومشاهداته مع المتوكل وابن ابي دؤاد وفلان

(١) لعله : آثرهما أي أفضلهما .

وفلان والشعراء قال فاسكت ابو خليفة فلم ينجرّ معه ولم يلحق به قال فاثبتنا على ابي العيناء وقرظناه فقال يا أيها القاضي انا لا أنسى ما كنت أحفظه منذ اربعين سنة .

\*\*\*

وحدثنا ايضاً قال حدثني ابو عبيد محمد بن علي الاجرّمي قال كنت عند ابي العيناء لما قدم البصرة سنة نيف وثمانين بتسبيبات له على عمالها وكان معنا أصحاب الحديث ف قيل له قد دخل اليك ابن المثنى فقام وقدّر ان ابا علي الحسن بن المثنى قصده فقال له بعض الحاضرين انه احمد بن الحسن بن المثنى فجلس قبل ان يقرب منه ابو الحسين ثم استدنا (كذا) ابا الحسين واكرمه وسأله عن خبر ابيه ..... (١) .

\*\*\*

... فقال لي لأدري كنت يوماً في مجلس موسى بن اسحاق القاضي بالبصرة وقد اجتاز بنا وكان أصحاب الحديث حضوراً وكان موسى لا يطلق (٢) ان يدخل مجلسه غلام أمرد ليسمع الحديث فحين رآه موسى صاح يا غلام أخرجته قلنا له اعز الله القاضي هذا ابن اخيك ابي علي بن المثنى قال فرفعه وقدمه .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني ابو الحسين قال لما نشأت كَتَبَ ابو حازم القاضي الى ابي يقول انه قد بلغني انه قد نشأ لك فتى يطلب العلم ومن حاله وصفته .  
(١) بظهر ان اواخر الحكاية قد سقطت مع أوائل حكاية أخرى . (٢) لعله لا يطيق



( قال وقرظني ) فانفذته اليّ لأقلده القضاء قال فقال لي ابي ما تقول فقلت فانفذني فانك هو ذا ترى ما نحن فيه من الإيضاعة فلعلي اتسع بالارزاق (١) فان الأعمال تفنى والصيانة تبقى .

\* \* \*

وحدثني قال حدثني بعض شيوخنا ان ابا العيناء قد قصد دار الوثائق وهو الامير بالبصرة اذذاك فأجلس في الدهليز ساعة الى ان استودن له وجرى الحديث فقال رجل في حديث اقتضى ذلك يا ابا العيناء انت صائم اليوم فقال اما في هذه الدار فنعم فكتب صاحب الخبر الى الوثائق بذلك فأذن له في الحال واعتذر اليه من إجلاس البوابين له في الدهليز وانكر ذلك عليهم .

\* \* \*

قال واجتمع ابو العيناء وابو النضير (٢) يوماً في مجلس فاستطال عليه ابو العيناء فقال له ابو علي : نحن جميعاً ضريران فما هذا التطاول فقال ولا سواء انت من عريان العصا وانا من عريان المراكب (٣) .  
( بحث صلة )

—————

(١) يظهر انه سقط ما معناه ؛ فقال ابي لا تفعل .

(٢) لعله : ابو علي البصير الذي اسمه القتل بن جعفر .

(٣) لعله : المراكب .

## مرآة وأفكار

—(١)—

### ملاحظات لغوية

نشر لي المجمع العلمي العربي في مجلته م ١١ ص ٦٩١ — ٦٩٧ فصلاً فيه ملاحظات على طائفة من الفضلاء الذين يكتبون فيها ، وبدا له فعلى على موضعين منه تعليقاً وبخيراً ، ثم فقى عليه كبير كتاب العصر الأمير شكيب أرسلان فوافق على كل ما جاء فيه عدا كلمة واحدة استوقفته فاستفهمني عنها وتقاضاني عليها شاهداً يوثق به . . . وقد سمعت ما عندهما فأحب أن يسمعا ما عندي ، ورأيهما الموفق !

فأما ملاحظتنا للمجمع فأولاهما أن أدياً باحثاً ذهب في فصل كان يتحدث فيه عن الجاحظ إلى أن العرب كانوا يقولون في الفرس السابق « يلحق الغزال ويسبق الظلام » فأخذت عليه قوله يسبق الظلام ونفيت أن يكون لسبق الفرس الظلام مفهوم في الكلام وقلت إنما كانت العرب تقول يسبق الظليم وهو الذكر من النعام وعزّزت قولي ببيئات من اللغة والشعر يعني الرجوع إليها عن إعادتها ، فعلق المجمع على شطر من قولي من غير أن يلتفت إلى الشواهد التي أقمتها على تأييده ونازعني في إنكاري أن يكون لسبق الفرس الظلام مفهوم ما وقال إن لذلك وجهاً وجيهاً ووثق رأيه ببيت للناطقة الديبانية وهو قوله :  
وانك كالليل الذي هو مدركي وإن خلت أن المنتأى عنك واسع  
ثم لم يزد عليه شيئاً .

وأنا أتحاكم في هذا الذي أذهب إليه إلى النص وضيائه وسياقه وإلى المنطق وإلى العرب ثم علماء الأدب فيما فهموه من هذا البيت . فأما النص فإنه — كما قلت أول مرة — من كلام ابن شرف القيرواني في رسالته الانتقاد ، وهو يتحدث عن محترعات امرئ القيس .

في الشعر ، وهو قوله « وكانوا يقولون في الفرس يلحق الغزال والظلم حتى قال قيند الاوابد » أي. الوحوش لم يقد طبعت هذه الرسالة ثلاث طبعات : في الأوليين منها « الظلم » وفي الثالثة « الظلام » ويظهر أن الكاتب اعتمد هذه الطبعة الثالثة فقال ما قال من غير أن يتردى في السياق والسباق ، فأية علاقة في النص بين الظلام وبين الغزال والأوابد ؟ لا شك أن التنازع في هذا من الشدة بحيث لا يمكن أن يجمع بينها المعنى الذي قصد إليه ابن شرف كيفما حاول التحمل أن يلائم أو يوائم أو يلاحم ، إنما يستقيم المعنى بالظلم . . . وبالظلم وحده ليس غير . وللزيادة في تأكيد أن هذا اللفظ هو الثابت نذكر أن من تعرض له أيضاً ابن رشيق في قراصة الذهب وبعض شراح ديوان المتنبي عند قوله « أجل الظلم وربقة السرحان » وقوله « وعقلة الظبي وحشف التنفل » فقد اشاروا جميعاً إلى أن المتنبي قد احتذى امرأ القيس في « قيند الاوابد » الذي اشار إليه النص الصحيح المتقدم من كلام ابن شرف ، غير أن المتنبي أتى بالمعنى في غير اللفظ وزاد زيادة جيدة فقال « أجل الظلم » وقال « ربقة السرحان » الخ وفي هذه دلالة قاطعة على صحة ما ذهبنا إلى تصحيحه وعلى أن العرب من عهد امرئ القيس إلى المتنبي وإلى ما لا ادري إنما كانت تذكر في تفضيل سبق الجياد الحيوان والوحش من غزال وظلم وتنفل لا الظلام وما إليه . هذا النص ومؤبداته وأما المنطق فهو يرفض كل الرفض ما ذهب إليه التعليق من « وجاهة » معنى سبق الفرس للظلام ، فانه من الوهم الذي لا يتحقق له وجود في الخارج إذ كيف يسابق الفرس للظلام وفي أي فلك يدور معه ويجاره وفي أي مضمار يجول ويناريه ؟ ان هذا الذي يريده التعليق إن هو الا إحالة <sup>(١)</sup> فاسدة لم يتعلق بها حتى المفرقون في المبالغات السخيفة <sup>(١)</sup> من الشعراء المولدين .

وأما بيت النابغة الذبياني فهو في وادٍ غير هذا الوادي وهو بعيد جداً ان يكون مؤيداً لهذا المعنى الذي يذهب إليه التعليق ، وندع القول فيه إلى ما فهمه منه فصحاء العرب ثم الرواة وأئمة الأدب لئلا نترك مجالاً للاعتراض والرد تارة أخرى :

عن جرير بن يزيد بن جرير بن عبدالله البجلي قال — كنا عند الجنيد بن عبد الرحمن بنجراسان وعنده بنو مرة وجلساؤه فتذاكروا شعر النابغة حتى أنشدوا قوله « فانك كالليل

الذي هو مدركي ٠٠٠ البيت » فقال شيخ من بني مرة — وما الذي رأي ( يعني النابغة ) في النعمان حتى يقول مثل هذا ؟ وهل كان النعمان الا على منظره من مناظر الحيرة ؟ وقالت ذلك القيسية ايضا فاكثرت ، فنظر الى الجنيد فقال — يا أبا خاله ! لا يهولك قول هؤلاء الاعارب واقسم بالله لو عاينوا من النعمان ما عاين صاحبهم لقالوا أكثر مما قال ولكنهم قالوا ما تسمع وهم آمنون . وانت ترى من إنكار الشيخ المري على النابغة قوله أنه إنما فهم منه المبالغة في دعوى سعة<sup>(١)</sup> ملك النعمان على حين أنه لم يكن الا على منظره من مناظر الحيرة فانكر عليه دعواه الكاذبة كما أنكرتها القيسية ايضا .

وقال العلامة الأديب عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص يشرح البيت :  
المتأى : اسم موضوع من انتأى عنه أي بعد ، وشبهه بالليل لأنه وصفه في حال سخطه وحوله ، والمعنى : أنه لا يفوت الممدوح وان أبعد في الحرب وصار الى اقصى الارض لسعة ملكه وطول يده ولأن له في جميع الآفاق مطيعاً لأمره يرد الهارب اليه .  
ثم أورد اعتراضاً للاصمعي على النابغة في تشبيهه الادراك بالليل بأن الليل والنهار قد تساويا فيما يدركانه وإنما كان سبيله ان يأتي بما لا قسم له حتى يأتي بمعنى منفرد . وقال : فلو قال قائل — ان قول النخعي في ذلك أحسن منه — لوجد مساعاً الى ذلك حيث يقول :  
فلو كنت كالعنقاء أو كسموها خللك الا أنت تصد تراني

ثم أورد العباسي في معنى بيت النابغة أشباهاً كثيرة في وصف سبق الفرس من شعر ابن جبلة وسلم الخاسر والبحري وابن خاني الاندلسي وأبي العرب الصقلي وكلها يدل على غير ما ذهب اليه صاحب التعليق في تفسير بيت النابغة ! !

وثانية الملاحظتين أنني صححت كتابة (عري) جمع (عروة) بالألف (عرا) بناء على قاعدة البصريين في إرجاع الكلمات الى أصولها ، فخالفتي المجمع وقال « بل الاصح أن نكتب بالواو (هكذا في الطبع وهو يريد بالياء) بناء على قاعدة الكوفيين كما كتبوا الضمى والخطى » انتهى . وأنا لا أعلم ما الذي يجعل قاعدة الكوفيين أرجح في نظر المجمع على حين أنها قاعدة شاذة عن المقاييس العلمية ليس لها أصل معقول تمجور اليه ! وحياء اللغة إنما تستر باصطناع المقاييس المطردة التي جرى عليها البصريون ومن هنا نخوهم في

(١) [المجمع] أو في دعوى سرعة اللحاق والادراك .



تأصيل الأصول القياسية من فلاسفة اللغة وأهل البيان ، وشذوذ من المجمع أن يرجع الشاذ على المقيس من غير مرجح لديه ويرجع بالأصول اللغوية الى طور السذاجة قبل أن يتناولها الاستقراء العلمي ويمحورها البحث الفني . على أنني كنت أحب للمجمع . وهو القائم على تهذيب اللغة في هذا العصر العتيق أن يتجاوز حتى قاعدة البصريين التي هي أنقى للغلط الكتابي الذي يضيغ منه العالمون والمتعلمون من قاعدة الكوفيين الجامدة البليدة الى أنقى أوسع ومجال أرحب فيدعو الى كتابة الباب « كله » بالألف حملاً للخط على اللفظ سواء كانت الألف ثالثة أو فوقها ولو منقلبة عن ياء في علم أو غيره ، لترجيح ونستريح من الشكاوي المريرة من صعوبة قواعد الكتابة العربية التي لا يسلم أكثرها من تنطع وبلادة وجمود . والمجمع لا يجهل أن هذا الذي أريده قد مشى عليه جماعة من النخاة منذ عهد عهيد ووجهوه بأنه القياس وبأنه أنقى للغلط ، وهو تعليل صحيح يدل على سمو في الفكرة ودقة في النظرة فأنا أدعو الجماعة العاملين على إحياء العربية الى مشاركتي في هذا الرأي ونشره بين الناس في المدارس وفي الصحف فان في ذلك تخفيفاً كبيراً من عبء اللغة على المتعلمين وخيراً كثيراً .

وأما ملاحظة العلامة الأمير شكيب أرسلان ( المجمع م ١٢ ص ٢٤٩ ) فعلى كلمة جنح بمعنى جناح في مثل وهو قولهم « ركب جنح نعام » كنت اوردته شاهداً على ان النعام ذكره وأتناه هو الموصوف عند العرب بالخفة وسرعة الجري وشدة الحذر . فالأمر يعترض على استعمال الجنح ويرى أنه غير الجناح ويقول « لا أزال أحفظ أن اليازجي الكبير في مقاماته استعمال الجنح بمعنى الجناح مضافاً الى الطائر فأخذ عليه في ذلك أحمد فارس صاحب الجواب » ثم هو يتقاضاني أن أدلي له بنص أو شاهد يوثق به علي ورود جنح بمعنى جناح مضافاً الى الطائر . وجوابي له أنني نقلت هذا المثل بهذا اللفظ من كتاب حياة الحيوان<sup>(١)</sup> مع علمي بأن الوارد في القاموس المحيط وفي كتب الأمثال إنما هو جناح ، وعلة ذلك أنني أعتقد أنه لا فرق بين الجنح والجناح بدلالة مفاهيم عبارات اللغويين وجنوح الأدباء وعامة الناس في مصر والشام والعراق الى استعمال ذلك بمعنى هذا . فأما عبارات أهل اللغة فقد جاءت متحدة غالباً في الجنح والجناح فن معانيهما معاً : الكتف ، والناحية ، والجانب ، فاذا أردنا جانبي الطير أو الانسان أو الجيش فلماذا يصح أن يقال جناحه ولا يصح<sup>(٢)</sup> أن

(١) طبعة مصرية . (٢) [المجمع] لان اللغة تقل .

يقال جناح على حين أنها يدلان على شيء واحد دلالة واحدة وهي « الجناح » ؟ فان قيل إن الجناح بمعنى الجناح مجاز كما في قوله تعالى « واخفض لها جناح الذل من الرحمة » . قلنا : وكذلك قول العرب « أناخ فلان عند جنح سبيل » أي جانبه ، و « بات يجنح القوم » أي كنفهم . ولا بد لكل مجاز من حقيقة ينقل عنها ، فاذا اعتبرنا حقيقة الأول هي جناح الطائر فما عسى أن تكون حقيقة الثاني ؟ لا ريب أن اتحاد اللفظين في معانيهما المجازية دليل على اتحادهما في حقيقتهما ايضاً غير أن حقيقة الجناح أمنت لسبب من الأسباب وحقيقة الجناح استمرت في الاستعمال . وقد قالت العرب في كلمات مثلها « نبح ونجاح ، وصبح وصباح ، ومسي ومساء » وغيرها ، فلماذا لا يكون الجناح على هذا القياس <sup>(١)</sup> ؟ ولم كل هذا التعجير ومعاجم اللغة لم تدون كل مفردات اللغة ؟

واذا تحللنا من قيود الجود على ورد ولم يرد استوقفنا إطباق أكثر أهل البلاد العربية على استعمال هذين اللفظين بمعنى واحد في حقيقة واحدة ، أفنضرب بذلك كله عرض الحائط ولا نعيده أقل اهتمام ؟ هذا اليازجي <sup>(٢)</sup> الكبير قد رأى جواز استعمال هذا اللفظ بمعنى ذاك فاستعمله ، وتلك الطبعة المصرية لحياة الحيوان تستعمله كذلك ، وهذه أبيات من الشعر العراقي <sup>(٣)</sup> قرأتها في كتاب العقد المفصل ج ١ ص ١٧٧ و ج ٢ ص ٣٤ وهي صريحة في استعمال الجناح بمعنى الجناح :

وهو للمؤمنين يخفض جناحاً دون أدنى محله الجوزاء

\*\*\*

أهون بأحداث الزمان وان تكن لعظيم أبطال الزمان تبير  
قد فاجأته في الرضاع وقلبيها فزعا يجنح الرعب منه بطير  
وقد استرأينا في هذا فاضلين كبيرين من أعيان العصر في الشعر وفي النثر فوافقاني  
على ما ذهبت اليه في غير تلكو وبعد هذا قد ذهب وهم العلامة الأمير الى أنني استشهدت  
بقول الشاعر الحماسي :

كأن بصحراء المربط نعمة تبادرها جنح الظلام نعام

(١) [المجمع] لأنه لا قياس في اللغة . (٢) [المجمع] !!!

لإثبات صحة جنح بمعنى جناح . . . وليس كذلك فأنا إنما استشهدت به وبما قبله وبعده  
لإثبات صفة سرعة الجري للنعام ذكره واتشاء ليس غير ، وأما موضوع الجنح والجناح  
فلم أكن بسبيله وإنما أناره الأمير . عليه مني تحية طيبة مباركة .

بغداد : محمد بهجة الأثري

من أعضاء المجمع العلمي العربي

(المجمع) لعل القاري بعد ان استطال كلام الفاضل الأثري يريد ان يعرف  
النتيجة الصحيحة من هذه الابحاث الثلاثة فنقول :

(١) ان العرب كما يصفون الفرس بانه يسبق العظيم يصفونه ايضاً بانه يسبق الظلام  
بدليل ما نقل عن الجاحظ وبدليل قول النابغة : ( فانك كالليل الذي هو مدركي )  
فهو يقول للنعمان انك تدركني وتبطش بي أي فررت كما أن من رأى اول الليل  
مقبلاً من جهة الشرق تخيل اليه انه اذا فر منه ينجو فلا جرم انه لا ينجو بالفرار بل ان ظلام الليل  
يدركه اني سار .

(٢) الكوفيون من علماء اللغة اقوالهم مرجوحة سوى مسائل معروفة رجحت فيها  
آراؤهم من ذلك كتابة ( عرى وضعى وخطى ) بالياء وان كان أصلها واواً وكثيراً ما كانت  
الفصاحة في استعمال الشاذ — كفعل ( استخوذ ) مثلاً فان القصيح فيه ان يقال كما قال تعالى :  
( استخوذ عليهم الشيطان ) وان كان اصل القاعدة ( استخاذ ) .

(٣) ما قاله الامير شكيب من ان كلمة ( جنح ) لم ترد بمعنى جنح الطائر في فصيح  
كلام العرب ولا في معاجم اللغة المعتبرة — هو الصحيح ولا يجوز جعل ( طبعات ) الكتب  
وشعر المتأخرين وإطباق الرأي العام — براهين على صحة دعوى لغوية ما لم يؤيدها النقل  
الصحيح من أئمة اللغة المثبتة اقوالهم في المعاجم المشهورة .

(٤) يبقى مجمعنا العلمي متمسكاً بما قرره الاقدمون من قواعد اللغة العربية ويجد من  
وفاء الدم ان ينبه الى ما وقع من الخطأ في تلك القواعد حتى اذا تيسر له تنفيذ خططه في  
اصلاح اللغة وتهذيب قواعدها واعلن ذلك على الملأ كان له اذ ذاك ان يقضي عن الاغلاط  
مما خالفت آراء المتقدمين ما دامت موافقة لخططه وطرائقه .

## نموذج من الكلمات الصليبية

قلت في مقالي (الكلمات الابوية) المنشورة في مجلد هذه السنة ص ١٥١ ان النويري ذكر في كتابه (نهاية الأرب) ان الشاميين اقتبسوا من الأفرنج كلمة (مفصولة) ويريدون بها الأرض التي يعطيها الأمير صاحب الاقطاع الى بعض اتباعه مقابل شيء معلوم يؤديه في السنة وان مفصولة مشتقة من الفصل . ثم تقلنا عن بعض فضلاء مصر المعاصرين ان الفصل معربة عن كلمة Vassal الافرنية بالمعنى المذكور ثم قلت ينبغي لنا ان تتبع هذه الكلمات الصليبية ويوشك ان نثرمنها على طائفة صالحة . وقد اتفق لنا ان كنا نصحج كتاب (الدارس في المدارس) مع بعض اخواننا من اساتذة المجمع فمر معنا في ترجمة السلطان صلاح الدين قوله بعدد أعمال السلطان في بيت المقدس ( وعمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكان موضع كنيسة على جسد حنة ابي علي قبر حنة ام مريم عليها السلام اه ) فرأينا العبارة قلقة من جهتين (١) من جهة قوله ان السلطان بنى المدرسة على جسد حنة ولم تجر العادة بأن يقال هذا (٢) ان النعماني مؤلف الدارس فسر الجسد بالقبر مذ قال (اي على قبر حنة) وهذا غير سائغ . فراجعنا تراجم صلاح الدين فاذا صاحب الفتح القسي وصاحب الروضتين بقولان ان السلطان صلاح الدين اراد ان يبني مدرسة للشافعية ( فعين لها الكنيسة المعروفة بصند حنة ) فلم يقولوا (جسد) وانما قالوا ( صند ) فاحدى الكلمتين محرقة عن الاخرى واحداهما وهي (جسد) لها معنى في اللغة والاخرى وهي ( صند ) لا معنى لها اصلاً ومع هذا رأينا أجهل الكلمتين وانكرهما في العربية هي المقصودة والمرادة هنا : وذلك ان كلمة ( صند ) كلمة صليبية اخذها عرب سوريا عن الأفرنج الصليبيين . وهؤلاء يقدسون السيدة حنة ام مريم عليها السلام فلا يذكرون اسمها مجرداً عن لقب التكريم بل هم كلما ذكروها قالوا ( سنت حنة ) ( سنت حنة ) ومعنى سنت ( Sainte ) في اللغة الافرنية القديسة فكان رجال السياسة في العهد الصليبي يسمعون كلمة (سنت) بمعنى القديسة منهم . ومن هؤلاء الرجال (العماد الكاتب) اكبر رجال صلاح الدين وكتابه ومؤرخي دولته وهو مؤلف كتاب (الفتح القسي في الفتح القدسي) وقد وصف لنا فيه كيف بنى صلاح الدين بيت المقدس . فلا غرو اذا قلنا انه كان يسمع الأفرنج يقولون (سنت حنة) ولما اراد ان يذكر لنا ان صلاح الدين



بنى المدرسة الصلاحية قال انه بناها على ( سنت حنة ) يعنى القديسة وانظر لما ذا لم يقل القديسة بدل ( سنت ) ؟ ثم ان العرب يتلاعبون بالألفاظ الفرنجية ويجذبونها الى مناحي لغتهم واوزان كلماتهم فعربوا كلمة ( سنت ) الى ( صند ) بقلب السين صاداً والتاء دالاً . وهذا الابدال كثير في الكلمات العريقة في العروبة فما بالك في الكلمات الدخيلة الانجليزية . والحاصل ان العمد الكاتب قال ( صند حنة ) ونقل العمد عن مؤلف ( الروضتين ) وهو قريب العهد بالزمن الصليبي فقال ان السلطان بنى المدرسة على ( صند حنة ) وبعد نحو ثلاثمائة سنة ألف الشيخ النعماني ( المتوفى سنة ٩٢٢ هـ ) كتابه ( الدارس ) وخلص كلام المؤرخين المذكورين وقال ان السلطان عمل للشافعية المدرسة الصلاحية وكانت موضعاً للكنيسة على ( صند حنة ) وقد ظن النعماني ان معنى كلمة ( صند ) الافرنسية ( قبر ) ففسرها بقوله ( اي على قبر حنة ) ثم تعاور النساخ كتاب الدارس ولم يفهموا كلمة ( صند ) فرجحوا أن تكون محرفة عن ( جسد ) وهكذا كتبوها ( جسد حنة ) فكلمة ( صند ) كلمة صليبية بمعنى ان العمد الكاتب وغيره من عرب الشام في ذلك العهد اقتبسوا في كلامهم كلمة ( سنت ) بعد ان عربوها بصند . بل وجد في الكتابات العربية الباقية من آثار العرب في جزيرة صقلية ( سيسليا ) ما يفيد انهم كانوا يستعملون كلمة صند بمعنى القديسة ولكن يكتبونها هكذا ( صنت ) بالتاء لا بالدال . والاندلسيون يلفظونها بالشين فيسمون مدنيهم ( شنت مربية ) ( شنت ياقب ) الخ وقال ياقوت اظنها بمعنى البلدة او الناحية لانها تضاف الى عدة اسماء . وليس كما قال .

ويمكن ان نضم الي كلمة ( صند ) الصليبية كلمة أخرى مثلها وهي كلمة ( كُند ) بضم الكاف وسكون النون وهي لقب شرف بمعنى أمير فان كتاب العرب منذ العهد الصليبي ادخلوها الى لغتنا العربية اقتباساً من لغة الصليبيين ففي ص ١١٠ من كتاب نهاية الأرب للنويري ذكر ان الملك المنصور قلاوون كتب ( او كتب كاتبه عنه ) الى ملك اليمن كتاباً وصف له فيه بعض وقائع الحروب الصليبية وقد جاء في كتابه قوله ( والرغبة الى الله ألا تشق لدينا إلا اكباداً كناداً . ولا تجز غير شعور ملوك التتر الخ ) فقوله ( اكناد ) جمع ( كُند ) وكُند مغرب كونت ( Conte ) الافرنسية ومعناها أمير ( راجع مجلة المجمع ص ٨٦ من هذه السنة ) وقاء ( كنت ) او ( كونت ) قلبت دالاً في العربية كما قلبت تاء

(سنت) دالاً ايضاً مذ قالوا (صند) . وقلب التاء دالاً لقرب مخرجيهما أمر مستفيض في كلمات اللغة مثل (أعتدت متكاً وأعدت) و (سبّد شعره وسبته) و (مرتّ الجلد ومرّده) و (مدّ الحبل ومده) الخ . أما قلب السين صاداً على نمط ما وقع في (سنت وصند) فكثير ايضاً في كتب اللغة حتى كاد بعضهم يزعم أن كل سين في كلمات اللغة العربية يجوز قلبها صاداً وبالعكس . ولكنهم لم يسلموا هذا للقائل . وإنما هم قالوا بكثرة فقط .

المغربي

من نوادر المخطوطات  
« في دار الكتب الظاهرية »

— ٥ —

ذيل تاريخ بغداد<sup>(١)</sup> : تصنيف محب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادي المتوفى سنة ٦٤٣ قال صاحب كشف الظنون : وهو ذيل عظيم على تاريخ بغداد جمع فيه فروع يقال انه يتم في ثلاثين مجلداً ورتبه كالطبقات . الموجود منه المجلد العاشر فقط في ٤٦٠ صفحة كبيرة أوله : ترجمة عبد المغيث بن زهير المتوفى سنة ٥٨٣ وينتهي الى ترجمة علي بن الحسين الاسكاف [ رقم ٤٢ التاريخ ]

ذيل طبقات الحنابلة : تأليف زين الدين عبد الرحمن بن احمد المعروف بابن رجب الحنبلي المتوفى سنة ٧٩٥ وهو ذيل على طبقات الحنابلة لابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي المعروف بابن الفراء المتوفى سنة ٥١٦ وانتهى فيه الى سنة ٥١٢ وهذا الذيل وصل فيه الى سنة ٧٥٠ الموجود منه نسختان [ رقم ٦٠ و ٦١ التاريخ ] .

سيرة احمد بن طولون : تأليف ابي احمد عبد الله المدني البلوي وقال صاحب كشف الظنون انها لأحمد بن يوسف بن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ . أولها الحمد لله خالق السموات والارض وما بينهما من الآيات على حكمته الشاهدات على قدرته الخ نسخة في ٢٥٠ صفحة متوسطة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الرابع [ رقم ٢٤٢ التاريخ ] .

(١) جاء في كشف الظنون ما نصه : قيل أول من صنف لبغداد تاريخاً احمد بن طاهر البغدادي وتلاه ابو بكر احمد بن علي المعروف بالخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣ فكتب على طريقة المحدثين جمع فيه رجالها ومن ورد بها وضم اليه فوائد جمعة فصار كتاباً عظيم الحجم والنفع اه . وقد طبع التاريخ للمرة الأولى بنفقة مكتبة الخانجي بالقاهرة والمكتبة العربية ببغداد وصدر منه الى الآن ١٣ مجلداً .

- عيون التواريخ — تأليف صلاح الدين ابي عبدالله محمد بن شاكر الكندي المتوفى سنة ٧٦٤ رتبته على السنين وانتهى فيه الى سنة ٧٦٠ ابتداء بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ثم سيرة الخلفاء الراشدين وجمهور الصحابة والتابعين وتراجم رجال الحديث النبوي ومراتب رواته وطبقاتهم وتراجم الصالحين والزهاد والأعيان والشجعان والكرماء والأدياء والشعراء والمعتنين وغيرهم قسمه الى حوادث ووفيات . الموجود منه سبعة مجلدات من نسخ مختلفة .
- ( الاول ) يشتمل على سيرة النبي صلى الله عليه وسلم الى وفاته في ٣٢٠ صفحة متوسطة القطع كتب سنة ٨٨٨ بخط نسخ [رقم ٤٣ التاريخ] .
- ( الثالث ) فيه تاريخ من سنة ١٣٢ الى سنة ٢١٧ في ٤٢٠ صفحة متوسطة بخط نسخ [رقم ٤٤] .
- ( الخامس ) فيه تاريخ من سنة ١٢١ الى سنة ١٤٣ في ٢٠٠ صفحة صغيرة [رقم ٤٥] .
- ( الخامس ) ( من نسخة اقدم من المتقدمة ) فيه تاريخ من سنة ٧١ الى سنة ١٠٨ في ٢٠٠ صفحة كبيرة [رقم ٤٦] .
- ( الثاني عشر ) فيه تاريخ من سنة ٣١٠ الى سنة ٣٩٠ في ٦٠٠ صفحة متوسطة [رقم ٤٨] .
- حسني الكسم



## مطبوعات حديثة

الضياء

« مجلة تسعى في ترقية الآداب العربية »

« في لكنؤ ( الهند ) »



كلما ذاق كأس يأمن صير جاء كأس من الرجا معسول  
وهكذا شأننا في الخوف على لغتنا العربية والحذر من ان تضعف وتتخاذل امام زحف  
اللغات الاجنبية عليها وزمنة دسائسهم حوالها فليس العجب ان تنهض العربية في تونس والجزائر  
ومتراكش وانما العجب ان يسطع ضياؤها ويحقق لواؤها في بلاد الاعاجم : كانتشارها في  
امريكا بواسطة ابناء عرب وغسان من اخواننا المهاجرين وانتشارها في جزائر جاوه بواسطة  
الحضارة وكنهوضها اليوم في بلاد الهند بواسطة الفيورين من اساتذة معاهدها العلمية  
والدبئية : فقد انشأ هؤلاء الاساتذة مجلة علمية أدبية تعليمية اجتماعية ولغة الانشاء فيها هي  
لغة مضر بما عهدناه من فصاحتها وقاصع عروبتها (الاقليلا) . وان القائم بالانشاء تلك المجلة  
الاستاذ (مسعود عالم الندوي تحت إشراف الاستاذين سليمان الندوي رئيس دار المصنفين  
وتقي الدين الهلالي المغربي المراكشي) . وقولهم ( الندوي ) . نسبة الى جمعيتهم المشهورة  
في لكنؤ المسماة ( ندوة العلماء ) . وقد جاء مجمعا العلمي ثلاثة الاجزاء الأولى من تلك  
المجلة فراقنا منها أولاً ( الاخلاص ) الذي يترقق خلال سطور ما يكتب فيها .  
ثانياً ( فصاحة العبارة ) العربية التي تتجلى في ما يكتبه العلماء الهنود فيها . ثالثاً ( المقدرة  
الصحافية ) في جمع المواد وتبويبها وحسن إيرادها وجودة تنسيقها . ففي الجزء الأول  
مقالان عن النهضة العلمية في الهند من الوجهتين الدينية والدنيوية وعلاقة ذلك باللغة العربية  
التي ينظر اليها مسلمو الهند نظر تقديس وتعظيم . ومقال في فلسفة الأمثال . وآخر مناقشة مع

الأب ( لويس شينغو ) في ما كتبه عن ( شعراء النصرانية ) ومقال في شاعر الهند ( محمد إقبال ) ويظهر ان مسلمي الهند عاتبون علينا في التنويه بطاغور الهندوسي والاعجاب بشعره وشاعريته وإعراضنا عن ذكر شاعرهم ( محمد إقبال ) وترجمة اشعاره والتحدث بأخباره . ومن ثم عزموا في مجلتهم ان يترجموا من قصائده الى العربية الفصحى ويرووا لنا الفينة بعد الفينة نتفاً من آثار قلمه وبدائع حكمه . ولم يقتصروا على تقديم شاعرهم العظيم الينا بل هم بنوهون ايضاً بشاعرتهم الهندية العظيمة ( سروجني نايدو ) وقد اخبرونا ان شاعرتهم هذه قالت في شاعرهم ( إقبال ) في الحفلة التي أقيمت لتكريمه في لندره — انه ( ملك شعراء آسيا ) . ونشروا في الجزء الثاني : مقالاً متمماً عن ( كيفية انتشار الاسلام في الهند ) و ( من هو الواضع لعلم الجبر والمقابلة ) و ( تأثير الاسلام في الشعر العربي ) ( ومناهج التعليم في اللغة العربية ) وفي الجزء الثالث : ( نشأة اللغات ) و ( شقف ابي العلاء المعري بالمتنبي ) و ( المدرسة البادرانية بدمشق ) و ( احصاء المسلمين في العالم ) وغير ذلك من قطع النثر والنظم القديم والحديث الهندي والعربي ويمكن ان يقال ان الهدف الذي ترمي اليه المجلة هو ( ١ ) احياء اللغة العربية بين مسلمي الهند فتقوى على مهاجمة اللغة الانكليزية . ( ٢ ) التقريب بين الأدبين العربي والهندي وتعريف أدباء الفريقين بعضهما بعض . وهذا ان الغرضان لا يتأتان ما لم يعن بتعليم اللغة العربية في البلاد الهندية وهو امر يهتم به علماء الهند كل الاهتمام ويمشغون من تقصيرهم فيه أن يضعف الاسلام وتقوى الشعوبية وقد أعرب عما قلناه كبير علماء الاصلاح في الهند ( السيد سليمان الندوي ) في المقدمة التي افتتح بها المجلة وكان فيها بين الرجاء واليأس : فهو يرجو نهوض اللغة العربية وآدابها بسبب كثرة مدارسها في الهند ثم يعود فيظهر القنوط مذ يرى التواء طرق تعليم تلك اللغة ويحضر قومه على العناية باصلاح البرامج وحسن اختيار الاساتذة والمعلمين .

ونحنم تقرّبظنا هذا باقتباس بعض ما قاله عن المدارس التي تعلم اللغة العربية في البلاد الهندية قال : « هذه بلادنا الهند فيها نحو ثمانين مليوناً من المسلمين وفيها نحو مليون من يفهم لغة القرآن ويعرفها وان لم تكن لم قدرة على التكلم بها . وتقدر مدارسهم العربية بالف من صغارها وكبارها وطلبة العربية فيها نحو مئة الف او يزيدون : فان صقعاً واحداً من اصقاع الهند ويعرف ببلاد البنغال يضم بين جناحيه ستين الفا من طلبة العلوم العربية وثلاث مئتيها وتجد في

مدينة واحدة وهي دهلې عاصمة الهند نحو مئة مدرسة عربية بين صغيرة وكبيرة . أئراها (مدرسة جامع قنهورى) وأعمرها المدرسة الامينية . وتلقى فى مدرسة واحدة وهي المدرسة العالية فى ( دىوبند ) أكثر من ٥٠٠ طالب تدر على أكثرهم المدرسة رواتب شهرية تقى بما كلهم وملابسهم ودع دار علومنا التى قامت بتأسيسها (ندوة العلماء) بلكنؤ ففى احدثها عمراً . ولكل منها من المزايا مالا ينفى على ذي عينين « ثم قال ان هؤلاء الطلاب على أكثرتهم يكمن عن التكلم باللغة العربية وعاجزون عن الكتابة والخطابة فيها اللهم الا بابحاث سمجة فى الفقه والمنطق وأول من تنبه لترقية اللغة العربية مدرسة (دارالعلوم) التى استسها ندوة العلماء فنظمت التعليم العربى ( وألفت معجماً شرحت فيه الكلمات الدخيلة والمعرية التى لا غنى عنها فى فهم الجرائد والمجلات العربية ) . وأثرت لتعليم الآداب العربية أسانذة من العرب مثل الاستاذ ( الشيخ تقى الدين الهلال المغربى المراكشى ) . والزمت طلاب العربية بالكتابة والانشاء باللغة العربية . وقد انتقل هذا الاهتمام بالعربية الى المدارس الأخرى كدارس بنجاب والمدارس الانكليزية الرسمية وجوامع لاهور وآله آباد ولكنؤ وبنه وكلكة والكلية الشرقية بلاهور ومدرسة شمس الهدى (بنه) والمدرسة العالية (كلكتا) وخاصة (جامعة دهاكه) الانكليزية . وقد ارادت جامعتنا الاسلامية فى ( عليكره ) ان تقتنى أثر جامعة (دهاكه) فى العناية باللغة العربية فعسى ان ثمر مساعيها . واما ( الجامعة العثمانية ) بميدرا آباد ففى أكثر الجوامع اتفاقاً على فرعها العربى وعناية بمستقبل خريجيها . ثم ان الكاتب الفاضل بعد هذا الرجاء المعسول عاد فعقبه بأسف ويأس : ذلك ان اللغة الانكليزية وآدابها وصحفها تكاد تجنق العربية وتأتى على المساعى التى تبذل فى تسميها قال ( فذلك ما دعانا الى اصدار مجلة عربية دعوناها الضياء ) ثم دعا لها بالتوفيق ورجا من فضلاء بلاد العرب ان يمدوها بكل ما يحينها ويساعد على ثباتها .

وجمعنا العلمى يرحب بهذه المجلة ويياهى مجهود القائمين فيها وبهذه النهضة المباركة فى البلاد الهندية .  
المغربى

## مجلة الابحاث الشرقية

الجلد الاول ١٩٣١

Bulletin d'Etudes Orientales, Tome 1 1931

هي مجلة يصدرها باللغة الافرنسية المعهد الافرنسي في دمشق عوضاً عن مجلته السابقة .

Mélanges de la Section Scientifique des Arabisants de l'Institut  
d'Archéologie et d'Art Musulmans de Damas

وابحاثها كالسابقة : ابحاث علمية شرعية متنوعة يحررها اعضاء هذا المعهد بمؤازرة نخبة من  
علماء المشرقيات فترحب بالمجلة الجديدة وترجو لها دوام التوفيق .

جعفر الحسني

## هدايا كتب

مر في ص (٤٤٢) من مجلد هذه السنة أن قد انشئت في (حيدرآباد الدكن) من بلاد الهند  
لجنة باسم (مجلس احياء المعارف النعمانية) تعنى بنشر مصنفات أئمة المذهب الحنفي القديمة  
بما لم يطبع الى اليوم وقد طبع بعض تلك الكتب واهدت اللجنة منها الى مجموعتنا كتابين :  
(١) شرح الصدر الشهيد على كتاب النفقات للخصاف وهو الذي جمع فيه مسائل النفقة  
وجعلها على اقسام منها نفقة الوالد على ولده ونفقة الام على ولدها ونفقة الولد على الوالد ونفقة  
ذوي الارحام الخ وقد ألحق الكتاب بذييل ذكر فيه ترجمة كل من الامام الخصاف المتوفى  
سنة ٢٦١ هـ وشارح كتابه الصدر الشهيد (المتوفى سنة ٥٣٦ هـ) والكتاب لطيف الحجم  
في نحو ٥٦ صفحة وقد طبع في مطبعة (دكن لاربوت) في حيدرآباد .  
(٢) كتاب العالم والمتعلم للإمام ابي حنيفة النعمان قال صاحب (كشف الظنون)  
يشتمل هذا الكتاب على العقائد والنصائح بطريق السوال عن المتعلم والجواب عن العالم يقال  
رواه (ابو مقاتل) عن الامام الأعظم رضي الله عنه .  
وأوله (ان الحمد لله حياً لا يموت وحمداً لا يطعم الخ وهو في نحو ٣٢ صفحة وقد طبع  
في المطبعة الحيدرية في (حيدرآباد) .



وتوجد نسخة مخطوطة من (كتاب العالم والمتعلم) في دار الكتب الظاهرية كتبت حديثاً . لكن في اولها مقدمة ليست في النسخة المطبوعة المهداة اليها من لجنة الهند وقد رأينا من تمام الفائدة نشر هذه المقدمة وهذا نصها :

« قال الشيخ الامام العالم الزاهد الورع القدوة العلامة رئيس الاصحاب مجد الدين عبد الرحمن بن عمران بن احمد بن هبة الله بن محمد بن محمد بن ابي جرادة قال :

أخبرنا الشيخ الامام فخر الدين ابو القاسم اسماعيل بن عبد السلام بن عبد الرحمن اللغاني مدرس مشهد ابي حنيفة رحمة الله عليه بقراءتي عليه في مشهد ابي حنيفة بالجانب الشرقي من بغداد جبرها الله وذلك يوم السبت رابع صفر سنة ثلاث واربعين وستمائة قال أخبرنا صبح الدين ابو الحسن بن المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي بسماعه من ابي العلا حامد بن ادريس جماعة من ابي المعين ميمون بن محمد المكحولي النسفي بسماعه من ابي طاهر المهدي محمد الحسيني بسماعه من ابي يعقوب بن منصور الياري بسماعه من ابي الفضل أحمد بن علي بن عمر السليمان بسماعه من ابي سعيد حاتم بن عقيل الجوهرى بسماعه من الفتح حنيفة ابي علوان ومحمد بن يزيد بسماعهما من الحسن بن صالح عن مقاتل عن الامام ابي بن نعمان بن ثابت رحمة الله عليه قال الحمد لله حياً لا يموت الخ .

المغربي



العدد ١٣٣٩ : هـ الموافق ١٩٢١ م  
تشر في دمشق مرة في اشهر

ايلول - تشرين اول سنة ١٩٣٢ م  
الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٥١ هـ

—••••—

دمشق :  
المجمع العلمي العربي  
—«»—

قيمة الاشتراك السنوي { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
الدفع مقدماً { وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية  
في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها  
= ٣٠٠ = السادسة الى الحادية عشرة =  
في الخارج ٦٠ = الاولى الى الخامسة =  
= ٣٥٠ = السادسة الى الحادية عشرة =



# العلوم الطبيعية

عند إخوان الصفا



إخوان الصفاء هي جمعية علمية تأسست في البصرة في القرن العاشر الميلادي ، ولم يعلم على التحقيق الزمن الذي عاشت فيه ولا أسماء الأشخاص الذين تألفت منهم . لأن الذين كانوا ينتمون إلى هذه الجمعية يرمون إلى معرفة الحقيقة على حسب الطاقة البشرية وأن كتمان أعضاء هذه الجمعية ساق كثيرين إلى الزعم أن لهم غايات سياسية . ولكن إذا تصفحنا رسائلهم اقيمة التي نشروها مع كتب أسمائهم تيقنا أن الهدف الذي كانوا يرمون إليه إنما هو إحصاء العلوم في ذلك الزمن .

وان أول الباحثين في هذه الجمعية هو العلامة الألماني المستشرق ( ديتريسي ) الذي أبان فضل هذا المجمع العلمي القديم وترجم منتجباً من كتبه ولا سيما ما يتعلق بالعلوم الطبيعية . وهو أول من نشر عن جمعية إخوان الصفا أيضاً في اللغة العربية . وفي مقدمة الكتاب الذي طبع في القاهرة عام ١٩٢٨ كلمة للدكتور طه حسين والعلامة أحمد زكي باشا ، وكلاهما أشار إلى أن هذه الجمعية نشأت في القرن العاشر ، ولكنهما لم يلجأ إلى ما تحويه تلك الرسائل من الكنوز في العلوم الطبيعية .

والغرض من مراقبة الطبيعة عند هذه الجمعية هو التوصل إلى الهدف الأسمى والغاية العليا التي هي معرفة الصانع والتقرب إليه بالكمال النفسي ، وهكذا نرى إخوان الصفاء يبدأون بالعلم الأدنى إلى أن يصلوا إلى العلم الأعلى وهو العلم الآلهي .

وأكبر حامل لهم على البحث في العالم كله هو إدراك ماهية الإنسان الذي هو ثمرة الطبيعة وتاج الخليقة ، واعتقادهم أن الإنسان عالم صغير كما أن العالم إنسان كبير فيقولون ( ان



جميع السماوات السبع والأرضين وما بينهما جسم واحد بجميع أفعاله وان له نفساً واحدة سارية قواها في جميع أجزائها كسريان نفس الانسان الواحد في جميع أجزاء جسده .  
والطبيعة عندهم تنقسم الى قسمين ( الأمهات الكليات ) وهي النار والهواء والماء والأرض وثلاثة هي ( المولدات الجزئيات ) وهي الحيوان والنبات والمعادن . ويعبرون عن الطبيعة بقوة من قوى النفس الكلية المنبثة في جميع الأجسام ويجدون هناك اتسافاً في المعنى بين التعبير الشرعي للملائكة ، والتعبير الفلسفي لقوى الطبيعة وان كان هناك اختلاف في اللفظ وقوى النفس الكلية الفلكية السارية في جميع الأجسام المدماة ( الطبيعة ) تنقسم اجناس الكائنات وتصورها .

والذي يثير اعجابنا من إخوان الصفاء في مباحثهم الطبيعية هو توافق بعض نظرياتهم الطبيعية للنظريات الأوروبية الحديثة . ومن أهم هذه النظريات نظرية داروين الانكليزي في النشوء والارتقاء فنجد إخوان الصفاء كانوا يرون ايضاً ان آخر مرتبة من مراتب المعادن متصلة بأول مرتبة من مراتب النبات ، وان آخر مرتبة من مراتب النبات متصلة بأول مرتبة من مراتب الحيوان وان آخر مرتبة من مراتب الحيوان متصلة بأول مرتبة من مراتب الانسان . ومرتبات الانسان عندهم ايضاً ليست واحدة ، فمنهم الذين يسمون الى الكمال النفسي وهم في ارقى الدرجات . وان الأدنى في المرتبة خادم للاشرف ومسخر له بجسم النبات غذاء لجسم الحيوان لأنه دون رتبته ، والنفس الحيوانية مسخرة للنفس الحيوانية الناطقة . فرى هنا شيئاً من نظرية تنازع البقاء ، التي كان لها شأن في الفلسفة الأوروبية في القرن الماضي ، واكبر الداعين الى هذا المذهب هو الشاعر الفيلسوف الألماني ( نيتشه ) على ان إخوان الصفاء لا يعظمون الى هذا المذهب ونجد عدم اطمئنانهم في تلك القصة الخيالية المحكية على لسان الحيوانات التي تشتكي ظلم البشر .

وان في آخر كل مرتبة من المراتب جسماً خاصاً ، فاطراف المعادن مايلي التراب الجص وما يلي الياقوت فهو الذهب الأحمر ، لأن الياقوت كما يعتقد أكثر علماء الاحجار ارقى مرتبة من مراتب الاحجار . واما مرتبة النبات مايلي المعادن فهي خضراء الدمن . وارقى انواع النبات الفل . اما رتبة الحيوانية التي تلي رتبة الانسانية فليست من جهة واحدة ، ولكن من عدة وجوه ؛ لأن رتبة الانسان لما كانت معدناً للفضل وينبوعاً للنقاب لم يستوعبها

نوع واحد من الحيوانات وإنما استوعبتها عدة أنواع فمنها ما قارب رتبة الانسانية بصورة جسدية مثل القرد ، ومنها ما قاربه بالاخلاق النفسانية كالفرس ومنها كالطائر الانساني ايضاً ومثل الفيل في ذكائه والبيغاء والهزار ونحوهما من الاطيار الكثيرة الاصوات والالوان ، ومنها النحل اللطيف الصنائع الى ما شا كل هذه الاجناس ؛ وذلك انه ما من حيوان يستخدمه الناس ويأمنون به الا ولنفسه قرب من نفس الانسان . على اننا نجد عند غير العلماء كابن خلدون والبيروني ان آخر مرتبة الحيوان المتصلة بالانسان هي القردة فقط <sup>(١)</sup> :  
 اما رأي اخوان الصفاء في المادة فيوافق كل الموافقة ذلك العالم الافرنسي الكبير لافوازيه Lavoisier القائل ليس في الطبيعة شيء يحصل من العدم ولا شيء ينعدم ، اذ يقولون : «الكون والفساد ضدان لا يجتمعان في زمن واحد ؛ لأن الكون حصول الصورة في الهولي والفساد هو انحلالها عنه ، فاذا فسد شيء منها فلا بد ان يتكون شيء آخر . لأن الهولي اذا انتزعت منها صورة البست أخرى ؛ فان كانت التي البست أخرى اشرف سمي كوناً ، وان كانت ادون سمي فساداً ؛ مثال ذلك : ان يصير التراب والماء نباتاً ويصير النبات حباً وثماراً ، والثمار والحب يصيران غذاء ، والغذاء يصير دماً ولحماً وعظماً فيكون من ذلك حيوان . والفساد ان يحترق النبات فيصير رماداً ، او يموت الحيوان فيصير تراباً . ويظنون ان علل كل ما يحدث في الطبيعة اربعة : علة فاعلة ، وعلة هيولانية ، وعلة تامة ، فاعلة الفاعلة الطبيعة التي اشرت اليها سابقاً . واما العلة الهيولانية لها ، فهي الزئبق والكبريت . وعلى قدر اختلاف هذين الجسمين تحصل المعادن المختلفة . وقد زعم جابر ابن حيان الكياوي ذو الشهرة الواسعة في تاريخ الكيمياء ؛ ان العناصر مركبة من جوهرين اثنين ، ذكر وأنثى ، جسد وروح ، احمر وابيض ، طائر وثابت ، ارض وماء ، كبريت وزئبق <sup>(٢)</sup> . وهذا المثل يطابق كل المطابقة تقسيم العناصر على الطريقة الكهربائية الحديثة المعبر عنها بالكاثيون Kasion والانيون Aniod .

(١) راجع مقدمة ابن خلدون — بيروت ١٨٨٦ ص ٨٤ .

(٢) راجع المصنفات في علم الكيمياء للحكيم جابر بن حيان الصوفي ، نشره ارك ميحي هوليارد باريس ١٩٢٨ ص ٥٣ . ومن الذين عيشوا الزمن الذي عاش فيه هذا العالم الاستاذ روسكا والدكتور كراوز في برلين .

ولا إخوان الصفاء آراء صائبة في كثير من حوادث الطبيعة . في عصر لم يكده يعرف البحث البشري عنها الا الشيء القليل . فقدم بصفون المطر ، والصاعقة ، وكيفية تكون المعادن ، والمد والجزر ، والينابيع الارتوازية ، وكيفية تجمع مياه الأنهار ومسيرها الى البحر ، وكثير من التديقات الجيولوجية . فيقولون عن المطر انه من تصاعد البخارات ومن أحب ان يعلم صدق قولنا ويتصور كيفية وصفنا . . . . . فليتنظر الى تصعيدات المياه وتقطيرها وكيف يعمل منها أصحابها ، مثل تصعيد ماء الورد والخل المصعد وماشا كلها ، ومثل البخارات الصاعدة في بيوت الحمامات وكيفية تقطير الماء من سقوفها .

ولقد لفتت نظر الاستاذ روسكا كيفية تكون البراري لدى إخوان الصفاء حيث يجد فيها الانسان أساس النظرات الجيولوجية الحديثة <sup>(١)</sup> فقدم يقولون : « ان الأرض بجميع ما عليها من البحار والجبال والبراري والأنهار والعمران والخراب هي كرة واحدة معلقة في الهواء في مركز العالم . . . . . فمنها مواضع براري وفلوات وخراب . ومنها مواضع الجبال والتلال والارتفاع والانخفاض ، ومنها مواضع المراعي والقرى والمدن والعمران . . . . . وان هذه الأرض تتغير وتبدل على طول الدهر والأزمان وتصير مواضع الجبال براري وفلوات ، وتصير مواضع البراري بحاراً وغدراناً وانهاراً ، وبصير مواضع البحار جبلاً وتلالاً وسباحاً وأجاماً ورمالاً ، وتصير مواضع العمران خراباً ، ومواضع الخراب عمراناً . . . . . وان البحار هي كالمستنقعات على وجه الأرض ، فان الجبال منها بالمسنوات والبريدات لها لتفصل البحار بعضها من بعض ولئلا يكون وجه الأرض كله مغطى بالماء . وذلك انه لو لم تكن الجبال على وجه الأرض وكانت وجهها مستديراً لمسا لكانت مياه البحار تنبسط على وجهها فتغطيها من جميع جهاتها . . . . . وكانت وجه الأرض كله بحراً واحداً . . . . . وان الأودية كلها تبثدي من الجبال والتلال وتر في مسيلها وجريانها نحو البحار والآجام والغدران . وان الجبال من شدة إشراق الشمس والقمر والكواكب عليها بطول الأزمان والدهور تنشف رطوبتها وتزداد جفافاً ويبساً ، وتنقطع وتنكسر ، وتصير أحجاراً أو صخوراً أو حصى ورمالاً . ثم ان الأمطار والسيول تخط تلك الصخور

(١) راجع Isis عام ١٩١٤ و ص ٣٤٥ .



والرمال الى بطون الأودية والأنهار ، ويحمل ذلك شدة جريانها الى البحار والغدران والآجام . وان البحار لشدة أمواجها وشدة اضطرابها وفورانها تبسط تلك الرمال والطين والحصى في قعرها سافاً على ساف بطول الزمان والدهور ، ويتلبد بعضها فوق بعض ، وينعقد وينبت في قعور البحار جبالاً وتلالاً كما تتلبد من هبوب الرياح دعاص الرمال في البراري والقفار . . . . . وكما انطمت قعور البحار من هذه الجبال والتلال التي ذكرناها انها تنبت قات الماء يرتفع ويطلب الاتساع وينبسط على سواحلها نحو البراري والقفار وينطيمها الماء ، فلا يزال ذلك دأبه بطول الزمان حتى تصير مواضع البراري بحاراً ، ومواضع البحار ييساً وقفاراً ، وهكذا لا تزال الجبال تنكسر وتصير أحجاراً وحصى ورمالاً تحطها سيول الأمطار وتحملها الى الأودية والأنهار يجريانها حتى البحار ، وتنعقد هناك كما وصفنا ، وتختض الجبال الشامخة وتنقص حتى تستوي مع وجه الارض ، وهكذا لا يزال ذلك الطين والرمال تنبسط في قعر البحار وتتلبد وتنبت عنها التلال والروابي والجبال ، وينضب من ذلك المكان الماء حتى تظهر تلك الجبال وتتكشف هذه التلال ، وتصير جزائر وبراري ويصير ما يبقى من الماء في وهادها وقعورها بحيرات وآجاماً وغدراناً . . . . . فلا تزال السيول تحمل الى هناك الطين والرمال والوحول حتى تجف تلك المواضع وتنبت هناك الأشجار . . . ثم يقصدها الناس . . . . . وتصير مواضع الزروع والنبات بلداناً وقرى يسكنها الناس .»

ويعلمون حرارة بعض العيون في الشتاء والصيف على حالة واحدة بان في باطن الارض وكهوف الجبال مواضع تربتها كبريتية فتصير تلك الرطوبات التي تنصب هناك دهنية ، ويكون الحرارة فيها راسية دائماً هناك وجوازها عليها ، ثم تخرج وتجري على وجه الارض وهي حارة حامية .

وقد ذكروا ايضاً كيفية حدوث البرق والرعد فقالوا انها يحدثان من اجتماع بخارين مختلفين بالكيفية ويسمون الاول البخار الرطب والثاني البخار اليابس حتى كادوا يقولون « مثبت ومنفي » . وبما انهم يعلمون كل حادثة من حوادث الطبيعة بمقتضى الامثال التي يرونها فيعملون مثلاً حدوث تلك ( القرقة ) باجتماع البخار الرطب باليابس كما تفرقع الأشياء الرطبة دفعة واحدة اذا احوت عليها النار ، ولقد علموا بان البرق والرعد يحدثان



في وقت واحد ولكن البرق يصل الى الأبصار قبل الصوت الى المسامع .  
ولقد تكلموا عن قوس قزح بأنه يحدث في سمك كرة النسيم عند تزلزل الهواء وان  
أصباغه الاربعة موافقة للكيفيات الاربعة التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ،  
والأركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض المعروفة في عهد قدماء اليونان .  
ولقد ذكروا أيضاً ان علة حدوث قوس قزح لا يفهمها الا المرتاضون بالاشكال الهندسية  
والامور الطبيعية والنسب التأليفية .

ولم نظربات في الألوان ؛ فان الألوان المفردة لديهم هي البياض والسواد والحمرة  
والصفرة والخضرة والزرقة والكدرية . ولحدوث كل لون أسباب عديدة . فالاشياء التي  
ترى بيضاء اما لأن النور محبوس فيها لغلبة الرطوبة كاللبن ، او لأن النور موج  
فيها لكثرة التخلخل كالمالح ، او لأن النور محبوس فيها كالفضة . والنور يرى من وراء  
الاجسام الشفافة أبيض فان عرض له عارض يرى أصفر . . . ومنها ما يرى أصفر لأن  
الحرارة تسد مسامها ، كالاشياء البيضاء اذا طبخت اصفرت . وطلة رؤية الاشياء حمراء  
شيئان : احدهما الأسباب المعفونات ، والآخر الاسباب المذوبات ، فالمعفونات لكثرة  
الرطوبة ، والمذوبات لكثرة الحرارة ؛ كالشمس تراها حمراء عند كثرة البخارات .  
والأثمار ترى حمراء عند النضج لكثرة الرطوبة ، والخضرة والسواد يحدثان من منع  
النور ان يصير الى البصر خالها ، فالسواد يجمع الألوان والبياض يفرقه وبقيّة الألوان  
هي بين هذين الطرفين (١) .

لقد ذكرنا انهم يقسمون الطبيعة الى ثلاثة أقسام : معادن وحيوانات ونباتات ،  
ويسعون جهدهم في تقسيم كل فرع من الفروع على أسلوب خاص ، ويعتقدون ان لكل  
نوع من الجواهر المعدنية بقعة مخصوصة وتربة معروفة لا يتكون الا هناك كالذهب فانه  
لا يتكون الا في البراري الرملية والجبال والاحجار المختلطة بالتربة اللينة ، والكبريت

(١) نظرية الألوان لعبت دوراً عظيماً في اوربا ولقد كتب الشاعر غوته شيئاً عن  
تاريخ علم الألوان وكتب نشرت كلمة في هذا الصدد في مجلة المعرفة ( القاهرة ابريل ١٩٣٢ )  
بمناسبة مرور مائة عام على وفاة غوته .

لا يتكون الا في الاراضي الندية والرطوبات الدهنية والقلقطار<sup>(١)</sup> ، والأملح لا تنعقد الا في الارض السبخة والبقياع المشروجة والحص ، والاسفيداج لا يتكون الا في الارض الرملية المختلط ترايبها بالحصى والزاجات ، والشبوب لا تتكون الا في التربة الغضة القشفة وعلى هذا القياس حكم سائر أنواع الجواهر المعدنية . ولقد ذكرنا ايضاً ان لنضج المعدن لابد من مرور زمن مخصوص ، فالملح يحتاج الى زمن قليل ولكن الياقوت والزمرد يحتاج الى زمن كثير وكذلك الذهب . . الخ .

وعرفوا النبات : بانه كل جسم يخرج من الارض ويتغذى وينمو ، فمنها أشجار تغرس قضبانها أو عروقها ، ومنها ماهي زروع تبذر حبوبها أو قضبانها . ولحصول الافعال الحنبوية في النبات اتقضى وجود قوى عديدة مثل الجاذبة والماشكة والدافعة . ويعملون كيفية امتصاص غذاء النبات بما يلي : ان القوة الجاذبة اذا امتصت نداوة الماء بعروق النبات كما يمتص الحجام الدم بالحجمة أو كما تمتص النار الدهن بالفتيلة وجذبتها انجذبت معها لأجزاء الترابية اللطيفة لشدة انجذابها . فوجد هذا التدقيق موافق كل الموافقة لرأي الاوريين . وقد كانت نظرية الامتصاص غالبية حتى ظهور الانحلال الضغطي المعبر عنه ( Osmose ) ويقسمون النباتات بطرق مختلفة : فأولاً الشجر الكامل الذي يحتوي على الأصل والعروق والقضبان والورق والثمر والصحف ، ثم الناقص ، ثم الشجر المنتصب ، والشجر الذي ينبت على وجه الارض والذي ينبت على وجه الماء كالطحلب ، وما ينبت تحت الماء كالأرز وقصب السكر . وكذلك النجم وهو الشجر الذي يتسلق على الأخشاب كالكرم . ويقسمون ايضاً النبات على حسب المكان فيذكرون نبات البلاد الحارة ، والمعتدلة والباردة . ويعبرون عن الحيوان بانه جسم متحرك حساس يتغذى وينمو ويحس ويتحرك حركة مكان . وان من الحيوانات ماهو في أشرف المراتب مما يلي مراتب الانسان . . . ومنه ماهو في أدنى رتبة مما يلي النبات . وهو كل حيوان ليس له الا حاسة اللمس كالأصداف أو كأجناس الديدان التي تتكون في الطين أو في الماء أو في الخلل أو في الثلج أو في لب

(١) القلقطار هو تعبير يوناني معناه الزاج الأصفر وتركيبه الكيماوي كبريتات

الثمر أو في الحب أو في لب النبات ، حتى كادوا يتكلمون عن الجراثيم . ويقسمون الحيوانات على حسب الحواس الخمس : فإن منها ماله لمس فقط كالديدان المذكورة ومنها ماله لمس وذوق كالحيوانات التي تعيش في قعر البحار والمياه والمواضع المظلمة ومنها ماله لمس وذوق وشم وسمع والاكمل من له الحواس الخمس . ويقسمون الحيوانات على حسب السير ايضاً : فمنه ما يتدحرج كالودودة ، ومنه ما ينساب كالحية ، ومنه ما يدب كالعقرب ومنه ما يمشي كالنمل ، ومنه ما يطير كالطيور . . . الخ . وكذلك يقسمون الحيوانات من جهة البنية .

وان أسمى غاية لديهم هي الاعتبار ومعرفة دقيق صنع الباري فيقولون : « ان أكثر الناس يتعجبون من خلقة الفيل أكثر من تعجبهم من خلقة البقرة . فان الصانع البشري يقدر على ان يصور فيلاً من الخشب او من الحديد او من غيرها بكماله ، ولا يقدر احد من الصانع ان يصور بقرة لا من الخشب ولا من الحديد » . ولقد ضربوا مثلاً لفكرة القيامة بفرخة الدجاج التي تخرج من البيضة . وانها اعجب من خروج الناس من قبورهم يوم القيامة لولا جريان العادة بذلك ، فيريدون بذلك عدم المرور ( مروراً سطحياً ) على كل ما شاهدوه من الطبيعة .

دقق عدد كبير من الباحثين الأوربيين في اخبار اخوان الصفا ومحصول علمهم وفلسفتهم ومراهمهم من كل الوجوه . ولاخوان الصفاء علاقة شديدة بالفلسفة اليونانية فهم متأثرون بأراء ( الافلاطونية ) الجديدة وكذلك بأراء ارسطوطاليس . ولم يعلم السبب في ذلك حتى هذا اليوم . وهناك اسئلة جمة عن اخوان الصفاء لا تزال غامضة حتى يومنا هذا .

برلين : محمد يحيى الهاشمي

## الكلمة الأخيرة .

— في الكلمات غير القاموسية —

« او فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصنافها السبعة »

[ تمهيد الطريق امام المعجم العتيد ]



كنت صنف الكلمات غير القاموسية ( وهي التي لم تدون في قواميس اللغة العربية ) — الى اصناف سبعة وطلبت رأي إخواني اعضاء المجمع العلمي في أي الاصناف ينبغي قبوله وعده عريباً وتدوينه في المعجم العتيد وأي الاصناف لا يجوز فيه ذلك . وقد افرغت طلبي في شكل استفتاء أو اقتراح نشر في مجلة بجمعنا العلمي ( ص ٢٩ مجلد ٨ ) فكانت اجوبة الاعضاء ترد تباعاً حتى بلغت ١٨ جواباً نشر منها ١٣ في المجلد الثامن وه في المجلد التاسع . وقد رأيت الآن ان ارجع الى هذه الأجوبة فأخضها واستخرج منها زبدة يصح الركون اليها بحيث تكون بمثابة ( قرار قطعي ) واجب التنفيذ . وقد جربت في استخراج النتيجة على طريقة جمع الآراء والاصوات في كل صنف على حدة ثم المقارنة بينها وترجيح ما رجحته الأكثرية ايجاباً أو سلباً في كل صنف من تلك الأصناف .

و كنت وانا أنصف اجوبة المجيبين أرى أكثرهم يوجب على السؤال نفسه بحيث يمكن اقتباس عبارته فانتبسها بنصها بين هلالين وبعضهم يسهب ويستطرد فاضطر ان اخلص جوابه بقدر ما يفهم منه رأيه . وكان بعض المجيبين يقيد جوابه بشروط ( او تحفظات ) وبعضهم يطلق القول اطلاقاً . وكثيراً ما ناقض بعضهم زميله وخالفه في بعض ما ذهب اليه . مثال ذلك ان بعضهم اباح استعمال فعل ( خابر ) للحاجة اليه وبعضهم منعه لعدم الحاجة اليه ومثله كثير في أجوبتهم .



وهذه (التحفظات) أو (الاختلافات) لو فُتحتُ باب الاستفتاء فيها أو الاقتراع عليها ودعوت الاخوان للولوج فيه لطال الأمر . وبقينا في الاخذ والرد الى يوم الحشر .  
 على أن بعض هذه « التحفظات » ربما كان مما يوافق عليه بقية المحبين لكنهم أهملوا التعرض له في اجوبتهم حباً بالاختصار او تجنباً للعبث . وسأشير الى هذه التحفظات في محلها .  
 وها انا ابدأ بتلخيص ما كنت قلته في كل صنف على حدة ثم اتبعه بعبارة المحيب (بنصها أو تلخيصها) حتى اذا استوفيت اجوبتهم في صنف انتقلت الى الصنف الذي بعده .  
 وهكذا الى آخر الاصناف السبعة .

### « الصنف الأول »

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب ولم تدونها المعاجم . وقد مثلت لهذا الصنف بكلمة ( تبدى ) بمعنى ( ظهر ) الواردة في شعر عمرو بن معدى كرب فهل نهمل مثل هذا الصنف من الكلمات فلا نستعمله ولا ندونه ؟ او نستعمله وندونه ؟  
 فاجاب الاساتذة :

- ١ — الرصافي « مجلد ٨ ص ٢٢ » ( نستعمله ولو ذكره الجامدون ) .
- ٢ — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » ( كل لغوي يوافق على تدوينه ) .
- ٣ — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( يجب ان يردع المعجم ويعد عربياً محضاً ) .
- ٤ — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » ( ما شاع على السنة الفصحاء من الكلمات « غير القاموسية » وكان له اصل في السماع — قبلناه ) .
- ٥ — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( نوافق في صحة استعماله ) .
- ٦ — كامل النزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » ( يجوز عندي استعماله بلا تردد ) .
- ٧ — تقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » ( كيف نبخل على لغتنا بلفظ عربي لعلنا انه لم يرد في القاموس ؟ ) .
- ٨ — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » ( لا يجوز التردد في قبوله ) .
- ٩ — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » ( أقول بصحته ) .
- ١٠ — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » ( يجب ان نضمه ) .

- ١١ - قسطاكي حمصي «مجلد ٩ ص ١٧٦» (أنا من أشد المتسكين به واسبق انصاره) .
- ١٢ - عيسى العلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» (لا بأس باستعماله) .
- ١٣ - سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» (يجوز استعماله) .
- ١٤ - الاسكندري «مجلد ٨ ص ١٠٤» - (تقبله على الرأس والعين بشرط ان يرد في شعر فصيح او ثر اشتهر كثر الأمثال) .
- أقول : هذا الشرط او هذا التحفظ ليس فيه سوي زيادة الاشتقاق من كوث كلمات هذا الصنف فصيحة .
- ١٥ - الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» - قال ما ملخصه : ( ما لم يدون ولم يشع استعماله ليس من اللغة في شيء ويستثنى من ذلك ما كان مشتقا تقضي قاعدة الاشتقاق بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له) .
- أقول : ومؤدي ( التحفظ ) في هذا الجواب ان تكون كلمات هذا الصنف مما تقتضيه قواعد الاشتقاق لا مما يناقض القواعد ويشذ عنها .
- ١٦ - احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» - ( أدخل منه في المعاجم ما نحن في حاجة اليه فقط ) .
- أقول هذا ( التحفظ ) يشبه التحفظ الآتي في جواب الاستاذ النكدي .
- ١٧ - النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» - لم يكن جوابه مريحا في حكم كل كلمة عربية وردت في فصيح كلام العرب . وانما هو اقتصر على كلمة ( تبدى ) التي ذكرناها مثالا .
- وقلنا ان معناها ظهر فقال انه لا حاجة لنا بها مادام قد ورد في لغة العرب (٢٤) كلمة كلها تدل على معنى الظهور ورأيه ان لا يكون في لغتنا العربية اليوم كلمات مترادفة : فالاستاذ احمد امين قال ( تقبل من هذا الصنف ما يحتاج اليه ) وكأن الاستاذ النكدي يوضح لنا في جوابه معنى هذا الاحتياج فهو يقول ان لفعل ( تبدى ) مرادفات كثيرة فلا حاجة بنا اليه .
- فنستنتج من قولي الاشتاذين ان هذا الصنف من الكلمات غير القاموسية تقبله اذا لم يكن له مرادف لاننا اذا ذاك نكون في حاجة اليه . والا فلا .
- ١٨ - ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» - لم يبحث حضرة المجيب في اصل القاعدة وانما بحث في المثال اعني كلمة ( تبدى ) الواردة في شعر عمرو بن معدى كرب فمأقاله

( لا أرى أن مجرد استعمال هذا الفصيح البدوي المخضرم ( يعني عمرو بن معدى كرب ) لفعل ( تبدى ) يحسب حجة لصحته ولو لمنا أن نقرر كل ما نطق به عربي جاهلي فصيح — لوجب أن لا ننكر شيئاً من فلتات كلام القوم الكثيرة المخالفة لما عليه جمهور المحققين اهـ .

فنتنتج من قول المجيب أنه يرفض قبول هذا الصنف ويحسبه من قبيل الفلتات أو الشواذ ما دامت المعاجم لم تذكره .  
انتهى استعراض الأجوبة الثمانية عشر فكان منها « ١٧ » جواباً وافقت على قبول هذا الصنف . وجواب واحد « ادور مرقص » رفض قبوله .  
فالفتوى إذن على قبوله ، فنستعمل كلماته من دون تكبير ونودعها متجمنا للغوي العتيد من دون حرج .

### « الصنف الثاني »

كلمات عربية وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين الذين لا يحتج بأقوالهم كفعل ( أقص ) الخبر بمعنى ( قصه ) الوارد في قول المؤرخ ( الطبري ) وكلمتي ( نعيم ) و ( صدفة ) في قول العلامتين ( البازجي ) و ( محمد عبده ) .  
فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتستعمل وتدون أو لا ؟  
فاجاب الأساتذة :

١ — الرضا في « جلد ٨ ص ٣٢ » — « أوافق على جواز استعمال هذا الصنف بلا تردد » .

٢ — النشاشيبي « جلد ٨ ص ٢٨٥ » ( هذا الصنف اخو الصنف الأول فيجب أن يودع المجمع ويعد عربياً محضاً ) .

٣ — كامل الغزي « جلد ٨ ص ٤٨٠ » — قال ما ملخصه : ( لا أرى بأساً في استعمال ( أقص ) و ( صدفة ) فان كلاهما من الطبري والشيخ محمد عبده ثقة ، ولا في استعمال كلمة ( نعيم ) التي أقرها ( البازجي ) لان القياس لا يأبأها ) اهـ . فنتنتج من كلام الأستاذ أن كلمات هذا الصنف تقبل وتعد عربية ما دام قائلوها ثقة وما دامت موافقة للقياس .

(٤) — تقولاً فياض «جلد ٨ ص ٥٦٠» — (ان الألفاظ الشائعة السخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب عنها) .

أقول : عبارة المحيب صريحة في قبول كلمات هذا الصنف وبقية الاصناف حتى الصنف السابع وهو «العامي» لكنه اشترط ان لا نجد ما ينوب من باب الالفاظ السخيلة .

(٥) — الزهاوي «جلد ٨ ص ٦٨٦» (لا يجوز التردد في قبوله ايضاً) .

(٦) — احمد رضا «جلد ٩ ص ٥٨» — قال ما ملخصه (ان ورود أمثال كلمات هذا الصنف في كلام أئمة اللغة يُنزَل منزلة التنصيص على نقلهم لها وهم لا يقدمون على استعمال ما لم يروه صحيحاً سائغاً) .

(٧) — قسطنطين حمصي «جلد ٩ ص ١٧٦» (أنا ايضاً من أشد أنصار هذا الصنف) ثم حدد زمن الفصحاء الذين ورد هذا الصنف في كلامهم حتى يكون مقبولاً — بالقرن السادس او السابع الاسلامي .

(٨) — عيسى المملوك «جلد ٩ ص ٣٥٥» قال ما معناه «التسادل في اللغة يقتضي قبول كلمات المولدين والمعاصرين فضلاً عن كلمة «نخيم» التي اقراها العلامة البازجي .

(٩) — الكرملي «جلد ٨ ص ١٠٢» (كلم فصحاء العرب الاسلاميين تدون ايضاً) ثم قال ان كلمتي (نخيم) و (صدقة) الواردتين في قولي (البازجي) و (محمد عبده) ليستا من هذا الصنف ؟ ؟

(١٠) — احمد امين «جلد ٨ ص ٣٥» (ندخل في المعاجم ما نحن في حاجة اليه فقط) .

أقول : هذا الفاضل والفضلاء الخمسة الآتون شددوا في الشروط والتحفظات لكنهم بوجه الاجمال أجازوا كلمات هذا الصنف . وما يدرينا ان معظم المحبين الاولين الذين اطلقوا ولم يقيدوا — يوافقونهم في تحفظاتهم هذه ؟

(١١) — الفلايبي «جلد ٨ ص ٣٥٩» — قال أولاً ما ملخصه : (كلمات الفصحاء الاسلاميين لا تقبلها ما دامت محتملة لان تكون محرفة) ثم قال ما نصه :  
واما «صدقة» (وهي الواردة في كلام الأستاذ الامام) فأرى «ان شيوعها كاف لان يحملنا على قبولها وعدّها اسماً بمعنى المصادفة كنظائرها الكثيرة اهـ» .



أقول : لنا ان نستنتج من مجموع جواب الأستاذ ان كلمات هذا الصنف ان وثقنا بعدم تحريفها وشاعت حتى أنسنا بها قبلناها والا فلا .

(١٢) — الاسكندري « جلد ٨ ص ١٠٤ » — قال ما ملخصه : ( تقبل ماورد في كلام الفصحاء الاسلاميين الاقدمين كأبي نواس والمتنبي\* لامن جاء بعدم . الا اذا وافق القياس ) والمتنبي\* قتل سنة ( ٨٣٥٤ ) .

(١٣) — الجابري « جلد ٨ ص ٣٦١ » — مخرج جوابه على هذا الصنف مع جوابه على الصنف الاول الذي مر فقال ما ملخصه : ( مالم يدون ولم يشع استعماله ليس من اللغة العربية في شيء . ويستثنى من ذلك ما كان مشتقاً تقضي القاعدة بجوازه وقد روي استعمال بعض العرب له اي العرب الذين يؤمن لحنهم ) .

وأطلق المجيب في هؤلاء ( العرب ) فلهذا يريد بهم ما أراده ( الاسكندري ) اعني الجاهليين الاسلاميين حتى عهد المتنبي\* .

(١٤) — النكدي « جلد ٨ ص ٥٩٢ » — لم يكن كلام الأستاذ النكدي ايضاً صريحاً في كلمات هذا الصنف وانما عمد الى المثال اعني كلمة ( اقص ) الواردة في كلام الطبري فقال انها معرفة ولو فرضنا عدم تحريفها لا حاجة لنا بها لوجود ما ينوب منهاها وهو ( قص ) وكذا ( فخم ) و ( صدقة ) تقوم مقامها ( فخم ) و ( مصادفة ) .

اقول وهذا من الأستاذ النكدي مبني على رأيه في وجوب الناء الترادف او تضيق دائرته والافتصار من الكلمات المتردفة على افصحها . ويمكن تلخيص جوابه على كلمات هذا الصنف بانه يقبل الموثوق بصحته وما نحن في حاجة اليه منها .

(١٥) — رشيد بقدونس « جلد ٩ ص ١٠٣ » — قال ما ملخصه : ( تقبله بشرط صحته وعدم وجود اخف منه في مادته ) فعلى هذا لا يكون فعل « اقص » مقبولا لديه وان صح نقله عن « الطبري » لانه يوجد في مادته فعل ( قص ) الثلاثي وهو أخف منه طبعاً . وقد بقي ثلاثة من المحييين رفضوا قبول هذا الصنف رفضاً باتاً وهم :

١٦ — محمد الخضر « جلد ٨ ص ٤١٠ » — قال ما ملخصه : ( ماورد من هذا الصنف عن العرب الاسلاميين اما محرف أو هو خطأ وقبوله فوضى في اللغة .

١٧ — سليمان ضاهر « جلد ٩ ص ٤٨٤ » ( لا يجوز اقص الخبر رباعياً بمعنى قصه

ثلاثياً لعدم النص عليه في المعاجم . أقول : فيستنتج من كلامه ان ما لم تذكره المعاجم من كلمات الاسلاميين لا يجوز استعماله بخلاف الجاهليين كما مر في جوابه على الصنف الاول .  
 ١٨ — أدوار مرقص « جلد ٨ ص ٧٤٠ » — ( اذا لم يصح لنا اتخاذ فصحاء الجاهليين حجة فكيف يصح اتخاذ من بعدهم كالطبري ؟ ) .  
 انتهت الاجوبة على كلمات الصنف الثاني : فكان من المحبين ثلاثة رفضوا قبولها و ١٥ منهم قبلوها وبعض هؤلاء اشترطوا وتحفظوا . ولا يضر هذا في قبولهم . فيصح لنا إذن أن نعلن ان الاكثرية أفتت بجواز استعمال كل كلمة وردت في كلام فصحاء العرب الاسلاميين وجواز تدوينها في معجمنا المنتظر .

### « الصنف الثالث »

الكلمات العربية الاصطلاحية التي وآدها رجال العلوم والفنون والصناعات ولا يعرفها اهل اللسان كقولهم ( ميزانية ) ( كيفية ) ( كمية ) ( هيئة المحكمة ) ( انعقدت الجلسة ) ( تعريفه الرسوم ) في نظير ذلك .  
 فهل تقبل كلمات هذا الصنف وتدون في المعجم او لا ؟  
 فأجاب الاساتذة :

- ١ — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( ان الذي يمنع جواز استعمال هذا الصنف عليه ان يمنع اولاً : المصطلحات التي اصطلح عليها علماء الاسلام قديماً الخ ) يعني والمصطلحات القديمة قبلها اسلافنا من دون نكير قالوا يجب علينا قبول هذه المصطلحات من دون نكير .
- ٢ — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » ( ارى جواز ادخال كلمات هذا الصنف في القواميس كذلك ) اي بشرط الحاجة اليه كما مر اشتراط ذلك في الصنفين الاولين .
- ٣ — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » ( تقبل هذا الصنف بصدور رجب ١٠٠٠ وهو عمدتنا وملجونا في تنمية اللغة . . . وفي رأبي انه يقتينا عن كل دخیل ) لكن اشترط الأستاذ ان تجري هذه المصطلحات على قواعد الاشتقاق والمجاز والنسب المقررة في اللغة العربية .
- ٤ — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( هذا الصنف كالصنفين الاولين يجب ان يودع المعجم ويعد عربياً محضاً ) .

- ٥ — محمد الخضر : « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( هذا الصنف مثله تؤسس المجامع اللغوية ومعارضته إمانة للغة لكن يشترط فيه ان يجي على القياس ) .
- ٦ — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » — كلمات هذا الصنف ( نعتبرها عربية ونستعملها كما نستعمل الكلمات العربية ) . ( أقول : لكن الأستاذ اشترط في الكلمات المركبة مثل ( ملتزم الاغشار ) و ( مفتش العدلية ) ان يستبدل بالمفلوط منها غيرها ان امكن .
- ٧ — نقولا فياض : « مجلد ٨ ص ٥٦ » جواب الأستاذ على هذا الصنف بجوابه على الصنف الثاني فقد قال : ( ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب منها ) وقد قلنا هناك ان اطلاقه هذا يشمل الدخيل بجميع اصنافه حتى العامي منها لكن بشرط الحاجة اليه .
- ٨ — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » قال في هذا الصنف كما قال في اخويه : ( لا يجوز التردد في قبوله ) .
- ٩ — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » — ( هو صحيح واستعماله صحيح بلا مناقشة ) .
- ١٠ — قسطنطين حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » ( لا أدافع فيه لكثرة فشوه على الاقلام ) .
- ١١ — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » ( يلزم الترخيص باستعماله ) ثم استشهد الأستاذ بقول ابن ابي الحديد وهو ( قد استعملت . . . الفاظ القوم من متكلمين وحكام مع علمي بان العربية لا تميزها مثل المحسوسات ) و ( الصفات الذاتية ) و ( الجسمانيات ) ولكنني استعجيت بتعديل الفاظهم . وتغيير عباراتهم . فمن كالم قوماً كلمهم باصطلاحهم اه . »
- ١٢ — عيسى المفلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » ( ما أمكن إيجاد مقابل له في القديم يكون استعماله أولى ) ويعني الأستاذ بالقديم اصطلاحات العرب في عهد حضارتهم فاذا وجدنا لم اصطلاحاً علمياً أو صناعياً أو حكومياً استعملناه وأهملنا الاصطلاح الحديث والا فلا .
- ١٣ — أدور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » أبان الأستاذ وجه الحاجة الى قبول كلمات هذا الصنف وقد اعتبرها بما وضعه العرب وإنما نحن نقلناها الى معنى مصطلح جديد . ثم قال مانصه : « ولكن ينبغي لنا ان نحرص على وضوح العلاقة بين الموضوع له والمعنى المنقول اليه وعلى اتباع الأوزان والأساليب الغالبة على لغتنا الفصحى » .



(١٤) — رشيد بقدونس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (ان وجدنا في اللغة العربية لفظا افصح منه بحيث يؤدي معناه استغني عنه والا استعمل) .

(١٥) — الغلاييني «مجلد ٨ ص ٣٥٩» (الميزانية والكيفية والكيفية من الكلمات المألوفة والاخيرتان من الكلمات العلمية التي استعملها الجدود قديما ومثل ذلك لا يجوز ان يصادم) فالجيب بفتح يجوز استعمال المصطلحات لكنه يشترط ان لا يكون في اللغة العربية كلمات البق منها .

(١٦) — النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» انهب في تحليل الكلمات التي ذكرتها مثالا لهذا الصنف : فجعل بعضها من العربي الفصح المقبول من دون نكير وجعل بعضها مما لا حاجة لنا به لوجود ما يسد مسده ثم قال ما نصه : (واما كلمة الرسوم «في قولهم تعريفة الرسوم» — وان كانت نسبتها اللغوية غير متصلة بين معناها الوضعي وما اصطلحت على استعمالها له الحكومة — فقد راجت واشتهرت وكلمة «الخرج» لا تسد مسدها فلا بأس من النظر فيها ثم اقرارها اه) فرأيه اذن في هذا الصنف قبوله واقاراه بشرط ان يروج ويشتهر ولا يوجد في الفصح ما يسد مسده كما هو الحال في كلمة «رسوم» .

(١٧) — الكرمل «مجلد ٨ ص ١٠٢» يرى وجوب غلبة كلمات هذا الصنف : فما ولده السلف مثل (ماهية) قبلناه . وما ولده الخلف قبلنا منه ما نحن في حاجة اليه نحو (ميزانية) . ونرفض ما سوى ذلك امثال (هيئة المحكمة) لاستغنائنا عنه (بجماعة المحكمة) .

(١٨) — الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» جواب الأستاذ الجابري لم يكن مرتباً بحسب ترتيبنا للاصناف السبعة وانما هو اورد اجوبته بطريقة أخرى ولذلك كان استخراج الجواب من كلامه بطريق الاستنباط كما فعلنا في الصنفين الاولين وكما تفعل هنا فنقول انه ذكر من الالفاظ صنفاً غير عنه بقوله (واما ما اتفقت عليه اهل الاقطار فهذا لا بأس باستعماله وتدوينه وإدخاله الى اللغة لان ذلك من مقتضى اتساع اللغة بامتداد الزمن وحدث مسميات متجددة اه) فلا جرم انه يريد هذا الصنف الثالث الذي نحن في صدد اعني (الكلمات الاصطلاحية) وظاهر انه أفتى به وأباح استعماله وتدوينه .

انتهت الاجوبة الثمانية عشر على هذا الصنف وهي مجمعة تقريباً على قبوله لاستعداد الحاجة اليه في تنمية اللغة . لكن معظمهم اشترط في قبوله موافقته لأوزان اللغة فتعريف الرسوم



يجب أن تقول فيها ( تعرفه ) لا ( تعريفة ) — وأن لا يوجد في اللغة الفصحى ما يسد مسده ( فهاية المحكمة ) مثلاً نستغني عنها ( بجماعة المحكمة ) . وهذه ( التحفظات ) لا أرى بغض المحبين يوافق عليها ولو فتحنا باب الاقتراح بشأنها لما وصلنا الى قرار حاسم في بحثنا هذا كما اشرنا في المقدمة . لذلك نكتفي عن النظر في الفروع — بالنظر في الأصول فاذا وجدنا أكثرية المحبين قبل الصنف اعتبرناه مقبولا بالجملة كما وقع في الاصناف الثلاثة السابقة والا فلا .

### « الصنف الرابع »

المواد اعني الكلمات التي ولدها العرب الاسلاميون من مادة عربية الأصل مثل ( خابره ) من ( الخبر ) و ( تفرج ) من ( الفرج ) و ( احتار ) من ( الحيرة ) و ( تنزه ) من ( التزهم ) الخ .

فهل يجوز استعمال هذه الكلمات وتدوينها في المعجم ؟  
فأجاب الاناندة :

(١) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( انما مضطرون الى استعمالها شئنا او لم نشأ والقياس في اللغة يؤيدنا ) .

(٢) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » ( انا أوافق من يدونها في المعاجم ) .

(٣) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( الألفاظ المولدة — واللغة لغة والناس ناس يجب أن تودع المعجم العربي وتعد عربية محضة ) .

قوله: ( واللغة لغة والناس ناس ) يشربانه يشترط في قبول الكلمات المولدة ان تكون مما ولده اهل العصور الاسلامية الأولى وزاد ذلك تأييداً قوله في مكان آخر من جوابه ( الألفاظ المولدة في العصور السخيفة تبذرها فرض ) .

(٤) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » ( لأمندوحة لنا من قبول كلمات هذا الصنف وقد أنت بكثرة في شعر كبار الشعراء ) .

(٥) — نقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » يفهم تجويز الأستاذ فياض لكلمات هذا الصنف من عموم قوله السابق : ( أن الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد

ما ينوب منها ( ) .

(٦) — احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» قال ما حاصله «تقبل هذه الكلمات المولدة اذا لم نجد في اللغة ما يسد مسدها» .

(٧) — كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» ( اذا لم نجد في اللغة ما يعني عن كلمات هذا الصنف فلا بأس من استعماله لانه صار في حكم المصطلح عليه ) .

(٨) — ادور مرقص «مجلد ٨ ص ٧٤٠» — ( الذي أراه جواز هذا الصنف توسيعاً على نفسنا ) ثم اشترط موافقة كلماته للقياس اللغوي .

(٩) — رشيد بقدونس «مجلد ٩ ص ١٠٣» (يقبل من هذا الصنف كل ما لا غنى لنا عنه ) .

(١٠) — احمد رضا «مجلد ٩ ص ٥٨» ( لا أرى مانعاً من استعمال المولدة الشائع ولكنه غير فصيح فهو كاستعمال الوحشي اللغوي : صحيح غير فصيح ) .

(١١) — النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» اشترط الأستاذ النكدي في كلمات هذا الصنف أن نكون في حاجة اليها ولذلك اجاز ( تفرج ) و ( تنزه ) للحاجة الماسة اليها ولم يجوز ( خابر ) و ( احتار ) لعدم الحاجة اليها بوجود مرادفاتهما اذ يرادف الأولى ( راسل وفاوض وباحث ) وغيرها ويرادف الثانية ( حار وتجير ) وغيرها .

(١٢) — قسطاكي حمصي «مجلد ٩ ص ١٧٦» — ( هذا الصنف يجوز لنا قبول بعضه ورد بعضه ) ثم قال انه يقبل ( خابر ) لظهور اشتقاقه من الخبر ولفشو استعماله ولكون ( المخابرة ) بمعنى ( المزارعة ) لم تبق معروفة . اما ( تفرج ) و ( احتار ) فلا حاجة لنا بهما اذ لدينا ما يسد مسدهما فالأستاذ قسطاكي إذن يقبل من كلمات هذا الصنف ما ليس له مرادف ويرفض ما له مرادف .

(١٣) — الغلاييني «مجلد ٨ ص ٣٥٩» بحث الأستاذ في كلمات هذا الصنف بشرطين (١) ان توافق القياس و (٢) أن تشيع على السنة الكتاب الخواص : فعلا ( خابر ) و ( احتار ) جائزان لأنهما شاعا على السنتهم . واما ( تفرج ) فلا يجوز لانه لم يشع ثم قال « على انه يمكن ارجاع ( تفرج ) الى اصل لغوي بضرب من المجاز » .

(١٤) — سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» بحث في الأمثلة ايضاً فاجاز ( تفرج )

و ( تنزه ) للحاجة اليهما ولشيوع استعمالهما ولم يجوز ( خاير ) ولا ( احتار ) لعدم ورودهما في كلام الفصحاء ولعدم الحاجة اليهما : فالأستاذ المحيب يشترط في قبول كلمات هذا الصنف ان يشيع استعمالها في كلام الفصحاء وأن تكون هناك حاجة داعية الى استعمالها .  
( ١٥ ) — عيسى الملعوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » ( اذا كانت لكلمات هذا الصنف مرادفات تؤدي معناها فالأولى العدول عنها والا استعملنا منها ما يحمل على القياس ) ثم قال ان لفعل ( خاير ) مرادفاً وهو ( فاوض وكالم ) وللملكة ( الشرقة ) مرادفاً ايضاً وهو ( الفيلجة ) فالأولى العدول اليهما .

( ١٦ ) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » ( كلمات هذا الصنف لا يجوز استعمالها ) .  
( ١٧ ) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( قبول كلمات هذا الصنف يُطلق لكل احد العنان في ان يشتق الكلمة على غير قياس ) ويعني بذلك انه لا يجوز استعمالها .  
( ١٨ ) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » الظاهر من جواب الأستاذ الجابري انه لا يجوز استعمال كلمات هذا الصنف لانه اشترط في جواز الكلمة التي لم تدون في المعاجم ( ان ينطق بها العرب الذين يؤمن لحنهم ) والمفروض في كلمات هذا الصنف انها مولدة وان الذين ولدوها غير الفصحاء من الاسلاميين .

انتهت الأجوبة على هذا الصنف وقد صرح ثلاثة من اصحابها وهم الاسكندري والخضر والجابري برفضه وعدم جواز استعمال كلماته اما الباقون وهم الأكثرية فقد اجازوه ورحبوا بكلماته لما في ذلك من تنمية اللغة وتوسيع نطاق التعبير بها .

نعم لا ننكر ان بعضهم اشترط في قبولها الحاجة الداعية اليها وبعضهم اشترط شيوعها على ألسنة الفصحاء وبعضهم موافقتها للقياس ولكن كل هذا لا ينبغي ان يحمل على التشاؤم بها والتردد في قبولها والانتفاع بها بالجملة .

« التتمة في العدد الآتي » المغربي

## القضاء عند عرب البادية (١)



فطر الأعرابي على حب العز والفخار ، تصبو نفسه الى المكارم وشريف الأعمال ، ولا يخلد الى الذل والصغار ، معها جابته المصاعب والأقدار . وهو لا يطمع الى المعالي إلا لينال صيتاً بعيداً وشهرةً واسعة بين اقاربه وسيفه عشيرته . فيغار البدوي على شرفه . ويؤثر المنون على العار والهوان ، وتنهض به غيرة نفسه الى الانتقام ، او طلب الحق امام القاضي البدوي . وقد يثور ثأره لأدنى امرٍ يحظ بقدره ويخف من حاله .

( ماهي الحقوق البدوية التي يستند اليها قضاتهم ؟ ) — هي قوانين تقليدية محفوظة في البادية مرسومة لتأديب المجرمين وتهذيب الأعراب ، يعرفها ارباب القضاء ويجرون عليها ، وبها يعرضون لصاحب الحق او لأهله ما فقدوه من الشرف او المال او الحياة . ومن هذه القوانين عندهم أن الأخذ بالثأر لا يعد فرية يجازى عليها المنتقم . فالانتقام عندهم من النواميس الشريفة والفرائض الضرورية المقدسة التي لا يسعهم تجنبها ولو طال عهدها فالضغينة تبقى مستورة في صدورهم كالنار تحت الرماد ، فيأتي الريح يوماً ويكشف الرماد وتظهر الثارات والأحقاد . وكثيراً ما يرفض الأعراب حكم قاضيهم ليردوا ظمأهم بدم الأعادي ، ويثأروا للقتيل وينالوا الطوائل بأيديهم وقد يجمع الأعرابي اولاده على سرير موته ويوصيهم أن يأخذوا الثأر من احد اعدائه ، ولا يدعوا الدم يصرخ الى السماء صراخاً اليماً . فأنهم يعتقدون ان دم المقتول يصرخ دائماً في الليالي الدامسة ، ويطلب من اولاده واقاربه وعشيرته ان ينتقموا له من قاتله .

ينتظر البدوي الفرصة المواتقة لأخذ الثأر بصبر عجيب ، ويقدم على هذا الأمر بنفسه

(١) محاضرة الامتاز عبد الله رعد كان ألقاها في ردة المجمع العلمي



حادثة وسرورٍ عظيم ، لانه يعلم أن القضاء لا يطالبه بهذا الدم ، اذا كان دم القاتل نفسه او دم اولاده او اقربائه حتى الدرجة الخامسة . اما اذا زادت هذه القرابة على الدرجة الخامسة فيعد قتله عندئذ جرماً . على ان ارباب الحق الذين يعجزون عن الأخذ بالثأر لقتلهم او لضعفهم تجاه بسالة عدوهم ، فانهم يلجئون الى امير كبير من عشيرة أخرى يعرف بجرأة صدره ، ورباطة جأشه ، وثبات جنانه ، وهو ينتقم لهم من عدوهم . او يطلب القاتل ويلزمه بالقيام بحق الدم .

\*\*\*

إن من يتأمل في عادة الانتقام ، أيها السادة ، يحكم لأول وهلة أنها بربرية لا يقدم عليها الا الامم المتوحشة . وهذا من الصحة على جانب كبير لولا وجود هذه السنة في البادية لغدت القفار الأعراية دار حرب دائمة ، لأن المجرمين لا يهابون قتل النفوس البريئة ، اذ لا رادع يردعهم ، ولا سيف يمنعهم . وسنة الدم بالدم تصد الاشرار ، لذلك يندر القتل في البادية . وخوفاً من العقاب لا يهدر البدوي دم المسافرين ، بل يكتفي بسلبهم ثيابهم واموالهم . ثم إن العرب يرحلون على ظهور اباعرهم طلباً للرزق الحرام من الغزوات ، فهم مع ذلك يتجنبون القتل لئلا تنزل بهم الضربات المائلة التي تأمر بها شريعة الأخذ بالثأر . وهذه الشريعة تجعل البيداء سيفاً أمن وسلام ، يسافر فيها المرء غير خائف على نفسه وان سلبوه ماله يخلاف القفار الا فريقية حيث يُقتل قبل ان يُسلب .

\*\*\*

( ماهو القاضي البدوي ؟ ) - قاضي العرب أمير من أمراءهم تسلطه القبيلة أو العشيرة على أفرادها ، لاظهار الحق من الباطل طبقاً للتقاليد البدوية ، والعوائد الثقيلة القديمة . على أن الأعرايب قد لا يرضون بقاضٍ واحد كبير يترأسهم ، بل يوركلون القضاء الى وجوه العشيرة وكهولها ، فيأتون اليهم ويعرضون دعواهم فيحكمون بينهم بحسب عاداتهم الجارية . هؤلاء الرجال لا يتألون كالقضاة الحقيقيين راتباً لقضائهم ، وانما يعملون ذلك ، كما يقولون ، لوجه الله الكريم ، والمتخاصمون يلبثون أحراراً في الخضوع لحكمهم أو رفضه ، ورفع الدعوى الى القاضي الكبير .

القاضي الكبير يرث الحكم عن أبيه لأن العرب مولعون بحفظ الأصل والنسب .

ولكنه لا يتسلط على الأعراب الا اذا قال رضي الجميع ، بسديد رأيه ومعرفة للحقوق البدوية . ولهذا القاضي سلطة واسعة تفوق سلطة الحكام في الممالك المتعدنة والربوع العامة . فاذا قال كلمته انقطع الحديث ، وباد الاعتراض وصمت المتخاصمون . ولم عادة حميدة تذكر بالشاء عليهم ، وهي ان قاضي العشيرة اذا رفعت اليه دعوى باحد اقاربه لا يحكم فيها بل يحيلها الى قاض آخر غيره من القضاة المجاورين ارباب العدل والانصاف ، لئلا تحوم حوله الظنون .

\*\*\*

( كيف يجري القضاء عند العرب ؟ ) — اذا وقعت الخصومات بين العرب على ممتلكاتهم من الحيوانات والارضين ، هاج هاتجم ، قستفزم في الحال نزوة الغضب ، فينتفضون من الغيظ ، ويرتجفون من الخلق ، فينتضون السيوف ويطلقون الرصاص ، لما طبعوا عليه من حدة الأخلاق ، وحفظ الحق والصفينة . والسرقة عندهم من الفضائل ، والكذب جارٍ عندهم مجرى العادة يضربون به المثل فائلين « الكذب ملح الرجال » وعيب على من يصدق . فاذا حل الخصام ، وارتفعت الأصوات والشتائم ، وأتفتت السيوف وسمع أزيز الرصاص ، دخل المصلحون بين المتخاصمين ، وحلوم على الكف عن الخصام ، وحل المشكل بالقسم أو بحكم القاضي .

أما القسم فمن أروع الامور عند العرب وأقدسها ، ولا يقدمون عليه الا مضطرين . لأن الأعرابي تملك قلبه الخيالات الخفيفة ، والتصورات المرعبة ، لذلك يتجنب الحلف ولو كان به صادقاً ، ونهاب اتخاذ المولى الكريم أو أحد أوليائه وأنيائه شاهداً على صحة قوله ، ولو كان من قطاع الطرق .

والقسم عند العرب أنواع مختلفة : منه ما يسمى بالقسم الجاري أو القسم الصغير ، ومنه قسم اليد ، والقسم الكبير ، ومنه القسم العُشبة ، ومنه قسم النملة والشملة . ففي القسم الصغير يقوم الشيخ وسط الخيمة ويقول : أقسم عليك بالله وبصلاة محمد هل فعلت الامر الفلاني . فيقول والله وصلاة محمد لم أفعل .

وفي حلف اليد ، يضع الحلف يده على رأس الحلف ويقول : « أناشدك الله ، بما تحوش وتنوش ، بحلأبات الحليب وتسافات العسب (اي الخيل) ، وبالنساء وما تحيب ،

داخل عليك عالمال والعيال ، من الحجل والاستحلال ، اليوم بين عينيك وباكر بين متنيك . ( أي اليوم تراني وغداً تحماني على العرش ) بغيته عليّ ويثنيه عليك ، ان اطلتها تسرك وان خبيتها نضرك ، اما صار كذا وكذا ؟ فيجيب : إي بالله ورسوله صار كيت وكيت . أو : لا بالله ورسوله ما صار ذلك .

ويقولون ايضاً في أقسامهم « انا حاضر بحضارك وبموقد نارك ، اما صار كذا وكذا » ويقولون في حلف العشيبة : بحق هذه العشيبة الملوية والكاذب ماله ذرية .

أما قسم النملة والشملة فدونكم وصفه : حينما يكون العرب وكبارهم ملتصقين في شقّ الرجال من الخيمة ، وقد طال الجدال بين فريقين على أرض أو فرس أو غير ذلك ، يقوم أمير البيت ويخرج بمجلسه خارج الخيمة ، ثم يفتضي سيفاً ويخط به دائرة كبيرة ، ويضع في وسط الدائرة حبة حنطة ونملة . والحنطة تدلّ عند العرب على أكرم ما خلق الله تعالى والنملة تمثل الحكمة والفطنة والإدراك . ثم يمدّ السيف في منتصف الدائرة . عندئذ يترزع المتهم عنه سلاحه ويدخل في وسطها ويضع يده على نصاب السيف ويقسم قائلاً : « والله العظيم والسيف الكريم ما فعلت الشر ولا سرقته ولا قتلت الخ » .

وكثيراً ما يمتنع لون الرجل ، وترتخي مفاصله ، وترتجف يدهاء ورجلاه من الرعب ، وربما رجع عن الحلف وأقر بما فعل .

والحلف بالمقامات يعدّ عند الأعراب من الأقسام العظمى . وربما أقسم البدوي بالله مراراً عديدة وأبي أب يقسم بالأولياء والمزارات المقدسة كزار النبي شعيب ، والنبي هوشع ، والشيخ عبد الله ، ونحو ذلك من المزارات المشهورة عند العرب .

على ان العرب يدعون غالب الأحيان القسم لرهبته ، ويلجأون إلى القاضي البدوي . وهذا ما يدعونه ( بالقضوة ) .

فما أجمل بيت الشعر حينما يزين بأنواع الأثاث ، ويفرش بالسجاد الفاخر ، ويعلق على جدرانها السلاح اللامع . يجلس الأمير في صدره للقضاء ، ومن حوله وجوه العشيبة . فيسمع صوت « المهاج » يدق القهوة ، فتطبخ ويطاف بها على الحضور دفعات متوالية . وبعد شرب القهوة يقوم أحد المتخاصمين وهو المدعي ، ويجلس في وسط الخيمة بين الحاضرين ويلتفت إلى القاضي ويقول : وهو عندهم بمثابة الاستدعاء يفتخون به الدعوي : « وإيش



بك يا قاضينا ، بللي بحقك تراضينا ، جيتك هدي ومشيا قدي ، أفلح وصل عالي  
( فيقول الجميع الصلاة والسلام عليه ) ، حظي وحظك بدخلان على اربعة واربعين نبي ،  
من الفوط والنوط والحق الردي ، وانا داخل طالمال والعيال من شي ميتين علي وعليك غني ،  
وانا حاططها بعيونك السود وربك القمود ، وبالا امرأة وما تجيب ونسافات السيب . ثم  
يذكر ما جرى له بصوت جهوري بحيث يسمعه الحضور من اطراف الخيمة ، ويرد  
البراهين في ذلك ، الى ان ينتهي ويعود الى مقامه الاول فيقوم المدعى عليه ويجلس في  
وسط المجلس ، ويكرر المقدمة نفسها : وايش بك يا قاضينا الى آخر الديباجة التي اتينا على  
نصها بالفاظهم ولقنهم المستعملة في البادية . ثم يفصح عن ادلته . ولا احد يعارضه في شي .  
والقاضي بين كل ذلك صامت لا يبيدي كلمة . وفي آخر ذلك يلتفت القاضي الى المتخاصمين  
ويقول : أفلحوا وأصلحوا خير لكم . فاذا أيا الاظهار الحق يقول : قدموا الرزقة .

\*\*\*

« الرزقة » — هي اجرة يدفعها احد الخصمين للقاضي تقدر بربع قيمة ما يخاصم عليه  
وقد يجري في هذا التقدير جدال طويل يدوم ساعات من أجل تعيين مقدار الرزقة إن  
تقوداً او عروضاً كفرس مثلاً أو سيف أو بعير . وربما لم يقبل بها القاضي فيرفض الحكم  
الى ان يستحسن ما يقدم له .

والرزقة أنواع كثيرة ، منها ما يسمونه رزقة المبطل ، ومنها رزقة الحق . فرزقة المبطل  
هي التي يدفعها المجرم أو المقتري للقاضي ، ورزقة الحق هي التي يدفعها صاحب الحق . واذا  
استأنف المحكوم عليه دعواه الى قاضٍ اكبر وحكم له بالحق . وكان قبل ذلك قد  
دفع رزقات عديدة يزد هاله المحكوم عليه . لأن المستأنف الكاسب حقاً بجميع الرزقات  
التي يكون قد دفعها للقضاة من قبل .

\*\*\*

( الكنلاء ) — وبعد ان يتفق الخصمان على الرزقة يجب عليهما ان يقدم كل واحد  
كفيلاً يتعهد أمام الشهود بدفع الرزقة اذا ابى الآخر تقديمها . فيقولون : « تري يا شيخ  
فلان هذه المسألة في وجهك » . وان كان الكفيل غائباً يقولون : « تري ان هذه المسألة  
في وجه فلان » اي أنه يتعهد بدفعها أو يحمل المتخاصمين على دفعها . فيقول القاضي للكفيل :



«عندك الشيء الفلاني» فيجيب : «عندي ماتطلب ، وحق الله ورسوله اني ما أبوق»  
(أي لا أخون العهد) .

رأينا أن الكفيل نوعان : غائب وحاضر . فالغائب هو الذي لا يحضر مجلس القضاء حينما ترفع (الدعوى) فيختاره الحاضرون والقاضي لا ينفذ الأمر . والحاضر هو القائم بين الحضور في أثناء الدعوى . على ان لكل منهما واجبات خاصة تختلف عن واجبات الآخر : فالغائب مضطر الى قبول الكفالة ، والحاضر له الخيار في قبولها أو رفضها . لذلك جاء في أمثالهم : «الغائب مضطر والحاضر حر» . ولا بد للكفيل من صفات ، أخصها أن يكون معروفاً بين العشيرة بصدقه واقتداره على الدفع .

والذين يُحرّمون حق الكفالة هم شاهدو الزور ، والجبناء الذين يشردون في الحروب والنزوات ، هؤلاء كلهم مردّون عند العرب ، لا يُقبلون في مجالس الكرام ، ولا يشربون القهوة في خيام الامراء ، ولا تقبل لهم شهادة . واذا جلس أحدهم في مجلس الشيوخ صب له الشيخ القهوة ، وبينما هو يرفع الفنجان الى فمه ينزعه الشيخ بعنف منه ويهرق القهوة على التراب ويقول له : انت لا تستحق القهوة ولا لك مقعد بين الرجال .

\*\*\*

(الشهود في الدعوى) — وبعد تعيين الكفيل ، يتجه القاضي نحو المدعي ويقول له : يا فلان ، اذا كان عندك شاهد لا يكذب ولا يوجد عليه اعتراض فليقدم ويشهد . فيجيب : عندي يا قاضي العرب فلان وفلان وفلان . فليفت القاضي الى اكبر الحاضرين ويقول له : وأيش تقول يا شيخ عن فلان ؟ فان كان مقبول الشهادة يقول : «والله انه مقبول الشهادة» ما انا خابر عليه الدرب الذي يذربه عن الشهادة» وان كان مرفوض الشهادة يقول : «والله انه غير مقبول» .

وقد تقع الخصومات في اختيار الشاهد فمنهم من يرفضه ومنهم من يقبله . ويطول الكلام بينهم الى حدّ يسأم منه الحاضرون ، الى أن يقرّ رأيهم على شاهدين . فيقفان ويقسمان القسم البدوي ، يقول كل واحد على حدة : «والله العظيم ، والرب الكريم ، وحياء العود ، والرب المعبود ، والكاذب ما له مولود ، لا غيظ شافيه ، ولا طمع راجيه ،

( إِي إِنْهُ لَا يَحْلِفُ لِأَخْذِ نَارٍ وَلَا لَاجِلٍ مَالٍ ) الْإِحْقَاقُ اللَّهُ مِنْ رَقَبَتِي مُؤَدِّيهِ ، إِنْ هَذَا الرَّجُلُ قَدْ فَعَلَ كَذًا وَكَذَا » .

وَالشَّاهِدُ حَقٌّ فِي طَلَبِ هَدِيَّةٍ مَا أَذْ لَا بَدَلًا لَهُ مِنَ الْقَسَمِ ، وَالْعَرَبُ كَمَا أَوْضَحْتُ يَرْهَبُونَ الْقَسَمَ وَلَوْ كَانُوا صَادِقِينَ . لِذَلِكَ هُمْ يَقْدَمُونَ لِلشَّاهِدِ هَدِيَّةً بَدْوِيَّةً كَسَيْفٍ أَوْ عِبَاءَةٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وَالنِّسَاءُ فِي جَمِيعِ الْعَشَائِرِ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ شَهَادَةٌ إِلَّا عِنْدَ عَشَائِرِ النَّصَارَى فِي الصَّلَتِ وَالْكُرْكِ وَمَادِيَا وَغَيْرِهَا فِي شَرْقِ الْأُرْدُنِّ ، وَشَهَادَتُهُنَّ ثَابِتَةٌ قَوِيَّةٌ .

\*\*\*

( الْحُكْمُ ) — وَبَعْدَ أَنْ تَنْتَهِيَ الْحَاكِمَةُ يَنْطِقُ الْقَاضِيُ بِأَمْثَالٍ يَبِينُ فِيهَا أَحْكَامُ الْقَضَاءِ مِنْ قَبْلِهِ فِي أُمُورٍ جَرَتْ مِنْ عَهْدِهِ قَدِيمٍ . فَيُرْوِي حِكَايَاتٍ وَاقِعَةً أَوْ خَيَالِيَّةً يَذْكُرُ فِيهَا الْحُكْمَ بِمَبْهَمِ الْكَلَامِ ، وَرَبَّمَا أَتَى بِأَمْثَالٍ حَيَوَانَاتٍ تَنْطَبِقُ عَلَى الْأَمْرِ الْوَاقِعِ ، حَتَّى يَدْرِكَ الْحَاضِرُونَ الْحُكْمَ الْمُرَادَ قَبْلَ أَنْ يَنْطِقَ بِهِ . وَآخِرُهَا يَقُودُهُ بِالْحُكْمِ الْقَاطِعِ بِقَوْلِهِ : « أَنَا مِنْ عِنْدِي ، وَمَنْ عِنْدَ الْقَضَاءِ الَّذِينَ قَبْلِي ، وَمَنْ عِنْدَ أَجَاوِيدِ اللَّهِ مِثْلَكُمْ ، إِنْ فَلَانًا هُوَ الْمُجْرِمُ ، وَفَلَانًا هُوَ الْبَرِيُّ » وَيُورِدُ فِي ذَلِكَ الْأَدَاتِ وَالْبَرَاهِينَ وَالْإِسْنَادَ كَيْ لَا يَبْقَى فِي الْأَمْرِ رَيْبٌ . وَهَنَاءُ يَنْتَهِي الْحُكْمُ فَيَقُومُ جُمْهُورُ الْحَاضِرِينَ وَيَنْصَرِفُونَ إِلَى بُيُوتِهِمْ وَهُمْ يَرُدُّونَ الْحُكْمَ الْمُبْرَمَ .

\*\*\*

( الْعُقُوبَاتُ ) — وَالْعَرَبُ يَدْعُونَهَا الْحَقَّ . فَهِيَ حَقُّ الشَّتَائِمِ ، وَحَقُّ الْبَيْتِ ، وَحَقُّ الْوَجْهِ ، وَحَقُّ الدُّخَانِ ، وَحَقُّ الدَّمِ ، وَحَقُّ الطَّيِّبِ ، وَحَقُّ الْقَصِيرِ ، وَحَقُّ الْعَرَضِ ، وَغَيْرُ ذَلِكَ .

وَقَبْلَ أَنْ نَذْكُرَ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعُقُوبَاتِ عِنْدَ الْبَدْوِ ، يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَأْتِيَ عَلَى ذِكْرِ عَوَاطِفِ الشَّفَقَةِ وَالْحِلْمِ الَّتِي تَغْلِبُ عِنْدَ عَرَبِ الْبَادِيَةِ مَرَاتٍ عَلَى حُبِّ الْإِنْتِقَامِ ، وَتَحْمَلُهُمْ عَلَى الصَّفْحِ . سَمِعْنَا حَوَادِثَ كَثِيرَةً تَدُلُّ عَلَى عَفْوِ الْعَرَبِ عَنْ أَعْدَائِهِمْ ، وَدُونِكُمُ النَّادِرَةُ الْآتِيَّةُ :  
كَانَتِ النَّارُ تَضْرِمُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي مَضَارِبِ بَنِي صَخْرَ ، وَالْكَلَابُ تَنْبَحُ فَتَدْعُو الْمَسَافِرِينَ إِلَى خِيْمَةِ الشَّيْخِ وَإِذَا بِشَابٍ لَطِيفٍ قَدْ نَزَلَ عَنْ فَرْسِهِ وَحِينَ الضُّيُوفُ قَائِلَاتٌ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ . فَقَالُوا وَعَلَيْكُمْ السَّلَامُ . قَالَ حَيَّا اللَّهُ الرِّجَالَ ، قَالُوا حَيَّا اللَّهُ الرَّجُلَ . قَالَ الْعَوَافِي يَا غَاثِمِينَ ، قَالُوا

حيناً الله الغانم . ثم جلس بالقرب من الشيخ وبات عند العرب أياماً طويلاً لا يسألونه فيها جهة القصد . الى ان حان وقت طغاه فيه الشيطان فاسقطه في زلة كبرى : ذلك انه رأى ابنة الشيخ فسحر بجملها ، ولما انسدل الليل هجم على خيمتها فقتل العبد الحافظ لها وخطفها وسافر . فذاع الخبر باقل من لمح البصر ولحقه اخوتها الثلاثة . وكانت كلما تقدم اليه احد يضربه برمح فيرميه مجدلاً على الارض . أخيراً لحقه الفرسان فانهمزم الى ان لقي خربوشاً ( والخربوش هي الخيمة الصغيرة لها عمود واحد ) وكان على باب هذا الخربوش شاب في مقتبل العمر فصاح به وقال : يا أبا رشيد اننا في وجهك وفي مرقد عيالك . قال : لقيت خيراً ومرعى واماناً . ولما اقبلت العشيرة تطلب الابنة وحق الدم أرجعها الشاب وقال : « هو البيت يحمي الطريد والشريد ، وهو الوجه يدفع صدمات العدو » . فرجع القوم صامتين . وسأل الخاطف الابنة عن صاحب البيت فقالت : « سوء الله وجهك هذا ابن عمي وخطيبي قد طلبني فوعده بما طلب ، وقد مهد الصعاب كي يتزوجني اذ قاتل اولاد عمه » . فامتقع لونه وتغيرت هيأته . على ان صاحب الخربوش اكرم مشواه في تلك الليلة ، واعد له خيمة العُرس وزوجه بالفتاة ، ثم صالح العرب مع الشاب وسالمهم وعاهدتهم بان لا ينزلوا به ضرراً . هذه حكاية تدل على علو نفس وشهامة قد لا يوجد مثلها بين اصحاب التمدن ، كيف لا وقد صفح هذا البدوي عن قاتل اولاد عمه وخاطف خطيبته وصالحه مع العرب . وهل دفعه الى هذا الصفح الا سمو النفس وحب الذكر ؟

( عقوبات اهل القوارع والشتائم ) — يعسر على البدوي احتمال ادنى شتم ، لأن العرب طبعوا على حب المجد والشرف ، لذلك هم يعمدون الشتمية أشد تأثيراً من حد السيف وقد تثير الشتام الحروب في البادية ، وتحمل المشتوم بل واهل المشتوم ايضاً على الانتقام . حكى عن عبد المهدي قاضي العوازم انه قال : ارباب الشتام يعمدون باقسا أنواع العذاب . وروى أن رجلاً من عرب العدوان رفع يده على ابيه قائلاً « اخس يا شايب » فسمع بذلك شيخ العدوان فامر بقطع لسانه . ويقال إن بدويًا بصق بوجه عدو له فحكم عليه ان تخلق لحينه الى نصف الذقن فقط ويبقى النصف الآخر . ومن شتم من عرب الصخور يدفع للمشتوم فرساً او سيفاً او بميراً او ثلاثين ريالاً . وعند بعض العشائر يضرب الشتامون بالسياط حتى يسيل منهم الدم . وبعضهم يضعون دبساً على وجه الشاتم ، ويربطونه باوتاد فيأكله

الذباب ، او يربطونه ويوجهون عينيه الى الشمس . ويروى أن بدويًا اهان اياه اذ رفع عليه محجانة ( والمحجانة عصا صغيرة ) فالزمه القاضي ان يحرق ارض ابيه مدة سنتين .

ومن احاديثهم أن قدم شيخ هرم الى قاضي البلقاء ابن قلاب وقال : « وايش بك يا عواد بن قلاب ، يا حامي النسب ، بولد لي ريته حتى نشأ وكبر ، واليوم قد جرتني بجديلي الى خارج الخيمة وشميتي » فقال له القاضي « اذهب يا شايب ، ما صنع ابنك بك سيصنعه به اولاده في المستقبل » وحكم على الولد بان يبني خيمة لا يسه ويدفع له خمسين نجة ليكرم بها الضيوف . وقد صدق كلام بن قلاب ، فان اولاد الابن جرتوا اباهم الى خارج الخيمة ، ولما انتهوا به الى الموضع الذي اوقع اياه فيه قال لهم : كفناكم ايها الاولاد الاشرار الى هنا فقط جرت ابي ، وتذكر قول ابن قلاب .

ويروى أن شاعراً من بني حسن هجا ذئبة ابنة الشيخ عوده ابي تايه امير الحويطات . فلما ورد الشاعر الى مضارب الامير قال له عوده : قبحاً لهذه اللحية يا قذاف المحصنات ، لسانك يلسع كل سع الحيات . فهرب الشاعر كئيباً ولم يذق طعاماً عند الشيخ . ولما ابدع في البربة أمر الشيخ عوده احد عبيده فليحق به في الخلاه وقتله على هجائه .

\*\*\*

( حق البيت ) — بيت شعر في البادية ، وإن كان خربوشاً ، هو رفيع الشأن عظيم الاكرام عند العرب . ومن اهان بيتاً عندهم اهان اصحابه النازلين فيه ، لا بل اهان العشيرة كلها . ومن تعدى عليه نال جزاء تعديه إهانةً وعذاباً . وهم يعدون اهانةً تكسر شرف البيت تلك التي تحصل من بدوين يتخاصمان في بيت حتى يصل بهما الخصام الى المسمات والشائم او رفع الاسلحة . فالبيت يطلب حقه . واذا أهين صاحب البيت في بيته ، فالبيت وصاحبه كسر شرفهما ، وصار على الشائم حقان حق البيت وحق صاحب البيت .

وبعض الاعراب يزعمون أن من ازدري بالبيت واحتقره ، فقد صنع ذلك ليس نحو الاحياء النازلين به فحسب ، بل تعدى الاهانة الى اجدادهم وأمواتهم .

إهانة البيت يحاكم عليها امام القاضي . فينتصب المدعي وهو صاحب البيت في وسط الجماعة ويقول : « وايش بك يا قاضي العرب ، يا حامي النسب ، بفلان إني كسر شرفي بقوله كيت وكيت ، واهاني في عشيرتي ، وبحضور جماعتي ، واهان ضيفي ، فودي منك



ان يبيض الوجه» ثم ترد الشهود وتشهد على صحة مدعاه . فينتصب القاضي ويقول : « انا من عندي ، ومن عند القضاة الذين قبلي ، فلان كسر شرف البيت وأهان صاحبه وضيغه » ثم يحكم عليه بدفع عشرين ناقة وخمسين نعجة لصاحب البيت ، وثلاثين ريالاً لضيغه المهان . فيقول المجرم « نعم انا مستعد ، امرك يا قاضينا فوق الراس ، وبعد ذلك يقوم احد الشيوخ الحاضرين ويقول لرب البيت « حقك على الرأس والعين ، ولكن من شأن الشيخ فلان دع له خمس نياق » فيقول « من شأن خاطرك وخاطر السامعين تركت ما تريد » ثم ينتصب شيخ آخر ويقول « يا شيخ فلان اترك له من شأن الجماعة ومن شأن والدك كذا وكذا » فيقول « تركت ما طلبت » وهكذا الى ان يصبح المطلوب سهلاً وخفيفاً . ثم يبيضون وجه رب البيت المحكوم له وذلك بان ينشروا له راية بيضاء يطوفون بها حول الخيام وهم يقولون « راية فلان يبيض الله وجهه » .

\*\*\*

« حق الوجه » — الوجه عند العرب هو الكفيل الموكل باجراء ما يتفق عليه فريقان من فعل خير او اتقاء شر . والوجه لا يخون صاحبه أبداً ولو فقد ماله وحياته . فاذا باع امرؤ ارضاً او فرساً او غيرهما من الأشياء بقول البائع للشاري « ترى بعتك بوجه فلان ان طلبتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » وكذلك الشاري يقول « ترى اشتريت بوجه فلان ، ان ارجعتها ادفع كذا وكذا عقاباً على ذنبي » . واذا تشاجر اثنان ثم تسالما يقول الواحد لصاحبه « ترى بوجه فلان تصالحنا ومن اضر قريبه لا يلوم الا نفسه » . ومن اودع ودبعة وخاف عليها من السرقة او من الاتلاف يقول للمؤمن عليها « ترى فلان وجهك عليك » . فمن تعدى على صاحبه في مثل هذه الأحوال يجد امامه اعداء كثيرين بسبب الوجه ، لان العشيرة كلها تقوم مع الوجه بدأ واحدة . والمتعدي عليه يلجئ الى الوجه ويقول له « يا شيخ فلان ، قد صار الأمر الفلاني بوجهك ، وخصمي فلان تعدى عليّ وكسر وجهك ، فيبيض وجهك ووجهي » فيجمع الوجه مجلساً مؤلفاً من القاضي البدوي والامراء المعروفين ويرسل رسلاً لياتوا بالمتعدي . فيقص الوجه قصته على الحاضرين ، والمتعدي في اثناء ذلك راكع والعقال في رقبة دلالة على التذلل . ثم يحكم القاضي على المتعدي بدفع ما عليه ويعاقبه بدفع عشرة خرفان للوجه .

( حق الدخيل ) — الدخيل عند العرب هو الرجل المستجير الخائف من امر دهمه او سيدهمه ، فيعمد الى شيخ كبير قوي يستغيث به ويطلب حماه ، ويقول له « انا دخيلك احمني وارحمي » . ورب مستجير يأتي في الليل ويرتمي على فراش الاولاد في خيمة الشيخ ويقول بصوت متقطع حزين « انا بحضارك وموقد نارك ، انا داخل عليك من السيف والحيف ومن فلان صاحب الحق الردي » ثم يسط له سبب اعتصامه به . فيقول له الشيخ « ابشر بالعز والهناء وعش في ديارنا فرحبا بك » ثم ينزع كوفيته من على رأسه ويضعها على رأس الدخيل ويقول « الله ورسول الله لا احد ينزع من رأسك شعرة » .

وحينما يقبل الشيخ الدخيل في منزله يرسل رسلاً الى عدو الدخيل وطالبه يقولون له « ترى فلان دخيل في بيتي احذر ان تصيبه باذى » فيجيبه الرجل « اطلب خصمي الى القضاء » فيقول صاحب الدخلة « أعطه عطوة » والعطوة في البادية هي هدنة من الزمان يجتمع فيها العدو عن الانتقام الى ما بعد المحاكمة ، وهذه الهدنة تكون عند بعض العشائر اسبوعين ، وقد تمتد عند غيرها الى اكثر من ذلك ، ومعظمها شهران .

وفي أثناء المهادنة يبعث صاحب الدخلة وفوداً الى عدو دخيله ثلاث دفعات متوالية ، مستخدماً الوعد تارة والوعيد أخرى حتى يرعوي وينثني للحق الذي يحكم به الاجاويد او القاضي ، وان ابى الا الانتقام وأخذ الثأر يده ، يجمع الشيخ فرسانه الشجعان ويقودهم الى منزل العدو فيسلبون ما يجدونه هناك من المواشي ويقودونها الى أرض قاحلة لا مرعى فيها فيضطرون حينئذ الى المصالحة . وان أصر على عناده تموت اغنامه ويصبح فقيراً ولا يحق له ان يطالب صاحب الدخلة بشيء لانها تجسب عقاباً له وهي حق الدخيل .

\*\*\*

( حق الدم ) — السنة عند العرب هي « الدم يطلب الدم » على ان من لا يقدر على أخذ ثأره يطلب الدية ، وتدعى عند الأعراب « العقلة » وقدرها ٣٣٤٣٣٣ قرشاً . وقاتل المرأة وخصوصاً العذراء يدفع اربعة اضعاف الدية ، لأن المرأة انسان ضعيف وقتلها جرم كبير على الرجل وإهانة مُدلة له .

فاذا ذبح أعرابي عدوه يسرى حالاً في طلب امير كبير يحتمي في ظله ويعتصم بمقله هو وماشيته خوفاً من ان يقتل وفاقاً لسنة الانتقام العاجل التي تعطي اهل القليل حقاً مدة

ثلاثة ايام ان يأخذوا ثأرهم بذبح القاتل واهله وهدم بيته وسلب ماشيته . فالامير المجير يلتزم أن يبذل جهد طاقته لتخليص المجرم من طائلة هذا الانتقام ، ولو كان القاتل المستجير من اعداء العشيرة ، او عدوه ، او قاتل ابنه او احد اقربائه ، لان الشهامة الأعراية تحتم عليه ان يحامي عن الضعيف المستجير .

اذا وصل المستجير امام الخيمة وقال لصاحبها « انا دخيلك » او تمسك باطناب الخيمة او وقف امام الخيمة فقط فقد «عد» دخيلاً . وان قتله احد خارج الخيمة قبل ان يبلغها وكان المدى بين مكان وقوعه قتيلاً وبين الخيمة التي أتى ليستجير بصاحبها لا يتجاوز رمية عصا ، فقاتله يضطر الى دفع دية الدم وحق الدخلة .

وعند ما ينزل القاتل عن فرسه يذهب توجاً الى فراش الامير فيجلس عليه ويقول « انا دخيلك بعيالك وحلالك ، من الحظ المنكود ، والسيف المجرود ، والظالم الحقود ، والكاذب ماله مولود » فيجيبه الامير « يا هلاً ، ابشر بالعز وطيب المنزل » عند ذلك لا يهتم القاتل بشيء بل يعيش بضياء ، والسعي كله يعود على المجير . فيرسل بعثات متتالية الى اهل القتل كي يقبلوا المصالحة ويأخذوا دية الدم . على انهم يرفضون الصلح دائماً في اول مرة ، ويطلبون الدم بالدم ، ويدكرون الدم المهدور ، الصارخ الى السماء ، الطالب الانتقام . فيعود الوفد الاول خائباً . على أن المجير لا يئأس من هذا الجواب المؤلم لأن هذه هي العادة عندهم ، فيعيد الكرّة بعد ايام مرسلًا اليهم وقد اكبر كي يصلحوا ذات البين ويأخذوا الدية ، فيرجع ايضا الوفد الثاني مكسور النفس . وفي غالب الاحيان يصير الصلح بعد المرة الثالثة لان العرب ترتفع بهم العواطف النبيلة اذا شاهدوا كبراء البيداء مثقلين امامهم . ولكن ان ابى اهل القتل المصالحة بعد المرة الثالثة ، فتلك دلالة على انهم لا يريدون الا الانتقام ، ويجب على القاتل حينئذ ان يهرب في ظلمات الليل الى بلاد بعيدة ويعتصم بقبيلة شهبيرة .

والذين تصيبهم سهام الانتقام هم اهل القاتل واقرباؤه الى الدرجة الخامسة اي ابو القاتل وجدّه واولاده واولاد اولاده واعمامه وابناء اعمامه . اما الاباعد من الأسرة كابن العمّة وابنت الخالة ونحوهما فلا يؤذى بضرر بل يقدم لاهل القاتل بغيراً يسمى عندهم « بغير النوم » ويبقى في خيمته غير خاشٍ صولة الاعداء .

(حق الطيب) — ويدعى أيضاً حق القصير ، والطيب تصغير الطُّب وهو جبل الخيمة . وعند العرب الطيب هو الجار المستجير ، ويعتبر طيباً اذا عاقت بعض آلات صناعته على طُنب من أطناب الخيمة ، ومنهم من يكتفي بالكلام فقط فيقول : « يا شيخ فلان يا أبافلانة انا طيبك » فيقول له « يا هلا بك » .

فمن الأعراب من يترك عشيرته ويبت أيه فيحمل خيمته ويرفعها الى جانب شيخ عظيم ، ويكون ذلك اذا خشي عدواً لا يقدر على مقاومته أو وجد ضده عدداً وانراً من الاعداء لا يستطيع منازلتهم أو قدم طلباً للرزق والشغل عنده في حراثة ارضه . فما من احد إذا يضطر الى مجاورة أمير غريب عن عشيرته ووطنه الا ان يكون ضعيفاً أو فقيراً . ويقول العارفون بعادات العرب ان الضيف يسمى عندهم ضيفاً مدة ثلاثة ايام وان طال مكثه 'عدّ طيباً . وكم من قاتل مثلاً نزل بالقرب من أمير كبير في بلاد بعيدة عن وطنه فسمي باسمه وتطبع بطبائع عشيرته وقد نسي أصله ونسبه بعد طول الزمان .

ومن غريب ما يجري في هذا الحق إن بعضاً من التجار ينزلون في خيام العرب أو عند الشيخ ليبعوا بضاعتهم من ملبوس وما كول في رحاه ، فيصبح شأنهم شأن طيب هذا الشيخ أو قصيره . ويلتزم الشيخ ان يجمع لهم ديونهم من المديونين ، واذا تعصب المديون وامتنع عن الدفع يضطر الشيخ نفسه الى الدفع كي يبيض وجهه أمام القصير . واذا مرق شي من القصير ، فعلى الشيخ ان يسعى باسترداده له .

\*\*\*

(حق العرض) — البادية بلاد تحت عن المنكرات ، وهي في هذا الباب أشرف من المدن المتمصرة حيث يظهر المنكر ظهوراً جلياً على حد ما قال الشاعر الشعبي : « ما في شي اسمه عيب » . فالنساء في القفر على الجملة عفيفات يتجنبن الطرق السافلة وأبواب المحرمات . وقد تسير المرأة البدوية وحدها في البادية ترعى الإبل والتعاج ، ولا يعارضها احد أو يتعدى عليها .

على ان جرماً من هذا النوع كثير الحدوث في البيداء ، الا وهو الخطف . وكم من شيخ بكى على ابنته له كانت سعادته في هذه الدنيا ، فغابت عن أنظاره في ليلة ذائسة ، وبات



هو يطوي الايام والأوقات بالحزن والبكاء . وهم يقولون فلانة خطفت فلاناً . ولا يقولون فلان خطف فلانة .

اذا رام الشاب البدوي ان يتزوج بابنة علي غير إرادة أبيها واتفق معها على خطفها يتواعدان الى زمان ومكان محدودين ، فاذا ستر الليل الارض يأتي الى الابنة ويرد لها وراءه على فرسه ويهرب بها الى بلد بعيدة . وربما وجدها وارده على عين ماء أو في حقل فخطفها بعد ان يكونا قد اتفقا . ولا بد للخطاف من عقاب شديد اذا وقع .

قلت ان الخطف كثير في عرب البادية . وقد لا يمر شهر الا ويسمع فيه خبر كهذا بين الأعراب ، والحق في ذلك في غالب الأحيان علي أهل البنت الذين يطمعون ببيع بناتهم باثمان باهظة حين زواجهن ، فان البنت عند العرب تكون لمن يقدم مالا وحالاً أكثر من سواء ، لذلك يصير الزواج عندهم على غير حب ووداد .

فاذا خطفت ابنة وكان خطافها من قبيلة قريبة ، ركب أهلها وأقاربها ليرجعوا الشرف المفقود والابنة الهاربة ، ولم الحق بان يصنعوا ما يشاؤون في مدة ايام ثلاثة فقط يسوغ لهم فيها ان يقتلوا الخطاف ويهلكوا غنمه ، ويهدموا خيمته ، ويذبحوا فرسه ، وهم يسرفون بما تصل اليه ايديهم إسراراً لا يستبقون لانفسهم منه شيئاً وان هم استبقوا ردلوا وأهينوا ، واذا مضت الايام الثلاثة ولم يظفروا بالخطاف ولم يستطيعوا فيها إرجاع شرفهم المفقود ، حل بهم العار والخجل ، فيرحلون وينزلون وحدهم مؤثرين العزلة والغربة . والخطاف يتزوج بالنتاة التي خطفها آمناً لا حرج عليه .

وفيما خلا الخطف ، فمن اقدم من البدو على الفواحش بنفس راضية ، يردعه الشيخ مع وجوه العشيرة مرات عديدة ، وان هو لم يرتدع يحكمون عليه بالنفي ، ويكون دمه مطلولاً لا يطالب به وفي عادة محمودة تحمل العرب على تجنب المنكر خوفاً من العقوبات الصارمة .

ومما يخفف وطأة الفواحش في البادية خوفهم من العار والمهان ، لأن البيداء لها آذان تسمع وعيون تنظر ، فلا يخفى فيها خاف ، ولا يوجد فيها سرٌّ مكتوم . قال احدهم ان أهل البادية كالمشرفين على رأس الجبل ، يراقبون الحركات والاشارات الخفية ، ومن وجد جرم لظيع في بيته قد تحرق خيمته ويُنشر رماده في الهواء .

ولقد اتخذت العرب وسائل فعالة لمنع الفواحش ، فإذا أحسَّ أبٌ بجرم ابنته يقطع رأسها ويعلقه على رمح ويطوف به في كل القبيلة قائلاً : « هكذا يعاقب المجرم » ومنهم من يثدّها حيناً فيغطّيها بالتراب إلى ما فوق رأسها . ومنهم من يغمرها بالتراب إلى رقبته فقط ، فتأتيها الوحوش وتذيقها من العذاب أمراً . ومنهم من يسقيها السم . ومنهم من يضع على جسمها دبساً أو عسلاً ويتركها فريسة الذباب تموت أشنع الميتات . ومنهم من يأخذها إلى الفلاة فيضربها ضرباً اليأس ، ثم يربطها بأوتادٍ في الأرض حتى تنفوسها الحيوانات الضارية . وقد سمعنا أن رجلاً ألقي ابنته في بئر عميقة . وإن غيره ربطها إلى شجرة جرداء وكان وجهها إلى ضياء الشمس فاحترقت وماتت من الجوع ووقدات الأشعة وأكثر الناس يذبجونها بلاشفقة بسيف حادٍ أو يقتلون بها برصاصة في رأسها . وقرأتُ أن أباً ترك ابنته خارج المحلة على صخرة شاهقة في فصل الشتاء القارس ، وكانت الأمطار تهطل والرعود تقصف والثلوج تسقط ، فماتت وقد جدد دماً وبيست أعضاؤها .

## رحلة اوليا جلي

- ٤ -

اما شيزر فقد قال عنها يا قوت : شيزر قلعة تشتمل على كيورة بالشام قرب المعرة بينهما وبين حماة يوم في وسطها نهر الأردن (١) عليه تخطيطة في وسط المدينة وتمد من جند حصن . وقال ابو الفداء : شيزر من جند حصن ذات قلعة بحصينة والعاصي يمر من شمالها (وصوابه من شرقيها) وينحدر عندها على سكر ارتفاعه يزيد على عشرة اذرع يسمونه الخرطلة وهي ذات اشجار وبساتين وفواكه كثيرة اكثرها الرمان ولها سور من لبن وثلاثة ابواب .

وقال الاصطخري : واما شيزر وحماة فانها مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع .

وقال شيخ الربوة : وشيزر مدينة حصينة وية (ويلة او بيثة) تشرب اهلها وارضاها من النهر العاصي ولها قلعة طولها ظاهر تسمى عرف الديك محاطة من ثلاث جهات بالعاصي اه . قلت لم يبق في شيزر من الفواكه اثر يذكر مما عدا قليل من الرمان وحالة الازوار والبساتين ايضا وسطى وسكر الخرطلة قد دثر اكثره وتنومي اسمه . والبلدة ذات السور والابواب الثلاثة التي كانت في اسفل القلعة قد عفت رسومها ولم يبق منها الا بعض اسس الجدران وكسور الحجارة والاعمدة وصار مكانها قباب حقيرة بين الجسر وباب القلعة يقطنها العمال في ازوار شيزر ، والبلدة العليا التي كانت في داخل القلعة خربت وصار مكانها قرية بنيت بركام الاتقاض يقطنها فلاحوا الارض العذبة ، ولا يزيد عدد الجميع عن الاربعمائة جلهم من السنين وقليلهم من النصيرية والاسماعيلية .

« وخلاصة تاريخ شيزر أن فراعنة مصر عرفتوها وذكروها في رقم تل العمارنة المصرية باسم شيزاز وعرفها اليونان وسموها لاريسا قيل أن لسلكس ثيكتاتور فضلاً في ترميمها وتحصينها وذكرها أمرو القيس في قوله :

« تقطع أسباب اللبنة والهوى غشية جاوزت خمسة عشر

بسير بضح العود منه « أخوال الجهد لا يلوي على من تعذرا

وذكرها عبيد الله بن قيس الرقيات في قوله :

« قفوا وانظروا بي نحو قومي نظرة « فلم يفت الحادني بنا وتمشرا

« فوا حزناً إذ فازقونا وجاوروا « سوى قومهم اعلى حماة وشيزرا

فتح المسلمون شيزر عام ١٧ هـ وذلك عقب استيلائهم على حمص وحماة بقيادة أبي عبيدة بن الجراح . ولما كانت شيزر وجاراتها أفامية على الطريق الذي تسلكه أكثر القوافل والجماعل القادمة من شمالي الشام أو جنوبه وتسلطها على وادي العاصي كانت لها مكانة عربية مهمة وكانت شيزر على الأخص تعد مفتاح بلاد الشام . لذا بقيت بعد دخول المسلمين عرضة لهجمات الروم المتتابعة فكانوا يستولون عليها تارة ويمتسرونها آخرى إلى أن استقرت في أيديهم نحو ٨٣ سنة حتى سنة ٤٧٤ هـ التي جاء فيها منبذ الملك أبو الحسن علي بن منبذ الكناني . قيل أنه سمع إلى تل الجسر ( أي جسر بني منبذ الذي يظن أنه كان بقيداً عن القلعة نحو كيلو مترين للغرب ) فمرة حملاً وجمع فيه عشرين وثمناً على حصن الجراح الذي ذكرنا متوقعة وهو يبعد نحو ٢٥ كيلو متراً عن وادي الغاب فأخذه بالسيف من الروم ثم نازل شيزر فسلمها من أهلها بالأمان . وفي زمن إمارة ابنه أبي العساكر سلطان لم تسترح شيزر من توالي غزوات الاسماعيليين واغراب بني كلاب والروم والظليبيين وفي كل مرة كانت تنجو من السقوط بفضل مناعتها الطبيعية وحصانة قلعتها . وبسالة أصحابها بني منبذ وظلت شيزر يثد هؤلاء إلى سنة ٥٥٢ هـ وهي السنة التي حدثت فيها زلازل هائلة أخرجت كثيراً من المدن والحصون في شمالي الشام وكان أشدها كما قال ابن الأثير في حماة وشيزر فأما خزنا بالمره . وكان بنو منبذ مجتمعين في ولاية ختان فهلكوا ولم ينج أحد ممن كان منهم داخل القلعة إلا امرأة أخرجت من تحت الردم . وكان أسامة



غائباً في دمشق فجاء بعد الزلزلة وعابن ما فعلته بشيزر واهله فبكانهم ورثاهم بفرر القصائد .  
وجاءها نور الدين محمود بعد الزلازل فرمها وجددها فيما جدده من بقية الحصون واقطعها  
الى احد امرائه مجد الدين ابو بكر بن الداية ولما مات انتقلت لأخيه سابق الدين عثمان  
الذي ظل فيها وفي حصن ابي قبيس الى بعد وفاة الملك الناصر صلاح الدين بن أبوب  
فصار من عمال ابنه الملك الظاهر غازي صاحب حلب . ولما مات سابق الدين انتقلت لابنه  
شهاب الدين يوسف . وفي سنة ٦٣٠ تجاهر هذا بالعصيان فجاء الملك العزيز محمد بن الملك  
الظاهر غازي وحاصره واسترد شيزر وابا قبيس منه فبناه يحيى بن خالد القيسراني بقوله :

يا ملكاً عم اهل الأرض نائله      وخص احسانه الداني مع القاصي

لما رأت شيزر آيات نصرك في      ارجائها الفت العاصي الى العاصي

ولما جاء التتر بقيادة هولاء كوهدموا اكثر القلاع التي كانت للأيوبيين ولا بد ان  
يكونوا نالوا ايضاً من شيزر لأنها ذكرت في جملة القلاع التي رمها الملك الظاهر بيبرس  
في أواخر القرن السابع . ولما جلس الملك المنصور قلاوون الصالحى ظلت شيزر كجارتها  
أفامية مدة سنة في يد الأمير العاصي سنقر الأشقر ثم استرجعها قلاوون منه صلحاً في سنة  
٦٢٩ ورم بعض اركانها وبقيت في حوزة اخلافه المماليك الى ان دخل العثمانيون . ولعل  
خراب شيزر الحالي بدأ قبيل دخولهم هذا . ومهما يكن فأت شيزر بعد استيلاء  
العثمانيين على بلاد الشام كلها وزوال الحاجة للدفاع لم يبق لها كما قلنا في أفامية مكانة  
حربية بل ظلت كما هي الآن قرية يعتصم أهلها من البدو والتصيرية الذين كانوا يغربون  
عليها أيام الفتن في عهد المماليك والعثمانيين .

وقلعة شيزر بنيت على ظهر أكمة صخرية منتجة على يسار العاصي شبيهها العرب لتوتوها  
بعرى الديك . ويمر نهر العاصي من شرقي هذه الأكمة بعد ان يلتوي في منحرج ذي زاوية  
قائمة ويمجى في وحدة عميقة . فالقلعة منفصلة عما يجاورها في شرقيها وشمالها وغربيها  
بفضل المنحدرات الصخرية العميقة المحيطة بها والتي تعلو نحو ٤٩ — ٥٠ متراً . اما في الجنوب  
فقد كانت أكتفياً متصلة بالجبل المجاور الى ان حفر القدماء فيه خندقاً عريضاً وعميقاً  
فصلوها به عنه وبنوا فوق الخندق برجاً كبيراً سيأتي وصفه . وفي رواية انهم كانوا عند

مهاجمة الأعداء يرون ميناء العاصي من هذا الخندق بعد سد مجراه بسكر لعله سكر الخرطة الذي نوّه به أبو الفداء فاذا مرّت هذه المياه وطغت على السهل الغربي تصبح شيزر كجزيرة لا يعود بإمكان العدو الاقتراب منها .

وقلعة شيزر خراب في الجملة لم يبق منها سائلاً الا طرفاها الشمالي والجنوبي . يدخل القاصدون من بابها الكائن في الجهة الشمالية بعد ان يجتازوا جسراً حجرياً بني فوق وادٍ ضيقٍ وعميق . وكان هذا الجسر في العصور الوسطى من الخشب وهو نال يرفع عند اللزوم . اما الحالي فحجري يعلو طبقتين من القناطر . ولشدة الانحدار جعل ممشاه ذا درج مرصوف ببلاط كبير وجعل على طرفيه درابزين يوشك ان يتداعى . أما مدخل القلعة فقد جعل في جوف باشورة بارزة الى الأمام بنيت بقطع ضخمة من الحجارة التي بدعوها البناؤون في دمشق ( غشيمة ) و ( سورية ) والأولى غير منحوتة الا قليلاً والثانية منسوبة للأسوار تكون ناتئة في وسطها . وحشي بين هذه الحجارة قطع من الأعمدة لتشد ارتباط المداميك بعضها ببعض .

وفي المدخل فرضة تعلوها قوس من النوع الذي بدعوه البناؤون في دمشق ( قوس على الخمس ) . وفي جوف الفرضة باب ذو أسكفة مستقيمة وفوق القوس كتابة عربية طويلة فيها اسم الملك المنصور قلاوون الصالح في سنة ٦٨٩ على أحجار الجدار الظاهرة . وفوق الكتابة بقليل زغلولان لرمي السهام ونافذة مربعة الشكل . وفي الطابق الأعلى من القلعة نافذة أخرى مربعة لا يزال يعلوها زافرتا مرمى كان مخصصاً لحراسة المدخل . وقد هدمت الباشورة حتى وصلت الى مستوى هاتين الزافرتين . وعلى يمين الباشورة قلة هرمية الشكل أقسامها العليا مهذومة ، وأقسامها السفلى راكبة على سفح عريض مبلط احد جوانبه يلتصق ويحيط بالباشورة التي تقدم ذكرها والضلع الجسم الشمالي الغربي لهذا السفح المستدق قطع وأعرض وذلك لدفع شر رماء السهام والتقاين . وتحت الباشورة ساياط معقود يدخل منه الى ساحة القلعة التي ملئت بيوت القرية المبنية من أحجار السور المهذوم ووراء الباشورة وأطلالها سراديب معقودة متداعية كانت توصل من القلعة الى العاصي . وثمة درب ضيق بين بيوت القرية بأخذك الى قبلي القلعة فتجد فيها البرج الكبير .

وهذا البرج في أضعف نقطة من نقاط الدفاع فوق الخندق الذي تقدم ذكره لذلك بني بعناية خاصة ، فأججاره ( غشيمة ) و ( سورية ) وهي هنا أضخم وأدق عملاً من حجارة الباشورة ، وفي عرض جدرانها حشيت قطع كثيرة من أعمدة الروابط لتزيد انضمام الاججار الخارجية بالداخلية . وشكل البرج منشور ذو وجوه مستطيلة وله في جهته الشمالية بروز قليل فيه المدخل ، وقد جعل هذا المدخل في محترق زاوية معرضة للقذائف المتشابكة التي تلتق من طوابق البرج العليا ، وهذا من قواعد الهندسة العربية في المباني العسكرية . وعلى جدار البرج كتابة باسم الملك العزيز محمد صاحب حلب سنة ٦٣٣ والصاعد من درج المدخل يصل الى طابق تحته اقبية معقودة لعلها كانت صهاريج ماء او مخازن مؤنة ، وثمة درج يؤدي الى طابق ثان ثم الى السطح . وفي الطابق الاول غرفتان كبيرتان عقودهما مرتكزة على عضادات وجدرانها مثقوبة بكوى للنور وزغاليل غربية الاشكال . ويشتمل الطابق الثاني على الاوضاع ذاتها ، اما السطح فقد هدم منه جدار الدفاع الذي كان مضمراً بشراريف عديدة اه .

قال الاثري ( فان يرشم ) في كتابه « رحلة في الشام » الذي اعتمدنا عليه في وصف شيزر : ان باشورة باب القلعة من آثار نور الدين محمود دون غيره على الرغم من ان الملك المنصور قلاوون استكتب اسمه فوق الباب اذ لم يكن له فضل في غير ترميم بعض اركانها وان القلعة والسطح من آثار الملك الظاهر بيبرس ، والبرج الكبير القبلي ربما كان من آثار نور الدين محمود دون غيره لأن الكتابة التي فوق بابه زيرت بعد البناء ولعل الملك العزيز محمد رمم المداميك العليا فقط . وقال ايضاً : ان الصليبيين على الرغم من مهاجمتهم شيزر مراراً لم يستطيعوا اقتحامها وإذن تكون هذه القلعة عربية بحتة من آثار مهندسي العرب دون سواهم في القرنين السادس والسابع ، ويراهنا على ذلك تخطيط سورها ورفع الخيطان الجامعة بين ابراجها وهذا الابرار المربعة القليلة البروز وشكل بناء الباشورة والبرج الكبير المحشورة جدرانها بأعمدة الروابط واقسام البرج في الداخل واتساق مراكم الدفاع فيه وفقدان اي قطعة مرخمة او مهندمة على الطراز الغربي اه .

قلت وهذه إحدى شهادات هذا العالم الاثري الاوربي الذي اختص بدرس المباني

العربية القديمة تدل على ما كان عليه أسلافنا من البراعة في تشييد القلاع والحصون وإحكام وسائل الدفاع والحصار فيها ، مما ينبغي له علم غزير وخبرة واسعة في فنون الحرب والهندسة والبيان . ومن اكبر دواعي الأسف ان لا نعرف اسماء المهندسين العسكريين الذين خططوا قلعة شيزر وامثالها من القلاع العربية في القرن الخامس والسادس والسابع ، وصورة انشائها بهذا التأليف المبدع والاتقان الغريب وان يجهل القواعد والمسميات التي كانوا يتبعونها ويتداولونها في تشييد الاسوار والابراج والثقوب والمرامي واقسامها البارزة والغائرة . فيتمنر علينا تعريب ما كتبه عنها علماء الآثار من الافرنج بالحرف . ولو سمح الدهر بابقاء شيء من مؤلفاتهم التي لا بد ان يكونوا عنوا بوضعها ومنها كتاب القلاع والحصون لأسامة بن منقذ او لو عني مؤلفو كتب التراجم بهؤلاء المهندسين والبنائين وغيرهم من ارباب الصناعات الدقيقة مثل إكترائهم بترجمة الشعراء والكتاب والزهاد والمتقشفين إذ ان لعرفنا شيئاً من قواعدهم أو سمياتهم فتمكنا من وصف ما بنوه وصفاً علمياً هندسياً تعرف به خطوطه ومقاييسه واشكاله واوزاعه وجنس المواد والحجارة التي يتألف منها وكيفية تركيزها وترتيبها والغايات المنشودة من اختلاف الابراج والقلل والنوافذ والمرامي وكبرها وصغرها وتقويمها وتدويرها وما كانت يوضع او يعمل في ارجائها واجزائها . الخ لا كما يذكره كتابنا الذين يهيمون في وادي الخيال فيقولون كما قال شهاب الدين محمود في وصف حصن : حصن قد تقرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسا اصله الى النجوم تحال الشمس اذا علت انها تنتقل في ابراجه . ويظن من سها الى البها انها ذبالة في مراجه . . . الخ ما هنالك من الاغراق الذي ليس فيه شيء مما يدل على هندسة هذا الحصن وكيفية بنائه ، وكلهم نحى هذا المنحى .

هذا وقيل ان بين شيزر وقرية الزلاقيات التي تبعد عنها نحو اربعة كيلو مترات الى الشرق قناة قديمة متفرعة من الباصي تسير في نفق محفور في لحف الجبل الى ان تصل قرب القلعة الى فوهة يدعونها الشلقة تعلو بضعة امتار فينحدر منها الماء كالشلال بهدير قوي . وجاء في كتاب الاعتبار لأسامة اسم بندر قنين وانها كانت قرية عند المدينة والآن لا يعرف لها خبر ولا اثر . وجسر شيزر رُم مراراً في الماضي وبني مجدداً في سنة ١٣٤١ هـ .



ويظن انه ليس هو جسر بني منقذ الذي كان حوله تل وحصن ذكرهما أسامة في مواضع عديدة وقبله جده ابو الحسن علي بن منقذ الكناني وهو باني الحصن قبل نقرته علي حصن الجراض واستيلائه علي حصن شيزر كما اسلفنا .

قال فان يرشم : بحثنا كثيراً فلم نعثر على اثر الحصن الجسر الذي يفهم من كلام أسامة انه كان في ضفة العاصي اليمنى اقيم لحماية جسر بني منقذ . ونظن ان هذا الحصن والجسر كانا في موقع يبعد عن شيزر للغرب نحو كيلو مترين حيث ترى عضادتين بارزتين من العاصي تقاومان جريانه الشديد اه . قلت ويؤيد عبارة فان يرشم ما جاء في ص ٢١٨ من كتاب الاعتبار ان حصن الجسر كان كثير الصيد يذهب اليه والد أسامة وابناؤه ومعهم البزاة والفهود والكلاب بصطادون الطيور والدواب التي قدمنا ذكرها وانهم كانوا يعودون من الصيد وينزلون على بوشمير وهو نهر صغير بالقرب من الحصن . فلو كان حصن الجسر في قرب القلعة كما ظنه بعضهم لما اقتربت طيور الصيد ودوابه كما انه ليس في قرب الجسر الحالي نهر او جدول يدعى بوشمير . ويستحيل على ابي الحسن عني جد أسامة ان يبني مثل هذا الحصن في جوار القلعة لما كانت بيد الروم ثم يناوشهم منه .

هذا والواقف فوق سطح البرج بطل على مناظر عديدة منها في الشرق الهضبة العالية التي يفصل العاصي بينها وبين اكمة عرف الديك وكانت قواد الجيوش المحاصرة لشيزر تجعل تخيمها في هذا الموقع المشرف على القلعة وتنعب فيه انتجنيقات وتضربها منه . وفي هذه الهضبة قبة فيها مسجد وضريح ينسب الى ابي عبيدة وصوابه ان ابا عبيدة لما جاء ليفتح شيزر خيم فيه فاتخذه الناس بعد مقاماً له وبنا هذا الضريح وذلك المسجد . قيل ان في جدار المسجد حجراً زبرت عليه كتابة تدل على ان منشي هذا المكان هو السلطان مراد ابن السلطان سليمان العثماني الذي حكم بين سنتي ٩٨٣ - ١٠٠٣ . واذا نطلع الواقف نحو العاصي يراه خارجاً من الوحدة العميقة المحصورة بين الجبلين ليلاقي السهل الفسيح الممتد في الغرب جارباً بهدير قوي لشدة الانحدار هنا . ويتجه النظر مع العاصي ومنرجاته التي تكثر في هذه البقعة فيرى ازوار شيزر وعلى بعد خمسة كيلو مترات قرية التريسة وأزوارها وفي شمالها تل الطويل ولعله تل التلول الذي ذكر محرقاً في كتاب الاعتبار لأسامة بن منقذ

وبعدها قرية الصفصافية وجسر الفجرة . ثم بطائح الغاب وآجامه وهي علة وخامة المرتع في هذه الربوع .

وفي السهول والتلعات الغربية الممتدة من قرب شيزر الى سفح جبال النصيرية الغضراء قرى وضياح عديدة تتبع حكومة اللاذقية أهلة بالنصيرية تخص بالذكر منها في السهل تل سلحوب وهي كبيرة مستوية تحيط بها بطائح الغاب من الشرق والشمال وفي ذيل الجبل قرية دير شميل كانت من حصون الفرسان الاسبتاريين فيها دار حكومة مذ كانت قاعدة للناحية وفي شماليها حصن خراب نظن انه حصن الخريبة الذي ذكر اسامة أنه كان عليه للافرنج ديدباناً يكشف مسلمي شيزر اذا ارادوا الاغارة على افامية مع ملاحظة ان البعد بين هذا الحصن وشيزر ثلاثة عشر كيلو متراً . وفي غربي دير شميل على رأس احد اذيال الجبل المرتفعة حصن آخر خراب اكبر من الاول يدعى ابا قيس يطل على واد يجري فيه نهر ابي قيس احد روافد الغاب وقد مر ذكر هذا الحصن في تاريخ شيزر ، وهو احد قلاع الدعوة الاسماعيلية المنتشرة في هذه الجبال منها — غير ما عددناه سابقاً — مصياف والكهف والعليقة والمنيقة وبكسراثيل وغيرها . وجبال النصيرية المتجهة نحو الشرق الشاخنة كالجدار بين هذه البقاع والبحر تدعى هنا جبال الكلبية تؤلف كورة واسعة قاعدتها مصياف تتبعها قرى كثيرة مما عددناه وغيره يقطن اكثرها النصيرية واولها الاسماعيلية اشتهرت بعنبيها وتينها ودود حريرها وحراجها ويناييمها المتدفقة .

هذا وبعد ان انتهيت في ربيع سنة ١٣٥١ من زيارة هذه القاعة والاحاطة بما وصفته آنفاً تأملت وانا على سطح ذلك البرج في حاضر شيزر وغايرها ورحت في فضاء التفكير أجل قدر الذين انتقوا هذا الموقع الحربي الهائل ، واتجنيل المعارك الطاحنة التي كانت تدور تحت اقدامهم بين الجيوش المحاصرة والمدافعة عنه ، وأكاد أسمع قراع الرماح ووقع السيوف ورنين القسي ، وارسى القتلى والجرحى ملاؤا السهل فجبلت هذه التربة الحمراء بدمائهم او صبغ العاصني بها .

واتذكر الوقائع التي كانت تجري في هذه الضواحي لبني منقذ الاشواس لاسيما لنابتهم البطل العالم الشاعر أسامة صاحب كتاب الاعتبار وكيف كانوا شجوا في حلق

الروم والصليبيين يستبسلون رجالاً ونساءً في دفع غاراتهم وغارات البدو والاسماعيلية وغيرهم وكيف كانوا يصطادون الاحجال والأرانب في الجبل قبلي البلد وطير الماء والدراج واليحمير والغزلان على العاصي في الازوار غربي البلد واخيراً كيف خضت عليهم الزلازل فأفنتهم وخربت هذا الحصن الهائل المرءى فجعلته كما قال اسامة «متهيلاً مثل النقا المتهيل» واتصور نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٢ والمملك العزيز محمد صاحب حلب ومعه ابن عمه الملك المظفر محمود صاحب حماة في سنة ٦٣ والمملك الظاهر بيبرس في سنة ٦٦٤ والمملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٩ بأتون كل في يومه ووراءه وزراؤه وقواده وحرسته الخاص بيزتهم وابهتهم بصعدون الى هذه القلعة لينعابنوا مافعله الزلازل والحروب في اسوارها وابراجها ويتجولون بين اطلالها وركامها متأسفين وبحوقلين فيأمرون باحضار المهندسين والبنائين ليرموا ويجددوا مافعله فيها طواره الحدثان فتنفذ اوامرهم وتحقق رغائبهم فوراً . واتأمل بلدة شيزر السفلى ذات السور والابواب الثلاثة والمنزهات والبساتين والزرع والفواكه الكثيرة التي كانت فيها واسأل كيف عفت عوادي اثر مات رسومها فاصبحت ضيقة صغيرة وييلة والبلدة العليا التي كان ينزلها امراء وجنود اعزاء بعدون بالألوف كيف اصبحت الآن كالاطلال الدارسة سكانها قلائل فلاحون بينهم بيت قديم يعرف بالشيزري باعوا قريتهم وموئل سوددهم لبعض سرة حماة فاصبحوا صعاليك مفاليك في غابة من البؤس والجهل لاسيما في معرفة ما كانت عليه هذه القلعة ومن سادوا وشادوا فيها . فسبحان محول الأحوال بئوي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء .

هذا الطريق بين شيزر وحماة تبلغ نحو ٢٤ كيلومتراً والسائح بعدان بصعد من وادي شيزر يجتاز سهولاً شاسعة ذات تربة حمراء فيمر من غربي قرية كبيرة تدعى محردة قسبة ناحية طار العلا ذات دور حجرية بيضاء اهلها من طائفتي الروم والسريان يبلغون ثلاثة آلاف وهي قريبة من العاصي عرفت بجمال نسائها وسعة كرومها الممتدة عن يمينها ويسارها . وفي شرقيها قرية كبيرة أخرى تدعى حلفايا اشير في إحدى الخرائط الحديثة الى قنساء ماء مندثرة تأتي اليها من حول قرية معر زاف وتسير شمالاً مجتازة العاصي الى قرية اللطامنة فقورك . والعاصي القادم من حماة بعد ان كان يتجه من الجنوب الى الشمال ينحطف نحو

الغرب بين قريتي حلفايا واللطامنة عند طاحونة الوعرة وبعد ان يجتاز من شمالي حلفايا -  
ومحردة على مقربة منها يتجه نحو شيزر كل ذلك في وهاد صحيفة ومنعرجات عديدة .  
والباحث عن العاصي ويجراه في هذه الربوع لا يسهه الا ان يتسائل عن موقع دير القديس  
مارون ابو الطائفة المارونية الذي قيل انه كان على العاصي بين شيزر وحماة ويظهر ان  
الروم البيزنطيين في القرن الأول للهجرة لما خربوا هذا الدير وذبجوا رهبانه عفوا رسومه .  
بالكلية فأصبح لا يعرف له اثر ولا خبر . هذا وبعد محردة يغادر السائح على يمينه ضياع  
عديدة منها تل سكنين فعادة ومعزاف وقد ذكرهما - أسامة بن منقذ في كتابه . وبعد  
المجدل يجتاز نهر الصاروت احد روافد العاصي وعليه جسر قديم ، وهذا النهر يتألف من  
اودية وجداول تنحدر نحوه من اذيال جبل الكلية بين بعرين ومصياف . ثم يرى على يمينه من  
الضياع الشير وفي غربيها كفر عميم والتويم وام الطينور وفي جنوبيها كفر الطوب وتل  
سكنين الصاروت ويلج في جنوب هاتين القريتين اطلال عالية لقصر قديم في قرية تيزين  
قيل انه كان مصيفاً للملك المظفر محمود .

ويلج في الافق الشرقي البعيد جبال العلا يظهر منها جبل الفانات وجبل كاسون  
( علوه ٥٨٦ متراً ) وتمتد هذه السلسلة في الشرق الجنوبي الى قلعة شميميس وبلدة سلمية  
التي اشتهرت بقنيها الرومانية وكرومها وبساتينها ويأنها منشأ الدعوة الاسماعيلية وموطن اهل  
هذه الشيعة قديماً وحديثاً عمروها بعد دثورها في آخر القرن الماضي وجعلتها الحكومة قاعدة  
قضاء تتبعه قرى وضياع عديدة تمتد الى سفوح جبل البلعاس سكانها من الاسماعيلية  
والنصيرية وقليل من السنيين والشركس . ويلج ايضاً قرون حماة وهما جبلان متقاربان  
يبعدان عن حماة الى الشمال نحو عشرة كيلومترات يدعى الكبير منها زين العابدين  
( ٦٣١ متراً ) والصغير كفر راع ( ٦٤٥ متراً ) وفوق الأول جامع مهجور ذوقبتين يضاوين  
من آثار الملك الأشرف قيتباي في سنة ٨٨٣ وفي الجامع مقام يسمى زين العابدين ( ؟ )  
تقصده النصيرية من جبال الكلية بالزيارة وحولها قريتا الهاشمية وكفر راع . وقد اشتهرت  
قرون حماة بالمصاف الذي وقع حولها في سنة ٥٧٠ بين صلاح الدين الأيوبي وصاحب  
حلب الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود وابناء اعمامه الذين جاؤا من الموصل وكانت



الدائرة عليهم . هذا وبعد ان يترك السانج على يمينه قرى الشير وشيخا ومعدفتين وعلى يساره في سقي العاصي مزارع كبيرة تروى بالنواعير تدعى ازوار منها الناصرية وخطاب ومعدس وأرزة يرى امامه في وادي العاصي كازو وفي شرقها قمحانة والظاهرية اللتان ترمها سكة حديد حماة — حلب وعين الباد وجبرين وهكذا الى ان يمر من جوار محطة السكة الحديدية ومقابر حماة واحيائها القريبة منها ثم يهبط وادي حماة المنخفض .

وصفي زكريا

« للبحث صلة »

# جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٤ —

حدثني محمد بن احمد بن عثمان بن الحارث الزيات قال حدثني ابي قال كان لي وجماعة من التجار ببغداد على رجل من البزازين اربعة الف (١) دينار فقام للناس فاجتمعنا ففتحنا دكانه فوجدنا فيه متاعاً ثمنه اربعمائة دينار فقال ان اخترتم اخذها وإبرائي من الباقي فخذوا فاني لا أرجع الى شيء غير ذلك وان اخترتم ان تؤخروني بالدين وافتح دكاني واعمل بهذه اربع مائة الدينار دفعت اليكم في كل سنة اربع مائة دينار فيأخذ كل واحد منكم منها العشر من ماله وتستوفون المال في عشر سنين فأجبناه الا رجلاً يعقد يقول زيدوني على العشر ولو ديناراً واحداً في السنة فقلنا للرجل أجبه الى هذا فقال ان أعطيت هذا الدينار زيادة على اربعمائة الدينار في السنة مضت اربع مائة الدينار في السنة (٢) سنين وبقيت بقية دينكم بحالها . فعجبنا من ذلك وقلنا

---

(١) يريد آلاف .

(٢) الصواب : في التسع سنين .

اوجدنا صحة ماقلت فقال هذه اربعمائة دينار اذا تجرت فيها سنة وسلمت فربحي اربعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وتسعة وتسعون ديناراً فأتجر فيها في الحول الثاني فيحصل معي سبعمائة وثمانية وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار يبقى ثلاثمائة وسبعة وتسعون ديناراً فيحول الحول الثالث فيصير المال سبع مائة اربع وتسعون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاثمائة وخمسة وخمسون ديناراً (١) يحول الحول الرابع فيصير سبعمائة وستون ديناراً يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى خمسمائة وثمانون ديناراً ويحول الحول الخامس سبعمائة دينار يخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاث مائة خمسة وثمانون ديناراً ويحول الحول السادس فيخرج منها اربعمائة دينار ودينار يبقى ثلاث مائة تسعة وتسعون ديناراً ويحول الحول السابع فيصير سبعمائة واربع وخمسين ديناراً يبقى ثلاثمائة وسبعة وخمسين ديناراً ثم يحول الحول الثامن فيصير مائتين وتسعين ديناراً يخرج منها ثلاثمائة دينار بقي منها مائتين تسعة وستين ديناراً والدين الدين ولا يمكن ان يدفع اليكم اذا كان الاصل اربعمائة ودفع اليكم (٢) اربعمائة : فاجابته الى الاقتصار على اربعمائة : وفتح دكانه وعمل ورزق : .

« يقول المصنف (٣) قد غلط النامخ في ايراد حجة التاجر غلطات أفسدت ... معناه فيصلحه الجدول الآتي : .

(١) سيأتي التصحيح بعد انقضاء الحساب . (٢) لعله : اليهم . .

(٣) [المجمع] هو الأستاذ مرجليوث .

	٨٠٠	للسنة الاولى الأصل مع الرج
	٤٠١	يخرج
٣٩٩		يبقى
	٧٩٨	للسنة الثانية الأصل مع الرج
	٤٠١	يخرج
٣٩٧		يبقى
	٧٩٤	للسنة الثالثة
	٤٠١	يخرج
٣٩٣		يبقى
	٧٨٦	للسنة الرابعة
	٤٠١	يخرج
٣٨٥		يبقى
	٧٧٠	للسنة الخامسة
	٤٠١	يخرج
٣٦٩		يبقى
	٧٣٨	للسنة السادسة
	٤٠١	يخرج
٣٣٧		يبقى
	٦٧٤	للسنة السابعة
	٤٠١	يخرج
٢٧٣		يبقى
	٥٤٦	للسنة الثامنة
	٤٠١	يخرج
١٤٥		يبقى



٢٩٠	للسنة التاسعة
٤٠١	يخرج
١١١	يبقى

\*\*\*

وحدثني قال حدثني ابي فقال كل كيس يكون فيه الف درهم فتخرج منه درهماً واحداً ولا يدخله درهم آخر فان الكيس كله يذهب ان كان بتجارة فنقصان (١) ربحها وان كان بنفقة فليس يحتاج الى دليل . وانما يحفظ الاموال فضولها وينستر (٢) التاجر بربحه .

\*\*\*

حدثني عبيد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو عبد الله بن (٣) محمد ابن ابراهيم بن عبيد الله الفقيه الجعفي الارمني قال كان ابو زهير الجبائي الفقيه ورعاً حاذقاً بمذهب ابي حنيفة فدخل بغداد فبلغه اخبار ابي الحسن الكرخي رضي الله عنه في ورعه قال فلقية فقال له يا ابا الحسن بلغني انك تأخذ من السلطان رزقاً في الفقه قال نعم قال ومثلك في عملك ودينك بفعل هذا فقال له ابو الحسن اوليس قد اخذ الحسن البصري رضي الله عنه في زمنه وفلان فعدّ خلقاً من الصالحين والفقهاء ممن أخذ من بني أمية فقال له ابو زهير : ذهاب هذا عليك اطرف : بنو أمية كانت مصائبهم في اديانهم وجبايتهم الاموال سليمة لم يظلموا في العشر ولا في الخراج وكان الفقهاء يأخذون من الأموال مع

(١) لعله : فنقصان . (٢) لعله : يتيسر يعني يصير ميسوراً .

(٣) لعله : زائد .

سلامتها وهو لاء (١) مع سلامة اديانهم اموالهم فاسدة وجباياتهم بالظلم والغش فسكت ابو الحسن فلما كان وقت قبض جائزته لم يطالب بها وتركها ولم يقبض شيئاً من الجاري الى ان مات . قال لي عبد (٢) الله بن داسه ان زهيراً هذا هو استاذ ابي محمد بن عبدل الذي علمه الفقه على مذاهب اصحابنا وكان ابو محمد بن عبدل استاذنا نحن في الفقه وقد درست عليه وشاهدته الطويل العريض وما سمعت هذه الحكاية منه .

\*\*\*

وحدثني قال لي بعض شيوخنا ان الشيخ اذا أسن صارت فيه ثلاث خصال مذمومة اذا قام عجن (٣) واذا مشا زفن (٤) واذا سعل قرن (٥) .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني عبد الله بن معاذ قال حدثني شيخ من اهل المذار قال كان لي زرع في ضيعة وكان حسناً جيداً وافراً وكنت واسع الطمع فيه فبت ليلة فرأيت في منامي كأنني بنفسين يطوفان الصماري المزدرعة ويقول احدهما للآخر اكتب : زرع فلان كر وفلان كرين قال وانا احفظ الاسماء وبلغ الكيل الى ان جاء الى قراحي فقال اكتب وزرع فلان ثلاثة اكرار فقلت له اعزك الله زرعي والله في غاية الجودة وانا اوئل فيه عشرة واكثر فقال لصاحبه اكتب ثلاثة اكرار قال فلما كان من الغد انتبهت متعجباً وقمت وما مضت ايام حتى لحقت الغلة آفة ونجا بعض الناس واصيب بعضهم وحصد

(١) يعني : العباسيين . (٢) لعله : عبيد . (٣) يعني نهض معتمداً على الارض كفعل العاجن . (٤) يعني رقص كأنه أعرج . (٥) لعله يريد استمر .

جبراني وحصدت قال فحصل لي والله ثلاثة اكرار لا تزيد قفيزاً ولا تنقص قفيزاً قال وعرفت خبر القوم الذين كنت حفظت اسماءهم ومبلغ كيلهم فاذا كيل الجميع قد خرج على ذلك المبلغ سواء .

بلغني من جهة وثقت بها عن معز الدولة انه قال مانام بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس مقبل قط وهذا منه (١) انه رجل عجمي حسن جداً والاصل في ذلك قول امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بورك لأمتي في بكورها .

\*\*\*

حدثنا ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال كان ابو عمر القاضي يجتاز بباب دارنا دائماً ذاهباً الى ضيعته المعروفة بالصالحية وانا صبي وبعد ذلك الى ان صرت حدثاً قال فسمعت اذ ذاك انه اجتاز فلما صار على شاطئ نهر عيسى رأى رجلاً في الماء وهو يصيح الغريق ولم يكن بين يدي ابي عمر الا غلام واحد قال فصعد ابو عمر بحماره على تلعة وصاح باعلى صوته ياناس ياناس دفعات فلم يجبه احد لخلو الموضع وانقطاع الطريق فنزل عن حماره وقطع عمامة كانت عليه ورعى بها الى الرجل واخذ طرفها يده ومسك بيده الأخرى شجرة كانت هناك وقال للرجل لا خوف عليك فاجذب العمامة بكل قوة قال فما زال الرجل يجذبها ويقرب الى ان قرب من الشط حتى رقا في الشط وخر مغشياً عليه وجازت جماعة فرأوا القاضي على تلك الصورة فدعوا له وشكروه

(١) لعله سقط : بحيث .

وبادروا الى الرجل وعصروا جوفه من الماء ونجا وعاش .

\*\*\*

حدثني عبد الله بن احمد بن بكر البصري قال كان المهريين بالبصرة له (١) نعم ومروآت وكانوا في جيراننا فحدثني شيخنا ان فتى منهم وكان ظريفاً فركب في يوم شاتٍ شديد البرد والماء قد جمد وليس عليه من الحشو شيء إنما كان عليه قميصان وعمامة وطيلسان وخف فدخل الى قوم فعجبوا من صبره على البرد فتزع خفه فاذا هو قد طلا رجله بالغالية وحشا منها شيئاً كثيراً بين أصابعه وفي سرتة واستعمل منها شيئاً كثيراً في لحته واخذ خرقة وطلا عليها ووضعها على رأسه وتعم عليها فحسي حياً لم يحتج معه الى اكثر من قميصين .

\*\*\*

قال وحدثني شيخنا ان محمد بن سليمان بن علي الهاشمي كان في ضيعته التي يقال لها المحدثه خارج البصرة جالساً في مجلس على بستان وفي بعض زوايا البستان اجانة صيني كبيرة مملوءة غالية فدخل اليه قوم من العامة في حاجة لهم وكان احدهم خسينس الحال فلما رأى الغالية سرق منها شيئاً كثيراً اغترفه ملء كفه فوضعه على رأسه وأطبق عمامته عليه وأطال القوم الجلوس وهو معهم فلما قاموا قام معهم فلم يبصر فقال خذوا يدي فقد عميت فاغتم محمد بن سليمان لذلك وجاء بطبيب في الحال وقال ما دهاك فلم يصدقه فامر

(١) لعله : المهريون بالبصرة لهم .



الطبيب بكشف رأسه فرأى الغالية فصب عليها الماء البارد حتى لم يبق لها أثر ثم طلاه بالصندل والماورد والكافور وأقامه في الهواء ساعة فعاد بصره الى حال الصحة وانصرف .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني ابو الحسن محمد بن اسحاق بن عباد النجار وهو شيخ من وجوه التمارين بالبصرة طال عمره وحدث وكتبت عنه ولم أسمع هذه الحكاية منه قال كان في جوارنا فلان فتصدق ليلة على ضرير اجتاز به وهو لا يعرفه فأراد ان يفتح احد صرتين في كمه في احدهما ذهب وفي الاخرى دراهم فيعطيه درهماً فأعطاه ديناراً وانصرف الضرير وهو لا يشك ان معه درهماً فبكر به الى بقال يعامله فقال خذ هذا الدرهم واحسب مالك علي واعطني الباقي كذا وكذا فقال له البقال يا هذا من اين لك هذا قال أعطاني البارحة فلان قال انه دينار فخذ فآخذه الضرير وجاء به من الغد الى الرجل وقال انك تصدقت علي بهذا وأظنك أردت ان تعطيني درهماً وغلطت وما أستحل أخذه مغالطة فخذ فقال له الرجل قد وهبته لك واذا كان في رأس كل شهر فتعال الي أعطيك شيئاً آخر مجازاةً لامانتك وكان يجيئه في رأس كل شهر فيعطيه خمسة دراهم . قال فلم أر أعجب من أمانة البقال والضرير والبقال (١) ولو كان في هذا الوقت لجرى ضد ذلك .

\*\*\*

قال وقال لي ابن عباد و كان يقرأ بالسبعة فكنت أسمعه طول الليل يقرأ و كان فقيراً فاذا كان النهار خرج يتصدق (١) فاسمعه ينشد على الطريق الرقائق والزهديات لا أسمعه يتصدق بغيرهما فقلت له يوماً يا فلان انت تحفظ القرآن وأراك تتصدق بالرقائق فكيف لا تقرأ وتتصدق كما يفعل الاضرء فقال والله لا أعرض القرآن للمسألة ابداً .

\*\*\*

حدثني ابو محمد قال حدثني السورجي شيخ كان يجاورنا مستورا قال كانت لي امرأة صالحة فكنت اذا اشتريت لحماً لطبخه لنا طبخته وغرفته جميعه وجاءتني به و كنت أكل ولا فكنت آكله جميعه وتجمع هي واولادها قلمت لها ياهذه اذا طبخت شيئاً فاقسميه قسمين وجيئني باحدهما ودعي الآخر لنفسك واولادك فقالت لا والله لا أفعل هذا بل أقدمه اليك كله لتأكل أجوده فانك انت تسأل عنه .

\*\*\*

أنشدني ابو الحسن بن ابي الليث لنفسه :  
 عصيت الهوى وأطعت العزولا      و كنت كما قال في الحسود  
 ومأمت رقتك فهو المنى      وبعثك للدين فيمن يزيد  
 لئن لم أكن أتمنى السقام      لعلني ألقاك فيمن يعود  
 ( للبحث صلة )

(١) اي يطلب الصدقة ويستعمل في الاكثر في من يعطيها .

## آراء وافكار

—(«)—

### كلمة مكان كلمة

« صَوْنَة مكان شنطة ( أو ) — Sac-à-main »

سئلت عن كلمة عربية تقوم مقام ( شنطة ) وهي المحفظة الصغيرة من جلد تحملها المرأة بيدها وتضع فيها دراهمها وادوات زينتها وتسمى بالفرنسية ( Sac-à-main ) وفي اللغة العربية كلمات كثيرة تدل على الأوعية التي توعى فيها الاشياء . ومنها الكبير كالفرارة والجوالق والعدل والعِصم . ومنها الصغير الذي توعى فيه الثياب والامتعة اللطيفة الحجم . وهذا النوع منه ما هو خاص بامتعة المرأة وادواتها ومنه ما ليس كذلك كالكيس والجراب والحقيبة والعبية والخريطة والصوان والتخت والجُونة والسَّامة والصندوق والقمطر والكرز والخرج الى غير ذلك مما لا حاجة بنا الى شرحه وبيان ما يوضع فيه فنحن في هذه المجالة نستعرض كلمات الأوعية التي يفهم من كتب اللغة انها من أوعية النساء ثم نختار منها ما هو الأليق بالاستعمال مكان كلمة ( شنطة ) .

( القُفَّة ) أصل معناها القرعة اليابسة ثم سموا ما يتخذ من خوص النخل على شكل تلك القرعة قُفَّةً وتستعمله المرأة في وضع قطنها . ويريدون بقطنها القطن الذي تغزله . فليست القُفَّة إذن مما نحن فيه ولا سيما انها شاعت في لغة تخاطبنا بمعنى المكتل والزنبيل . ( المشيعة ) بكسر الميم هو ايضاً وعاء تجعل فيه المرأة قطنها ونحوه .

( السفت ) قالوا هو الذي يعبى فيه الطيب وما اشبهه من ادوات النساء ولكنه ايضاً ليس مما يحسن ان يوضع موضع الشنطة لأن ( السفت ) يستعمل كثيراً في وعاء الجواهر وغيرها فهو من أوعية الصاغة والجوهرية والتجار ولم يعد مما يختص استعماله بالنساء .

( النمط ) وعاء كالسقط وزاد بعضهم قوله ( تجعل المرأة فيه ذخيرتها كالعِكم ) وليس هذا ايضاً مما نحن فيه لأن المراد بـ ذخيرة المرأة مؤونة بيتها لا أدوات زينتها لأنهم جعلوه كالعِكم والعِكم العدل .

( الحفش ) بكسر الحاء وعاء تجعل فيه المرأة دهنها . والمراد بالدهن هنا ما كان نحو السمن والزيت او المراد به ما كان من قيل الطيب فيكون من أوعية النساء .

( الظبية ) أنثى الغزال ثم يتخذون من جلدها المكسو بالشعر جراباً يخبأون فيه الامتعة وقد جاء في الحديث الشريف ( اب النبي صلى الله عليه وسلم أهدي اليه ظبية فيها خرز فأعطى أهل العزب ) والمراد بالأهل المتزوج . فيوشك ان تكون ( الظبية ) مما يستعمله النساء في وضع أشياءهن كالخرز . ومع هذا فلا يحسن ان تقوم مقام ( شنطة ) لأن عبارة اللغويين ليست صريحة في ان الظبية مما يستودع ادوات النساء . واذكر ان الحجاج قديماً اذا أبوا من الحج يكون معهم في جملة الهدايا أوعية صغيرة من جلد أحمر على شكل مخصوص يهدونها الى غلمان أهليهم يضعون فيها فلوسهم وكنا نسميها ( ضبوة ) بالضاد والواو ولعل ( ضبوة ) هذه محرفة عن كلمة ( ظبية ) المذكورة .

( المثبنة ) كيس تتخذ فيه المرأة مرآتها والظاهر انه خاص بالمرأة بصونها من الصدأ والوسخ . ونحن نريد وعاء يستودع المرأة وغيرها من ادوات زينة المرأة .  
( الدُرُج ) سقطة ( تصغير سقط ) صغير تذخر فيه المرأة طيبها ويظهر من هذا التفسير ايضاً ان الدرج خاص بالطيب .

( الطبل ) قالوا : طبل المرأة الذي فيه طيبها وحنائوها تتخذ فيه مواضع للقوارير بجواجز بيتها . هذا ما قالوه في تفسير الطبل . وقولهم ( بجواجز ) يشعر أن هذا الوعاء كبير بحيث تكون فيه حواجز تحجز بيوته الصغيرة بعضها عن بعض . وكأنه على حياة ( الطبل ) فسمى ( طبلًا ) . وعبارة اللغويين صريحة في انه خاص الاستعمال بالنساء . ومع هذا لا أظن أن نساء اليوم يرتضين اختياره ليقوم مقام ( الشنطة ) أو المحفظة على أن في لفظه ابتداءً وفي معناه اشتراكاً فإنه أكثر ما يستعمل اليوم بمعنى طبل العرس أو طبل الحرب .

( القشوة ) قفة من خوص ( أي جريد النخل ) يجعل فيها مواضع للقوارير ( أي صغار القناني ) بجواجز بينها لعطر المرأة وقطنها وأدواتها . يقال ( فلانة : اذا قثت قشوتها



تفتح نشوتها ) اي فاحت رأتحتها الطيبة . وسميت ( قشوة ) من قشا العود اذا قشره وقشا العصا اذا أزال عنها لحاءها وفي حديث قيلة ( ومعه عسيب نخلة مقشوة ) اي مقشور عنه خوصه . فقشوة المرأة تتخذ من عيدان أو جريد نخل مقشوة اي مقشورة منحوتة .

وقال الأزهري : القشوة هي شبه العتيدة المغشاة بجلد وقال العلامة سليمان البستاني في تعليقاته على كتابه : ( تعريب الالفاظ ) قشوة الطيب قفة من خوص تجعل المرأة فيها أدواتها وتحملها معها ، فقوله ( وتحملها معها ) زائد على ما قاله علماء اللغة . فلعله رأى هذه الزيادة في بعض ما لم نطلع عليه من كتب اللغة أو الأدب . وقوله ( تحملها معها ) أي في السفر أو بحملها يدها اذا خرجت من دارها الى زيارة صويحاتها كما يفعل نساء زماننا . وهذا مما يجعلنا نفضل استعمال كلمة ( قشوة ) على غيرها من الكلمات لتقوم مقام ( شنطة ) أو Sac-à-main وزد على ذلك ان اللغويين قالوا أن القشوة شبه العتيدة المغشاة بجلد فتغشيتها بالجلد يجعل شبيهاً بينها وبين محافظ النساء في هذا الزمان لان المحافظ من جلد عادة . ولكن لفظ ( قشوة ) ليس مما يستحب لديهن في ما أظن على ان ( القشوة ) في لغة الدماشقة يريدون بها علبة لطيفة تعي فيها لوازم النساء ولوازم طفلها كالبودرة والتطن والكحل الخ . لذلك نضرب عن ( القشوة ) صفحاً ونعدل الى أختها وهي كلمة ( العتيدة ) .

( العتيدة ) طبل العرائس أعتدت اي هيات لوضع ما تحتاج اليه العروس من طيب وأداة وبخور ومشط وغيره وقد مر الكلام على كلمة ( الطبل ) وانه الوعاء الذي تجعل المرأة فيه أدواتها وفي حديث ام سليم ( ففتحت عتيدتها ) وقد فسر ابن الأثير في نهايته كلمة ( العتيدة ) بقوله هي كالصندوق الصغير الذي تترك فيه المرأة ما بعز عليها من متاعها اه . فالعتيدة نراها أقعد تلك الكلمات واجمعها لشروط الحسن واجدرها بالاستعمال . واذا لم تعجبهم ( العتيدة ) ولا اخواتها ( القشوة ) و ( الطبل ) و ( الطيبة ) و ( المثبنة ) و ( الدرج ) فلدينا كلمة اخرى هي آخر سهم في الكنانة وهي كلمة :

( الصَوْنَة ) يقولون وضعت العروس طيبها في ( الصونة ) . فلتصح عن يميننا على اختيار هذه الكلمة واستعمالها مكان ( الشنطة ) ولا سيما ان لفظ ( الصونة ) بذكر بالصيانة حتى اذا حملتها احداهن في بدنها وخرجت من دارها كانت نعم العاحب لها تذكرها بالصون وتنبها الى ما يحسن بها خارج بيتها من الأدب والحشمة عدا ما في ( الصونة ) من رشاقة

اللفظ وسهولته وكم من الفرق بينه وبين الشنطة . وبين ( ساك أمين ) الافرنسية التي نخشى ان تشيع بينهن وتغلب على السفتهن .

المغربي

## مطبوعات حديثة

— — —

### تهذيب تاريخ ابن عساكر

« الشيخ عبد القادر بدران الدومي المتوفى سنة ١٣٤٦ هـ وقف على طبعه السيد »

« احمد عبيد . الجزء السابع ص ٤٨٠ طبع في مطبعة الترقى بدمشق سنة ١٣٥١ »

صدر هذا الجزء من هذا التاريخ المفيد وفيه صور من التراجم المطولة والمختصرة . والمؤرخ يتوخى كما يتوخى ابن الخطيب البغدادي صاحب تاريخ بغداد ان يترجم للمحدثين او لمن نقلوا الحديث من الصحابة فمن بعدهم الى عصره وان كان لا يقلل الأدب والشعر والاخبار اذا كانت مما يغلب على مترجميه ومن ترجم لهم تراجم مطولة يستفاد من لغتها وأفكارها وأخبارها . وفيه من التراجم ترجمة الأحنف بن قيس . طارق بن زياد . طرماح بن حكيم . طلحة الخير . ابوالأسود الدؤلي . عامر الشعبي . ابو عبيدة بن الجراح . ابوالهيذام المري . العباس عم الرسول (ص) . ابومسلم الخولاني . عبدالله بن رواحة . عبدالله بن الزبير . الى عشرات غيرهم ممن أطل المؤلف في الترجمة لهم أو اختصر . وكلهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من رجال الاسلام ممن استوطنوا دمشق أو دخلوها سائحين .

وبتألف من أحاديثهم وأخبارهم وأشعارهم وخطبهم وحكمهم وسممهم وسيرهم كتاب في الأدب تقيس ، يعلم الفصاحة ويحيي فصحا وشوارد جميلة في المنظوم والمنثور . وفي هذا الجزء أمور كثيرة ليس لها وجود في المتداول من كتب التراجم والسير والحوادث والآداب لاجرم انه سيتألف من مختصر ابن عساكر مجموع في هذا المعنى يغني عن المطولات المتنوعة ، مما لا يتسع حال الزمان لاقتناء الناس له ، ولا مطالعة مطالعة تدبر وتبصر . وباحياء

مثل هذه الأسفار في الحقيقة إحياء لجوانب كثيرة كانت غير متجلية تجلياً حقيقياً من مدنيتنا وتاريخنا . فالشكر للاستاذ ابن عبيد المعنى بمراجعة اصول هذا الكتاب الذي ابتلي كـبعض مخطوطاتنا بجهل النساخ حتى حرفوه ومسحوا محاسنه . ومن قابل الايات ( ص ٤٤٩ — ٤٥٧ ) الواردة في المتن بما صححها به مصححها الفاضل يتجلى له مقدار العناء الذي لاقاه في اثبات الصحيح من الألفاظ حتى تفهم المعاني ، وإذا وقعت له مظان أخرى فتوقف فيها ، فعذره انه لم يقع على غير نسخة واحدة بحرفة . ولعل الايام لاتضن على هذا السفر المحترم بإيجاد نسخته المبعثرة في البلدان لتصحيح ما سقم منه بطول الايام وجهل الابدي التي تعاوته .

م . ك

## رسول الوحدة

### «أوالوحدات الخمس»

يقوم إخواننا مسلمو الهند في هذه الايام بنهضة دينية ثابتة القدم . متسعة النطاق . وقد جعلوا للغة العربية نصيباً مفروضاً من نهفتهم هذه كما اشرنا الي ذلك في مكان آخر من مجلد هذه السنة . ومن مساعيهم الحسنة انهم سموا يوم مولد النبي صلى الله عليه وسلم — (يوم النبي) ولم يقتصر وافيهِ على قراءة قصة المولد المشهورة التي اصبحت على تمادي الايام ضعيفة التأثير في نفوس المسلمين بل أخذوا على أنفسهم استكتاب الفضلاء محاضرات في حياة النبي (ص) وسيرته وحقائق شريعته ثم يترجمون تلك المحاضرات الى اللغات المختلفة وينشرونها في العالم . قالوا : ولقد كان من نتيجة المساعي التي بذلت في السنوات الثلاث الماضية أن أقيم في مئات من المدن مراكز لإشاعة ( الحياة النبوية ) وقد ترجمت الحياة الى ( ١٧ ) لغة وأقيم في مختلف جهات العالم خمسون الف احتفال ووزع ما يزيد على سبعمائة الف كتاب في ( الحياة النبوية ) بين المسلمين وغير المسلمين مجاناً . وقد أرسل الاعلان الأسامي لهذه الفكرة — الى ٢٨٥ صحيفة لنشره حيث يعم من ( كاليفورنيا ) الى سواحل الصين اد .

ومن هذه المحاضرات التي أقيمت في (يوم النبي) محاضرة بليغة بعنوان (رسول الوحدة) القاها زعيم الاصلاحيين في بلاد الهند مولانا الاستاذ ( سليمان الندوي ) ولعله القاهها باللغة

الاوردية فترجمها مولانا (احسان سامي حقي) الى اللغة العربية وقد أرسلت الى مجموعنا نسخة من هذه المحاضرة فاذا هي تتضمن ستة أبحاث في الوحدات الخمس (١) وحدة الالهة (٢) وحدة الرسالة (٣) وحدة الكتاب السماوي (٤) وحدة الانسانية (٥) وحدة الدنيا والدين . فكان المحاضر يشرح كيف أنه صلى الله عليه وسلم علم بهذه (الوحدات) ثم يقارن بين تعاليمه فيها وبين تعاليم الاديان الأخرى ويبين أفضلية التعليم المحمدي وفائدته للبشر وإصلاح حالهم . وفي المحاضرة فوائد تشرح لنا عقائد اديان الهند وتعاليم أنبيائهم . ويظهر من كلام مولانا سليمان الندوي أنه يعتبر سقراط وزرادشت وبودا وكوفوشوس وامثالهم من الانبياء الصادقين الذين لم تذكر اسمائهم في القرآن . وذكر أن فرقة من فرق الهندوس الوثنيين تعتقد بثلاثمائة وثلاثين مليون من الآلهة وهذا اكبر عدد في تعدد الآلهة كما ان عقيدة (ماني) القائلة بالآلهين أقل عدد . وقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم فعلم بالتوحيد المحض وقد أدرك المعددون خطأهم فأخذوا في إصلاحه : فقد قام في القرب الرابع عشر لليلاد المصلح (رامانندسنياسي) فدعا الى توحيد الآلهة وذهب الى ان مذاهب العالم كلها مستمدة من نبع واحد . وقام بعده في القرن الخامس عشر المصلح (كبير) ففقد على عبادة الأوثان وحاول ان يدمج الوثنيين بالمسلمين الموحدين . قال (وهكذا يظهر ان مذهب السيخ كان وضع اساسه في ابتداء أمره بناء على هذه النظرية) يعني نظرية التوحيد . أما المصلح (كبير) هذا فهو رجل حائك ألف فرقة موحدة وقد انقرضت فرقته . ولا يزال بعض كتبه التي ألفها متداولاً في أيدي الناس وأكثرها شعراً . وأما مذهب (السيخ) فصاحبه (بابانانك) البنجابي ومذهبه كان أقرب الى الاسلام منه الى الهندوسية غير ان اتباعه عادوا فابتعدوا عن الاسلام واقتربوا من الهندوسية ولهم كتاب مقدس وعددهم نحو ثلاثة ملايين ونصف ومسكنهم البنجاب . وكلمة (سيخ) تكتب في اللغة الهندية هكذا (سيكه) ونلفظ بكسر السين والياء وإسكان الكاف والهاء المدغمتين . وذكر المحاضر الفاضل ان الاسلام علم بوحدة الانسانية بينا الوثنية تفرق هذه الوحدة فجعل الانسان طبقات مختلفة طبقة خلقت من (فم الآلهة) وأخرى من (يديه) وثالثة من (رجليه) وهلم جرا . وذكر المحاضر في بحث وحدة الرسالة ان الاسلام علم بوجوب الايمان بالرسول وأبطل ما كان عليه اليهود من تكذيبهم لعيسى وما كانت عليه قريش إذ (كانت تكره



حتى استماع اسمه ) اي اسم عيسى ؟ ؟ الى غير ذلك من الفوائد التي تضمنتها تلك المحاضرة النفيسة بالشكر لصاحبها .

المغربي

—••••—

### ثلاث رسائل

« في علم مصطلح الحديث »

علم مصطلح الحديث او علم اصول الحديث من العلوم الجليلة التي يتوقف عليها الاجتهاد او التشريع في الاسلام ومن ثم تعددت التأليف في هذا الفن وطبع منها الشيء الكثير وبقي الشيء الاكثر مدفوناً في مظامير الخفاء تنتظر ارباب الجد والحرص على نشر العلم فينشرونها من مدافنها ويثيرونها من مكائنها . من ارباب الجد هؤلاء الأستاذ الشيخ راغب الطباخ عضو المجمع العلمي العربي في حلب فإنه لا يألو جهداً في التنقيب عن نفائس الكتب وطبعها ونشرها . من ذلك ثلاث رسائل في علم المصطلح عثر عليها في بعض الجامعات المخطوطة المحفوظة في مكتبة التكية الاخلاصية وبعد ان عارضها بثلاث رسائل من جنسها محفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق طبعها في كتاب واحد تبلغ صفحاته نحو ثمانين صفحة حسنة الطبع والضبط والتصحيح والتعليق .

وأولى تلك الرسائل ( تذكرة الطالب المعلم . بمن يقال انه مخضرم ) وهؤلاء المخضرمون من رواية الحديث بلغ عددهم اثنين واربعين رجلاً والمخضرمة في مصطلح الحديث ان يتردد الراوي بين طبقتين من طبقات الرواة بحيث لا بدري من ابتهما هو :

والرسالة الثانية ( التبيين لأسماء المدلسين ) والراوي المدلس هو الذي يروي الحديث ولا يسمي من حدثه به أو يوم أنه سمعه من محدث ولا يكون ذلك المحدث حدثه به في الواقع ونفس الأمر . والتدليس انواع مبسطة ومبينة في هذه الرسالة وسواها .

والرسالة الثالثة ( الاغتباط بمن رمي بالاختلاط ) هذه الرسالة تكشف لنا عن اسماء رواة الحديث وعلمائهم الذين اصابوا في آخر عمرهم بالخرف أو العتة فتقع الشبهة في الأحاديث التي رووها : هل رووها في حالة سلامتهم او في حال عتيتهم . والرسائل الثلاث تأليف الحافظ

برهان الدين أبي اسحق إبراهيم بن محمد بن خليل السبط بن العجمي انحدث بالمدرسة الأشرفية  
بجلب المتوفى سنة ٨٤١ هـ .  
المغربي

### المسك الأزفر

« تأليف السيد محمود شكري الآلوسي البغدادي رحمه الله »

سوق العلم لا تزال كاسدة في بلادنا على الرغم من النهضة المباركة التي نراها اليوم في  
الشبيبة السورية لان الأكتارين انما يطلبون العلوم الفنية كالطب والصيدلة والحقوق من  
أجل تأمين مستقبلهم وكسب رزقهم من هذه الأبواب . ومن حصل لغة قبل ذلك فليل  
الشهادة المدرسية التي تمكنه من دخول مدارس العلوم الفنية .

قليل اليوم من يهتم بالعلم من اجل العلم . وقل منهم من يعتنى بتدوين تراجم العلماء  
المحدثين مع أن تراجم العلماء الاقدمين كُتِبَ بها اكثر من ان تُعد . ذلك لان جامع مثل  
هذه الكتب لا يبيع منها بما يستعيب به نفقة الطبع فضلاً عن الربح . وهذا من جملة  
براهين كساد العلم الذي لا يدرك لصاحبه كسباً مادياً .

سنة السيد نعمان الاعظمي ببغداد قطعة ولو صغيرة من الثمة الكبيرة ، بطبعه على  
نفقته كتاب « المسك الأزفر » للرحوم السيد محمود شكري الآلوسي المتضمن تراجم علماء  
بغداد في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وقد أهدي الى مكتبة المجمع العلمي الجزء  
الاول منه وهو مصدر بتراجم العلماء من البيت الآلوسي وهو يثني اشتهر بالفضل والصلاح ،  
ومن هؤلاء بعضهم رقدوا في رحمة ربهم وبعضهم احياء يرزقون ، ولا غرابة في هذا  
التصدير فالمؤلف من هذا البيت . تلا ذلك تراجم عدد ممن اشتهروا بالعلم في بغداد ،  
ويتخلل كل ترجمة شيء من شعر المترجم .

عبد الله رعد  
عضو المجمع العلمي

### نصوص قبري توتموزيس الثالث وامنوفيس الثاني

«المسيو بوشير — الجزء الاول عدد صفحاته ٢٢٢ مع ٤٢ لوحة رسوم»  
«طبع القاهرة سنة ١٩٣٢»

Paul Bucher - Les textes des tombes de Thoutmosis III et d' Aménophis II . Tome premier , 222 pages et 42 planches . Le Caire 1932 .

نشرت هذه الوثائق في الجزء الستين من مجلة المعهد الافرنسي للآثار الشرقية في القاهرة وفي الجزء الاول مجموعة الهروغليفية المدبنة على جدران قبري الفرعون توتموزيس الثالث والفرعون امنوفيس الثاني اللذين اكتشفهما المسيو لوري ( Loret ) وقد شفع هذه النصوص برسوم واضحة يمكن منها التثبت من صحة حل رموزها ، وموضوع هذه الوثائق ديني يتعلق بطقوس الموتى .  
جعفر الحسني

## الكلمة الأخيرة

في الكلمات غير القاموسية

— أو فتاوى علماء اللغة المعاصرين في أصناف السبعة —

« تمهيد الطريق أمام المعجم العتيق »

— ٢ —

« الصنف الخامس »

المعرب أو الكلمات المولدة بالتعريب وهي التي يكون أصلها أعجمياً فيستعمله العرب بعد تغييره تغييراً قليلاً أو كثيراً ويندر أن يبقوه على حالته . ومنه الخفيف على اللسان نحو كلمة ( فلم ) شريط السينما . ومنه الثقيل نحو كلمة ( اوتوموبيل ) و ( برصوناليتة ) . فهل هذه الكلمات المعربة مما يجوز قبوله واستعماله وتدوينه أو لا ؟ فاجاب الاساتذة :

( ١ ) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( نأخذ منه ما تقرر باستعمال العامة اياه بعد صقله وتحويره إن كان فيه تناقض أو ثقل أو خشونة ) .

( ٢ ) — الفلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » ( أرى استعمال المعرب : كالمنورة . . . . . واللفظ الأعجمي إن أمكننا إيجاد لفظ عربي له فذاك والا عربناه ) .

( ٣ ) — تقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » ( ان الألفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب منها ) ثم اشار باستعمال الكلمات الأعجمية الخفيفة نحو ( بالون ) وترجمة ما كان ثقیلاً نحو ( برصوناليتة ) فنقول مكانها ( ذاتية ) ثم قال ( وكما اطلب أن تدخل في اللغة ألفاظ ليست منها فاني اطلب ان تجذف الفاظ وضعت لمهد مضى الخ ) .

• م •



(٤) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » القول الفصل عنده في هذا الصنف أن الكلمات الألف التي عربتها الجاهلية واهل القرون الاسلامية الثلاثة تُعدّ عربية . وان ما سواها من الكلمات التي عربها غير هؤلاء الى زمننا الحاضر فهو عامي . واستعماله لحن . وقبوله خرق للقواعد .

(٥) — النشائي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( الالفاظ العربية في الازمنة الكريمة يجب ان تودع المعجم العربي وتعدّ عربية محضة ) وقوله ( الازمنة الكريمة ) يشعر بأنه يشترط في قبول ( العرب ) ما اشترطه الاستاذ الاسكندري اعني ان يكون مما عرب في العصر الجاهلي او العصور الاسلامية الاولى .

(٦) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( يجب على المجمع العلمي ان يضع الفاظاً عربية للمعاني الحديثة . . . ولا نعهده مضطراً الى اباحة استعمال الكلمات الاعجمية الا اذا لم يجد في نفس اللغة العربية ما يقني غناها ) .

(٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » ( تقبل كل دخيل ( يعني به العرب ) بعد تخفيف الثقل منه بصقله وارجاعه الى الاوزان العربية وتبديل بعض حروفه كما تقتضيه قواعد التعريب : فنقبل اليوم الاكجين والتسكوب والسينا والبتروول كما قبل اجدادنا قبل اليوم الاسطقس والبيولي والاسفنج والاسطراب ) .

(٨) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » ( التعريب مقترح الباب في اللغة . . والكلمة الاعجمية ان كانت خفيفة استعملت على حالتها كما استعمل العرب ( لجام ) الاعجمية وان كانت ثقيلة هذبت وأرجعت الى اوزان العرب ) .

(٩) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٢٦ » ( هناك الفاظ كثيرة اعجمية لا يأبأها قانون الوضع عندنا خلفه لفظها ) ثم اشار على المجمع باعلان امثال هذه الالفاظ كي تستعمل وتصبح وتضم في سلك اللفظ العربي وتعتني بها اللغة العربية وهذا اذا لم يمكن وضع لفظ عربي يقوم مقامها كما وضعوا السيارة للاتوموبيل والمنطاد للبالون .

(١٠) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » ( اقول يجوز استعمال ما خف لفظه على السمع مثل ( فلم ) و ( بالون ) ان اقتضت الضرورة وتعذر وضع ما يؤدي مؤداه من الفاظ اللغة العربية ) .

(١١) — عيسى المملوك «مجلد ٩ ص ٣٥٥» أشار أولاً بلزوم وضع كلمات عربية في مقابل الكلمات الاعجمية بحيث تشترك معها ولو ببعض الوجوه ثم قال : ( واذا لم نجد ما يناسب اللفظ الاعجمي وكان هذا الاعجمي خفيفاً وصيغته تناسب الصيغة العربية فلا بأس بابقائه على أصله ) .

(١٢) — الكرملي «مجلد ٨ ص ١٠٢» خلاصة جوابه ان الكلمات الاعجمية اذا كانت ثقيلة وجب ان تفرغ في الاوزان العربية حتى تخف على اللسان اما اذا كانت خفيفة مثل ( فلم ) ( بالون ) ( مناورة ) وجب قبولها ولو كان في لساننا ما يقوم مقامها ثم ضرب لذلك مثلاً اجدادنا العرب فانهم كانوا يستعملون الكلمة الاعجمية مع وجود عربية تقوم مقامها ولا سيما اذا كانت العربية ثقيلة فالفيل كان العرب يسمونه ( العيشوم ) ( الكاثوم ) ( الدغفل ) ( العرطل ) ( ابو مزاحم ) الخ لكنهم لما سمعوا الفرس يقولون « الفيل » تركوا كلماتهم واكتفوا بكلمة ( الفيل ) ( ألم ترك كيف فعل ربك باصحاب الفيل ) .

(١٣) — احمد امين «مجلد ٨ ص ٣٥» اجاب بما حاصله : ان الكلمة الاعجمية اذا كان مسماها امراً معنوياً مثل ( Idéal ) وجبت ترجمتها الى العربية وان كان مسماها أمراً مادياً مثل كلمة ( فونوغراف ) وتعذرت ترجمتها الى العربية قبلت بعد صقلها وتهذيب خشونتها . ويستفاد من كلامه انه يعتبر ما تفعله العامة في صق الكلمات الاعجمية وتهذيبها وقد قال في هذا الصدد هؤلاء عامتنا استثقلوا كلمة ( سيناتوغراف ) فسموها ( سينما ) وكذلك يفعلون في كثير من الكلمات ) .

(١٤) — النكدي «مجلد ٨ ص ٥٩٧» ( اللغة مجموع الفاظ يعبر بها عن المعاني فهل يعقل ان نقف عاجزين أمام بعض المستحدثات الجديدة والمعاني العصرية : لا نعرف لها اسماً . ولا نوجد لها لفظاً . ونمنع الناس ان يستعملوا اللفظ الاجنبي لها ؟ ! ) كلا لا يعقل بل يجب ان تقبل المعرب . ثم يفهم من فحوى بقية كلامه انه يشترط لقبول الكلمة المعربة ان لا يوجد في اللغة العربية ما ينوب منايها .

(١٥) — كامل الغزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» قال ما ملخصه : ان كان اللفظ الاعجمي مرادف في لغتنا العربية استعملنا المرادف والا استعملنا اللفظ الاعجمي بصيغته الاعجمية

ان كان خفيفاً نحو ( كيلو . سنتيم . فرنك ) وان كان ثقيلاً حولناه الى صيغة عربية فنقول (طن) في (طنولاته) و ( تنيل ) في (اتومويل) هذا اذا لم نترجم (طن) بقنطار و ( اتومويل ) بسيارة .

(١٦) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » اطلال في الجواب عن الكلمات المعربة بما يدل على قبوله بل تعصبه لها ودفاعه عنها كلها حتى الثقل منها الذي عربه المعاصرون وما قاله في هذا الصدد ( فاسماء المخترعات الحديثة مثل التلفراف والتلفون والاتومويل ليس قلبها الى اسماء أخرى قائلين ( برق . هاتف . سيارة ) إلا من التعصب البارد بل يكون من قبيل اغتصاب ما ليس لنا . . . على ان دخول تلك الاسماء في لغتنا لا يمس كيانها ولا شرفها مما كثرت بل تزداد لغتنا رونقاً بموافقتها للغات اصحاب تلك المخترعات الخ ) .

(١٧) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » اطلب في اظهار حرصه على سلامة اللغة العربية وذهب الى ان قبول الكلمات الاعجمية يفسد اللغة تدريجاً فهو يرى وجوب الاستغناء عنها مطلقاً خفيفة او ثقيلة ما دام في لغتنا متسع فاذا لم نجد متسعاً واحتجنا الى لفظ اعجمي ( فلا بأس ان ننقله والاحسن ان لا ننقله الا معرباً اي مهذباً حسب الاوزان العربية ) فيفهم من هذا تجويزه للعرب بشرط حاجتنا اليه وبشرط طبعه بالطابع العربي .

(١٨) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » ( ترد كل كلمة أعجمية لم يستعملها العرب . وليس لنا ان نقيس أنفسنا على اجدادنا الذين عربوا كلمات أعجمية : فالجاهلية لم يعربوا عن قصد . . . والاسلاميون ما لبثوا ( بعد ما عربوا كلمات اعجمية ) ان استبدلوا بها أخرى عربية محضة ) ثم وصف الطريقة التي يجب ان نسلكها في تدوين الاصطلاحات العربية القديمة لنستغني بها عن الاصطلاحات الاعجمية الحديثة وان الواجب علينا اليوم ان نترجم الى لغتنا ما استجد من الاصطلاحات ثم قال : ( واذا عجزنا عن ترجمتها فاني اذهب الى أبعد من ذلك فاخترع كلمة مهملة من احرف عربية ثلاثية او رباعية او خماسية او سداسية موافقة للأوزان العربية وأضعها لذلك المعنى وانشرها ولا استعمل كلمة اجنبية مهما كانت قيمتها ) .

انتهت الاجوبة عن صنف الكلمات المعربة . وهذا الصنف هو بيت القصيد من الاقتراح . وقد كانت اكثرية الآراء في جانب قبول تلك الكلمات .

ومن مواضع العجب في اجوبة الاساتذة أن احدهم وهو ( العلامة الجابري ) أفرط في التفاؤل بالكلمات الاعجمية : فهو يستحسن بل يرى من الحق ان نستعمل كلمة ( تلفراف لا يرق ) ( وتلفون لا هاتف ) ( واوتوموبيل لا سيارة ) بينما ( الامتاذ بقدونس ) يفرط كل الافراط بالتشاؤم بالكلمات الاعجمية حتى ما كان خفيفاً منها فكلمة ( فلم ) مثلاً يخترع كلمة جديدة ولو بان يقلب كلمة ( فلم ) فيقول ( ملف ) وهو لفظ مهمل في اللغة العربية يتدل على شريط السينما ولا يقول ( فلم ) . وبين الاستاذين ستة عشر اشتاذاً ترسطوا فاجازوا العرب بالشروط المعتبرة عند معظم علماء اللغة المتقدمين .

\*\*\*

### « الصنف السادس »

أساليب او تراكيب ذات معان اعجمية الاصل وقد تسربت الى لغتنا العربية مترجمة عن اللغات الاجنبية ولا عهد للعرب الاقدمين بها وهذا كقولهم ( ذر الرماد في العيون ) ( عاش ستة عشر ربيعاً ) ( وضع المسألة على بساط البحث ) ( ساد الامن في البلاد ) في نظير ذلك . فهل امثال هذه التراكيب يقبل في لغتنا ويستعمل ويدون او لا ؟  
فاجاب الاساتذة :

(١) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » ( اوافق كل الموافقة على ادخال هذا الصنف في لغتنا ) .

(٢) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » ( هذا الصنف يقبل ) .

(٣) — احمد رضا « مجلد ٩ ص ٥٨ » ( لاغبار على تلك الاساليب ولا بأس في استعمالها )

(٤) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( هب مفردات اللغة موقوفة على السماع ولكن من ذا الذي ادعى ان التراكيب بما فيها من تشبيه واستعارة ومجاز وكنابة موقوفة هي ايضاً على السماع ؟ )

(٥) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » ( لا احسب في هذا الصنف ما يدفع الى الاستفتاء عنه والا اغلقنا باب المحاز والتشبيه وهما من محاسن اللغة ) .

(٦) — الفلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » ( ما لا يفضر بأساليب العربية من الاساليب



والتراكيب الانعجية جاز استعماله) .

(٧) — سليمان ضاهر « مجلد ٩ ص ٤٨٤ » ( لا مجال للتردد في جواز استعمال هذه التراكيب والأساليب الانعجية اذا كانت جارية بحرى التراكيب والأساليب العربية ) .

(٨) — تقولا فياض « مجلد ٨ ص ٥٦٠ » لم يُجرب على هذا الصنف بخصوصه لكن يعلم قبوله له من جوابه على الكلمات ( الاصطلاحية والمولدة والعربية ) فانه أجازها كلها . وهو بالطبع يميز الأساليب الافرنجية ومثله في ذوقه الانشائي لا بد ان يشترط موافقة تلك الأساليب للأذواق السليمة ولقواعد اللغة القوية كما اشترط غيره .

(٩) — الجابري « مجلد ٨ ص ٣٦١ » لم يتعرض الأستاذ لهذا الصنف ايضاً ولعله رآه واضحاً لا يحتاج الى جواب ولا سيما ان الأستاذ أجاز تعريب الكلمات الانعجية وفتح لها الباب على مصراعيه فكيف لا يسمح للأساليب الافرنجية بالدخول . وهي أحق منها بالترحيب والقبول ؟

(١٠) — النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٢ » ( ليس في العرب منه ينكر تعبيراً او تركيباً لا يخالف المناحي العربية والا لامتنع المجاز والكناية والاستعارة ) فالأستاذ النكدي يشترط ما اشترط المحبون الاولون من وجوب موافقة الأساليب الافرنجية للأساليب العربية . وزاد تلك الموافقة ابضاحاً وبياناً المحبون الثالون :

(١١) — الكرملي « مجلد ٨ ص ١٠٢ » قال ما سنخوله : ارحب بالأساليب التي تضمنت «خواطر افرنجية» كالأمثلة المذكورة بشرط ان يكون تركيبها عربياً لا خلل فيه . والا بان تقدم فيه المضاف اليه على المضاف مثلاً كما في اللغتين الفارسية والانكليزية فهذا اكروه ولا أوافق عليه .

(١٢) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » لم يُجرب الأستاذ النشاشيبي على هذا الصنف بخصوصه وانما قال (فرض علينا اليوم نبذ كل تركيب غير عربي يلتبس فيه معنى الكاتب ولكل لسان أسلوب ، والتسامح في هذا الشأن هو الهلاك) فهو قد اشترط في قبول الأسلوب الافرنجي ما اشترطه الأستاذ الكرملي من كونه مطابقاً في التركيب للقواعد العربية كي يسلم المعنى من اللبس .

(١٣) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » وجواب هذا الاستاذ ايضاً بتلخيص الاشتراط فيه بما قلناه في جواب الأستاذين السابقين الكرمل والنشاشيبي .

(١٤) — قسطاكي حمصي « مجلد ٩ ص ١٧٦ » لا غبار على أساليب هذا الصنف ما لم تكن عامية مبتذلة . وهذا الابتذال الذي اشار اليه الاستاذ المحجب أوضحه المحبون التالون بالأمثلة والشواهد :

(١٥) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( لا نعلم وجهاً للنفور من استعمال هذا الصنف ما دام التركيب موافقاً للنظم المألوفة في علم النحو . . . الا ان يكون شيئاً تنبو عنه الاذواق السليمة ) وما تنبو عنه الاذواق السليمة هو العاصم المبتذل الذي حذر منه الاستاذ حمصي .

(١٦) — كامل الغزي « مجلد ٨ ص ٤٨٠ » هذه التراكيب والاساليب وما مثلها لا ارتاب في جواز استعمالها . . . لان المركبات الاسنادية لا يتوقف استعمالها على النقل عن العرب كالمفردات . . . على شرط ان تكون مما افاضته قريحة سليمة لاسقيمة بقول صاحبها ( هذه عصارة عقلي ) وربما قال ( عصارة دماغي ) اه .

(١٧) — عيسى المعلوف « مجلد ٩ ص ٣٥٥ » ( اذا كان لهذه الاساليب المترجمة ما يقابلها في اللغة العربية الفصحى فالاولى استعمالها وان لم يكن في لغتنا ما يقابلها وكانت قريبة من اذواقنا قبلناها ايضاً ) ثم مثل الاستاذ للاساليب الافرنجية التي لا تلائم اذواقنا بقول ( فكتور هيكو ) : ( اجراس كثيرة تفرع كلها كأنها أنون من الموسيقى ) وبقول الآخر ( جليلد المرأة ) يريد زجاجها وبقول ( وشنطن ايرفن ) في مطالع بقرأ الكتب ويثني اطراف اوراقها ليرجع اليها عند الازوم قال : ( ان كتبه كلها آذان كلاب ) وبقول الانكليز في وصف الرجل الذي يعكف على مطالعة الكتب « هو دودة كتب » وبقولهم في وصف أزرار الازهار في براعمها « نامت في سريرها الشتائي » فالاستاذ المعلوف يرى عدم قبول هذه الاساليب المترجمة لانها بعيدة عن الاذواق العربية .

(١٨) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » ( هذا الصنف مرجعه الى المجاز وباب المجاز لا حرج علينا في التوسع فيه بعد المحافظة على وضوحه وملايسته لمعبشة الناطقين به وعاداتهم واذواقهم ) ثم قال : ان من المجازات الافرنجية ما لا تنكره اذواقنا فالواجب

قبوله ومنها ما تنكره اذواقنا فالواجب رفضه . ثم مثل للواجب الرفض بقولهم :  
( طلب فلان يد فلان ) ونحن نقول ( خطبها ) وقولهم ( قذف آخر خرطوشة لديه )  
ونحن نقول ( رمى آخر سهم في كنانته ) وقولهم ( ضحك ضحكة صفراء ) ونحن نقول  
( تكلف الضحك ) اه .

فالاساتذة « الخضر والنزي والمعلوف ومرقص » جعلوا الاساس في قبول هذا  
الصف ان يكون ملائماً لاذواقنا العريضة وكل منهم مثل لغير الملائم بأمثلة ان لم تلائم  
ذوقه هو ربما لامت ذوق غيره . على ان تحكيم الذوق الخاص وتمييز الملائم من غير  
الملائم — امر من الصعوبة بمكان : وذلك لاختلاف الاذواق والمشارب ولتباين استعداد  
الناس في « الحس اللغوي » وهذا هو في الحقيقة مبعث تشتتنا وتفرقتنا ووهن عزائمنا دون  
الاصلاح الواجب للغة . وأرى ان اقتدي بالاساتذة فاذا ذكر بعض ما لا يلائم ذوقي من  
الاساليب الاعجمية المترجمة :

« تعذيب الضحير . ومعذب الضحير . وضميري بعذبي » « بكى بكاءً مرأً » ( هناك  
البكا وصرير الاسنان ) ( واقول انا في دوري ) ( المسألة الفلانية قيد البحث ) ( اعتنق  
فلان الدين الفلاني ) ( مبارك هو الرب ) ( يحرق البخور امام فلان ) ( فلان ضحى فلاناً  
على مذبح اغراضه ) ( يشتغل في حقل الوطنية ) ( صب عليه جام غضبه ) . وفي آخر  
كتاب تلقينته من الامير شكيب يقول :

قولهم « العمل الذي عمله فلان ضد فلان » او « لم يزل يحرك ضده » او « كان دائماً  
يشتغل ضده » لم اجد هذا التركيب في الكتب القديمة افلا يكون ركيكاً ؟  
انتهت الاجوبة على الصنف السادس وهي متفقة على قبوله بل ذهب بعض الاساتذة  
الي ان قبوله يكاد يكون مدركاً بالبداهة وما كان ينبغي ذكره بين الاصناف المبحوث  
عنها . غير ان بعضهم لاحظ ما لاحظناه من وجوب الاحتياط والتحفظ في قبول الاساليب  
المترجمة فاشتراط ان لا يكون في لغتنا القسعي ما يقابلها وان لا تكون مخالفة في تركيبها  
لقواعدنا وان لا تكون نائية عن اذواقنا .

والحاصل ان هذا الصنف مقبول . مع شيء من التحفظ المعقول .

\*\*\*

## «الصفة السابع»

العامي : وهو الكلمات التي تدور على افواه العامة ولا يستعملها الفصحاء بل يتحاشون النطق بها : مثل ( بدي اذهب ) ( جيب الكتاب ) ( تعربش على الشجرة ) ( تحركش بفلان ) .

فهل يجوز استعمال كلمات هذا الصنف وتدوينها في المعجم او لا ؟  
فأجاب الاساتذة :

(١) — قسطاكي حمصي — حلب « مجلد ٩ ص ١٢٦ » ( هذا الصنف مردود ) .

(٢) — احمد رضا — جبل عامل « مجلد ٩ ص ٥٨ » هذا الصنف لا يصح استعماله وهو هتك لحرمة اللغة ) .

(٣) — ادور مرقص « مجلد ٨ ص ٧٤٠ » ( لاظن اديبا عربيا يخالف في خطر استعمال الكلمات العامية ) .

(٤) — النشاشيبي « مجلد ٨ ص ٢٨٥ » ( الالفاظ المولدة في العصور السخيفة والالفاظ العامية نبذها فرض ) .

(٥) — الغلاييني « مجلد ٨ ص ٣٥٩ » ( لا اري احدا يغار علي لفته بقول يجواز استعمال هذا الصنف ) .

(٦) — محمد الخضر « مجلد ٨ ص ٤١٠ » ( الكلمات العامية من امراض اللغة التي يجب ان نحمي السنتنا واقلامنا من ان تقوم حولها ) .

(٧) — الاسكندري « مجلد ٨ ص ١٠٤ » ( الكلمات المولدة التي لا يستعملها احد من الفصحاء لا يجوز استعمالها ) .

(٨) — النكدي « مجلد ٨ ص ٥٩٧ » أجب بما يفيد شدة احتقاره للعامي وانه ما كان ينبغي ذكره في الاقتراح وانما ندعه لاولئك الذين يريدون إمامة لغتهم باحياء عاميها .

(٩) — احمد امين « مجلد ٨ ص ٣٥ » لم يطلق القول في رفض العامي اطلاقا كما فعل



من اجاب قبله وانما هو قسم الكلمات العامية الى ما يصح الانتفاع به في الاستعمال مثل كلمتي (جَزْمَة) و(عَرَبَة) والى ما لا يصح مثل «ماعليهش» وقال ان هذا القسم الاخير يرفض رفضاً باتاً وقد حذوه في هذا التقسيم الاساتذة التالون :

(١٠) — الجابري «مجلد ٨ ص ٣٦١» (واما الألفاظ العامية فالمحرف والمصحف

منها والمشتق على غير قاعدة الاشتقاق العربي — لا ينبغي أن يرتضى ) .

(١١) — كامل النزي «مجلد ٨ ص ٤٨٠» قال ما حاصله ( اللفظ العامي المجهول

الاصل او الذي اصله اعجمي : ان كان له مرادف في اللغة أهمل والا استعمل . واما اللفظ

العامي المحرف عن اصل عربي فانه يهمل ويستبدل به اصله العربي ) .

(١٢) — عيسى المعلوف «مجلد ٩ ص ٣٥٥» العامي الفصيح من اصله ووضع يبق

على حاله . وغيره يرد الى اصله او يوضع له ما يناسبه ( عبارته هذه تزداد وضوحاً وتفسيراً

بعبارته الاخرى الواردة في مقدمة الجواب وهي ) اعتنيت بجمع اللغة العامية . . . ورددت

ما يمكن رده الى اصله ووضعت لما ليس له كلمة عامية فصيحة ما يقابله من الفصحى اه ) فراه

اذن في الكلمة العامية ان تصحح ويقوم اعوجاجها . وان تعذر ذلك استبدل بها كلمة

فصيحة .

(١٣) — سليمان ضاهر «مجلد ٩ ص ٤٨٤» ( هذا الصنف ممنوع البتة الا اذا كان

له اصل فصيح يمكن ارجاعه اليه ) .

(١٤) — نقولا فياض «مجلد ٨ ص ٥٦٠» لم يصرح برأيه بخصوص هذا الصنف

وانما قال ( ان الالفاظ الشائعة الدخيلة لا بأس بها اذا لم نجد ما ينوب عنها ) وقوله هذا

عممناء فجعلناه يشمل الصنفين السابقين ( المولد ) و ( العرب ) وكذلك هو يشمل بظاهره

الكلمات العامية فهي مقبولة عنده اذا لم يكن في اللغة ما ينوب عنها واذا كان نكحون في

احاجة اليها .

(١٥) — الكرملي «مجلد ٨ ص ١٠٢» ان الكلمات العامية تختلف في رأيه اختلاف

الادوية وعلينا ان نصنفها ونميز بينها كما يفعل الصيدلي في ادويته قال : ( فالسام من الالفاظ

هو العامي القبيح الذي يكون له مقابل فصيح — والمضر هو العامي المبذل — والنافع

هو العامي المولد الذي لا غنى لنساعه ولا سيما اذا كان لمعناه علاقة بالعلوم — والمغذي هو

العامي الفصيح الجامع لشروط الفصاحة والبلاغة اه) . فيفهم من هذا انه يقبل العامي بشرط ان لا يكون له مقابل فصيح وأن لا يكون مبتذلاً . أما العامي المبتذل أو الذي له مقابل فصيح فلا يجوز قبوله ولا تدوينه . واما العامي الفصيح فهو نعم المغذي والمنمي للفتنة .

(١٦) — رشيد بقدونس « مجلد ٩ ص ١٠٣ » ( في هذا الصنف تفصيل اجاد فيه من اجاب قبلي ) وقد عني الاستاذ بهم من ميز بين الكلمات العامية : فقبل بعضاً ورفض بعضاً . هذا وقد بقي من المحبين استاذان : ( الزهاوي ) و ( الرصافي ) وفي جوابها نعمة لم نسمعها من غيرهما .

(١٧) — الزهاوي « مجلد ٨ ص ٦٨٦ » واما هذا الصنف السابع فلا وجه لجعله صنفاً على حدة يستغنى عنه في يوم صوت الجهل فيه اقوى من صوت العلم ( اه ) . ولم افهم ما اراده بعبارة . الاخيرة : هل اراد احتقار العامي كاحتقاره الاستاذ النكدي وانه اذا اراد الاعراب عن رأيه في احتقاره قام الجاهلون فرفعوا اصواتهم بالانتصار له — أو أنه على العكس يراه موضعاً للاهتمام والدرس وانه اذا اراد التصريح بقبوله قام الجاهلون فرفعوا عقيرتهم بالزراية عليه وانتقاصه . وبناءً على الفرض الثاني يكون رأي الزهاوي في العامي كراي الرصافي فاسمع ما قال :

(١٨) — الرصافي « مجلد ٨ ص ٣٢ » ( الكلام على هذا الصنف لم يحسن حينه بعد فلذا أمر به ساكتاً بلا جواب ) ثم تقي على ذلك بقوله ( ان مسألة اللغة العامية من اهم مسائلنا الحاضرة التي تستحق النظر والدرس والا فان الاعراض عنها ليس من الصواب .

\*\*\*

انتهت الاجوبة على الصنف السابع اعني الكلمات العامية وبانتهائها انتهاء الاجوبة على الاصناف السبعة التي يتألف منها الاقتراح . وخلاصة ما أجابوا به على الكلمات العامية ان واحداً منهم وهو ( الاستاذ الرصافي ) توقف عن الحكم عليها وأعرب عن حسن الظن بها . وآخر وهو ( الاستاذ الزهاوي ) جهم القول في ذلك وهو في الراجح يريد ما اراده رصيفه وابن بلده . وثمانية منهم ميزوا بين هذه الكلمات العامية فقبلوا بعضاً ورفضوا بعضاً . والباقون وهم ثمانية أطلقوا القول في رذلتها ومقتها وعدم قبول شفاعتها فيها .

\*\*\*

## والفتوى الصريحة والقول الفصل في الاصناف السبعة :

ان العامي<sup>(١)</sup> لا يجوز استعماله في اللغة التي يتخاطب بها الخواص ولا تدوينه باعتبار انه لفظ عربي . أما سائر الاصناف فتقبل وتستعمل وتدوّن بشيء من التحفظ والاحتياط في الصنف الثالث ( وهو الكلمات الاصطلاحية ) والصنف الرابع ( وهو الكلمات المولدة ) والصنف الخامس ( وهو الكلمات المعربة ) . فيحسن في هذه الاصناف الثلاثة استعمال ما يقوّم مقامها من اللغة الفصحى إن أمكن وإلا استعملت من دون تكبير .

« المغربي »

— (( )) —

( ١ ) مثال هذا العامي الذي دُوّن باعتبار انه عامي وقد استعمل في لغة الخواص — كلمة (هُصان) اسم مفعول من أْصان وصوابه مصون من صان . وصاحب التاج دُوّن كلمة (مصان) لكن لا باعتبار انها فصيحة بل عامية وهذه هي عبارته وعبارة القاموس ( صانه صوناً فهو مصون حفظه ولا يقال أْصانه فهو مصان وهي لغة العامة . وكذا قولهم منصان فانها منكورة اه . هذا مثال تدوينها مع التمهيه عليها . أما ذكرها في لغة الخواص فكقول شيخنا في مطلع قصيدة زفافية وجّه فيها باسماء سور القرآن :

( تبارك فاطر القمر المصان      يرب الناس والسبع المثاني )

## شعوب سورية

### وآثارها القديمة<sup>(١)</sup>

—ت—

عنيت الامم منذ القديم بالفنون الجميلة وخاصةً منها الصنائع وكان حظ كل أمة من هذا الشأن بحسب رقيها وحضارتها وكان الملوك والعظماء يجمعون آثار مشاهير فناني العالم ويتنافسون باقتنائها لا لغاية علمية بل للزينة والتفاخر ودام هذا حالهم حتى النصف الثاني من القرن الثامن عشر للميلاد لما ظهر كتاب تاريخ الفن عند الاقدمين لمؤلفه ( Winckelmann ) الألماني وهو اول من وضع أسس هذا العلم الحديث علم الآثار القديمة ومنذ ذاك اليوم أصبحت المجموعات الأثرية مكتبةً يرجع اليها بعد ما كانت من جملة المتاع تزين بها القصور .

لم يقتصر التجدد في عصرنا هذا على العلوم والفنون فقط بل تعداه الى التاريخ وبنهج المشتغلون به نهجاً جديداً . فقد كانت التاريخ فيما مضى كتاب أدب يجمع بين الاخبار والفكاهات ويدس فيه حوادث ما أنزل الله بها من سلطان رغبةً في تأييد مبدإ او خدمة حاكم حتى أصبح الكثيرون يشكون بصحة ماورد في أكثر هذه الكتب ولطالما قرأنا روايتين أو أكثر لحادث واحد تختلف الواحدة عن الأخرى اختلافاً كبيراً حتى أصبح التاريخ القديم في ارتباك عظيم .

ان مؤرخي العرب هم اول من أدرك وبال هذا المنهج العقيم لما عانوه من المشاق في استنتاج الحقائق من المصادر التي دونها الأقدمون وحضوا الكتاب على أمانة النقل حرصاً

(١) المحاضرة التي القاها الامير جعفر الحسيني في ردهة المجمع العلمي في ٩ شباط

سنة ١٩٢٩ .



على الفائدة ولا إدراك الغاية التي وضع التاريخ من أجلها ، فليس هو مضمراً تتبارى فيه قرائح الشعراء أو تخدم بواسطته الأهواء . ولذلك نرى مؤرخي العرب مثل الطبري وابي الفرج وابن الأثير وابن خلدون وابن عساكر وغيرهم قد نهجوا منهجاً جديداً في تدوين الحوادث والأخبار حتى أصبحت مصنفاتهم من مفاخر الحضارة العربية لمامتازوا به من الضبط والدقة والصدق في إيراد الأخبار وياخذوا واتصلت سلسلة تلك التواريخ العربية حتى يومنا هذا . وقد توسع علماء العرب بالضبط والدقة منذ ظهور الطباعة وانتشارها في العالم حتى انه لا يقدم احدهم على سرد حادث دون ان يؤيده بادلة راحنة او الإشارة الى المصادر والمآخذ مع تعيين الصفحة والسطر واذا لم يتوصل الى معرفة أمر أقر بعجزه بكل صراحة دون ان يرى بذلك ما يحيط من قدره ولا يستنكره عليه احد . ولما لم يجد علماء التاريخ في التأليف القديمة ما يفي بحاجتهم وضائق بهم سبل الهداية لمعرفة الماضي عمد بعضهم الى بطن الارض يستنطقون دفائنهم ويستضيئون بقبس كنوزها . وأطلق على هذه الفئة اسم علماء الآثار لانهم يعتمدون على الآثار دون سواها .

ان علم الآثار القديمة فرع من فروع التاريخ ومن اصعبها مراساً اذ يحتاج صاحبه الى انتباه قوي وذوق سليم فان هذا العلم لا يقتصر فيه فقط على جمع الآثار القديمة في المتاحف ووصفها بل الصعوبة كل الصعوبة في حل رموزها وفهم كنهها واستجواب تلك الشهود الصامته واستنتاج الحقائق منها وقد قال Volney ما ترجمته « ان مهمتنا أصعب من مهمة علماء الطبيعيات لأننا لا نشغل مثلهم باجرام ملوثة أو بحوادث واضحة للحواس بل نعمل كهيئة تحقيق لديها حوادث أدبية غائبة وربما كانت مختلفة تقلبها اليها بعض شهود عيان أو انصلت بهم أخبارها من الرواة ويتكلم هؤلاء المحدثون لغات مختلفة قد تلاشت فيتطلب منا تعلمها وهي العثرة الاولى في بدء الامر وقد تخطي بترجمتها . ثم يجب علينا البحث عن الحوادث أو الوقائع المبعثرة التي تؤيدها وتكون هذه غالباً محرفة بتناقضها من ثم الى ثم ويتطلب منا بعده متابعة هذه الروايات والتثبت من أخلاق محدثيها وصدق تحقيقهم ويكون التناقض في بعض الحوادث واضحاً فينشأ عنه صعوبات لا تخرج منها اذ ) .

وقد أصبح النظر اليوم في أبحاث علماء الآثار وتحقيقاتهم من الواجب على كل مؤرخ ومحقق كما يستنير بها كل لغوي ومفسر . فكم معضلة تاريخية ولغوية حسمت بفضل هذا

العلم . وكم من حوادث جاءت في كتب السلف بل وفي الكتب المنزلة فذهب الناس في تأويلها وشك بعضهم في صحتها ولولا علم الآثار الذي أمارت عنها اللثام وأظهرها للعيان ملموسة محسوسة لقالوا عنها أساطير الأولين . أليس آشور والكلدان ومصر وفارس ويونان شهود عدل على جهود الذين اكتشفوا آثار تلك البلاد وبعثوا ذكرهم بعد أن كانوا نسياً . نسياً الوفاً من السنين . .

لم يدون الأقدمون غير النذر اليسير الذي وصلهم من أخبار الشعوب القديمة وأغفلوا ذكر أكثر الأمم البائدة التي ذهبت أخبارهم بزوال أصحابها ولو اكتفينا بهذه النصوص المشوهة لما كنا أوفر حظاً ممن تقدمنا بمعرفة أخبار السلف . وبفضل هذا العلم نعرف اليوم أكثر أخبار هذه الأمم كما نعرف حوادث الأمم في القرون الوسطى . وقد توصلوا إلى معرفة ما كان عليه الإنسان قبل عشرات الألوف من السنين يوم كانت الأرض وطاءه وأديم السماء غطاءه يقتات بالنبات ويفترس الوحوش مع أننا نجعل اليوم ونحن في القرن العشرين كثيراً من عقائد بعض الشعوب المعاصرة وعاداتها ممن تقطن مجاهل إفريقيا وسواها من القارات الخمس ، ومن الانصاف أن لا ننكر فضل من نقلوا إلينا أخبار السلف لأن هذا الشيء اليسير هو الذي أثار في فئة من الناس حب الاستطلاع فدفعهم في هذا السبيل . وكانت هذه النصوص على علاقتها نوراً يستضاء به ومرجعاً يستأنس به . وعلماء الآثار أصدق الناس في هذه الروايات وإن كان لا ينكرون وقوعها فعم لا يجوزون بصحتها إلا متى عثروا على دليل من ذلك العصر يؤيدها . ولأبحاث علماء الآثار ميزة جديدة بالاعتبار فهي في أكثر الأحيان تكون منزهة عن الأغراض والغايات والأهواء . وقد يخطئ الأثري في استنتاجه ولكنه لا يعتمد تشويه الحقائق لأن همه الوحيد أن يبيح الماضي البعيد ويجعل المعاصرين كأنهم يعيشون في ذلك العصر وذلك المحيط . ومن منا لا يشعر بمثل هذا الشعور عندما يزور متحفاً أو معبداً أو أطلالاً قديمة . وكيف يمكنه أن ينكر الحقيقة ولسان حاله أنه الأمم البائدة تقول :

إن آثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا إلى الآثار

لقد لقي هذا العلم الحديث اقبالاً عظيماً في بلاد الغرب فعنيت حكوماتها به وأرصدت المشتغلين به أموالاً طائلة ، وأنشأت له المدارس والجامع العلمية أنشأت ببقية العلوم وقد

أبدت هذه الفئة فئة الاثريين رغم قلة عددها نشاطاً عظيماً ووضعت في مدة قصيرة كثيراً من المؤلفات القيمة المفيدة وأحيت كثيراً من اللغات القديمة المندثرة وحلت رموزها . وقد نال الشام قسطاً وافراً من هذه الأبحاث فهي اول — بقعة اتجهت نحوها الانظار وخصوصاً فلسطين لمكانة الشعوب التي استوطنتها منذ الزمن الأطول وأهمها الشعب الاسرائيلي وعلاقة الامم الغريبة بكتابهم المقدس . فقد أوفدت أكثر حكومات الغرب بعثات علمية للتقيب عن آثار سورية واول بعثة رسمية وطئت بلاد الشام هي البعثة الافرنسية التي رافقت الحملة الافرنسية في سنة ١٨٦٠ .

يقسم التاريخ القديم في سورية كما في غيرها من البلاد الى عهدين واضحين الاول عهد ما قبل التاريخ والثاني العهد التاريخي .

فالعهد الاول هو عصر الظران او الطور الحجري ويقسم الى قسمين احدهما حقبة الحجر المخوف ( Paléolithique ) والاخر حقبة الحجر المصقول ( Néolithique ) وهو احدث من القسم الاول وتختلف مدة هذا العهد بحسب الامكنة . وليس هذا العهد تاريخ حياة البشرية بل هي مرحلة من تقدم الجماعات الفكرية والمادي وقد اختلف العلماء بتحديد اقدم تاريخ لهذا العهد فمنهم من يقول من ( ١٠٠ الى ٢٠٠٠٠٠ ) سنة ومنهم من يقول من ( ٦ الى ٨٠٠٠ ) سنة . تعتمد الفئة الاولى على تكوين طبقات الارض والهواء وتعتمد الثانية على نظريات دينية تأييداً لما جاء في التوراة عن تاريخ الخليفة فلا يمكننا ان نهمل نظريات علم طبقات الارض وقد ثبت ان طبقة الارض كانت منذ مئات الوف من السنين صالحة لحياة البشر كما انه لا يمكننا الا التسليم بما جاء في الكتب المنزلة . ( وهنا يبدأ دور علم الآثار عسى ان يوفق بين النظريتين والعلم لا ينافي الدين . )

لقد ثبت حتى الآن ان الانسان لم يكن منتشراً في اكثر انحاء الارض كما هو اليوم لأنها لم تكن جميعها صالحة لسكنى الانسان الاول فكان يكسو الجليد المرتفعات وتغمر المياه السهول ما خلا بعض السواحل والمضارب في القارات الخمس حيث أوى اليها الانسان . منها سيبيريا والقفقاس وجزيرة العرب فكانت تمتاز هذه الاصقاع عن غيرها باعتدال هوائها وخصب ارضها ووفرة دواجنها وكانت سيبيريا والقفقاس مأهولتين بجماعات الآريين وجزيرة العرب بجماعات الساميين ودام هذا الحال حتى طرأ على الارض بعض

الطواريء الجوية فتقدم الجليد من شمال اوروبا حتى جنوبها فاشتد البرد وكثرت الامطار وارتفعت المياه فغمر الطوفان معظم السهول فهلك خلق كثير من البشر فتفرق من بقي من هذه الجماعات فراراً من الموت قلتس ارضاً بقيها من الخطر فنزح قسم من سكان سيبيريا والقفقاس نحو الجنوب فوصل جماعات منهم الى سورية وكانت سهول سورية يومئذ مغمورة بالماء الا قليلاً منها وبقيت سورية زمناً طويلاً مأهولة بجماعات الآريين ثم حدث في اثناء اقامتهم بعض الزلازل وتقلص في القشرة الارضية . فجاءت هذه النعمة نعمة على سورية اذ انشقت الجبال وانفتحت الوديان فتسربت منها المياه للبحار واتخذت الأنهر لها مجاري ثابتة فجفت الارض واصبحت سورية قابلة للسكنى .

وقد وصلتنا اخبار هؤلاء القوم من آثارهم التي خلفوها لنا في الكهوف التي سكنوها وما اودعوه من مصنوعاتهم قبور موتاهم . وثبت أن اشكال ذلك الانسان الصياد لا تختلف عن انسان اليوم وهذا يبطل ما علق في بعض الاذهان من أن الانسان القديم يفوقنا بكبر جسده مع انه كان معتدل القامة يسكن الكهوف الطبيعية ويلبس الجلود وبقات من النبات والصيد فبقي زمناً طويلاً مجهل المعادن . واحتياجاته محدودة جداً لا تتعدى قطع الطران والصوان التي تشبه رؤوس الحراب والسكاكين والمناشير والفؤوس كان يستعملها للدفاع عن نفسه وللصيد ثم تدرج في الرقي فتغلب على الحجر فصار يصقله ثم استخدم العظم فنقشه ثم اكتشف صنع الخزف وهو اول ابتكار صناعي عرفه الانسان . وتشبه قبور هؤلاء القوم وصناعاتهم صناعات معاصريهم او اسلافهم في غيرها من البلدان في القارات الخمس وهذا ما يؤيد هجرة الانسان وتنقل هؤلاء الجماعات عقب الطواريء التي فاجئت الارض وغيرت اوضاعها الجغرافية . وقد حلت في جزيرة العرب طواريء طبيعية عقب التي حلت في سورية بزمان طويل قاسى اهلها الشدائد من جذب الارض وقلة الامطار فنزحت جماعات الساميين نحو الشمال لأنه المتخذ الوحيد لهم اذ البحار تكتنفها من جهاتها الثلاث فسلكوا سواحل خليج فارس حتى تزلوا العراق . ثم توغلوا في شمال سورية ثم في جنوبها حتى وصلوا الى بلاد الحبشة . وقد تغلبت جماعات الساميين في برهة التي سبقت على جميع سكان تلك البلاد حتى اصبحت سامية اللغة كما عرفها التاريخ . ونشأ من مزيج هذين العنصرين عهد جديد يمتاز بريقه ومدنيته . وتفرق هذا المزيج



بطول الزمن الى شيع وشعوب عرفنا منهم منذ الالف الثالثة قبل الميلاد الآشوريين والبابليين في العراق والكنعانيين في فلسطين والاراميين في سورية الداخلية والفينيقيين في سواحل لبنان والعرب في جزيرة العرب فاصبح لكل منهم حضارة ولغة يتنازعون بينهم السيادة رغم انهم يتنون جميعاً الى أرومة واصل واحد .

وما هجرة بني اسرائيل من صحراء التيه الى فلسطين وغزوات العرب في صدر الاسلام للبلاد الدانية والقاصية سوى مثال قريب العهد لتلك الموجات البشرية التي غشيت البلاد . ولم ينس هؤلاء الشعوب رغم تقادم العهد على استيطانتهم هذه البلاد أنهم دخلوا . فيؤكد المؤرخون الاقدمون أن الفينيقيين جاؤا من جزيرة العرب وروى (هرودوتس) Herodote المؤرخ اليوناني في القرن الخامس قبل الميلاد أنهم انحدروا اليها من سواحل البحر الاحمر ويقول استرابون ( Strabon ) إن أصلهم من خليج فارس كما كانوا يدعون . وكذلك يذكّر الكنعانيون نزوحهم من مدينة اور من بلاد آشور في سني الالفين قبل الميلاد . وان تكن هذه الشواهد حديثة العهد بالنسبة للحوادث التي سردناها غير انها تشير بوضوح الى اتصال أخبار السلف بالخلف والشعوب السامية اكثر الشعوب تمسكاً بانسابها وحفظ أخبارها ، وقد برهن العلم الحديث على فائدة هذه الروايات لاستنتاج الحقائق منها وهكذا وصل اليها غيرها من الأخبار . أذكر منها روايتي الطوفان وسيل العرم . فقد عثروا في خرائب نينور من بلاد آشور على وثيقة تاريخها من نحو ( ٢٢٠٠ ) سنة قبل الميلاد اي قبل هجرة ابراهيم عليه السلام بمئتي سنة وفيها وصف لطوفان اتصل بهم خبره وخلاصته : انه كان « انكي » ( Enki ) آله الماء وزوجته نينلا ( Ninella ) يحكمان البشر والسعادة سائدة في العالم والانسان يأمن من الموت والأمراض والآفات فنقم انكي ( Enki ) على عباده لمخالفتهم تعاليمه وعزم على إبادتهم بطوفان فدعى احد عباده الصالحين واسمه اوتو ( Uttu ) وأمره اليه بالأمر وطلب منه ان ينجو بنفسه على سفينة وهكذا كان الأمر فهلك جميع البشر الا صاحبه اوتو ( Uttu ) فتنازل منه البشر ثانية ولكنه حرم البشر السعادة التي كانوا يتمتعون بها من قبل وقدر على الانسان ان يسعى ليعيش وعرضه للأمراض واطار الفناء . وهكذا خرج الانسان بذنبه من التعميم الى الجحيم ، وما أشبه هذه الرواية بطوفان سيدنا نوح . وقد اتصل بسكان جزيرة العرب حادث آخر وهو سيل العرم وليس

هذا السيل الا احدى الكوارث الآتفة الذكر لأنه لا يُعقل ان يكون في بلاد سبأ سدٌ يجمع هذا المقدار من الماء وخصوصاً مياه جزيرة العرب قليلة شحيحة . والأرجح ان العوامل التي دحرت الانسان القديم من الشمال الى الجنوب هي نفسها التي أرغمت جماعات جزيرة العرب على ان يهجروا بلادهم الى الشمال . وما نيل العرم الا طوفان حصل لما اشتدت حرارة الهواء في العصور القديمة فأذابت الثلوج المتراكمة منذ ألوف السنين في قمم جبال جزيرة العرب ومرتفعاتها فهكذا كان سيل العرم في بلاد سبأ فتفرق سكانها في كل البلاد أبدي سبأ .

وقد دامت هذه الحوادث التي استعرضناها في اسطر عشرات الالوف من السنين كان يتدرج الانسان خلالها نحو الرقي وساعده على ذلك استقرار حالة الارض الطبيعية في الالف العاشرة فتأير على خطة الابتكار والعمل اتباعاً لسنة تنازع البقاء فتوفرت لديه المعدات وجعل لنفسه مبيتاً ونسج ملابسه واستخدم الحيوان واستثمر الارض أصبح صانعاً وفناناً وفلاحاً بعد ان كانت الولا من السنين متشرداً صياداً فانتقل في آخر العهد الحجري من البداوة الى الحضارة فصار قسم منهم يتعهد الارض وقسم يعتني بتربية المواشي وهكذا تكون صناعات من البشر بدو وحضر . رعاة ينتقلون بمواشيهم من بقعة الى بقعة ارياداً للما واتجاءاً للكلأ وفلاحون يقيمون بمزارعهم يعملون في الارض ويستغلونها .

وقد ابقنا جماعات عصور قبل التاريخ كثيراً من آثارهم في سورية وجدت في الكهوف التي كانوا يآوون اليها او في قبور موتاهم ويمكن منها تتبع رقي الانسان وتدرجه في الحضارة . وليست هذه الآثار تماثيل ونقوشاً او اواني نفيسة . بل هي شظايا من الطران والصوان المنحوت والمصقول او عظام حيوانات زينتها ايدي الصانع او خزف بسيط وقبور تلك الشعوب البائدة وهذه الآثار كانت صنعتها تقسناً كما اقترب الانسان من العهد التاريخي . ورغم قلة المشتغلين من العلماء بعصر قبل التاريخ في سورية فقد اهتموا الى اماكن عديدة وجد فيها من آثار ذاك الانسان في عدلون . ونهر ابراهيم . وانطلياس . ونهر بيروت . وطرابلس . ونبع نهر الكلب والمعاملتين . وتينه . والبقعة . وتعاك . ومجدو . والكرمل . واذرعات . وجرش . وعمسان . والحسرك . ووادي موسى .

والقدس . وفي الفلاة الممتدة من جبرود حتى دير الزور وفي كثير من الاماكن في سورية الشمالية .

وطال امد العهد الحجري في سورية أكثر منه في مصر والعراق ولهذين القطرين فضل كبير في تحضير جماعات سورية والعالم اجمع . فقد شيئا بين سنة ( ٤٠٠٠ و ٣٠٠٠ ) قبل الميلاد عمراتاً عظيم الشأن بينما كانت سورية وبقية العالم تخبط في ظلمات الجهل والامية وقد ارتقت سورية الى مصافها في الالف الثالثة قبل الميلاد لما تقوى عليها العراق وحمل اليها معارفه ومكتشفاته واهمها المعادن والكتابة . والعصر التاريخي ينتهي في كل امة من يوم وقوف اهلها على الكتابة لتسجيل اخبارهم وتدوين وقائع عصرهم . وقد دفعت سورية ثمنًا باهظاً لحصولها على حضارة مجاورها وهذا الثمن هو حرمانها استقلال جماعاتها . فمنذ ذلك التاريخ وسورية تنتقل من يد مسيطر الى آخر حتى يومنا هذا . وكانت موقع سورية الجغرافية وخصب ارضها وكثرة غاباتها هو سبب بلائها في حلقة الاتصال بين الغرب والشرق ومنفذ لكتيها . فمنها كانت تستورد مصر والعراق ما يعوزهما من الخشب لبناء دورهم وصنع عمارتهم البحرية .

وكانت سورية في أكثر ادوارها التاريخية ساحة حرب يتنازعها العراق ومصر وبطمع بها الحثيون واليونان والفرس والرومان كما جاءها العرب والترك من بعد . وقد ترك كل من هذه الشعوب اثرًا من حضارتهم وعوائدهم . ولا يمكن معرفة تاريخ سورية الا بالرجوع الى وثائق تلك الشعوب ورقمها وقدامتج تاريخ سورية بتاريخ هذه الشعوب ولا يمكن عزله عنه لعلاقته بحوادث الامم التي كانت تدين لسلطانها . ولذلك نرى في سورية مدنية ظاهرها مزيج من مجموع حضارات مختلفة يتمذر لأول وهلة تميز بعضها عن بعض وتتبع سير تطورها . ومع ان هذا الدور يدعى بالعهد التاريخي فهو بالحقيقة اعقد مما سبقه من الادوار على كثرة المصادر والوثائق . وقد اصبحت سورية من جراء هذه التجزئة والمنازعات السياسية دويلات مختلفة بلغاتها وعوائدها وعقائدها اهمهم الكنعانيون والاراميون والعموريون والفينيقيون وكثير غيرهم من طوائف حدود سورية الشرقية والجنوبية . وقد خضعت هذه الدويلات لسلطة الآشوريين والبابليين والمصريين والحثيين وبارس واليونان والرومان . وكانت دمشق اقوى ممالك الاراميين . ويتمذر على المؤرخ ان يسرد حوادث

كل من هذه الأدوار لو لم يسعفه الأثرى ويرشده في هذا المسلك الوعر .  
وحوالي سنة (٢٠٠٠ ق م .) كانت هؤلاء الساميون بلغوا درجة من الحضارة لا يستهان بها . معظمها مستمد من مصر وبابل . وقد شغف الفينيقيون بحب البحر ومهروا بعلم الملاحة حتى سيطروا على البحار والأسواق التجارية في جميع سواحل البحر المتوسط فحملوا سلعم وتعاليم الحضارة الشرقية الى اقصى بلاد افريقيا الشمالية واسبانية وجنوبي فرنسا وجزر صقلية وقبرص وكريت وقد استوطن هذه البلاد جماعات من الفينيقيين وأسسوا فيها حكومات كان لها شأن عظيم في التاريخ .

ولم يبق لنا الزمن إلا النذر اليسير من آثار شعوب سورية السامية في العصور القديمة لأن أسلافنا كانوا يبنون بيوتهم وهياكلهم من الطوب المحفف بالشمس كما هو الحال حتى اليوم في بعض المدن والقرى السورية ولا يحى أن هذا النوع من البناء لا يعمر طويلاً فتتهدم البيوت برمتها فيعمد أصحابها الى بناء غيرها على أنقاضها وجرى الناس على هذا الأسلوب من البناء قروناً متوالية تكونت منها تلال اصطناعية وهذه التلال تُمَدُّ بالملئات في سورية : كتل أريحا في فلسطين وتل الصالحية في الفوطة وتل الدرخية في وادي العجم وتل النبي مندو وتل المشرفة بجوار حمص وتل جرابلس على الفرات وقد حفظت لنا الأيام في بطن هذه التلال والقبور كثيراً من الآثار التاريخية المهمة ، وقد عثر المتقربون على كثير من توابيح الأسر والرسائل والصكوك والحسابات والمذكرات وغيرها من الرق ووجدوا ايضاً كثيراً من الأثاث والأواني الجميلة المزخرفة والرسوم المنقوشة . واما البنايات الأثرية القديمة مثل بعلبك وجرش وندمر وغيرها فهي من العهد الروماني فقط ولكنها شيدت على أنقاض هياكل ومدن أقدم منها عهداً .

ولقد تبين من الحفريات التي أجريت في سورية ومن الآثار التي اكتشفت فيها — أن آثارها تختلف عما وجد في البلاد المجاورة لها ولا يرجح أن نعثر في هذه البلاد على آثار تشير بجسامتها إعجاب العامة قبل الخواصة كما هو شأن آثار مصر وأشور والفرس . والسذاجة في الصناعات تغلب على السوريين منذ القديم بهذا فاشي عن طبائعهم ومعتقداتهم فالسوري في جميع أدواره التاريخية يميل الى الساذج وهذا يظهر في صناعاته وفلسفته الدينية وتجلي في هذه البساطة مواهب السوري الفنية فقد جمع بين الساذج والجميل فأحسن الصنع



وأبدع . ونقل الآثار المنقولة النفيسة التي اكتشفت في سورية بالنسبة الى ما وجد في غيرها من البلدان المتجاورة . وهذا القليل يشهد ببراعة الصانع السوري وذوقه السليم وهو ذو مكانة بين أقرانه من فئتي بقية الشعوب . وليس معنى قلة العاديات عدم انتشارها في البلاد بل لأنها لم تتصل إلينا لأسباب وعوامل شتى . أولاً : لأن أكثر تربة سورية رطبة لا تحفظ ما يودع فيها . وثانياً : لأن السوريين قلما يودعون مدافن موتاهم تفائسهم كما هو شأن المصريين وغيرهم من الأمم القديمة بل يكتفون بالاشياء البسيطة كقوارير الشبه أو الخزف وشي من أدوات الزينة من الفضة أو النحاس أو الذهب أو قطع سلاح وإذا أضفنا الى خلو القبور من الأغلاق ما قد كتبه اشمو نزار ملك صيدا على تابوته مخاطباً به نباشي القبور ناصحاً لهم بان لا يهتكوا حرمة مؤكداً أن لاذهب في قبره ولا فضة — تدركون مرة ندرتها بين أيدينا فاذا كان هذا حال ملوكهم فما بالكهم بالرعية . وخلو القبور منها هو حجة لسورية لا عليها ودليل على سمو عقيدة سكانها ونفج فكرتهم منذ القديم . لأن السوري كبقية الشعوب السامية يغلب عليه الاعتقاد بان الجسم مادة تتلاشى مع الزمن ليست جديرة بالاكرام الذي يبالغ به غيرهم من الشعوب ومع هذا فقد انتشرت في سورية عادة وضع بعض الاشياء في القبور وذلك بمؤثرات خارجية واقتباس عادات الغالب لأن سورية كانت في أكثر ادوار تاريخها خاضعة لسلطان اجني كما ذكرنا آنفاً .

سورية مهد ثلاث ديانات يدين بها اليوم معظم البشر وهذه الديانات لم تكن ابنة ساعتها بل هنالك عوامل مهدت لما السبل مدة قرون عديدة قبل ظهورها وبهم العالم أن يعرف تطورها قبل نشوئها وهذا ما يزيد في مكانة آثار سورية ويجعل اقبال العلماء عليها أكثر من سواها لعلاقتها الكبيرة بنظامنا الاجتماعي الحاضر . وقد أدركت جمعية الامم هذا الامر واحتاطت له خوفاً من المزاحمة او استئثار دولة بهذه الآثار دون سواها . ولذلك اشترطت في المادة الرابعة عشرة من صك الانتداب ان يكون النظام الذي سيوضع لحماية العاديات مستمداً روحه مما يدعو الى التنشيط أكثر منه الى التثييط كما انها اشترطت على الحكومة المنتدبة عند منحها إجازات بالحفر ان لا تصرف بشكل يرمي الى حرمان علماء أي شعب كان من تلك الإجازات دون أسباب موجبة .

آثار سورية ٠ — انت معظم البنايات الاثرية التي نعرفها اليوم ويؤمها الزائرون من جميع أنحاء العالم مثل بعلبك وتدمر وجرش وبصرى الشام ومادبا هي حديثة العهد بالنسبة لقدم حضارة سورية ويغلب عليها تأثير الفن اليوناني والروماني والبيزنطي وقد ثبتت هذه البنايات على طواري الأيام لان بناءها من الحجر الصلب المنحوت بخلاف البنايات التي قبلها فقد درست لانها كانت من الطوب المجفف وهذه البنايات هي معابد وهياكل ومدن لما شهرة عالمية لانها بالحقيقة احدى معجزات الفن المعماري وهي في غنى عن كل وصف وقد برع السوريون بالبناء وكانت روما تستدعيهم لتشييد بناياتها العامة .

وفي سورية بقايا بنايات أثرية لما أهمية تاريخية عظيمة منها منيج من أفضية حلب وقد أطلق عليها اليونان اسم ( Hierapolis ) نسبة لأبراه ( Aera ) المعبود الأشوري وجاء اسمها ( Mappigu ) في الوثائق الاشورية وفي هذه البلدة أقدم معبد سوري وكانت هذه المدينة مقدسة يقصدها الحجاج من جميع أنحاء سورية وقد كتب لوسيانوس المؤرخ الاشوري الاصل كتاباً في هذا المعبد وطقوسه الدينية وشعائره وحكاية بنائه وأسبابها ونسب بناءه الى ( Stratonice ) زوج ملك آشور . كما انه عقد في كتابه فصلاً في قدم مدينة جبيل الواقعة على طريق بيروت — طرابلس ووصف عبادة اهلها لأدونيس آله الانتاج وقد أبدت الحفريات الأخيرة قدم هذه المدينة فقد عثروا فيها على معبد قديم وجدوا تحت بلاطه عدداً من الاواني والادوات زبر على بعضها اسم الفرعون ( Mycerenus ) من السلالة الرابعة وباني احد اهرام مصر الكبيرة بين سنة ( ٢٩٠٠ و ٢٢٥٠ ) قبل الميلاد واسم الفرعون ( Ounas ) من السلالة الخامسة واسم ( Pepi II ) الثاني من السلالة السادسة ووجدوا ايضاً غيرها من الادوات المصرية أحدث عهداً من الاولى وهذا يؤيد علاقة مصر بالفينيقيين قديماً وكان المصريون يطلقون اسم ( Keben ) على مدينة جبيل حتى في عهد السلالة الثانية عشرة وذكرت بهذا الاسم في الرقم المصرية منذ سنة ( ٣٠٠٠ ) قبل الميلاد وكان المصريون يستوردون من جبيل الخشب اللبني لصنع سفنهم وربما كانوا يصنعونها في نفس مدينة جبيل وقد أطلق المصريون اسم ( Kebenit ) على اسطولهم الضخم نسبة الى ( Keben ) وهي جبيل كما ذكرنا . وقد عثروا ايضاً على بعض مدافن ملوك جبيل وأمرائها منهم أحرام المتوفى في القرب الثالث عشر قبل الميلاد وقد نقش على جوانبه

صورة الملك يتناول القرايين من أتباعه وبعض الشعائر الدينية وهو قائم على أربعة اسود ومما يزيد في شأن هذا الأثر الكتابة الفينيقية التي زيرت عليه وهي أقدم كتابة أبجدية عرفت حتى اليوم وهذه ترجمتها «عمل هذا الإيران (أي التابوت) إفسئبل بن أحرام ملك جبيل لاييه كي يكون مقره الأبدى فاذا ناصب ملك من الملوك أو حاكم من الحكام العداء لجبيل وأخرج هذا التابوت من تحت البلاط فيكون خاتور خصمه فيدك عرش ملكه وبعم الخراب جيلاً فيما اذا محا هذه الكتابة (.....) وآثار جبيل هي أهم ما عثر عليه حتى اليوم في سورية من الوجهتين الفنية والعملية ويحق لتخيف بيروت أن يفاخر بها .

ومن اعجب ما ذكره لسيانوس المؤرخ عن عبادة اهل جبيل لأدونيس أنهم كانوا يزعمون ان أدونيس هذا خرج للصيد في جبال لبنان فوثب عليه خنزير واقتصره عند نبع نهر ابراهيم حيث نرى الى الآن نقوشاً ورسوماً تشير الى هذا الحادث وقد اطلقوا على هذا النهر اسم أدونيس تخليداً لذكر معبودهم . ولكن موت أدونيس لم يكن ابدياً بل كان يموت في فصل الخريف من كل سنة ويبعث في ربيعها وكانوا يقيمون في ربيع كل سنة مأتماً عليه تلبس نساؤهم ثياب الحداد ويجلن في شوارع جبيل باكيات بضربن صدورهن ويشققن جيوبهن حزناً عليه ولكن في اليوم الثاني ينقلب الترح فرحاً اذ يُبعث أدونيس ويرتفع الى السماء فتقام في المدينة معالم الزينة والسرور فيخلق النساء شعور رؤسهن ومن لا تقدم على هذه التضحية تكفر . سببها بإباحة جماها لكل طالب طول هذا اليوم ويخصص ربيع هذا العمل الشائن لأعمال البر والتقوى ولم يكن هذا العمل الفظيع يستنكر عندهم بل اللواتي يقدمن عليه ينلن حظوةً كبيرة لدى مواطنيهم . وكان الفينيقيون يعدون اعمال العهارة والفجور اعمال نعيم يتقربون بها الى اربابهم . وقد عثر المنقبون على عدد من الكهوف التي كانت تجري بها مثل هذه المخازي في بلاد فينيقية . ومن الاعمال التي كانت تقشع لها الجلود عادة تقديم الضحايا البشرية فكان كل منهم يقدم ابنه البكر ضحية لاربابهم ليحصل على بركتهم او دفعاً لخطر داهم وهذه العادة الفظيعة قديمة جداً في سورية وقد دامت حتى العهد الروماني . وبنو اسرائيل هم اول من استنظع هذا الامر وحرموه واستعاضوا عنه بالختان وهو فداء الكل بالجزء .

وفي دمشق اثر لا يقل مكانة عن غيره وهو الهيكل بالأمس او جامع بني أمية اليوم .



ونرى كثيراً من الكنائس والجوامع شيدت على انقاض هياكل ومعابد قديمة . وتبدأ أقدم معلوماتنا عن هذا الهيكل من القرن العاشر قبل الميلاد الى العهد الذي تلاشت فيه الوثنية من هذه البلاد وكانت يعبد فيه الآلهة ( Hadad ) او ( Ramman ) ورفيقته ( Atargatis ) . وحداد هذا عند الاراميين بمنزلة ( Jupiter ) و ( Zeus ) عند اليونان والرومان وقد ورد ذكر هذا المعبد مرتين في التوراة في حديثه عن شفاء نعان وكانت شهرة هيكل دمشق عاصمة مملكة ارام عظيمة جداً حتى ان اخاز ( Achaz ) ملك بني اسرائيل لما جاء الى دمشق للسلام على ( Tiglat Pileser ) ملك اشور دهش من معبدها واخذ مقياس مذبحها لكي يبني مثله في بيت المقدس وهيكل دمشق هو في سورية الوحيد الذي احتفظ بهندسته القديمة رغم الطواريء التي نزلت به والايدي التي تعاقبت عليه وتقسم جميع المعابد السامية السورية الى قسمين: الحرم وهو مختص بالكهنة ولا يقصد الا في ايام الزيارات والقسم الخارجي وهو مباح للعوام . ونرى هذين القسمين واضحين حتى اليوم في هيكل دمشق والحرم هو المسجد الآن والقسم الخارجي هو السور الذي يحيط به ونرى احد ابوابه عند مدخل باب البريد واقدام آثار الهيكل جدران المسجد الخارجية الغربية والشمالية وهي على طراز بناء الجدر المصرية القديمة وقد تحول هذا الهيكل الى كنيسة في عهد ( Théodose ) في سنة ( ٣٧٩ — ٣٩٥ ) للميلاد وبقي كذلك حتى الفتح الاسلامي .

وقد كشفت الحفريات آثار قيمة في تل النبي مندو وهي قديش القديمة احد حصون الحثيين وثبت هذا الحصن طويلاً أمام هجمات المصريين حتى استولى عليه الفرعون سيتي الاول في القرن الثالث عشر قبل الميلاد ودك حصونه وقد خلف انتصاره بنصب محفوظ في تحتفتا : نقش عليه رسم الفرعون يتناول القرابين من اربابه وارباب الحثيين المغلوبين . وقد عثر الكونت ( De Mesnil ) منذ سنوات على مدينة قطننا القديمة في تل المشرفة قرب حمص وهذه المدينة كانت زاهرة في القديم فعثر فيها على قبور ملوكها ووجد فيها آثار لما شأنه تاريخي عظيم يرجع معظمها الى النصف الاول من الالف الثانية قبل الميلاد . وفي شمال سورية كثير من المدن التي سكنها الحثيون زمناً طويلاً وسيكون لآثار هذا الشعب المجهول مكانة عظيمة متى حلت رموز رقه وفهمت لغته .



لا يمكننا في ساعة واحدة الا التلحيق الى آثار سورية اذ كل أثر منها يستغرق ساعات . وقد سبقنا الغربيون وكتبوا المجلدات عنها فاليهم يرجع الفضل بكشف هذا الماضي المجيد . وآثار سورية هي أحق بعناية أبنائها فتعود علينا بفوائد مادية وأدبية لا تقدر .

جعفر الحسني

## حول كتاب الفكر السامي

« وصدور جزء به الثالث والرابع »



مصنف هذا الكتاب هو العلامة سيدي محمد الحجوي الثعالبي وزير معارف المغرب الأقمى ومدرس العلوم العالية في جامع القرويين بفاس وأحد أعضاء مجعنا العلمي . وقد كنا قرظنا الجزءين الأول والثاني من هذا الكتاب في مجلد السنة التاسعة ( ص ٥٠٦ ) وقلنا ان المصنف بنى كتابه على اربعة أرباع أو أجزاء :

- (١) طور طفولة الفقه الاسلامي من بعثة النبي (ص) الى حين وفاته .
- (٢) طور شبابه من عهد الخلفاء الراشدين الى آخر القرن الثاني .
- (٣) طور كهولته الى آخر القرن الرابع .
- (٤) طور شيخوخته وهرمه الى يوم الناس هذا .

وطريقة المؤلف في تأليفه انه يترجم للعلماء والفقهاء من آية فرقة كانوا بعد ان يأتي على مقدمة يذكر فيها نمودجا من تاريخ فرقهم ومختلف مقالاتهم ثم يستخرج من ثنايا التراجم تدرج الفقه وتطوره وتولد احكامه وتشعب مسائله مشيراً الى العجيب من أخبار الفقهاء ورجال الفرق قارناً كل خبر بما يلائمه من المواعظ والعبر . وما يجب من الانتباه والحذر . على هذا جرى في الربعين او الجزءين الأولين . وعليه جرى في الجزءين الأخيرين (الثالث والرابع) . فالثالث في ١٥٦ صفحة وهو يتضمن وصف كهولة الفقه في القرنين الثالث والرابع والعوارض التي طرأت عليه فيها . والمصنف — مع كونه مالكي المذهب — لم يعقيد بمذهبه ولا بعلماء فقهه بل عم القول وأفاض في الكلام على جميع رجال المذاهب والفرق

الاسلامية كما قلنا . فكان كتابه اشبه بمعلمة فقهية بصح الرجوع اليها في كل ما يتعلق بهذا الموضوع ومن ثم كان خليقاً باقبال الفضلاء عليه والاستضاءة بنوره . وقد انقد المصنف في هذا الجزء بعض فقهاء المذاهب الذين يرون نصوص أئمتهم أجدر بالاعتبار والأخذ من نصوص الشارع !!! ولعل الأئمة رضي الله عنهم كانوا يحذرون أمثال هذا الغلو فكرهوا ان يكتب عنهم شيء من أقوالهم لأنه اذا كتب ومرت عليه السنون تحجّر وقدّس . ومما ذكره في هذا الجزء ان تدخل الخلفاء بين الدين والفلسفة أضرمهما معاً . ولو بقيت العلوم الدينية تسير في طريقها من دون ان تصطدم بالفلسفة لأزهرت الفلسفة وأثمرت الثمرات التي اجتنتها أوربا . ومثل ذلك ( القياس ) فان الفقهاء لو لم يقاوموه ويشنعوا على أنصاره لأفادجداً في الترقّيات العصرية . ومن مباحثه الممتعة : هل ان نصوص الشريعة وافية بما يلزم للبشر من الأحكام ؟ وهذا البحث والذي قبله وغيرهما من المباحث الكثيرة من أقوى العوامل في نشاط العقول وجعل الفقه الاسلامي مثمراً . لكن المصنف احياناً تغلب عليه طبيعة البيئة فيرى آراء لا تقوى على التخصيص مش ما في ص ٣٥ من استدلاله برؤيا رآها على أن الله في كل مسألة حكماً شرعياً . وله في الصوفية والتصوف وكل ما له علاقة بهذا الموضوع كلام ونقول ممتعة جداً لعشاق هذا الفن . ومن فوائده انه كان في الاندلس في القرن الرابع للهجرة شورى وترايب دستورية جذالو دامت وعرف المسلمون كيف ينتفعون بها . وفي هذا الجزء كثير من الابحاث التي لها علاقة بترقيات العصر غير ما ذكرنا وإن الإشارة اليها تخرجنا عن مسمى ( التقيظ ) الى مسمى ( التلخيص ) وقال المصنف في آخر هذا الجزء ان العلماء الى آخر القرن الرابع يسمون ( المتقدمين ) وعلماء القرون التالية هم الذين يطلق عليهم اسم ( المتأخرين ) .

وفي الجزء الرابع سرد تراجم هؤلاء المتأخرين الى عصرنا هذا على طريقته في الاستطراد والاستنتاج الممتع : فوصف الحالة السياسية التي أدت الى انحطاط علم الفقه في المشرق والمغرب . وحرّق الاسبانيين لنفائس مخطوطات الاندلس . وان ملك الموحدين ( ابا يوسف يعقوب ) لما رأى غلبة كتب الفروع على فقهاء زمانه وحيلولتها دون الاجتهاد حرّقها وأمر بتصنيف كتب أحاديث الأحكام قال : وكان الفقهاء يعتمدون في ترجيح الأحكام الشرعية على الرؤى ومثل ذلك اعتمادهم على حساب الجمل ( ابن كمال باشا )

مذ أفتى السلطان سليماً بمحاربة الغوري أخذاً من القرآن بطريقة ذلك الحساب . وبمناسبة كلامه على اصلاح الازهر في العهد الأخير وصف المؤلف جامع القرويين في فاس وهو احد المدرسين فيه . وانه كان سعى في اصلاحه بمساعدة المستشرق الكبير الموسيو (مرضيي) لكن تدخل ذوي الأغراض حال دون ذلك الاصلاح وعطل تنفيذ مواد نظامه . بيد أنه اذا لم ينجح سعيه للاصلاح في ذلك المعهد العالي فقد انجح في المدارس الابتدائية والثانوية — ووصف لنا المؤلف فتنة الخلاف التي جرت بين العلماء والعامّة في مسألة : ( هل ان الكفار يعرفون الله ؟ ) وذلك في اوائل القرن الخامس للهجرة — ووصف لنا الوسائل التي ساعدت على انتشار الاسلام في صحراء افريقية وسودانها — وانه كان من عادة الأندلسيين إيذاء الفلاسفة وتضييق الخناق عليهم وذكر ان الاختصار في المصنفات الدينية استدعى إطالة الكلام في شرحها فضلت الافهام بين هذا الشرح وذاك الاختصار — وذكر ان الفقيه المحدث الورع سيدي رضوان الجنوي أبوه من (جنوه) وقد أسلم لبعض الاسباب (راجعها في ص ١٠٣) ثم جاء المغرب فتزوج يهودية مسلمة ومن بين هذين الأبوين ولد سيدي رضوان الذي قال فيه الامام القصار (رضوان الرجل الصالح لو أدركه ابو نعيم لجعله في الحلية) وكانت وفاة سيدي رضوان سنة ٩٩١ هـ قال المؤلف : ومن فتاوى (محمد المرغني) المتوفى سنة (١٠٩٠ هـ) ( أنه لا حرمة للبيانات التي تكون في داخل المدن بل يجوز نبشها وذلك لأن المدن حبس (أي وقف) على الأحياء ) قال : ويعتقدون في المغرب ان قراءة تفسير البضاوي تسبب موت السلطان ولذلك كانوا يجتالون على من يريد قراءته بشئ الوسائل — وذكر أنه يوجد من تاريخ ابن عساكر في خزانة المواسين بمراكش سبعة وعشرون جزءاً اكباراً من تجزئة نيف وثلاثين جزء — وترجم المؤلف نفسه ترجمة استغرقت نحو خمس عشرة صفحة ضمنها فوائد شتى .

وختم الكتاب بكلام عام مهد السبيل فيه الى طرائق اصلاح الفقه الاسلامي لتحقيق موضوع الاجتهاد والتقليد والاختصار في وضع المصنفات الفقهية ووصف صعوبة فهم مسائل كتب الفقه المختصرة حتى أدى ذلك الى فشو الأمية في العامة وذكر من أصول فقه المالكي اصلاً لا عهد لنا به في المشرق سماه (العمل الفاسي) وخلاصته ان يحكم القاضي بما حكم به القضاة الذين كانوا قبله — ويبحث في تتبع الرخص وتوحيد المذاهب ولزوم



وضع كتاب في الفقه على نمط المجلة العثمانية يتضمن من الأحكام الشرعية ما يلتمهم بحاجة أبناء هذا العصر — ونصح بالخضوع لناموس تطور الزمان وتأثيره في تطوير الأحكام وذكر أمثلة توضح ما اراد من هذا التطور والتطوير . ومن هذه الأمثلة التصوير الشمسي والفرق بينه وبين نحت التماثيل وذكر محاوره في هذا الموضوع جرت له مذ كان في تونس مع رئيس وزرائها ( ولعله يعني به خليل بوحاجب ) — وتساءل هل الاسباب متيسرة لمن أراد الاجتهاد في زماننا ؟ وهنا بحث في ما طبع من الكتب المساعدة على الاجتهاد — الى غير ذلك من الابحاث الجميلة المرتبطة جد الارتباط بمصالح المسلمين في هذا العصر مما ينبغي دراسته والتأمل فيه وخاصة لمن يهمه نجاح اصلاح الديني الاسلامي العملي لا النظري .

ومن طريف صنع المؤلف في خاتمة كتابه هذا أنه أتى على ذكر الانتقادات التي وجهها اليه علماء بلاده ثم عقب على كل نقد برده « تمثيلاً للحالة الفقهية والمناولات القلبية في افرقية الشمالية بالوقت الحاضر » وقد تجلّى هذه المباحث الانتقادية مسألة خلاف علي ومعاوية رضي الله عنهما . وتفضيل المذهب الحنفي على غيره والسبب في ذلك مرونته وصلاحيته للتطور الكوني — وذكر لنا مسألة ( لا فتوى بمنع شيء اذا كانت هناك حاجة داعية الى ابحاثه ) ومن هذا القبيل ( عملية السيكورتاه في الأموال ) وحاجة المسلمين اليها وان الجمود وعدم تجويز مثل هذا أضرّ بالمسلمين وجراً الكالين على ما فعلوا .

وبلي ذلك تقاربظ الكتاب وهي كثيرة ثم فهرست مفصل ثم اخطأ والصواب وما اكثر اخطأ في مطبوعات إخواننا المغاربة لكن اذا كان اخطأ في مطبوعاتهم كثيراً فان الصواب في آرائهم ومضامين مصنفاتهم أكثر لعمري .

المغربي



## رحلة اوليا جلبي

— ٥ —

ثم وصلنا الى حماة (١) — وبعد ان ذكر الجلبي نبذة من تاريخها شرع  
يصف حالتها في زمن مروره قال :

(١) حماة من امهات مدن الداخل في الشام تعلو عن سطح البحر ٣٠٨ امتار ، وهي في  
وهدة سمينة من وادي العاصي ولذا كانت حارة ورطبة ، تمر منها سكة حديد رفاق — حلب  
« طولها ١٨٩ كيلومتراً » وطريق السيارات المعبدة الممتدة بين دمشق وحلب « طولها ٢١٤  
كيلومتراً » وتبعد حماة عن حمص ٤٥ وعن حلب في سكة الحديد ١٤٣ كيلومتراً .  
وقد وردت حماة في التوراة مراراً باسم حمت الكبرى تمييزاً لها عن حمت الصغرى في  
فلسطين وذلك تنويعاً بذكرى حماة من ابناء كنعان الذي ينسب بناؤها اليه . وكانت على  
ما قيل الحد الشمالي للارض الموعود باعطائها لبني اسرائيل . وخلاصة تاريخ حماة ان الحثيين  
سكنوها قديماً فيما سكنوا من مدن الشام الشمالية بدليل العثور على بعض كتاباتهم فيها  
وقد قاست كما قاست تلك المدن من توالي غارات فراعنة مصر وملوك آشور ودفاع الحثيين  
واستبسالهم في معارك طاحنة دامت قبل الميلاد عدة قرون الى ان انقرضوا وخلفهم الآراميون  
ثم الامريليون ثم اليونانيون السلوقيون وقد سماها احد ملوكهم انتيوخس ايفانوس  
الرابع ايفانيا وظلت معروفة بهذا الاسم في دولة السلوقيين ولما زالت رجع الناس  
الى استعمال اسمها القديم ثم جاء الرومانيون .

لا جرم ان بلاد الشام الشمالية في عهد اليونان والرومان تقدمت في العمران وكانت  
نصيب حماة ان تحت القنوات في براريها الشرقية ونعتبت النواوير على العاصي فازدهرت  
الزراعة وانتشرت القرى العاصرة في شرقي سمية وحول الأندرين . على ان حماة

كانت في ذلك العهد تابعةً لحمص لسبق هذه تلك في المكانة والحضارة . ولما كان الفتح الاسلامي جاءها ابو عبيدة في سنة ١٧ فصالح اهلها على الجزية لرؤوسهم والخراج على ارضهم وجعل كنيسهم العظمي جامعاً وهو الآن الجامع الكبير وسياًتي وصفه . وجعل الخلفاء الراشدون حماة من اعمال جند حمص للسبب الذي تقدم ذكره . ومن الاحداث التي حصلت فيها في اواخر القرن الاول في خلافة عبد الملك بن مروان ارسال قيصر الروم يوستينانوس قائدين اسمهما موريق وموريقان جاءا وخربا دير القديس مارون الذي كان علي العاصي بين شيزر وحماة وقتلا رهبانه البالغين خمسمائة وشتتا شمل اتباع هذا القديس . ولما انتقلت الخلافة من يد الأمويين الى العباسيين في سنة ١٣٢ من القرن الثاني اورث انتقال العاصمة من دمشق الى بغداد فتوراً في الشام لأنها أصبحت بعيدة عن نظر الخلفاء الذين قل اكتر اثمهم بها يحكمها العمال حسب اهوائهم فكان ذلك مدرجةً لانحطاط شأنها وفي القرن الثاني وفي النصف الاول من الثالث اشتركت حماة مع حمص في الفتن والحروب الاهلية التي كانت تحدث تارة من تأجيج نار العصبية بين القيسيين واليمانيين وتارة من الوثوب بالعمال ومجي جيوش الخلفاء لتأديب المتوطينين . وفي النصف الثاني من القرن الثالث ظهرت بوادر الضعف في العباسيين وصار المتغلبة من اولئك العمال ينزعون الى الاستبداد في الامر وكان اولهم عامل مصر احمد بن طولون فقد نزع ربة الخلافة واستولى على الشام فأخذ حماة فيما اخذه وعقبه ابنه خماروبه وحفيده جيش . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة بقيادة صاحب الشامة وخربوا حماة والمعة وسلمية وقتلوا اهلها حتى النساء والاطفال فجاءهم في السنة التالية جيش الخليفة المكتفي من بغداد وجرت الواقعة الفاصلة في قرية تمبع ( التابعة قرب خان شيخون وشرقي طريق السيارات بين حماة وحلب ) وكانت الدائرة على القرامطة . وفي اواخر القرن الثالث زالت دولة بني طولون علي يد الخليفين المعتضد والمكتفي اللذين لم يتوانيا عن القضاء على كل خارجي فظهرت بعدها دولة الاخشيد محمد بن طه في مصر والشام ورأت البلاد مارأته من اقتتاله مع عامل الخليفة ابن رائق ومع سيف الدولة بن حمدان وبعد زوال الاخشيديين في منتصف القرن الرابع دخلت حماة في حوزة سيف الدولة بن حمدان واعقابه بن بعبده وتبعته حلب . وجاء الفاطميون اذ ذاك ينازعون العباسيين

الخلافة ورأت البلاد البلاء العميم من دوام الحروب بين الحمدانيين ثم المرداسيين وغيرهم من عمال العباسيين وبين جيوش الفاطميين . وكان الروم ينتهزون فرصة تطاحن المسلمين بعضهم مع بعض فيغيرون من حين الى آخر على شمالي الشام ويصلون الى حماة وحمص وما حولها فيعيشون وينهبون ويسبون ويعودون .

ولما زالت اماره الحمدانيين في اوائل القرن الخامس وتقسمت القبائل العربية بلاد الشام تبعت حماة صالح بن مرداس الكلابي صاحب حلب فبقيت في يده ويد اعقابه الى ان زالوا وفي العقد الثالث من ذلك القرن تبعت حمص في عهد بعض عمالها ممن كانوا يخطبون للفاطميين وفي آخر القرن الخامس جاء السلجوقيون فاقطعها السلطان ملكشاه لعامله في حلب قسيم الدولة آق سنقر وهو ابو عماد الدين زنكي فتبعت حلب . وفي غرة القرن السادس ألحقت بحمص في عهد عاملها قيرجة خان بن قراجه السلجوقي ثم ضمت الى دمشق في عهد الاتابك طغتكين واعقابه من بعده ثم عادت الى حلب في عهد عماد الدين زنكي الذي استخلصها من الاتابكيين واورثها ابنه نور الدين محموداً ومن هذا الى ابنه الملك الصالح اسماعيل . وخربت حماة في هذا القرن بالزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ٥٥٢ فرمها نور الدين وبنى اسوارها وقلعتها وبنى فيها الجامع والمستشفى المعروفين باسمه . وفي العقد الأخير من القرن السادس استخلص صلاح الدين الايوبي حماة فولى عليها خاله شهاب الدين الحارمي وبعد موته اقطعها لابن اخيه تقي الدين عمر فتملكها هذا واعقابه المعروفون بالبيت التقوي خلال ٦٨ سنة وانتهى ملكهم بخلع الملك الافضل بن الملك المؤيد ابي الفداء . ولم يكن لابناء البيت التقوي من الملكية الا الاسم والاهبة وكانوا فعلاً تحت إمرة ابناء عمهم صلاح الدين والسلطين المماليك الذين خلفوهم . على ان حماة نالت في عهدهم حظاً موفوراً من العمران وبعد زوال دولتهم ومجبي هولاء في القرن السابع وتيمورلنك في اوائل القرن التاسع وتخريبها قلعتهما واسوارها ونيلها منها — انحط شأن حماة وتضاءل عمرانها وظلت في عهد المماليك يديرها عمالهم فتسعد وتشقى تبعاً لصلاح هؤلاء او فسادهم . وفي القرن العاشر دخلت في ملك العثمانيين ودار بتولاها المتسلمون والباشات الذين يوظفهم ولاية طرابلس او دمشق حسبما تكون حماة مرتبطة بهذه او بتلك فنالها في العهد العثماني ما نال القطر الشامي كله من الاهمال



وسوء التدبير الى ان حنت الحالة في الجملة في اواخر القرن الماضي فجعلت حماة متصرفيةً ألحقت بها اذ ذاك أقضية حمص وجبل الكلبية ثم تبعتها سلمية في مطلع القرن الحالي .  
 ومما يستحق الذكر ان الصليبيين حاولوا الاستيلاء على حماة مرتين فقتلوا بعد ان كاد الأمر يتم لهم . الأولى في سنة ١١١٠ هـ في عهد واليها شهاب الدين محمود فأنهم انتهزوا فرصة خسوف القمر فوصلوا الى ارباض حماة وحاصروها والثانية في سنة ٧٢٠ هـ انتهزوا فرصة غياب صلاح الدين في مصر ومرض عاملها خاله شهاب الدين الخارجي فحاصروها ، لكنهم في المرتين اجبروا على الرجوع . على انهم عند ضعف المسلمين وتنازع ملوكهم كانوا - ونخص بالذكر الداوية اي الفرسان الهيكبيين المرابطين في حصن الاكراد - لا يتوانون عن الاغارة على حماة فينالون من ضواحيها ويغرمون احياناً ملوكها وعمالها بمبالغ طائلة ويرجعون .  
 هذا وقد حاولت ان اجد وصف حماة في القرون الماضية لانظر كيف كان عمرانها في ادوار متعاقبة فلم اعثر على اقدم من وصف القرن الثالث أنقله عن ياقوت . قال : وذكر احمد بن الطيب فيما ذكره من البقاع التي شاهدها في مسيره مع المعتضد من بغداد الى الطواحين (?) فقال بعد ذكره حمص « وحماة قرية عليها سور حجارة وفيها بناء بالحجارة واسع والعاصي يجري امامها ويسقي بساتينها ويدير نواعيرها » وكان قوله هذا في سنة ٢٧١ فسمها قرية اه . قال احمد الصابري الحموي في كتابه تاريخ حماة المطبوع في سنة ١٣٣٢ ما خلاصته ان احمد بن الطيب سمي حماة قرية وليست هي قرية كما قال ولكن من يشاهد بغداد في زمن المعتضد لا يستغرب منه تسميته حماة قرية لأن العباسيين لما اخذوا الخلافة لم يكن لهم عناية الا باعمار بغداد والعراق فاهملوا شأن البلاد الشامية ومنها حماة ولتوالي هذا الهمال والفتن خربت الكور والقرى التي كانت حماة تستقي منها موارد ثروتها مثل بكورة البلعاس والاندرين ولطمين وصورات وبعرين وغيرها حتى صارت حماة تسمى قرية في نظر احمد بن الطيب اه . وقال الاصطخري في اواسط القرن الرابع ما يدل على صغر حماة اذ ذاك ومضارعتها شيزر : واما شيزر وحماة فانهما مدينتان صغيرتان نزهتان كثيرتا الماء والشجر والزرع .

ومر ابن جبير في القرن السادس بعد ان مضى على الزلزلة سنة ٥٥٢ التي خربت حماة

بالمرة نحو ربع قرن ، وكانت نشطت من عثرتها بفضل الدولتين التورية والصلاحية لكنها لم ترق كثيراً عيني ذلك الاندلسي المبتهجة برأى غرناطة وقرطبة والحمراء فلم تعجبه أنيتها الضيقة ومبانيها المزدحمة ولم ينشرح الا لحسن العاصي وجمال البساتين . وهاك مقاله : « حماة مدينة شهيرة في البلدان قديمة الصلبة للزمان غير فسيحة الفناء ولا رائقة البناء ، أقطارها مضمومة وديارها مركومة ، لا يهش البصر اليها عند الاطلاع عليها ، كأنها تكن بهجتها وتخفيها فتجد حسناتها كمنافيتها ، حتى اذا جئت خلالها ونفرت ظلالاتها أبصرت بشرقيها نهراً كبيراً تنسع في تدفقه أساليبه ، وتتناظر بشطيه دواليبه ، قد انتظمت طرفيه بساتين تتهدل أغصانها عليه ، وتلوح خضرتها عذاراً بصفحتيه ، ينسرب في ظلالاتها ، وينساب على سمت اعتدالها ، وباحد شطيه المتعدل برضها مظاهر منتظمة بيوتاً عدة يخترق الماء من احد دواليبه جميع نواحيها فلا يجد المغتسل اثر اذى فيها ، وعلى شطه الثاني المتصل بالمدينة السفلى جامع صغير قد فتح جداره الشرقي عليه طيقاناً تجتلي منها منظرًا ترتاح النفس اليه وتتقيد الأبصار لديه وبازاء ممر النهر يجوفي المدينة قلعة حلينة الوضع ، وان كانت دونها في الحصانة والمنع شرب ليا من هذا النهر ماء ينبع فيها فلا تخاف الصدى ولا تهيب مرام العدى . وموضع هذه المدينة في وحدة<sup>(١)</sup> من الأرض عريضة مستطيلة كأنها خندق عميق يرتفع لها جانبان أحدهما كالجبل المطل<sup>(٢)</sup> والمدينة العليا متصلة بسفح ذلك الجانب الجبلي والقلعة في الجانب الآخر في ربوة منقطعة كبيرة مستديرة قد تولى تحتها الزمان وحصل لما بحصانتها من كل عدو الأمان والمدينة السفلى<sup>(٣)</sup> تحت القلعة متصلة بالجانب الذي يصب النهر عليه وكلتا المدينتين صغيرتان وسور المدينة العليا يمتد على رأس جانبها العالي الجبلي وبطيف بها وبالمدينة السفلى سور يحرق بها من ثلاثة جوانب لان جانبها المتصل بالنهر لا يحتاج الى سور وعلى النهر جسر كبير<sup>(٤)</sup> معقود بصم انججارة يتصل من المدينة السفلى الى ربضها<sup>(٥)</sup> وربضها كبير فيه خانات والديار وله حوائط يستعجل فيها المسافر حاجته الى ان يفرغ لدخول المدينة وأسواق المدينة العليا أحفل وأجمل من أسواق المدينة السفلى وهي الجامعة لجميع الصناعات والتجارات اد .

ولم ينه ذكر حماة بعد خموله وتعد الا في عهد أبناء تقي الدين عمر بن ايوب

فانهم لما آل اليهم ملك حماة وضواحيها عمروها بالأبنية الضخمة والقصور الفخمة والأسواق الحافلة والأسوار المحكمة بدلنا على ذلك ما ذكره ياقوت في أوائل القرن السابع نال : حماة مدينة كبيرة كثيرة الخيرات رخيصة الأسعار واسعة الرقعة حفلة الأسواق يحيط بها سور محكم وبظاهر السور حاضركبير جداً فيه أسواق كثيرة وجامع مفرد مشرف على نهرها المعروف بالعاصي عليه عدة نواعير تستقي الماء من العاصي فتسقي بساتينها وتنصب الى بركة جامعها ويقال لهذا الحاضر السوق الأسفل لانه منحط عن المدينة ويسمون السور السوق الأعلى . وفي طرف المدينة قلعة عظيمة عجيبه في حصنها وإتقان عمارتها وحفر خنادقها نحو مائة ذراع وأكثر وهي مدينة قديمة جاهلية ذكرها امرؤ القيس في شعره ( أوردناه في بحث شيزر ) الا انها لم تكن قديماً مثل ما هي اليوم بسلطان مفرد بل كانت من عمل حمص اه . وبدلنا على تلك العناية ايضاً ما ذكره ابن بطوطة في القرن الثامن : حماة احدى أمهات الشام الرفيعة ومدائنها البديعة ذات الحسن الرائق والجمال الفائق تحفها البساتين والجنات ويشقها العاصي ولها ربض يسمى بالمنصورية أعظم من المدينة فيه الأسواق الحافلة والحمامات الحسان . وبجماة الفواكه الكثيرة منها المشمش اللوزي الشهير اه .

وقد نسر الصابوني في تاريخ حماة ما ذكره ابن جبير وياقوت فقال : كانت حماة قسمين قسم في محلة باب الجسر وقسم في المدينة وبالنظر لارتفاع المدينة عن باب الجسر كانت تسمى القسم الأعلى وسوقها السوق الأعلى وكذا جامعها كان يسمى الجامع الأعلى وكانت مسورة بسور من الحجر الابيض عظيم يمتد الى تل العريضة وله أبواب عديدة منها باب النصر وباب المغار وباب النهر وباب العميان وباب الغربي وباب القبلي . وكانت لمحلة باب الجسر سور يحيط بها من جهة والعاصي يحيط بها من الجهة الاخرى وعلى العاصي الجسر الكبير له باب من جهة الشمال الغربي وباب آخر في مبداء من جهة القبلة ولسورها أبواب منها باب تدمر وباب النقي وباب حمص . وقال شرحاً لما ذكره جبير وأشارنا اليه برقم (١) الوهدة المكان المنخفض فان حماة في واد عميق كانت أرضه مساوية لأرض النهر ولكثرة الزلازل وتراكم التراب ارتفعت الأرض عن النهر . وعن الرقم (٢) انه تل العريضة . و (٣) محلة باب الجسر و (٤) جسر محلة باب الجسر و (٥) كان في محلة الدعشة في بستان يسمى

الاتون حوانيت وخانات ينزل فيها المسافر اذا جاء ليلاً وأبواب السور مغلقة ويسمى مثل هذا ربضاً . وكان بنيان محلة المدينة أوسع وأسواقها أحفل من أسواق محلة باب الجسر وكان بين القسمين طريق مما وراء القلعة من البستان الذي يسمى الآن بستان الخضر . ثم امتد العمران لجهة الحاضر فحدثت محلات عديدة كما امتد البنيان في زمن نورالدين الشهيد حتى باب حمص بجانب رحي المسرودة . اما مكان السوق فقد كان مرتفعاً من الشمال ومنخفضاً في الجنوب وكان فيه مقابر واذا طغى العاصي فاض على هذا القسم المنخفض وملأه . فلما ضاقت البلد بالسكان مشى الناس بالبنيان الى موضع السوق فبنوا البيوت والحوانيت ولما ولي الملك المنصور حماة بنى هذا السوق وكان يعرف بسوق المنصورية .

قلت وكان ينتظر من الملك المؤيد ابي الفداء ان يصف لنا عاصمة ملكه حماة في كتابه « تقويم البلدان » وصفاً كافياً يطلعنا به على الرقي والعمران اللذين نالتها في عهده وعهد اجداده التقويين الايوبيين في القرنين السابع والثامن ولكنه رحمه الله لم يشذ عن الايجاز الذي سار عليه في وصف بقية البلدان فاكتفى بقوله : حماة من الشام بين حمص وقنسرين وحماة مدينة أزلية ولها ذكر في كتب الاسرائيليين وهي من ائزها البلاد الشامية والعاصي يستدير على غالبها من شرقيها وشماليها ولها قلعة حسنة البناء مرتفعة وفي داخلها الأرحية على الماء وبها نواعير على العاصي تسقي أكثر بساتينها ويدخل منها الماء الى كثير من دورها قال الهروي في كتابه المعروف بالزيادات : وحماة بلدة قديمة مذكورة في التوراة وهي وشيزر مختصتان بكثرة النواعير دون غيرهما من بلاد الشام اه .

وقال شيخ الربوة في القرن الثامن ايضاً : حماة حماها الله بها سلطان ملك ( لعله يعني الملك المؤيد ابا الفداء ) ونائب مستقل وهي مدينة حسنة خصبة كثيرة الخير والأرزاق يحوطها النهر العاصي وبأنتها جارياً من بين جانبيها ويجمع بين الجانبين قنطرة وعلى العاصي نواعير كبيرة التي لم ير في الآفاق مثلها يحمل من العاصي أنهاراً من الماء يسقون به البساتين والاماكن وهي كثيرة الثمار وبها الشمس الكافوري اللوزي الذي لم ير في سائر الآفاق مثله ومن اعمالها الكبار بعين وتسمى بارين وهي قلعة منيعة وسلمية وهي على سيف البرية ( بناها عبدالله بن صالح وعلي بن عبدالله بن عباس رضي الله عنهم ) ولها قناة كبيرة



تجمل من سلمية الى حماة تسقي بساتينها وارضيتها وهو نهر مليح . وقال ايضا عن حماة في فصل اعياد النصارى ومواسمهم : وفي عيد الفصح تبطل اهل حماة مدة ستة ايام اولها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلاثاء ثالث الفصح وتنتفش فيه النساء وتلبس فيه الكساوي الفاخرة ويصبغون فيه البيض ويعملون الأقراص والكعك ، المسلمون أكثر من النصارى . ويرد الى حماة اهل سائر البلاد المجاورة لينا مثل حمص وشيزر وسلمية وكفرطاب وابو قبيس ومعيف والمعة وتيزين والباب وبزاعة والفوعة وحلب ويطلعون جميعاً الى العاصي ويضرب لهم اهل حماة على شطوطه خياماً ويركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تتم تلك الخلائق ويمضي لهم ستة ايام لا يرى في الوجود مثلها وكذلك يبطنون اول يوم صوم النصارى ويقولون قد طلعوا يلتقون الراهب ويبطنون ايضاً يوم نزول شمس برج الحمل وهذا في مدينة غيرها . وفي ليلة عيد الميلاد يوقد اهل حماة كبيرهم وصغيرهم وجليلهم وحقيرهم وجندهم واميرهم من القناديل فوق الاسطحة ومن القنب والشيخ شيئاً عظيماً ويوقدون من البارود والنفط انواعاً شتى وكذلك في عيد الختان ويسمونه الميلاد الصغيرة وربما يوقدون فيها أكثر من الكبيرة اه .

قلت وقناه سلمية التي ذكرها شيخ الربوة كانت تصل الى حماة وتسقي لارض الفسيحة العذبة الممتدة في شمالها وقد درست وتنوسي خبرها اما الزوارق فقد بقي منها اثر ضئيل كان قاصدو النزهة من الحمويين يركبون من جسر المراكب الذي صار يدعى جسر السرايا حيث العاصي زائد العمق في الجملة ويذهبون الى مكان في شرقي البلدة يدعى البشريات فيه ناعورتان كبيرتان تسقي البساتين نسبة الى دفين بجانيها يسمى الشيخ بشر . ولم يبق في حماة من الفواكه التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الربوة الا النادر وفقد منها الشمس اللوزي الذي ما زال موجوداً في دمشق والقطر المصري ومعروفاً بالحموي وليس في بساتين حماة وازوارها الا الزروع المسقوية من الحبوب والبقول الواسعة الغلال وقليل من الاشجار غير المطعمة وما ذلك الا من احمال سراة حماة ملاكي هذه البساتين وانصرافهم لزيادة عدد ما يقتنونه من القرى العذبة دون العناية بانقاذ العمل .

وفي القرن التاسع في دولة المماليك وفي القرن العاشر في زمن العثمانيين كسدت

لضاعة العلوم الدنيوية فلم ينشأ احد من الرحالين أو الجغرافيين ينبئنا عما كان عليه اذ ذاك عمران حماة وغيرها من مدن الشام مما تقدم معنا ذكره أو تأخره ، أو انه نشأ ولم نثر على ما كتبوه . وكذلك لم ينشأ في القرن الحادي عشر سوى سائحنا أوليا چلي الذي وصف حماة على قدر ما وعاها فهمه . على ان المعروف من التواريخ ان حماة بعد زوال دولة الأيوبيين التقويين والخراب الذي أصابها من هولاكو وتيمورلنك واستمرار فوضى الأحكام في عهد المماليك ودثور سلية وغيرها من القرى الشرقية التي لا حياة لحماة الا بها وفصل المعرة عنها أقل نجم حظها ، وفي عهد العثمانيين دام هذا الأفول لتوالي جور المسلمين الذين كان يرسلهم الولاة من طرابلس أو دمشق وقتن الأجناد وعسفهم حتى هاجر كثير من الحمويين على مارواه المحبي الى بقية مدن الشام الاكثر اطمئنانا فخلت حماة من رجالها وانحط شأنها كثيراً . وفي القرن الماضي ولاسيما في عهده الأخير دأبت الأسر الكبيرة التي أوجدتها أحداث ذلك العهد على استصفاء العقارات في المدينة والمزدرعات في القرى بشتى الوسائل حتى لم يبق منها لاسيما في البرية من الارضين المملوكة لاهلها الا ما ندر . وأصبح الحمويون من جراء ذلك فريقين متباينين ، العظامي الذي يسير نخوراً لسعة املاكه ووفرة أرزاقه تدر عليه وهو مستريح ربعاً بنفقته في نعمة ورفهه ، والعصامي وهم السوقة والفلاحون الذين يكادون مدى العمر للحصول على كفاف العيش والأجور التي حقت عليهم لأولئك العظاميين . والشحناء من جراء هذا التباين مستحكة الحلقات بين هذين الفريقين .

ومنذ نصف قرن توافد رحالة الافرنج على حماة فأعجبهم جمالها الطبيعي ومنظرها الأثري واستغربوا انسياب عاصيها وشد ونواعيرها وأزياء أهلها وأطوارهم فكتب بعضهم ومنهم ايزامبر وشوثة في سنة ١٨٨٢ وفان برشم في سنة ١٨٩٨ وموريس باريس في سنة ١٩١٤ ومونمارشة سنة ١٩٣٢ ما أوحته اليه قريحته الغريبة . وخلاصة ما كتبوه بما يكادون يتفقون في مآله ان حماة اختبأت في منخفض العاصي ومنعرجاته لا يتميزها القادم من بعيد الا من قرونها وانها احتضنت العاصي بجسورها وأغمست فيه دورها وقصورها وأطنبوا بنضرة رياضها وزهو أشجارها وأزهارها وروعة عاصيها وانسيابها الهادي ووصفوا نواعيرها معجبين بشكائها وعظمتها ودورانها وشدوها المطرب وصعوبة اعتياد الغريب له في لياليه الاولى وانتشار الماء منها

وانصبابه في القناطر الممتدة الى الأحياء والبساتين وتمثلوا العصور الوسطى عند رؤيتهم مباني حماه الأثرية الموكمة التي لم يخالطها حتى الآن بناء حديث وأسواقها المعقودة ودكاكينها المزدهمة بالقرويين والبدو وعند نظرهم الى أطوار سكّان حماه وأزيائهم المتنوعة الألوان والأشكال وشكوا فقدان الفنادق والمطاعم وحرمان أسباب الرفه الجالبة للسياح وان حماه بلدة منكشة ، بعيدة عن الاتصال بحضارة الغرب ، قليلة الترحاب بالأجانب وأهلها متعصبون والحياة الاجتماعية فيها لاسيما عند أسرها الكبيرة التي يدها الملك كله تذكر عهد الإقطاع وان من المباني الأثرية التي تستحق الزيارة في حماه قصور بني العظم وبني الكيلاني والجامع الكبير والجامع النوري وجامع الحيات والقلعة . . . الخ . ومما قاله احدهم وهو مومناشة صاحب « الدليل الازرق » : « وحماه مثل أكثر مدن الشام لا يحتاج التجول فيها ركوب المركبة فضياع الوقت يكاد لا يذكر ناهيك ان المشي يتلى أكثر بمشاهدة الطرق . فالأحياء المبنية في ضفة العاصي اليسرى أكثر امتداداً واستمتاعاً منها في ضفته اليمنى . واذا غادر السائح جسر السراي يسير شمالاً في شارع عريض يوازي العاصي ( يعني شارع ابي الفداء ) فيمر من تحت قناة ناعورة كبيرة ثم يصل الى القصر العربي الفخم الذي بناه اسعد باشا العظم حاكم حماه في سنة ١٢٤٢ م وقد اتخذ الآن مدرسة اهلية دعيت دار التعليم والتربية . وهذا القصر اصغر واقل بهاء من قصر بيت العظم في دمشق ، له فناءات احدهما علوي والثاني سفلي ، وفي العلوي قاعة ذات قباب امامها صف من الاعمدة ، ونجارة الخشب فيها ودهانه ووشيد من طراز القرن الثامن عشر وفي جنب القاعة غرفة فيها رسوم جميلة احدها يمثل مدينة حلب بمنظرها العام . واجمل ما في هذا القصر موقعه ، فان الواقف في فناءه العلوي يشرف على مشاهد جميلة في ضفتي العاصي وعلى احياء حماه التي في ضفته اليمنى ( يعني الحاضر ) . وبعد الخروج من القصر يسير السائح شمالاً فيمر من قرب ناعورتين عظيمتين جداً ثم من تحت ساباط الى ان يصل الى جسر علي العاصي في قربه ثلاث نواعير ، ويشاهد على ضفة العاصي اليمنى قصراً ذات قبة لآل الكيلاني ذوي الوجاهة في حماه والواقف على هذا الجسر تفر عينه بمناظر الحدائق الجميلة وصوت النواعير المطرب وثمة في الضفة اليسرى حمام عربي قديم واذا

رجع السائح في الطريق الصاعدة من الجسر يزور الجامع النوري ( وبعد ان وصف هذا الجامع قال ) ثم يصل الى التل الذي كانت تعلوه القلعة المدرسة والواقف في ذروة هذا التل يتمتع بمشاهدة حماة كلها وفي جنوبي هذا التل جامع صغير له قبة مضلعة تدعى قبة الحسين ( فيها مقام يقال انه موضع رأس الحسين حينما مروا به من كربلاء الى دمشق ) وفي الجامع كتابة تذكر ان نور الدين محمود جده بعد فئائه عقيب الزلزلة الهائلة التي حدثت في سنة ١١٥٧ م . ثم يصل الى الجامع الكبير ( وبعد ان وصف هذا الجامع وصریح الملك المظفر قال : واذا استأنف السائح السير في ذلك الطريق وعرج نحو اليمين يواجه العاصي ويرى ناعورة المحمدية الكبرى ( في باب النهر ) المبنية في القرن الرابع عشر وهي تسقي الجامع الكبير . فاذا اجتاز الجسر ( يعني جسر باب الجسر ) وعليه طاحونة قديمة يلاقي وسط الحدائق جامع الحيات ( وبعد ان وصف هذا الجامع وصریح ابي الفداء قال : وبناء هذا الجامع خال من الاتقان الصناعي لكن منظره من الجسر المجاور له وخياله المنعكس على مياه العاصي الذي تحيط به الحدائق يجعل له منظراً من أروع مناظر حماة . ويعود السائح من جامع الحيات الى المدينة بعد ان يمر من سفح تل القلعة ويمتاز ساحة خالية وسبعة تمتد امامه ( كان تقام في هذه الساحة سوق عامة كل يوم خميس وقد شادوا حديثاً في وسطها بناء جميل لمدرسة التجهيز الاميرية ) ثم ينفذ الى اسواق حماة التي لا تختلف كثيراً بمركتها وجلبتها عن اسواق دمشق وحماة وتفرق تلك بأنها لا تزال محتفظة بوضعها وبنائها الاثرين اه .

وصفي زكريا

« للبحث صلة »



# جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٥ —

حدثني محمد بن احمد بن عثمان الزيات قال حدثني ابو بكر بن حوري :  
شيخ كان من اهل خامية من اعمال النهروان قد اقام ببغداد سنين ٠ وكان  
مشهوراً بصحبة ابي عبد الله بن ابي عوف قال : كنت الزم ابن ابي عوف  
سنين لجوار يبتنا ومودة لا اسأله حاجة : لأنها لم تكن تعرض لي وكنت  
اتخفف بين يديه في حوائج ينفذني فيها ٠ وكان رسي في كل ليلة أجيئه بعد  
العمه وقد صلى ودخل منزله فحين يراني يمد رجلاه في حجري فأغمزها وأحادثه  
فيسألني عن الاخبار والحوادث ببغداد ٠ وكنت اسأل عنها وانطلبها من  
كل موضع واجيئه بها واخبره بخبر من قدم البلد ومن سافر عنه ومن مات  
ومن ولد ومن خاصم ومن ورث ومن يرجف به الناس واخبار الجيران وبكل  
غث وسمين الى ان ينعس فاذا نعس قبض رجلاه فقممت الى بيتي وقد مضى  
ثلث الليل او بعضه او أقل (١) على هذا سنين ٠ فلما كانت ذات يوم جاءني  
سقطي كان يعاملني فقال قد دفعت الي شي<sup>ي</sup> إن تم علي افتقرت فقلت ماهو ؟

(١) قد سقط : وجري الأمر ٠

فقال رجل كنت انامله فاجتمع لي عليه الف دينار فطالبته فرهني عقد جوهر  
 قوّم بالف دينار الى ان يفتكه بعد شهر أو أيعه . وأذن لي في ذلك فلما  
 كان امس وجهه ( مؤنس الفحل صاحب الشرطة ) من كبس دكاني وفتح  
 صندوقي واخذ العقد وقد استتر الرجل . فقلت له لا تفكر في هذا فاني  
 اخاطب ( ابا عبد الله بن ابي عوف ) فيلزمه رده صاغراً . قال وانا مدلّ  
 بابن ابي عوف لمكاني منه . ومكنته من المعتضد . فلما كان تلك الليلة جئته  
 فمدّ رجله في حجري على الرسم . وحادثته وعرفته الأخبار وقلت له في جملتها  
 أمر السقطي مع مؤنس ثم قلت هذا الرجل جاري ومعاملي وأوجب الناس  
 حقاً عليّ ولا بد والله من تفضلك ياسيدي واعتناء (١) في امره والزام مؤنس  
 رد العقد . فقال ما انا وهذا ؟ أعاديه صاحب شرطة الخليفة ؟ وكيف  
 استجرات أن تعرضني لمثل هذا وتسألني فيه ؟ كأني بك وقد قلت ابن ابي  
 عوف صديقي الزمه رد هذا . ولم تشفق على جاهي وكأنّ صلاح حال السقطي  
 أحب اليك من صيانة جاهي ما انا عافاك الله وهذا ولا اليه ؟ قال فورد عليّ  
 من هذا اعظم مورد . وقلت في نفسي : هذا الرجل قد خدمته كذا وكذا  
 سنة هذه الخدمة التي لم تخدمها العبيد على (٢) ما سألته قط حاجة ولا احتجت  
 اليه في شيء ولا له عليّ رزق ولا إفضال يلقاني في حاجة قد سألته فيها بمثل  
 هذا . شهد الله لا دخلت له داراً بعدها ابداً . وامسكت وجلست لا اتكلم  
 ثم قت قبل الوقت الذي كنت اقوم فيه . وعدت الى منزلي منكسراً

(١) لعله : واعتنائك . (٢) قد سقط : اني .

مغموماً . فلما كان من الغد بكرت لثلا يجيئني الرجل بسبب حاجته فافتضح عنده . ولم ادخل بيتي الى وقت المغرب ثم جئت فصليت وطرحت (١) . واعتقدت انني لا امضي اليه . فلما صليت العتمة جاءني خادم لابن ابي عوف فقال الشيخ يقرأ عليك السلام ويقول لم تأخرت الليلة ؟ إن كنت معافى فتعال وان كنت متشكياً جئناك فاستحييت وقلت امضي الليلة ثم انقطع . فحين دخلت اليه ورآني مدّ رجله في حجري . فأخذتها وغمزتها على الرسم فقال ايش عندك من الأخبار ؟ فاقبلت أحدثه بمحدث غثٍ متكافٍ متصنع . فلم يزل يصبر على ذلك ساعة ثم قبض رجله فقمت فقال يا بابكر انظر ايش تحت المصلي واذا برقعة في قرطاس فاخذتها وتقدمت الى الشمعة واذا فيها « يا مؤنس جسرت على قصد دكان رجل تاجر يُعرف بفلان وفتحت صندوقه واخذت منه عقد جوهر قيمته الف دينار وانا في الدنيا ؟ والله لولا انها اول غلطة غلطتها ما جرى في ذلك مناظرة . اركب بنفسك الى دكان الرجل حتى تردّ العقد في الصندوق بيدك ظاهراً » فقلت لأبي عبد الله ايش هذا يا سيدي ؟ فقال خطّ المعتضد الى مؤنس بما أردته : مثلت بين وجدك وعتبك مع وزن (٢) الحال مع مؤنس كما هي - وبين رضاك وقضا حَقك وايحاش مؤنس فاخترتك عليه فأخذت خط امير المؤمنين بما تراه . فامض وأوصله اليه فانه يفعل ما امره به . فقبلت رأسه وشكرته وانصرفت وانا من الفرح لا اعقل . وجئت الى الرجل واخذت يده ومضينا

(١) يريد : طرحت نفسي على سرير . (٢) لعله : بقاء .

الى مؤنس وسلمت التوقيع اليه . فحين قرأه اسودَّ وجهه وارتعد حتى سقطت الرقعة من يده ثم قال « يا هذا الله بيني وبينك . هذا شيء ما علمت به وتموّه عليّ فألاً تظلمتم اليّ فان لم أنصفكم فالى الوزير . ما هذا ؟ بلأغتم الامر الى امير المؤمنين من اول وهلة » قال وانتشطت (١) فقلت « بعلبك جرى والعقد معك » قال : فأحضر العقد وقال : خذوا الالف دينار التي عليه الساعة واكتبوا على الرجل بطلان ما ادعاه : فقلت لا تفعل . فقال خذوا ألف وخمس مائة دينار . فقلت والله لو اعطينا الف الف دينار ما رضينا او تركب بنفسك الى الدكان والعقد معك فترده الى الصندوق ولا نكذب انفسنا او ترد التوقيع . فقال أسرجوا لي قال : فركب والله في موكبته حتى وقف على دكان الرجل ورد العقد بيده الى الصندوق . فجاءنا صاحبه من ذلك اليوم ودفع ألف الدينار وارتمعه .

\*\*\*

حدثني عبد الله بن احمد بن داسه قال حدثني ابو احمد بن ابي الحسك الشاهد قال حدثني بمصر ابو طاهر محمد بن احمد بن عبد الله بن نصر القاضي وهو قاضيهـا يومئذ قال حدثني شيخ كان في جوارنا يغداد بدرب الرواسين من باب الشام قال كان ابو عبد الله بن ابي داود (٢) ينزل بباب الشام وهو صغير الحال فكنا نعرف احواله فباع يوماً منديلاً كان له بسبعة دراهم لتعذر القوت عليه قال فاجتاز في طريقه وهو عطشان فرأى شارباً فعدل الى

(١) لعله : واستشطت أو ونشطت . (٢) الصواب : دؤاد .



الموضع ودعاه واستسقاها فكسر الشارب شقة كوز كان معه وملاه ودفعه اليه فقال له ابن أبي داود (١) لم فعلت ذلك فقال قد شرب في هذا الموضع قبلك من لم ارض لك ان تجعل شفتك في موضع شفته فكسرت الموضع من الكوز لتشرب من موضع ما وقعت عليه شقة غير شفتك قال فشرب الماء ثم دفع اليه السبعة دراهم التي لم يكن يملك غيرها .

\* \* \*

حدثني أبو الحسين أحمد بن الحسن بن المثنى قال كانت امي قد رأت ليلة القدر فدعت الله بدعاء كثير فلما كان من الغد قال لها ابي هل دعوت الله لي فقالت شغلني الدعاء لاولادك عن الدعاء لك قال فكنا نرى ان ما أفاء الله تعالى علينا من نعمة بعد ذلك انما كان بدعائها .

\* \* \*

حدثني أبو الفضل الشيرازي الكاتب محمد بن عبيد الله بن المرزبان قال حدثني شيخ من شيوخ النخاسين الجلّة ببغداد قال كنت أعامل ابا الهيجاء عبد الله بن حمدان في الرقيق فكان يشتري مني ولا يبيع شيئاً يشتريه بوجه إما ان يهبه او يعتقه فجاءني يوماً الى حجرتي ولم تكن عادته جرت بذلك فوجدته وهو مستعجل يريد الخروج الى القصر لقتال أعراب بلغه انهم عاثوا في الطريق و كان يليه فقال بعني الساعة جارية فعرضت عليه عدة جوار فاختر مولدة منهن وحملها في عمارته على بغل فلما كان بعد شهر اقل من سنة جاءني بها رجل من الجند يريد بيعها فقلت لها أليس كان الأمير أبو الهيجاء اشتراك

(١) الصواب : دؤاد

مني فقالت بلى ولكنني وهبني لهذا قال فلم ابها حتى كاتبته وعرفته خبرها  
 لئلا تكون قد هربت او وقع بها حيلة فلما اعلمني انه وهبها شرعت في بيعها  
 في الحال فتعذر واقامت عندي اياماً فسألتها عن اخبار ابي الهيجاء وامره في  
 داره فاخبرتني باشياء من ذلك فكان من طريف ما اخبرتني به ان قالت  
 اخرجني من عندك في العمارية وسرنا يومنا ولبلتنا الى قريب من انتصاف  
 الليل فكذني السير واتلفني ثم حط العمارية في الصحراء ثم ضربت له خيم  
 لاصحابه فصرنا في عسكر واشعلت النيران ونصب له سرير مخلع (١) في خيمة  
 له واستدعاني فجئت وهو على فراشه فلاعيني ثم نزع ٠٠٠ وجلس مني مجلس  
 الرجل ٠٠٠ فوقعت صيحة عظيمة فنهض عني ولم يكن ٠٠٠ وضرب يده الى  
 تحت الفراش واذا سيف مجرد فاخذه وخرج بلا سراويل وصاح انا ابو الهيجاء  
 وسألم عن سبب الصيحة فقالوا سبع أطاف بالخيم فخرج يعدو ومعه خلق من  
 غلمانة واصحابه وأهاجوا السبع وطلبوه وناصبوه الحرب وناصبهم وانا اسمع  
 الصياح وزئير الاسد وقد تلفت فزعاً ثم يأتيه هو من بين الجماعة فقتله فحمل  
 رأسه وجاءني وهو في يده فلما رأته صحت فرمى بالرأس وغسل يده ثم جاءني  
 فطرحني واذا ٠٠٠ قائم كما كان في وقت نهوضه ما تغير ثم ٠٠٠ ثم نهضت  
 فما رأيت قلباً أثبت من قلبه ٠٠٠

\*\*\*

حدثني عبدالله بن احمد بن داسه قال حدثني ابوسهل بن زياد العطار قال

(١) كذا بالاصل ولعل معناه وثير .

كان باسكاف (١) شاعر به (٢) طريقة فهجا عاملها وبلغه ذلك فامسك عنه فلما كان وقت الغلة ركب العامل الى البيدر وقسمه وحمل غلة الشاعر اصلاً فجاء الشاعر اليه يشكو ويداريه فقال يا هذا ليست بيننا معاملة انت هجوتنا بالشعر ونحن هجوناك بالشعر وقد استوت الحال بيننا وبينك .

\*\*\*

حدثني محمد بن عدي بن حر وجماعة من البصريين قالوا لما نشأ لأبي الحسين محمد بن عبيد بن نصرويه مع فضله ورُجلته (رجوليته) ومحلّه المشهور من الدهاء والغيل (٣) والعلم والعقل - ابنه الباقي الآن وأخبر ابو الحسين رحمه الله بتأخره غمه ذلك قال وكان ابو الحسين يوماً جالساً اذ جاء ابنه هذا يسعى اليه كأنه في مهم ثم نتف طاقة شعر كانت على اذن ابي الحسين وسعى فألمه ذلك وغمه بلوغ تخلف الصبي الى هذا الحد ورثينا لما جرى قال لنا خلف النار الرماد .

\*\*\*

وحدثني ابو الحسين بن محمد الجبائي قال لما سعى ابو طاهر الحسين بن الحسن عامل البصرة علي ابي الحسين بن نصرويه حتى نكب النكبة الثانية التي ألزمه فيها الوزير العباس بن الحسين ما ألزمه من المال راسل ابا طاهر فقال له اعلم ان الصياد الفاره لا يذبح شباشه (٤) وانا كنت لك في هذا البلد مع التجار

(١) مكان في نواحي النهر وان . (٢) لعله محرف عن مثل به دعابة ظريفة

(٣) يريد الاغتيال كما تدل عليه الحكاية الآتية . (٤) أظن هذه الكلمة عبرانية

معناها المغرر . قد وصفه الدكتور خليل سعادة في قاموسه بيطّة أليفة توضع في المعابر الموصلة الى بركة لاستخراج البط البري ووقوعه في الشرك .

والناس مثل شباش الصياد فما انما ظن الناس انك عادلاً (١) وكنت تأخذ من تريد من الأوساط والأصاغر ولا ينكشف امرك وقد صرت بما عاملتني مثل الصياد الذي ذبح شباشه فليس عزمه بعدها ان يصطاد وستعلم انك لا تنتفع بنفسك ولا بالبلد بعدي ثم عدل الى السعاية عليه مع ابي الفضل العباس ابن الحسين الوزير فما خرج من البصرة حتى قبض (٢) ونكبه وقلد البصرة ابا القاسم علي بن الحسين بن ابراهيم بن أخت ابي الفرج محمد بن العباس ابن فسانجس وألزمه مالا ثقيلاً لم ينهض به وتلف ابوطاهر في المطالبة والضرب ومات في الحبس وانسحق هو واهله الى آخر دهرهم وكل ذلك تدبير ابي الحسين وترتيبه المكاره عليهم .

\*\*\*

حدثني محمد بن هليل بن عبد الله قال حدثنا القاضي احمد بن سيار قال حدثني رجل من الصوفية قال كنت اصحب شيخاً من الصوفية انا وجماعة في سفر فحدثني حديث التوكل والارزاق وضعف النفس فيها وقوتها فقال ذلك الشيخ عليّ "لا ذقت مأكولاً او يُبعث اليّ بجامة فالودج حارّ ولا آكل الا بعد ان يحلف عليّ" قال وكنا نمشي في الصحراء فقالت له الجماعة : الآخر جاهل ومشى ومشينا وانتهينا الى قرية ومضى عليه يومان وليلتان لم يطعم فيهن شيئاً ففارقته الجماعة غيري فانه طرح نفسه في مسجد في القرية مستسلماً للموت ضعفاً فاقمت عليه فلما كان في ليلة اليوم الرابع وقد انتصف الليل وكاد ان يتلف

(١) لعله : فانما ظن الناس انك عادل . (٢) سقط : عليه .



الشيخ فاذا يباب المسجد قدفتح واذا جارية سوداء ومعهما طبق مغطى فلما رأتنا قالت انتم غرباء او من اهل القرية؟ فقلنا غرباء فكشفت الطبق فاذا بجام فالوذج بفور لحرارته فقالت كلوا فقلت له كل فقال لا افعل فقلت له والله لتأكلن لأبر قسمه فقال لا افعل قال فشالت الجارية يدها فصفت صفة عظيمة وقالت والله لئن لم تأكل لا صفعنك هكذا الى ان تأكل قال فقال كل معي فأكلنا حتى نظفنا الجام وجاءت الجارية تمضي فقلنا لها مكانك خبرينا بخبرك وخبر هذا الجام فقالت نعم انا جارية رجل هو رئيس هذه القرية وهو رجل احمق حديد فطلب منا منذ ساعة فالوذجاً فقمننا لنصلحه وهو شتاء وبرد فالى ان تخرج الحوائج من البيت وتشعل النار ويعقد الفالوذج تأخر عنه فطلبه فقلنا نعم وطلبه ثانياً ولم نكن فرغنا منه وطلبه الثالثة فحرد وحلف بالطلاق لا يأكله ولا احد من داره ولا احد من اهل القرية ولا يأكله الا رجل غريب فجعلناه في الجام وخرجنا نطلب في المساجد رجلاً غريباً فلم نجد الى ان انتهينا الى هذا المسجد فوجدنا كما ولو لم يأكله هذا الشيخ لقتله ضرباً الى ان يأكل لئلا تطلق ستي من زوجها قال فقال الشيخ كيف ترى اذا اراد ان يرزق .

( للبحث صلة )

# آراء وافكار

— (١) —

## الزبور الشريف

ذكرنا في مقالنا «خزانة الكتب الخالدية» في بيت المقدس المنشورة بمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق<sup>(١)</sup> ان من جملة مخطوطاتها الزبور الشريف وانه منقول عن نسخة بمقام سيدنا داود عليه السلام في بيت المقدس وقد انبج لنا اخيراً الاطلاع على النسخة الأصلية المذكورة في خزانة كتب السيد حسن صدقي الدجاني فأجبنا ان نأتي على وصفها فنقول : كتبت هذه النسخة بخط جميل وهي بالقطع الكبير وقد جاء في آخرها ما يلي بالحرف :

« قد استراح من طي تيهاء زبير زير الأولين واستباح في حي فرهاء حبير حبر الأولين القلم الذي اقدم تاماً في كتب الكتاب المنير والمترجم من كتاب الله القدير المنزل على سيدنا داود بن ايشا بن عوبد بن باعر المتني نسبة الشريف الى ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله تعالى عليهم اجمعين . على يد اضعف العباد الطالب سبيل الرشاد البائس الفقير المعترف على النقصان والتقصير ملتصقاً شفاعاً من انزل عليه الزبور يوم يبعث من في القبور من الله العزيز الغفور الحاج محمد بن يحيى بن محمد المرعشي الملقب بشاطر زاده غفر الله له ولوالديه وجميع المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات برحمتك يا ارحم الراحمين . في اليوم الثاني من شهر رمضان المكرم لسنة احدى وخمسين ومائة والاف من هجرة من له العز والشأن في المحروسة القسطنطينية دار السلطنة عليه » اه .

وقد ذكر فيها نسب سيدنا داود كما يأتي « هو داود عليه الصلوة والسلام ابن ايشاهيمزة مكسورة فثناة تحتية ساكنة فثنين معجمة مقصورة ابن عوبد بعين مهملة وبعداواو موحدة وزن جعفر ابن باعر بياض موحدة وعين مهملة مفتوحة بينهما الف وآخره راء ابن سلمون بن

يخشون بن عمنيا ذاب بن رام بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليهم السلام . كذا في العرائس للشعلي والذبي في فتح الباري هو داود عليه السلام بن ايشا بن عوبد بن باعر بن سلمو بن يارب بن رام بن فارض بن يهوذا بن يعقوب عليهم السلام ودأبه صلى الله تعالى عليه وسلم بنام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وبصوم يوماً ويفطر يوماً ولا يفر اذا لاقى قال العلماء رحمهم الله تعالى لما استشهد طالوت اعطت بنو اسرائيل داود عليه السلام خزان طالوت وملكوه على انفسهم وذلك بعد قتل جالوت بسبع سنين ولم يجتمع بنو اسرائيل على ملك الا داود عليه السلام . قال اهل التاريخ وكان عمره عليه السلام مائة سنة ملكه منها اربعون سنة وقيل ولي وله من العمر ثلاث وثلاثون سنة قبل وبين خروج بني اسرائيل مع موسى عليه السلام من مصر وبين اول ملك داود عليه السلام ستمائة وستون سنة وحليته : كان داود عليه السلام أحمر الوجه سبط الرأس ايض الجسم طويل اللحية فيها جمودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب دعاؤه الذي دعا عليه السلام به قوله : اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي ييلقي حبك اللهم اجعل حبك احب الي من نفسي واهلي ومن الماء البارد . هكذا نقل من وسائل المبرات . وكتب بهامش الصفحة الاولى منها مائنه :

« من تفسير اسماعيل حقي » — وآتينا داود زبوراً وهو الكتاب مأخوذ من الزبور وهو الكتابة قال القرطبي : كان فيه مائة وخمسون سورة ليس فيها حكم من الاحكام وانما هي حكم ومواعظ وتحميد وتمجيد وثناء على الله عز وجل . وكان داود يبرز الى البرية ويقرا الزبور فيقوم معه علماء بني اسرائيل خلفه ويقوم الناس خلف العلماء ويقوم الجن خلف الناس وتجي الدواب التي في الجبال اذا سمعت صوت داود فيقمن بين يديه تعجباً لما يسمعن من صوته وتجي الطير حتى يظللن على داود في خلائق لا يحصيها الا الله يرفرفن على رأسه وتجي السباع حتى تحيط بالدواب والوحش لما يسمعن . ( كتبه الفقير حسن انيس الدجاني الخلو في خادم سيندا داود عليه صلاة الملك المعبود ) .

\*\*\*

هذا وصف مختصر للزبور الشريف الذي يسميه اليهود والنصارى بـ « المزامير » ولكن تلك المزامير لا تطابق نصوصها ما في الزبور الشريف وهذه بعض سورته .

## السورة الأولى

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي عليكم وعلى آبائكم الاقدمين .  
وحملتكم في البر والبحر . ورزقتكم من الطيبات وانا العزيز الحكيم .

## السورة الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم . يا داود قل لبني اسرائيل لا تكثروا الصلوة في الثياب الحرام  
واتكن ثيابكم طاهرة من حطها . يا عبادي كيف تعصيني وانا انزل عليك في كل يوم  
رزقاً جديداً ولكن غركم حلمي عنكم تعاليت وتقدست ان افاق بالخلقين . يا داود قد  
جعلت هذه الكتب التي انزلتها على رسلي ليزجروا بها عبادي ويحذروهم ويخوفوهم ويبشروهم  
بما اعددت للمحسنين منهم دعوا العجلة وملاحاة الرجال تسلم اديانكم ودنياكم واعمالكم .

## السورة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم . يا بني اسرائيل البسوا لكل حين لباسه وعليكم بالتقوى .  
واكثروا من الدعاء فاني احب من يدعوني بنية خالصة فاذا فعلتم ذلك كانت جنتي لكم  
مفتوحة . يا داود ان النساء قد ملكتم نواصيهم بالامانة فاحسنوا اليهن وادبوهم . ولا تقتروا  
عليهن اذا كان لكم سعة . فاني انا الله الرزاق ذو الخزائن الواسعة الخ .

## سورة من نصف الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم . يا داود قل للأفك الكاذب القتاك الذي يُسأل في  
عبادي ولم يتذكر آلائي ولم يعتبر بامثالي وأحكامي التي انزلتها على رسلي .  
وعزتي وجلالي اني اعلم غير معلم واني خير غير مخبر فقل لمن كان في تمرده وعصيانه  
الم تعلم ان بطشي شديد فبئس الورد ترد وبئس المتقلب تنقلب .

## سورة من آخر الزبور

بسم الله الرحمن الرحيم . يا ابن آدم اكثر من الزاد فان الطريق بعيد واجود القيام  
لله فان البحر عميق وخفف الحمل فان الصراط دقيق . واخلص العمل فان الناقد بصير وآخر  
نومك الى القبر وفرانتك الى الميزان وشهواتك الى الجنة وراحتك الى الآخرة ولذلك



الى الحور العين وكن لي اكتب لك وتقربوا الي بالاستهانة بالدنيا وتباعدوا من الدنيا  
لبغض الفجار وحب الابرار فان الله لا يضيع اجر المحسنين .

### نسخة أخرى من الزبور

جاء في مجلة العرفان القراء التي تصدر بصيدا « م ٨ ص ٤٩١ » ان في مكتبة الحرم  
المكي بمكة المكرمة نسخة من الزبور الذي ترجمه الامام علي بن ابي طالب — كما ذكر الفخر  
الرازي — منسوخة في ٦ ربيع الاول سنة ١٢٧٧ بقلم عبد اللطيف بن عبد اللطيف  
الدويبي الزمزمي في ١٤٨ سورة و ١١٧ صفحة بقطع الثمن ومن آياته :  
يادادود مر بني اسرائيل لا ينهروا المسكين ولا يضربوا اليتيم وليقوموا الي دجى الليل  
بقلوب خائفة واعين باكية .

### استدراك على نسب أسرة الدجاني

كنت ذكرت في مقالتي المشار اليه بأول الكلام<sup>(١)</sup> ان أسرة الدجاني يتصل نسبها بسيدنا  
داود عليه السلام وهو خطأ ساقني اليه اشتهار هذه الاسرة الكبيرة ببيت المقدس باسم  
« الداودي » بحكم قيامها على خدمة مقام سيدنا داود الى الآن . لذلك أيت ان أشير الى  
هذا الخطأ غير المقصود واعتذر عنه وأقول ان هذه الأسرة قد تحدثت من الشيخ الصالح  
الزاهد صاحب الاوقاف المشهورة احمد الدجاني دفين تربة مامن الله ببيت المقدس ومن  
مشاهير رجالها يحيى بن درويش بن سليمان بن محمد المترجم له في سلك الدرر في اعيان  
القرن الثاني عشر للمراي « ج ٤ ص ٢٢٨ » .

كما ان والده درويش وجده سليمان ومحمد المذكورين قد ترجم لهم المحيى في خلاصة  
الأثر في اعيان القرن الحادى عشر « ج ٢ ص ١٥٦ و ج ٢ ص ٢١١ و ج ٣  
ص ٣٥٦ » .

وقد نعت المحيى سليمان المذكور بالداودي المقدمي مما نستدل منه على ان نسبتهم  
الى الدجاني والداودي كانت جارية في الماضي كما هي جارية في الحال .

عبد الله مخلص

## منصور البهوتي

ترجم المحي في خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر<sup>(١)</sup> لشيخ الحنابلة بمصر في زمانه منصور بن يونس بن صلاح الدين بن حسن بن احمد بن علي بن ادريس البهوتي المتوفى سنة ١٠٥١ هـ ١٦٤١ م ووفاه حقه .

وقد اقتنيت أخيراً نسخة مخطوطة من كتاب شرح المنتهى لمنصور المذكور كُتبت حديثاً ختمها ناسخها بترجمة المؤلف تقياً عن محمد السفاريني<sup>(٢)</sup> الذي يظهر ان المحي نقل عنه ايضاً .

وتماز ترجمة السفاريني بانه استقصى فيها تاريخ مولده بعد مدة و اضاف اليها وذكر بعض من أخذ عنه من العلماء الذين اغفلهم المحي مثل محمد ابي المواهب ومحمد الخلوقي وباسين اللبدي وعبد الحق ابن عمه ويوسف الكرمي .

وشرح المنتهى هو على « منتهى الارادات » للتي الفتوحى وللشارح حاشية عليه ايضاً . وقد طبع هذا الشرح بهامش كتاب كشاف القناع عن متن الاقناع للمؤلف نفسه في المطبعة الشرفية بمصر سنة ١٣١٩ هـ ١٩٠١ م .

والغريب ان يذكر في طرقة الكتاب المطبوع ان كشاف القناع عن متن الاقناع هو لشيخ مشايخ الاسلام واوحد الكبراء الفخام صاحب الاقضاء والتدريس العلامة الشيخ منصور بن ادريس الحنبلي وان شرح المنتهى هو لشيخ الاسلام وقدوة الأمام وخاتمة المحققين وبقية المدققين الشيخ منصور بن يونس البهوتي الحنبلي كأنها لمؤلفين مختلفين في حين انها لرجل واحد هو منصور بن ادريس المذكور .

وفي نسخة مخطوطة بخزانة كتي من الكشاف جاء اسمه في الطرقة كشاف القناع

(١) خلاصة الأثر جزء ٤ صفحة ٤٢٦ .

(٢) هو محمد بن احمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي المترجم له في سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر للمراي « ج ٤ ص ٣١ » وفيها انه توفي سنة ١١٨٨ هـ ١٧٧٤ م .

شرح الاقناع بينا المؤلف بذكره في مقدمته باسم « كشف القناع عن الاقناع » وهذه هي ترجمة السفاريني التي نقلها عنه ناسخ الكتاب :

« اقول الشيخ منصور المذكور احد اعلام علماء المذهب المتأخرين كان كثير العبادة غزير الافادة والاستفادة وصل اليه الحنابلة من الديار الشامية والنواحي النجدية والاراضي المقدسية والضواحي البعلية وتمثلوا بين يديه وضربت الابل اباطها اليه وعقدت عليه الخناصر وقال من حظي بنظره هل من مفاخر فاخذ عنه الشيخ يوسف البهوتي والشيخ عبد الرحمن البهوتي وسيدنا الشيخ محمد ابو المواهب والشيخ محمد الخلوئي والشيخ محمد المرادي<sup>(١)</sup> والشيخ ياسين اللبدي والشيخ عبد الحق ابن عمه والشيخ يوسف الكرمي ومحمد بن ابي السرور في آخرين .

وشرح الاقناع في ثلاث مجلدات ضخام وكذلك المنتهى وشرح المفردات وزاد المستقنع وهو احسن شروحه وله حاشية على الاقناع وحاشية على المنتهى .

وكان سخياً جواداً له مكارم دارة وبشاشة سارة وكان في كل ليلة جمعة يصنع ضيافة ويجمع جماعة المقادسة<sup>(٢)</sup> في داره ومن مرض منهم عاده واخذه الى داره ومرطه احسن تمريض الى ان يشفي وكان الناس يأتون بالصدقات فيفرقها في المجلس ولا يأخذ منها شيئاً . وكانت وفاته رضي الله عنه ضعى يوم الجمعة عاشر ربيع الثاني سنة احدى وخمسين والـ بمصر المحروسة ودفن بتربة المجاورين رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين .

والى الآن لم اعلم تاريخ مولده رضوان الله عليه قال الفقير الشيخ محمد السفاريني تلخصت هذه الكلمات من ترجمة في تراجم متأخري الاصحاح التي جمعتها والله يختم بالصالحات والله سبحانه وتعالى اعلم .

ثم رأيت سنة ١١٥٨ هـ ابنت ام اخته الشيخ محمد الخلوئي ذكر في كتاب الحجر انه سأله عن مولده فأخبره انه سنة الف فكان عمره احدى وخمسين سنة رضي الله عنه<sup>(٣)</sup> .  
عبد الله مخلص

(١) في خلاصة الأثر المراداري . (٢) في الأصل المقاسدة وهي من غلط الناسخ .

(٣) لم يذكر المرادي في ترجمة السفاريني مجموعته هذا المتعلق بالتراجم .

### وائله بن الأسقع

ذكر رئيسنا الأجل في مقالته «التدوين في الاسلام»<sup>(١)</sup> ان وائله بن الاسقع احد اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم الذين سمعوا منه مات في بيت المقدس وانه كان يشهد المغازي فيموت بدمشق وحمص .  
والذي في كتاب الاصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني<sup>(٢)</sup> انه آخر من مات بدمشق من الصحابة .  
وذكر السائح الهروي في كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات<sup>(٣)</sup> ان قبره قبلي الباب الصغير وكذلك قال ياقوت الحموي<sup>(٤)</sup> :  
وزاد اكل الدين ابن مفلح الذي ملك نسخة الاشارات المخطوطة بحاشيتها ان لوائله مسجداً بدمشق داخل باب الشاغور قرب تربة الشبائشي يعرف به .  
واكل الدين هذا هو محمد بن ابراهيم بن عمر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح الدمشقي المتوفى سنة ١٠١١ هـ ١٦٠٣ م

عبد الله مخلص



(١) مجلة المجمع العلمي العربي م ١٠ ص ٤١٠ .

(٢) الاصابة ج ٦ ص ٣١٠ .

(٣) من مخطوطات الخزانة التيورية في القاهرة .

(٤) معجم البلدان طبع لينيك ج ٢ ص ٥٩٥ وطبع مصر ج ٤ ص ٢٩



نوادير المخطوطات  
« في دار الكتب الظاهرية »

—٩—

( الرسالة الجامعة في الفلسفة ) : تأليف الحكيم مسئلة بن احمد المعروف بالمجريطي القرطبي الاندلسي المتوفى سنة ٣٩٥ هـ وهي على نمط رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا .  
أولها : الحمد لله الذي خلق فسوى والذي قد رفدى الخ نسخة في ٥٠٠ صفحة متوسطة القطع بخط عبد الرزاق الحموي سنة ١٠٠١ [ رقم ١٥٩ قسم التصوف ] .

( مفرح النفس )<sup>(١)</sup> : تأليف شرف الدين محمد بن عمر بن أبي الفتوح البغدادي المعروف بابن المزة من أطباء القرن السابع أوله : اما بعد حمد الله تعالى خالق الداء والدواء والمنقذ من الأعراض والادواء بمفرحات النجاة والشفاء الخ . قال مؤلفه ( اني لما طالعت أكثر الكتب الطبية لم اجد فيها ما يشفي القلب من ذكر الأمور المفرحة للنفس والموجبة للذاتها وراحتها وسرورها . ثم ان الشيخ الرئيس ابن سينا حنف كتاباً في الأدوية القلبية ولم يستوعب اجناسها بل اقتصر على جنس واحد منها ثم جعله حاوياً لاكثر المفرحات للنفس وجعل لكل حاسة باباً الخ ) نسخة في ٦٦ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ [ رقم ٣٢ قسم الطب ] .

( العمل بالاسطرلاب ) : تأليف علي بن عيسى ( كذا ) ولم يرد ذكره في كشف الظنون والذي يظهر انه لابراهيم بن حبيب الفزاري أوله : قال الشيخ الفاضل .....  
وهنا كسط ظاهر وكتب مكانه علي بن عيسى بخط جديد . ثم خطبة الكتاب التي أولها الحمد لله خير ما استفتح به واستنجد ببركته وصلى الله على الصفة من يريته وسلم وكرم وشرف وعظم الخ . وهذا الكتاب يتضمن من أبواب العمل بالاسطرلاب ما لا بد منه ولا غنى عنه وهو في تسعين باباً في ١١٤ صفحة صغيرة كتبت بخط قديم يرجع الى القرن الخامس مضبوط بالحركات [ رقم : ١ الفلك ] .  
حسني الكسم

(١) وذكر صاحب كشف الظنون انه لمجد الدين عبد الوهاب بن احمد الدمشقي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ .

## مطبوعات حديثة

—(«)—

### آراء ابن خلدون الاقتصادية

Les idées économiques d'Ibn Khaldoun

« كتاب بالفرنسية في ٢١٥ صفحة من القطع المتوسط تأليف السيد صبحي »

« المحمضاني الدكتور في الحقوق »

بحث عدد من المستشرقين عن ابن خلدون ومؤلفاته وفلسفته وأعجبوا بمقدمة تاريخه خاصة فترجموها الى لغاتهم او لخصوها . وألف الدكتور طه حسين كتابا بالفرنسية في فلسفة ابن خلدون الاجتماعية . ثم اتى اليوم الدكتور صبحي المحمضاني ، فذكر آراء فيلسوفنا الكبير في شؤون اقتصادية مهمة ، كحاجات البشر وامتلاك العقارات ، وقانون العرض والطلب والعمل ، وتوزيع الاعمال ، وتصنيف وسائل الارتزاق والكسب ، وفضائل التجارة الخارجية ، والضرائب والسكان وتأثير البيئة في إقدام الناس على العمل ، وحرية التبادل ووظيفة الدولة في الشؤون الاقتصادية ، والنقود الاسلامية وغيرها . وقد ذكر المؤلف البيئة التي عاش ابن خلدون فيها ، كما ذكر حياته ومؤلفاته ، وقواعد الاقتصاد في الاسلام ، وآراء من تقدموا ابن خلدون في الشؤون الاقتصادية كالفارابي وابن سينا والغزالي والبيروني والدمشقي . فجاء الكتاب مفيداً سواء لطلاب الفائدة من العرب أم الملاجئ الذين يودون الوقوف على الأعمال العقلية لرجالنا الاقدمين . ومع ذلك وجدت في تضاعيف الكتاب بعض هنات لا يصح السكوت عليها كقوله في الصفحة ٥٥ ان الخراج ايام عمر (رض) كان غير عادل وهو كلام لا يصدقه احد من العلماء وكقوله في الصفحة التاسعة ان الخراج كان يبلغ ايام العباسيين ثلث الغلة الزراعية أو نصفها . فهذا القول يجب ان لا يكتفى به على

علامته لأن الخراج في الخلافات العربية القديمة ما كان يزيد على عشر المحاصيل حتى يبلغ ثلثها أو نصفها إلا في حالات شاذة والشذوذ لا يقاس عليه ( أنظر م ٧ ص ١٠٧ - ١٠٩ من هذه المجلة وانظر مقالنا في العدد التالي ) .

وكقوله في الصفحة ٤٣ ان انشاء ابن خلدون ضعيف ومغلق اجمالاً وان جملة تكون متداعية في تركيبها احياناً وان بعض تعابيرها مغلوطة الخ . فهذا القول إن كان يقصد به اللغة دل على ضعف السيد صبحي المحمدي فيها لا على ضعف ابن خلدون ، لأن كل من يتذوق جودة الانشاء في الموضوعات المختلفة التي كتب فيها ابن خلدون يحكم بأنه من أئمة الكتاب الذين لا يشق لهم غبار . اما اذا كان يقصد بهذا القول العلوم التي حوتها مقدمة ابن خلدون فان لكل من يتذكر في عصر كذلك العصر كبوات يجب على علماء اليوم ان يغتفروها .

وبعد نشكر المؤلف الفاضل هديته الثينة وحبذا لو ترجم كتابه الى العربية .  
معطى الشهابي



### قصص جديدة للأطفال

« بابا عبد الله والدرويش . ابو صير وابو قير . علي بابا . عبد الله البريء »

« وعبد الله البحري . الملك عجيب . خسر وشاه »

بقلم كامل كيلاني

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

ان اشد نواحي الادب العربي قفراً ما كان منها خاصاً بالنشء الصغير . فقد يكاد يكون هذا القسم مخلواً من الكتب الصالحة لاحتقار الادباء له وانصرافهم الى ما هو اسمى وادعى للشهرة . بينا الحقيقة هي ان التأليف في هذا النوع من الأدب اصعب من التأليف في غيره لما يستلزمه من لغة وأسلوب انشاء خاص وسعة معرفة في فن التربية وعلم النفس . وقد شاء الانتاذ السيد كامل الكيلاني ان يتم من هذا النقص فاخرج عدة قصص جديدة

للأطفال اطلعنا على ست منها وهي التي جعلنا اسماءها عنوان هذه الكلمة فالفيهاها كلمة الصفات الصورية ولكنها تحتاج الى عناية خاصة من حيث الموضوع فهي معتدلة القد ، متقنة الطبع ، جيدة الورق ، جميلة الرسوم ، سهلة العبارة فصيحة الألفاظ مشكلة الحروف تستقيم بقراءتها لغة القاري فتطبع الألفاظ في ذاكرته صحيحة خلافاً للقصص والكتب المدرسية غير المشكولة فانها من عوامل افساد اللغة لأن القاري المبتدي يحفظ الفاظها معوجة فيتعذر عليه تقويمها في المستقبل .

اما من حيث الموضوع فانها مقتبسة من كتاب الف ليلة وليلة ولا يخفى ما في بعض موضوعات قصص هذا الكتاب من الحوادث الخيفة القائمة على الوهم والخيال التي تلهي قراءتها للصغير ولا يحمدها عقبي تأثيرها في نفسه لانها تنطبع في حافظته كأنها حقائق محسوسة وتمثل له في احلامه وفي خلوته ، لاسيما في الظلمة فينشأ شديد الخوف والتهويل سريع الانفعال وهل من احد يجمل مضار ما كان يتلى على الصغار من قصص الجان والعفاريت وما كانوا يخوفون بلفظه كالبعبع وغيره ؟ فعسى ان يعمد المؤلف في ما سينخرجه للنشء العربي من القصص المفيدة الى اختيار الموضوعات التي تتمثل فيها البطولة والشجاعة والجرأة والشهامة والكرم والاياء والفضيلة بمظاهرها الحقيقية . فانها تربني في نفسه سجايار فية فيضاعف بعمله هذا خدمته للغة وبنيتها .

اسعد الحكيم



## القرآن

« بالحروف اللاتينية . مكتبة حلي في استانبول وانقرة ١٩٣٢ »

ليس بالغريب بعد ان الف الاثراك الحروف اللاتينية وهجروا الحروف العربية هجراً لم يبق من سابق صلتهم بها عيناً ولا أثراً ان يعمدوا الى القرآن فيكتبوه بالحروف اللاتينية لتسنى لشعبهم المتدين قراءته دون ان يكون له مسوغ لتعلم الحروف العربية أو الاتصال بها .

وقد اطلعنا على نسخة من القرآن الكريم الذي عنت مكتبة حلي بطبعه ونشره



بالحروف اللاتينية في السنة الحاضرة بمعرفة لجنة علمية من ذوي الكفاءة فالفيتناها لا تختلف من حيث الحجم والشكل الخارجي المذهب ورسوم السجديات والاحزاب والفواصل عن النسخ القرآنية العربية . وقد اصطلح في كتابه على جملة من الحروف المركبة والاشارات تضمن قراءته بالخارج الصوتية العربية مع مراعاة الوقف والمد وغيره . مما يدل على ان الروح الاسلامي لم يزل يرفرف تحت سماء الحكم التركي الجديد .

اسعد الحكيم



### الطب العربي وتأثيره في مدينة اوربا

« تأليف الدكتور زكي علي . طبيب بمستشفى القصر العيني »

« مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة ١٩٣١ »

رسالة صغيرة ضمنها المؤلف كلمة عامة في نشوء الحضارة الاسلامية ومصادر الطب العربي ، وتراجع بعض من اشتهر به كابن سينا والرازي وغيرهما . وما كان لانتقال العلوم الطبية العربية الى اوربا من التأثير في نشوء مدينتها الحديثة . وذلك بصورة اجمالية موجزة . وقد ختم المؤلف رسالته بذكر المصادر التي استقى منها هذا الموضوع وليس فيها ذكر لأطروحة الدكتور السيد يوسف حريز « تأثير الطب العربي في نشوء الطب الفرنسي » التي اشرنا اليها في محاضرتنا « الطب عند العرب » التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي في مجلدها السادس ص ٤٤٥ سنة ١٩٢٦ مما يدل على ان المؤلف لم يطلع عليها ولما كان في هذه لأطروحة أساسية قيمة تدعم فكرة المؤلف رأينا من الواجب التنويه بها اتماماً للفائدة المتوخاة من هذا البحث .

اسعد الحكيم



## مجموعة الرقم العربية

« طبعت باشراف أن . كومب . وج . سوقاجه وج . فييت . الجزء الثاني »

« عدد صفحاته ٢٧٦ طبع بالقاهرة سنة ١٩٣٢ »

Répertoire Chronologique d'Epigraphie Arabe. Publié sous la direction de M. M. Et. Combe, J. Sauvaget et G. Wiet. Tome II, 276 pages. Le Caire 1932

هذه المجموعة هي من مطبوعات المعهد الافرنسي للآثار الاسلامية في القاهرة ، اشترك بجمعها نخبة من علماء المشرقيات والمحققين وقد ضم هذا الجزء ٤٠٠ كتابة رتبنا بحسب قدمها وتاريخها من سنة ٢٤٣ هـ الى سنة ٢٨٥ هـ . واكثر هذه الرقم شواهد قبور وقد ترجمت جميع هذه النصوص الى الافرنسية بدون تعليق . وقد عثرت على بعض اغلاط لا ادري ان كانت في اصل المتن أو هي لخطأ طرأ على قراءتها . وعلى كل حال فقد رأيت من المفيد الاشارة اليها : فقد جاء في الشهادات الآتية :

الشاهدة رقم ٤٠٦ ص : ٥ وس : ٤ ( ورسم عليه ) وصوابه ( وترحم عليه ) كما ورد في الشاهدة رقم ٤٠٩ .

الشاهدة رقم ٤١١ ص : ٩ وس : ٤ ( المور ) وصوابه ( الميزان ) .

الشاهدة رقم ٤٩٣ ص : ٦٧ وس : ١ ( هذا ما تشهد به لحجاجة ) وصوابه ( هذا ما تشهد به لحجاجة ) .

الشاهدة رقم ٥٠٧ ص : ٧٧ وس : ١ ( رسم ) ضبطها ( رسم ) .

الشاهدة رقم ٦٣١ ص : ١٦٢ وس : ٤ ( اخذه منها تعباً ظاهراً ) وصوابه ( أخذه منها نقياً ظاهراً ) وفي س : ٨ ( فالأساء ) وصوابه ( فالالسا )

الشاهدة رقم ٦٥٠ ص : ١٧٦ س : ٢ ( وتحزم العباد بدلة الفناء ) وصوابه ( ويحرم العباد بدلة الفناء ) .

الشاهدة رقم ٦٥٣ ص : ١٧٨ س : ٢ ( ثقل الله بها ميزانه ) يراد به ميزان والدها لاميزان الله كما جاءت الترجمة الافرنسية .

وفي س : ٣ ( وجعلها نوراً بين يديه رحمة الله ٠٠٠ ) وصوابه ( وجعلها نوراً بين يديه ورحمة الله ٠٠٠ )

وبعد فقد اسدى القائمون بهذا العمل خدمة جليلة للتاريخ الاسلامي واللغة العربية ، ومتى  
نجز أصبح من اعظم ما قام به علماء المشرقيات نحو أبناء البلاد العربية فبارك الله بهمة القائمين  
به ووفقهم لاتمامه .

جعفر الحسني



النسبة ١٣٣٩ هـ الموافقة ١٩٢١ م

تشرين دمشق مرة في الشهر

تشرين الثاني — كانون الأول سنة ١٩٢٢ م

الموافق رجب وشعبان سنة ١٣٥١ هـ



دمشق :

المجمع العلمي العربي

— «—» —

قيمة الاشتراك السنوي      في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً  
الدفع مقدماً      وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكاً

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في النسخ ٥٠٠ من السنة الاولى الى الخامسة الى كل سنة منها

٣٠٠ ٥ السادسة الى الحادية عشرة ٥

في الخارج ٦٠ ٥ الاولى الى الخامسة ٥

٣٥٠ ٥ السادسة الى الحادية عشرة ٥





## اثنا عشر كوكبا<sup>(١)</sup>



أيها السادة !

اقترح بعض الفضلاء أن ألقى على الرجال المحاضرة التي كنت ألقيتها في الاسبوع الماضي على السيدات في هذه الردهة بعنوان ( اثنا عشر كوكبا ) . ولقد وافق هذا الاقتراح رغبتنا اذ اننا نحب أن نطلع السادة الرجال على نموذج من المحاضرات التي نلقونها على السيدات . فيكون في ذلك زيادة اطمئنان الى المحاضرات النسائية . وإقبال عليها .

وقد اعتدت أن أراعي في المحاضرات النسائية حالة نساءنا في ملكة اللغة العربية ودرجة مقدرتهن على فهم أساليبها . فأفرغ المحاضرات لهن في قوالب سهلة الألفاظ عليهن فريضة التناول من أذهانهن . فأرجو أن لا تؤاخذوني فيما ترون من لين العبارة . والزيادة او التكرار في توضيح الإشارة . وهذه هي المحاضرة :

\*\*\*

محاضرتي اليوم أيتها السيدات تاريخية . والتاريخ الذي هو العلم بأخبار الماضين من الله العلوم وانفعها للبشر : لاننا اذا تعلمنا التاريخ وتأملنا كيف كانت يعمل الناس الذين عاشوا قبلنا استحسننا من أعمالهم أشياء فنقلدهم فيها واستجبنا أشياء فتركناها ونعرض عنها . على أن من قرأ تاريخ الأزمان الماضية كان كأنه عاش في تلك الأزمان كلها على حد قول الشاعر :  
( ومن درى أخبار من قبله أضاف أعماراً الى عمره )

وكتب التاريخ مختلفة في طرائقها . وكيفية تأليف أجزائها : وأشهر طرائقها أن

(١) هي المحاضرة التي القاها الأستاذ «المغربي» على النساء ثم على الرجال سنة ١٩٢٣م

يذكر المؤرخ الأزمان الماضية سنة وراء سنة . وكما ذكر سنة ذكر الحوادث التي جرت فيها : مثل موت فلان الملك . وقيام آخر مكانه . ومثل انه حصل حرب بين الملك الفلاني والملك الفلاني . ومات فلان وفلان من عظماء الرجال . وحصلت مجاعة او طاعون مات بها كثيرون من البشر . وظهر في السماء نجم ( ابو ذنب ) فذعر له الناس الخ . ثم يقول المؤرخ . ودخلت السنة التي بعد تلك فجرى فيها من الحوادث كيت وكيت ولا يزال يسرد السنين واحدة وراء واحدة حتى يكل تاريخه .

ومن كتب التاريخ ما يسمى ( التراجم ) و ( الطبقات ) وهو ان يذكر المؤرخ تراجم مشاهير الناس الماضين . ويسرد اخبارهم . وما فيه فائدة من احوالهم من دون تخصيص زمان ولا مكان مثل تاريخ ابن خلكان ومن المؤرخين من يخص الزمان : فيذكر الذين عاشوا مثلاً في القرن الثامن للهجرة او التاسع او العاشر . كتاريخ نجم الدين الغزي الذي سماه ( الكواكب السائرة في اعيان المئة العاشرة ) ولم يطبع بعد وهو من مخطوطات دار كتب المجمع العلمي .

ومن المؤرخين من يخص المكان . فيذكر في تاريخه علماء بغداد او الحجاز او اليمن مثلاً ولا يذكر سواهم مثل تاريخ ( تاج الفرق في علماء المشرق ) للبلوي . ومنهم من يخص الطبقة والصنف فيذكر علماء الحنفية وحدهم او الشافعية . او الحنابلة . او الاطباء . او العميان . كما فعل الصلاح الصفدي في كتابه ( نكت الهميان ) وكتاريخ طبقات الاتقياء لابن حبان . وهو مما أهده الامير سعيد الجزائري الى مكتبة المجمع . ومن هذا القبيل كتاب ( الدر المنثور في تراجم ربات الخدور ) الذي ألفته السيدة ( زينب فواز ) العالمية الأصل المصرية الموطن والوفاء . وتاريخها المذكور طبع منذ ثلاثين سنة . وهو مجلد ضخم عدد صفحاته ( ٥٥٠ ) صفحة تضمنت ترجمة نحو ( ٥٠٠ ) سيدة من جميع أجناس النساء شقيقات . وغريبات . معاصرات . وقديمات .

\*\*\*

ندع هذه التواريخ جانباً ونرجع الى تاريخ ( نجم الدين الغزي ) الذي سماه ( الكواكب السائرة ) وهو الذي حكى لنا فيه أخبار المشاهير الذين عاشوا في القرن العاشر اي منذ ( ٤٠٠ ) سنة . وانما سماه ( الكواكب ) لأن كل واحد من المشاهير الذين ذكرهم في كتابه

يشبه كوكب السماء . في الرفعة والنور والبهاء . تقلب بين ورقات هذا الكتاب لنرى هل يوجد بين كواكب الرجال كواكب من النساء ؟ نقبنا وبحثنا فوجدنا بين أولئك الكواكب (اثني عشر كوكباً) أو اثنتي عشرة امرأة فاضلة عالمة : ( ثنتان ) في مصر و ( خمس ) في حلب و ( خمس ) في دمشق . هذه الكواكب من النساء هن اللواتي أريد ان اسرد تواجهن . واذكر ما يحسن من أخبارهن . وهذا سميت محاضرتي ( اثني عشر كوكباً ) وكواكب الناس ككواكب السماء : مختلفة الأقدار . متفاوتة في الأنوار . لذلك ترون الكلام على بعض النساء قليلاً . وعلى بعضهن كثيراً .

\*\*\*

(الكوكب الأول) (أم الهنا) المصرية - بنت القاضي (ناصر الدين البدراني) كانت شبيخة مباركة صالحة . ولها رواية في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم . ومعنى ذلك انها كانت تتلقى حديث رسول الله عن شيوخها حتى اذا أتقنت هذه الأحاديث حفظاً وفهماً سمح لها شيوخها أن ترويها للناس وتعلمهم إياها . وكانت وفاة هذه الشبيخة سنة (١١١) للهجرة .

(الكوكب الثاني) (فرح) المصرية . بنت الأمير الكبير الدوادار يشبك . و (الدوادار) لقب من ألقاب الأمراء في زمن ملوك مصر الجراكسة . أما أمها فهي بنت الملك المؤيد (شيخ) واسمها (خوند بدرية) . وكانت (فرح) من العابدات التاليات للقرآن العظيم . كثيرة الصدقات على الأراامل واليتامى والمنقطعين . ولما أحسّت بدنو أجلها أوصت بشيئ كثير من أثاث قصرها . واعتقت جميع مماليكها . وكانت وفاتها سنة (٩٢٧) .

(الكوكب الثالث) (فاطمة بنت الحنبل) الحلبية . تلقت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الشيخ المحدث (برهان الدين) وزارت بيت المقدس وحجت مرتين . وزهدت في الدنيا . ولبست العباة التي يلبسها الزهاد ثم حجت مرة ثالثة فماتت بمكة سنة (٩٢٥) .

(الكوكب الرابع) (خديجة بنت النسلوني) الحلبية . كانت شبيخة صالحة



فقيهة . أجاز لها الشيخ الكمال ( ابن الناسخ الطرابلسي ) رواية حديث البخاري . وكان أهلها شافعية . فلما تزوجت برجل حنفي المذهب تخلفت مراعاة لزوجها . لأن زوجها كان يمس يدها أحيانا فينتقض وضوءها : كما هو حكم مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه . وهي رضي الله عنها ما كانت تتعصب لمذهب دون مذهب كما يفعل بعض الشيوخ . بل كانت تعلم انه لا فرق بين المذاهب . ولا يضر أن يدع المسلم مذهبه ويتبع مذهباً آخر من المذاهب الاربعة . إذ أن كلهم على هدى وسداد . ولما صارت حنفية حفظت عن ظهر قلبها كتاباً في المذهب الحنفي . وماتت سنة ( ٩٣٠ ) .

( الكوكب الخامس ) ( بتوران ) الحليّة بنت قاضي القضاة ( محمد اثير الدين ) ابن الشحنة . وبيت الشحنة في حلب بيت علم قديم ومنهم بل أشهرهم ركن الدين ابن الشحنة قاضي الحنفية في حلب وهو صاحب التصانيف المشهورة وقد توفي سنة ( ٨١٥ ) وبتوران الشحنة عاشت بعده بنحو مئة سنة وكانت خيرة سالحة . حجت مرتين . وكلمة ( بتوران ) تركية ولعلها هي وتوران وبوران من اصل واحد فتحول احدهما الى الأخرى بتخفيفاً . ودرست بتوران العلوم . ولها اثر ونظم . وكانت كثيرة الاتفاق على الفقراء والمساكين . حتى إنها لما احست بالموت حمدت الله إذ لم يكن في صندوقها درهم ولا دينار . يعني انها حمدته مذكورها الى اتفاق جميع مالها في سبل الخير ومواساة المعوزين . ومن أخبارها انها استأجرت وقفاً على مدة تسعين سنة . وكان الذي أجرها الوقف فقيراً . فلما علمت بحاله أعادت اليه وقفه من دون ان تسترد منه المال الذي اعطته اياه . بل سامحته به . وكان مضى من مدة الإجارة زمن قليل . ولما مات اخوها محب الدين الشحنة في الشام رثته فقالت :

( دعوا دمي يوم البين يجرى      فقد ذهب الأسى بحميل صبري )  
( وكيف تصبري وأخي رهين      بأرض الشام في ظلمات قبر )  
وكانت ولادة ( بتوران ) سنة ( ٨٦١ ) ووفاتها سنة ( ٩٣١ ) فتكونت عاشت نحو سبع وسبعين سنة .

( الكوكب السادس ) ( باي خاتون ) الحليّة : قرأت على عمها شيخ الاسلام

( زين الدين ابن الشجاع ) كتاب الاحياء للغزالي . وكتاب المنهاج للنووي . وكان عمها ( زين الدين ) يزورها كثيراً . ومات ورأسه في حجرها . ومن أخبارها انها تصدقت بمائتي مثقال ذهب . وكانت ترقى للريح الاحمر فيبراً المريض باذن الله تعالى . وكانت وفاتها سنة ( ٩٤٢ ) ودفنت بجوار عمها ( الشيخ زين الدين المذكور ) .

( الكوكب السابع ) ( فاطمة بنت قزمان ) الحليسة الشيخة الفاضلة الصالحة كانت رئيسة للزاويتين : ( الزاوية العادلية ) و ( الزاوية الدجاجة ) وكانت حسنة الخط : كتبت كتباً كثيرة . ولها عبارة فصيحة . وقد غلب عليها التقشف والتعفف وملازمة الصلوات حتى في حالة المرض . واخبرت عن نفسها قالت : اخذت العلم عن زوجي الشيخ كمال الدين الأرديلي . وكان زوجها هذا متقناً لستة وثلاثين علماً . وعند موتها أوصتهم ان يدفنوا معها سجادة صلاتها .

وكانت ولادتها سنة ( ٨٧٨ ) ووفاتها سنة ( ٩٦٦ ) فتكون عاشت ثمانين سنة . وذكر المؤرخ ( ابن الحنبلي ) انه شهد جنازتها وحمل بنعشها .

\*\*\*

فرغنا من الكلام على سبعة كواكب : مصريتين وخمس حليات . فلنتقل الى الكلام على الكواكب الخمسة الدمشقيات :

( الكوكب الثامن ) ( أمة الخالق ) أم الخير الدمشقية . تلتقت العلم عن ( الجمال الحنبلي ) . وأجازها الشرف ابن الكويك . وبموتها نزل اهل الأرض درجة في رواية البخاري . وكانت ولادتها سنة ( ٨١١ ) ووفاتها ( ٩٠٢ ) فتكون عاشت إحدى وتسعين سنة .

( الكوكب التاسع ) ( خديجة بنت نصر الله ) الدمشقية الصالحة كان للناس فيها اعتقاد عظيم . وعلى الخصوص الأتراك العثمانيون الذين كانوا قريبي عهد بالاستيلاء على بلاد الشام وبلاد مصر اي نحو عشرين سنة . حتى ان الوزير الاعظم ( اياس باشا ) ارسل اليها من الاستانة مبلغاً من المال لتعمير دارها . وكانت دارها من أوقاف الزاوية الداوودية . وكان اذا شاورها اخذ الناس في أمر ما تقول له : وإضرب حتى أبيت لك النية

في هذه الليلة . ثم تصيح فتشير عليه أن يفعل كذا أو يترك كذا . وكان غالب ما تشير به يتحقق . لكن ابن عمها ( الشيخ زين الدين بن نصر الله ) كذب بنكر عليها ذلك . ويقول لها : ( هذا من فعل الكهان ولا استحسن لك يا ابنة عمي ان تشتغلي بهذه الأمور ) واعمرى ان الحق مع ابن عمها : لأن الغيب لا يعلمه الا الله . وديننا الاسلامي نهانا ان نصدق الكهان الذين يدعون معرفة المغيبات . لأجل سلب المال من المغفلين والمغفلات . ثم لما عزمت الشيخة خديجة على الحج وقفت بيتها على جامع الحنابلة واعتقت جارياتها . وكانت الشيخة رحمها الله مقعدة : لا تقدر على الطواف حول الكعبة فحملوها في شقذوف . وطافوا بها . ولما رجعت من الحج ماتت في الطريق في المكان المسمى ( هدية ) : وهو أحد منازل الحج الشامي . وكانت وفاتها سنة ( ٩٤٦ ) .

( الكوكب العاشر ) ( خديجة بنت محمد ) الدمشقية من بني الغزي المشهورين وهي الشيخة الصالحة الفاضلة الفقيهة . تلقت العلم عن ابن عمها ( شيخ الاسلام رضي الدين الغزي ) وسمعت البخاري والفقه على ابنه ( شيخ الاسلام بدر الدين الغزي ) وماتت سنة ( ٩٣٥ ) ولم يكن لها قريب الا الشيخ رضي الدين الغزي فأثبت نسبها وورثها .

( الكوكب الحادي عشر ) ( دمشقية من بني الغزي ايضاً وهي ) زينب بنت الشيخ رضي الدين الغزي ( المذكور . وأخوها بدر الدين الغزي وابن أخيها نجم الدين الغزي . مؤلف كتاب ( الكواكب السائرة ) .

وبيت الغزي في دمشق بيت علم قديم . وكان نساؤه يجارن رجالهم في الفتوى والتأليف والتصنيف : يحكى أن الفتوى كانت تصدر من دارهم وعليها توابع عدة : الأب وزوجته وابنه الأكبر وابنته وكنته الخ .

ويحكى ان ( نجم الدين الغزي ) درس في الجامع الأموي وهو دون البلوغ . فكان اذا جلس للتدريس في شهر رمضان وضع قلة الماء على الكرسي بجانب الكراس وكما جف ريقه وعطش تناول القلة وشرب لأن صومه ثقل . امان شره العلم بين الناس فهو أكد واحب من صيامه .

وكانت عمته ( الشيخة زينب الغزية ) من فضليات النساء علماً ودينياً وصلاً حاتمة

على والدها (الشيخ رضي الدين) ثم على أخيها (الشيخ بدر الدين) وكتبت لأخيها كتباً بخطها . ومدحته بقصيدة عرضت فيها بخصومه وحساده فقالت :

( انما العالم الذي جمع العلم واكتمل )  
 ( قام فيه بحقه يتبع العلم بالعمل )  
 ( سهر الليل كله بنشاط بلا كسل )  
 ( فهو في الله دأبه أبد الدهر لم يزل )  
 ( حاز علماً بخشية وبدنياء ما اشتغل )  
 ( حاسديه ! تعجبوا ليس ذا الفضل بالحيل )  
 ( ذاك مولاه خصه بكامل من الأزل )  
 ( من يرم مشبهاً له في الوري عقله اختبل )  
 ( أو بلوغاً لفضله فله قط ما وصل )  
 ( فهو شيخني وسيدي وبه النفع لي حصل )

ذكر هذه الايات ابن أخيها (نجم الدين) في تاريخه (الكواكب السائرة) ثم قال :  
 ( ولقد أجادت فيما شادت ) . ولما غير ذلك من الاشعار في الوعظ وغيره في غاية الرقة  
 والسلاسة . قال ابن أخيها : ( وكانت من أعاجيب العصر . وافرید الدهر ) . وكانت  
 ولادتها سنة (٩١٠) ووفاتها سنة (٩٨٠) فتكون عاشت سبعين سنة .

\*\*\*

( الكوكب الثاني عشر ) وهو تمة الكواكب وأفضلها وأتمها نوراً واشراقاً  
 فهو بينها كالشمس بين النجوم . أو كسيدنا يوسف عليه السلام بين اخوته : الأُحد  
 عشر الدين رآهم في المنام . فقال لأبيه يعقوب عليه السلام ( إني رأيت أحد عشر كوكباً  
 والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين ) .

هذا الكوكب هو ( عائشة الباعونية ) الدمشقية . أعلم نساء القرن العاشر الذي  
 عاشت فيه . بل ربما لم يبق في الاسلام بعد كبار الصحايات والتابعيات من يشبهها في  
 العلم والفضل . والتفنن في النظم والنثر . والاجادة في التصنيف والتأليف . كانت



كالشيخ عبد الغني النابلسي : في الجمع بين علوم الدين . وعلوم الادب . وعلوم التصوف .  
وقد قال بعضهم ان الباعونية في نساء الخلف كاخفاء الشاعرة رضي الله عنها في نساء  
السلف .

( نسب الباعونية ) هي عائشة بنت القاضي ( يوسف بن احمد بن ناصر الدين ) .  
وكنيتها ام عبد الوهاب . وشهرة ينتها ( الباعوني ) نسبة الى ( باعونة ) وهي قرية من  
قرى عجلون .

( نشأتها وشيوخها ) قالت هي تخبر عن أول نشأتها « وكان مما أنعم الله عليّ اني  
بحمده تعالى لم ازل اتقلب في اطوار الابدان . في رفاة لطائف البر الجواد . الى ان  
خرجت الى هذا العالم الشحون بمظاهر تجلياته . الطامع بعجائب قدرته وبدائع آياته .  
المشوبة موارده بالاقذار والاكدار . الموضوع بكمال القدرة والحكمة للابتلاء والاختبار  
دار ممر لبقاء لها الى دار القرار . فرباني اللطف الرباني في مشهد النعمة والسلامة . وغذائي  
بليان مدد التوفيق لسلوك سبيل الاستقامة . وفي بلوغ درجة التمييز . أهلني الحق لقراءة  
كتابه العزيز . ومن عليّ بحفظه على التمام . ولي من العمر ثمانية أعوام . ثم لم ازل في  
كنف ملاطفات اللطيف . حتى بلغت درجة التكليف » اهـ

ويفهم من كلام ( الغزي ) ان اهلها أخذوها الى مصر القاهرة للتحصيل فنالت من العلم  
نصيباً وافراً . واجازها شيوخها بالافتاء والتدريس ثم عادت الى وطنها دمشق الشام .  
وتلقت علم الفقه والنحو والعروض عن عدة علماء منهم الشيخ ( اسماعيل الحوراني ) . وقال  
الغزي انها تنسكت على يد السيد الجليل الشيخ ( اسماعيل الخوارزمي ) . ولا أحسب الا  
ان شيخها المذكورين ( اسماعيل الحوراني ) و ( اسماعيل الخوارزمي ) واحد وقد تحرف احد  
الاسمين الى الآخر . وبعد الشيخ اسماعيل لازمت خليفته الشيخ يحيى الارموي . وتلقى  
عنها العلم طائفة من العلماء الاعلام .

( ما قالوه في نعتها ) قال الغزي في الكواكب السائرة : ( هي الشحنة الاربعة  
العامة العاملة الصوفية أحد افراد لدهر . ونوادير الزمان . فضلاً وعلماً وادباً وشعراً .  
وديانة وصيانة .

وقالت ( زينب فواز ) في تاريخها ( الدر المنثور ) : ( كان على وجهها من الجمال لمحة  
جملها الأدب . وحلتها بلاغة العرب . فجعلتها بغية الطالبين . ومنية الراغبين ) ووصفها  
الشيخ عبد الغني النابلسي فقال : ( فاضلة الزمان . وحليفة الأدب في كل مكان ) .  
وقال غيره ( ربة الفضل والادب . وصاحبة الشرف والنسب ) .

### « مؤلفاتها »

- (١) « الفتح الخفي » — وهو يشتمل على كلمات لدية . ومعاني سنية .
- (٢) « الملائع الشريفة والآثار المنيفة » — وهو يشتمل على انشادات صوفية . ومعارف  
ذوقية .
- (٣) « درر الغائص في بحر المعجزات والخصائص » — هي قصيدة رائية .
- (٤) « كتاب الاشارات الخفية في المنازل العلية » — وهي أرجوزة اختصرت فيها  
كتاب « منازل السائرين » للشيخ الهروي .
- (٥) « أرجوزة » — تلخصت فيها كتاب « القول البديع في الصلاة على الحبيب  
الشفيع » للسخاوي .
- (٦) « المورد الأهنأ في المولد الاسنى » — وهو مطبوع وتوجد منه نسخة بخط يد  
المؤلفة الباعونية في خزانة كتب أحمد باشا تيمور في القاهرة .
- (٧) « فيض الفضل » — وهو ديوان شعرها . وتوجد منه نسخة أيضاً في خزانة  
تيمور باشا .
- (٨) « الفتح المبين في مدح الامين » — وهو شرح لها على بديعيتها المشهورة التي  
مطلعها :

( في حسن مطلع أنوار بذى سلم أصبحت في زمرة العشاق كالعالم )  
والشرح في مجلد لطيف نحو مئة صفحة . أوله : الحمد لله على جياذ الافهام بعقود مدح  
الشفيع . وعلى سلامة الأذواق بمكرر ذكره الرفيع الخ . وقد فرغت من تصنيفه  
سنة (١١٩٩) .

ولا يخفى ان السيدة الباعونية كانت صوفية متنسكة . وطلبة التصوف — وهم شيوخ

الطريق — اذا ذكروا الحب والمحجوب . والشموم والمشروب . فانما يريدون بذلك جميعه  
معاني تتعلق بحب الله تعالى . فالله محبوبهم . وبه وجدهم وهيامهم . واشهر الصوفية الذين  
أطلقوا هذه الالفاظ على هذه المعاني في مناجاتهم الآتية الشيخ عمر بن الفارض .  
فالسيدة عائشة الباعونية انما ارادت بكلمة العشاق في قولها (اصبحت في زمرة العشاق كالعلم)  
عشاق الحضرة الآتية .

\*\*\*

نرجع الى بدعيية الباعونية فنذكر لكم منها أياتنا على سبيل النموذج :

( الجناس المذيل والتام ) .

( اقول والسمع جار جارح مقلي والجار جار بعذل فيه متهم )

( الجناس المركب ) .

( ياسعد ان أبصرت عيناك كاظمة وجئت ببلعاً فسل عن اهلها القدم )

( الجناس المصحف والمطلق ) .

( فثم أقمارٌ تَمَّ طالعين على طوبلع حيتهم وانزل بحيتهم )

( الجناس المخالف ) :

( أحبةٌ لم يزالوا متعًى ألمي وإن هموا بالتناهي أوجبوا ألمي )

( التزاوة ) :

( عن ذمّ مثلك تبياني أنزهه إذ أنتَ عندي معدودٌ من النعم )

( الغلو ) :

( وذكره كاد — لولا مئة سبقت — إذا تكرر يُحيي بالي الرم )

( التفريق ) :

( قالوا هو الفيثُ قلتُ الفيثُ أونةٌ يهي وغيثُ نداء لا يزال هي )

( تشبيه شيتين بشيتين ) :

( كأنهم في عجاج النقع حين بدوا بدورٌ تَمَّ بدت في حندس الظلم )

(العقد<sup>(١)</sup>) :

(حسبي بحبك أن المرء يُحشر مع أحبائه • فهنا أي غير منحسم)  
 وعدد أبيات هذه البديعية نحو (١٣٠) بيتاً • وقد أجادت في معظمها وربما فاقت  
 غيرها من أصحاب البديعيات في كثير من الأبيات • وقد تكفل ببيان إجادتها وتفوقها  
 على غيرها الشيخ عبد الغني النابلسي في شرح بديعته الذي سماه «نعمات الأزهار على  
 نسبات الاسفار» وهو مطبوع •

وقالت الباعونية في مقدمة شرح بديعيتها الذي سمته (الفتح المبين) ما نصه :  
 وبعد فهذه قصيدة صادرة عن ذات قناع • شاهدة بسلامة الطباع • منقحة بحسن  
 البيان • مبنية على أساس تقوي من الله ورضوان • سافرة عن وجوه البديع • سامية  
 بمدح الحبيب الشفيع • مطلقة من قيود تسمية الأنواع • مشرقة في أفق الإبداع •  
 موسومة بين القصائد النبويات • بمقتضى الإلهام الذي هو عمدة أهل الإشارات (بالفتح  
 المبين • في مدح الأمين) النج النج •  
 ولم أرد أيها السيدات أن أستقصي الدلائل على مقدرتها في صناعتي النظم والنثر وإنما  
 أردت الإلماع إلى أن المرأة يمكنها أن تتعلم وتنال من العلم حظاً وافراً تنتفع به •  
 وتنفع الناس • كما كان من السيدة الباعونية •

والذي يساعد النساء المسلمات على التحصيل والتفوق في العلم انقطاعهن في البيوت •  
 فانهن بدل أن يقضين أوقاتهن في البطالة والزينة ولهو الحديث يمكنهن بسبب هذا الانقطاع  
 أن يقضينها في المطالعة والدرس والتحصيل • فالبيت بالنسبة إلى المرأة المسلمة كالمدرسة  
 الداخلية التي يمكث فيها التلميذ ليلاً ونهاراً • فلا يعرض له ما يلهيه ويشغله عن الدرس  
 والتحصيل • وهكذا السيدة الباعونية عرفت كيف تستفيد من العزلة والانقطاع في  
 الخدر • فضربت بسم وافر من العلم وحسن الذكر •

\*\*\*

(١) العقد هو أن يضمن الشاعر شعره آيةً أو حديثاً أو حكمة وقد عقدت في هذا  
 البيت حديث (يحشر المرء مع من أحب) •



## « شعرها »

وشعر الباعونية رشيق الاسلوب . سهل الألفاظ . لا غموض فيه ولا تعقيد . ومنه قولها تصف دمشق :

( نزّه الطرف في دمشق ففهيما      كلما تشتهي وما تختار )  
 ( هي في الارض جنة فتأمل      كيف تجري من تحتها الانهار )  
 ( كم سما في ربوعها كل قصر      أشرقت في سمائه الأتار )  
 ( وتناغيك بينها صادحات      خرست عند نطقها الأوتار )  
 ( كآها روضة وما زلال      وقصور سكانها أبرار )

ومن شعرها البيتان المشهوران . قالوا انها نظمتها في جسر الشريعة لما بناء الملك الظاهر برفوق وهما :

( بنى سلطاننا برفوق جسراً      بأمر والانام له مطيعة )  
 ( مجازاً في الحقيقة للبرايا      وأمرأ بالمرور على الشريعة )

لكن هنا اشكال تاريخي : وهو ان الملك ( برفوق ) بنى هذا الجسر سنة ٧٨٢ هـ وجعل طوله ١٢٠ ذراعاً وانتفع الناس به كما ذكر ذلك صاحب تاريخ ( شذرات الذهب في أخبار من ذهب ) اما عائشة الباعونية فقد توفيت سنة ( ٩٢٢ ) اي بعد بناء الجسر بمائة واربعين سنة فلا يعقل انها كانت حية حين بنائه . قلعل الجسر تهدم واعاد خلفاء برفوق بناءه في زمنها فقالت البيتين ناسبة البناء الى برفوق لأنه اول من بنى . ومن تشبيهاتها البديعة قولها في تشبيه خال في عنق مليح .

( كأنما <sup>(١)</sup> الخال تحت القرط في عنق      بدا لنا من حيا جلاً من خلقا )  
 ( نجم غدا بعمود الصبح مستتراً      خلف الثريا بقرب الشمس فاحترقا )  
 ومن شعرها :

( وصيرت بدر التم مذغاب مؤنسي      أنيسي وقلت البدر منه قريب )

(١) وأبتنا حين اللقاء هذه المحاضرة على السيدات ان لا نذكرهن هذين البيتين وما بعدهما من أشعار الحب والغزل لكننا ذكرناها للرجال .

( فحجبه عني الغمام بذيله فوا عجباً حتى الغمام رقيب )  
ومن شعرها بلسان رجال التصوف قولها :

( حبيبي انت من قلبي قريب وعن مرثي جمالك لا يغيب )  
( لبست الحسن في حال التجلي فشاهدت الجمال ولا رقيب )  
( وأبدت الوصال فلا صدود ولا هجر ولا شيء يريب )  
( وطفعت علي في حان التصابي بكأس عيش شاربه بطيب )  
( تنادمني وتسقيني مدامي وتحضرني لديك فلا أغيب )  
( وتذكرني وتشهدني جمالاً تقدس أن يكون له ضرب )  
( فلا خوف وانت أمان قلبي ولا مسقم وانت لي الطيب )  
( ولا حزن وانت سرور مرثي ولا سؤل وانت لي الحبيب )

واكرر القول بأن شعرها هذا وما فيه من كلمات الحب والجمال والوصال والكأس والمدام — كله لم ترد به الباعونية الا الحب الا آهي . ويفهم هذا المعنى جيداً من قولها في الشعر الغنائي :

( يا محبوبي يا مطلوبي . يا مقصودي يا موجودي . كن لي كن لي . واجبر كسري وأغن فقري . بالتداني والوصال ) .  
( جبك تيم . فيك المقرم . ولي هيم . لا بل أعدم . عتلي عتلي . قد حيرني قد شترني . وأضناني بالدلال ) النج .

فاسمعوا كيف قالت ( اجبر كسري وأغن فقري ) فهل يكون هذا الخطاب الا للرب سبحانه وتعالى الذي هو وحده يجبر الكسر . ويعني الفقر .

المغربي

« البقية تأتي »

## العشر والخراج

« في الخلافات العربية »



أقرأ أحياناً لبعض المؤرخين والكتاب جملاً يشيرون فيها الى ثقل الخراج والضرائب الزراعية كافة في الشرع الاسلامي ، ايام الخلافات العربية القديمة . فهذا ينقل ابن المنصور العباسي جعل خراج الحنطة والشعير في السواد (العراق) مقاسمة ، وان ابنه المهدي جعل المقاسمة بالنصف في الارض التي تسقى سيجاً ، وبالثلث في الارض التي تسقى بالدوالي وبالربع في الارض التي تسقى بالدوالي . ويستعظم الكاتب هذا المقدار ويسكت عن خراج المحاصيل الأخرى وعن الاعشار وعن اناس ضريبة الخراج والاعشار في الاسلام حتى يظن القاري ان الخلفاء السابقين كانوا ظلمة يرهقون الرعية اجمالاً .

وذاك ينقل عن الاصطخري ان خراج الجريب في شيراز حنطة او شعيراً ١٩٠ درهماً دون تمن في هذا الخلط الذي خلطه هذا المؤرخ كما سنثبت بالأرقام . وذلك ينقل عن ابن حوقل ان القائد جوهر جبي خراج مصر سبعة دنانير على الفدان وهو يستكثر ذلك لكنه لا يذكر لنا هل دامت هذه الجباية أكثر من سنة الخ .

ولما كانت هذه القضية ذات مكانة تتعلق بأساس العدل في الشرع الاسلامي ، وفي الخلافات الاسلامية الأولى ، جئت بهذه المقالة الموجزة مثبتاً ان العرب كانوا في الجملة عادلين في وضع الضريبة الزراعية على اشكالها ، وانهم كانوا أعدل من بعض الدول المتدنية .

ولنراجع في هذا الصدد كتاب الخراج لأبي يوسف ، وكتاب الخراج لابن آدم القرشي ، نجد ان المسلمين عندما فتحوا الفتوح في صدر الاسلام ودوخوا الممالك وملكوا

بلاد الأكامرة والقياصرة اقروا الاكارين على ارضهم حتى في البلاد التي فتحوها عنوة كسواد العراق مثلاً فان الشرع وقواعد الحرب في تلك الأيام كانت تبيح لهم الاستيلاء على بلاد العدو التي يظهرون عليها ، ومع هذا عفت نفوسهم عن ذلك ولم يروا فيه حكمة ، فابقوا الناس قائمين على استغلال ارضهم ، على ان يدفعوا شيئاً كالخراج .

اما الارض التي صالح اصحابها ، فمن البديهي انها لبثت لهم ولم يلزموا الا بخراجها او بما صولحوا عليه . واما الارض التي هجرها اصحابها لسبب من الاسباب والارض الموات فهذه وزعت على المسلمين فصاروا يدفعون عشر غلاتها الى بيت المال ( وهي الصدقة او الزكاة ) اذا كانت الزروع والأشجار تسقى سيجاً ونصف العشر اذا كانت تسقى بالتعب ، وكل ذلك اذا كانت غلتها فوق خمسة اوسق من الحبوب او الثمار ، اما التي غلتها دون ذلك فلا يؤخذ عنها شيء . والوسق في صدر الاسلام كما حققه المستشرق زمبور ( Zambaur ) في معلة الاسلام ١٣٧ كيلو غراماً تقريباً . فكان الشرع ترك للفلاح وأسرته ٦٨٥ كيلو غراماً اي مؤنة سنة بلا ضريبة او كآنه استثناء من الضريبة مادامت غلاته من ارضه الصغيرة دون خمسة اوسق وهو منتهى العدل ، ولا أظن ان حكومة من حكومات هذه الأيام بلغ بها البر بالفقراء هذا المبلغ حتى حكومة البلاشفة اي حكومة الصعاليك كما يسميها بعضهم .

ومن المعلوم ان الحجاز واليمن وكل جزيرة العرب كانت تدفع العشر وليس عليها خراج ، وان كل ارض أسلم عليها أهلها فهي ارض عشر ايضاً ، وانه اذا أقطع مسلم ارض الخراج فللإمام ان يصير عليه خراجاً او عشرأ او عشرأ ونصفاً او عشرين لكن كثيراً من الأمثال كانت تدل على ان العشر هو ما كان يفرض في الغالب . ولما كانت الارض تتحول في انحاء الممالك الاسلامية بمرور الزمن الى ايدي المسلمين لأسباب شتى صارت ارض العشر تزداد كما صارت ارض الخراج تنقص . والعشر كما لا يخفى ضريبة لا بأس بها ، خصوصاً في الاعذاء والبخوس حيث الأمطار تتفاوت مقاديرها بين سنة وسنة ، وحيث يجوز ان يحل اقليم بكامله مرة في كل بضع سنوات . وليس استيفاء عشرة في المائة او خمسة في المائة من المحصول ضريبة كبيرة في تلك الايام ، ولا يتأتى للنصف ان يجد هذه الضريبة ثقيلة الوطء على الاكارين واصحاب الارضين .



هذا في أرض العشر أما أرض الخراج فهي تحتاج الى قليل من الإيضاح . ولتخذ سواد العراق مثلاً فان عمر بن الخطاب (رض) وضع على الجريب قفيزاً ودرهماً . وقال بعضهم انه وضع على جريب الحنطة اربعة دراهم وعلى جريب الشعير درهمين . فالجريب مساحته ٣٦٠٠ ذراع مربع اي ٩١٩ متراً مربعاً تقريباً وهو ما يسميه الترك دونماً . ويذر في جريب من الأرض المسقوبة الجيدة كأرض السواد ١٨ كيلو غراماً من الحنطة تغل نحو ١٥٠ كيلو غراماً ثمنها اليوم على هبوط اسعار الحبوب ٥٢٥ قرشاً سورياً اي ٨٤ قرشاً مصرياً ذهبياً .

وجاء في معلة الإسلام ان الدينار ٢٥ ، ٤ غرام من الذهب (اي بوزن حسين قرشاً مصرياً ذهبياً) وان وزن الدرهم على أصح تحقيق ٩٧ ، ٢ غرام من الفضة وان نسبة قيمة الفضة الى قيمة الذهب في صدر الإسلام كنسبة واحد الى اربعة عشر ، فيكون الدينار مساوياً لعشرين درهماً تماماً . وعلى هذا تكون قيمة الدرهم قرشين ونصفاً من القروش المصرية الذهبية يمكن ان يشتري بها اليوم ٤ ، ٥ كيلو غرام من الحنطة . فاذا فرضنا مع كثير من المحققين ان قيمة النقود في تلك الأيام كانت ثلاثة أمثالها في أيامنا هذه أمكن شراء ١٣ ، ٥ كيلو غرام من الحنطة بدرهم .

أما القفيز في صدر الإسلام فهو يعادل ٢٧ ، ٥ ليتر اي ٢١ كيلو غراماً ونيفاً ( وزن اللتر من الحنطة المتوسطة الجودة ١٣٧٢ ، ٠ كيلو غرام ) . فاذا أضفنا وزن القفيز من الحنطة وهو ٢١ كيلو غراماً الى ما كان يمكن ابتياعه بدرهم وهو ١٣ ، ٥ كيلو غرام بلغ المجموع ٣٤ ، ٥ كيلو غرام واذا نسبنا هذا المقدار ( وهو الخراج اي قفيز ودرهم ) الى محصول الجريب وهو ١٥٠ كيلو غراماً من الحنطة بلغ الخراج ٢٣ في المئة من غلة الحنطة في الجريب .

هذا ما حققناه نحن . أما اذا حسبنا مع الماوردي ان ثمن القفيز من الحنطة كان ثلاثة دراهم يكون الدرهم ثمن سبعة كيلو غرامات من الحنطة . ويكون الخراج  $21 + 7 = 28$  كيلو غراماً اي دون ١٩ في المائة من غلة الجريب . والدرهم سبعة اعشار المثقال لكنه جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٣١) ان الدرهم أيام عمر (رض) كان كبيراً بوزن المثقال فعلى هذا يكون الدينار عند ذاك ١٤ درهماً ويكون الدرهم ٣ ، ٥٨ قرش

مضري ذهباً يمكن أن يشتري بها اليوم ٦٤٣ كيلو غرامات من الحنطة وفي تلك الأيام ثلاثة أمثالها أي ١٩ كيلو غراماً . ويكون مجموع الخراج من قفيز ودرهم ٤٠ كيلو غراماً أي ٢٦٦ في المائة من المحصول .

وإذا حسبنا الحساب نفسه لفلة جرية من الشعير ، أو لمحصول بجريبت من الكرم وهو ينزل ألفاً إلى ألفي كيلو غرام من العنب ، أو لمحصول بجريبت من النخل ومتوسط ما يحويها عشرون نخلة تجمل واحدتها مائة كيلو غرام من البلح ، أو لجريبت من الخضر الخ ، نجد أن الخراج يختلف بين ٢٠ و ٣٠ في المائة من محاصيل هذه الأنواع النباتية .

وبعد فمما تكن نسبة الخراج إلى الفلة في الجريبت ، فهذا الخراج ما كان ثقيلاً على فلاحه ، السواد للآسيب الآتية خاصة ، وهي كون الخراج كان مقطوعاً عن ستة كاملة على حين أن الأقاليم الحارة ، كالسواد في العراق ، والفرجة في الشام ، اعتادت زرع نوعين نباتيين في سنة واحدة وهذا ينتسز في كل أرض غزالة غريزة المياه كثيرة الدمال فالجريبت من الحنطة مثلاً كان خراجها قفيزاً من الحنطة ودرهماً في السنة لكن الفلاح كان يستغل في كثير من الأحيان ذرة أو سمناً أو تخضراً بعد حصاد الحنطة في السنة نفسها وما كان يدفع خراجاً عن تلك الزروع الصيفية التي تعقب الحنطة لأن الامام عمر رضي عن ذلك وجعل الخراج على جريبت الحنطة في ستة كاملة تمها استغل إلا أن كان ذلك الجريبت في تلك السنة .

والجريبت من النخل أيضاً كان خراجها ثمانية دراهم لكنه كان بالامكان زرع زروع سنوية شتى تحت النخل دون أن يجعل عليها لبيت المال شيء وهكذا .

فيتضح من ذلك أن الخراج في صدر الاسلام ما كان ثقيلاً في السواد البتة ، وأنه ما كان يزيد على عشر غلات الأرض الا قليلاً في الجبل . وقد سجد في كتاب الخراج لأبي يوسف (ص ٤٤) أن عمر (رض) سأل عثمان بن حنيف (وكان امتدبه للنظر في خراج السواد) : « انظر لا تكون حملت الأرض بما لا تطيق فقال عثمان حملت الأرض امرأ هي لا محتملة ولو شئت لأضعفت ارضي » يريد بذلك أنه كان في يومه مصالحة خراج ارضه الخاضعة دون أن يرفعها بثقل تلك الضريبة .

وقد جاني (ص ٤٩) أن عبد الملك بن مروان جعل في الجزيرة والشام والموصل على

كل مائة جريب زرع مما قرب ديناراً وعلى كل مائتي جريب مما بعد ديناراً وعلى كل الف اصل كرم مما قرب ديناراً وعلى كل الف اصل مما بعد ديناراً . وعلى كل مائة شجرة مما قرب من الزيتون ديناراً وعلى كل مائتي شجرة مما بعد ديناراً . وكانت غاية البعد مسيرة اليوم واليومين وأكثر من ذلك . فالجريب من الأعداء في الشام يبذر فيه ١٣ كيلو غراماً<sup>(١)</sup> ويستغل منه ٢٠ كيلو غراماً فتكون غلة مائة الجريب ٧٠٠٠ كيلو غرام . ولما كان بالامكان شراء ١٣٤٥ كيلو غرام من الحنطة بدرهم كما مر ذكره وكان الدينار ٢٠ درهماً في الفرط عادل ذلك الدينار ٢٧٠ كيلو غراماً من الحنطة اي نحو ٤ في المائة من غلة مائة الجريب . واذا فرضنا ان الفلاح استغل نصف هذه المساحة وترك نصفها يرتاح ما زادت هذه الضريبة على ٨ في المائة من الغلة اي اقل من العشر . وكل ذلك حول المدن والبلدان اما على الأرض البعيدة فلم يجعل الخليفة المشار اليه الا نصف تلك الضريبة .

والف اصل من الكرم تغرس في اربعة اجربة تقريباً وتغل ٤٠ — ٨٠٠٠ كيلو غرام من العنب . فالدينار اليوم يمكن ان يتناع به ١٥٧ كيلو غراماً من العنب . فاذا فرضنا انه كان يمكن شراء ثلاثة امثالها في تلك الأيام اي ٤٧١ كيلو غراماً وفرضنا ان معدل غلة الف اصل من الكرم ٦٠٠٠ كيلو غرام بلغت ضريبة الدينار ٨ في المائة من منتج الكرم في القريب من الأرض و ٤ في المائة في البعيد منها .

ويلخص ذلك بأن الضريبة الزراعية في بلاد الشام والموصل والجزيرة سواء اكانت عشور الغلات او كانت مقطوعة كما في ايام عبد الملك بن مروان فانها كانت عادلة في الجملة .

ولبت العشر والخراج في الممالك الاسلامية على ما ذكرنا الى ايام المنصور العباسي . ومن البديهي ان الحروب والفتن ايام الأمويين جعلت الخراج في السواد خاصة فاحشاً على كل ارض يضطر اصحابها الى تركها بلا زراعة في سنة من السنين . لكن هذا الحالب شاذ لا نتخذ دليلاً على ثقل الخراج في ذاته . ولو ان العباسيين عندما اتخذوا بغداد عاصمة لهم ووجهوا نظارهم الى السواد ووطدوا فيه الأمن وكروا انهاره الكبيرة وعطفوا على اكرته

(١) جميع ارقامنا في هذه المقالة متوسطة ومن البديهي ان مقدار البذار في المساحة الواحدة يختلف باختلاف كور الشام ( انظر ص ٣٤١ من كتاب الزراعة العملية الحديثة ) .



قلت لو انهم ابقوا الخراج عند ذلك على حاله اي بالمساحة على كل ارض مستغلة بدلاً من جعله بالمقاسمة لكانوا في عملهم اعدل . والمتصور هو الذي جعل خراج السواد بالمقاسمة . ويظهر ان المقاسمة كانت بالنصف ايام المهدي في الارض التي تسقى سيجاً اي بلا تعب وبالثلث في الارض التي تسقى بالدوالي وبالربع في التي تسقى بالدواليب . اما النخل والاشجار السائرة فلبث خراجها بالمساحة كما كان في صدر الاسلام . ويظهر ان المأمون ازل النصف الى خمسين فيما تسقى سيجاً .

فهذا الخراج هو ما يستثقله الكتاب والمؤرخون خاصة وهو في الحقيقة ثقل لكنه لم يدم طويلاً عدا ان له مبررات لا يجوز ان يضرب بها عرض الحائط وهي ان بيت المال كان ينفق وحده على حفر الأنهار واصلاحها وصنع المسنجات ( الأسداد ) وسد البشوق ، وكان ايضاً يشاطر الأكارين نفقات كرى الأنهار العظام . ثم يجب ان لا ننسى ان مالك الأرض هو الامام ، وان الفلاحين كانوا يعدون شركاء في استغلال الأرض ، ولذلك كان الناس لا ينكروا على بيت المال استيفاء نصف الغلة او ثلثها او ربعها من غير المسلمين الذين ابقوا في ارضهم في السواد ، على حين انهم ممن غلبوا على بلادهم . افلسنا نرى اليوم اصحاب الأرض المسقوية يستوفون ربع الغلة وثلثها حتى نصفها من الفلاحين الذين يقومون بجميع نفقات استغلال الأرض وتثريها . ومن البديهي ان صاحب الأرض هو الذي يعطي بيت المال ضريبة الأرض في جملة حصته المذكورة . ومع ذلك نعرف كثيراً من الكور ترفع فيها الضريبة من مجموع الغلة ثم يتقاسم صاحب الارض والفلاح الباقي على ثلث وثلثين .

هذه هي المعلومات التي يركز اليها في كتب الخراج وكتب التاريخ اما ما جاء به بعض المؤرخين من الخلط فشيء كثير . ويجب على الكتاب والمؤلفين ان يمحصوها قبل اتخاذها دليلاً على ظلم الخلافت العربية للرعية مثال ذلك ما جاء في الصفحة ١٥٧ من المسالك والممالك للأصطخري ( طبعة لندن سنة ١٨٢٠ ) وهو ان خراج الجريب حنطة أو شعيراً في شيراز من بلاد فارس كان ١٩٠ درهماً وان الجريب هناك كبير يساوي ثلاثة اجرة وثلثين من الجريب الصغير ( الجريب الصغير ستون ذراعاً في ستين ذراعاً من ذراع الملك وهو الذي تناوله بحثنا ) فاذا كان الدرهم الذي ذكره الأصطخري هو الذي عرفناه اي الذي



كل عشرين واحداً منه في الفرط تساوي ديناراً تكون المائة والتسعون درهماً كافية لشراء ٢٥٦٥ كيلو غراماً من الحنطة في تلك الأيام (١٣٤٥ كيلو غرام بـ ١٠٠ درهم) على حين أن ثلاثة الأجرية وثلاثي الجريب تنتج ٥٥٠ كيلو غراماً (غلة الجريب ٥٠٠ كيلو غراماً في الأرض المسقوية) فتكون النتيجة على رأي الأسطخري أن الخراج في شيراز يفوق أربعة أمثال ما تغله الأرض فأى عقل يقبل هذا القول ؟ أما إذا كان الدرهم الذي ذكره الأسطخري شيئاً لا نعرفه وكانت قيمته أدنى بكثير من قيمة الدرهم المعروف فعندئذ يزول العجب لكنه يجب في هذه الحال أن لا يتخذ قول الأسطخري حجة على ظلم العرب للأكارين .

ومثاله أيضاً ما نقل عن ابن الأثير من أن خراج الفدان في المغرب أيام عباس بن إبراهيم بن الأغلب بلغ ١٨ ديناراً واستعظم الكتاب هذا المبلغ لكنهم لم يفكر أحدهم بما يمكن أن تكون مساحة الفدان . ففي إذا كانت فداناً مصرياً أو فداناً خطاطاً دمشقياً كان كلام ابن الأثير خلطاً لا يعمل عليه البتة لأن الثمانية عشر ديناراً في تلك الأيام تفوق ثمن مجموع غلة الفدان ضعافاً . أما إذا كان الفدان كما في اعتداء الشام اليوم أي أكثر من مائة جريب غالباً لا يبقى عندئذ وجه ثلاث نقد .

والخلاصة أن العرب في إبان مجدهم الزاهر ما كانوا يستوفون من الفلاحين ضرائب كبيرة اجمالاً . وإذا ظلم بعض العمال الرعية أحياناً الحاجة إلى المال في حرب عدو أو اتحاد فتنة ، أو إذا عاقب بعض الخلفاء سكان إحدى الكور بمضاعفة الخراج لعمل شائن اتوه فليس من العدل في شيء أن نتخذ ذلك ذريعة للظلم في الخلافات الإسلامية العربية في الجملة . ثم لئنعم القاري النظر في قروض الدول الأوربية الكبرى من رعاياها . ومن بعضها بعضاً أفلا يجد أن كثيراً من المال المقرض يذهب هدرًا أو يذهب قسم كبير من فائدته على الأقل بنتيجة الجروب والازمات الاقتصادية فأى فرق من حيث النتيجة بين هذه الخسارة التي يخسرها الشعب وبين مضاعفة الخراج لأسباب قاهضة . وليبحث عن الضرائب التي تستوفونها تلك الدول من رعاياها ولا سيما للضرائب المتصاعدة أفلا يجد أنها أثقل مما كانت تستوفيه الدول العربية . وبعد فخذوا الانصاف في التاريخ وواقينا شر الشعوبية والجوراء .

مصطفى الشهابي

# تاريخ سورية المجهوفة

لمعة تاريخية منه في أدبائها وعلمائها

بقلم مؤلفه عيسى اسكندر المعلوف عضو المجمع العلمي العربي بدمشق



## تمهيد

سبقت لي كلمة في وصف ( تاريخ سورية المجهوفة ) الذي وضعته بتطويل ولا يزال مخطوطاً وذلك في هذه المجلة في المجلد السادس والصفحة ٢٨٩ — ٢٩٤ في سنة ١٩٢٦ م وتقبلت منه قطعة مختصرة في تحليل الاعلام ونشرت اشياء منه في مجلة المقتطف والمقتبس والعرفان والآثار وجريدة البشير وغيرها من الصحف ايضاً كامثلة تدل عليه وتعرفه للمطالعين ووعدت بانتخاب غير ذلك لهذه المجلة فهاك الآن لمعة عن أدباء سورية المجهوفة وعلمائها أقطفها من مباحثه المطولة فأقول :

## .. أدباء سورية المجهوفة وعلماءها ..

نشأ في هذه البقعة عدد كبير من العلماء الاعلام قديماً وحديثاً ممن استللت تراجمهم من كتب كثيرة مخطوطة ومطبوعة بحسب ما وصلت اليه يد البحث والتنقيب على قلة المصادر وتبعثر الجسكيب المخطوطة في المكتبات الشرقية والغربية ، وضعية الحصول على ما ضمن به مقتنوها أو حفظوه لم فلم يأل جهداً في التبع والاستعلام حتى حصلت على ما ربما يرويه الغليل من تلك الآثار التي تناولت بلدان وادي التيم ووادي بردى العربي وبلاد بعلبك والبقاع الى ما يحيط بها من الأماكن . فاقصر الآن على علماء بلاد بعلبك فقط :

## ادباء بعلبك

كانت هذه المدينة المشهورة بآثارها القديمة العجيبة مظهرًا من مظاهر العظمة وميدانًا للعبادات القديمة والأساطير الغريبة فنبغ فيها المتفنون من بنائين وتقاشين ومصورين ورياضيين وفلكيين ومهندسين ومخترعين ومؤلفين كما تشهد بذلك أعمالهم الباقية وأبنيتهم الشائخة وتقوشهم الرائعة وهندستهم الفاتكة وتأليفهم الشائكة .

وكانت بعلبك فوق ذلك ولاسيما في أيام العرب دار علم وحديث ومبارة للعلماء يرحلون إليها في طلب المعارف وتحقيق الدروس فقصدوا كثير منهم حصلوا فيها ما حصلوا بالدرس على علمائها ونبغ من ابنائها وما يجاورهم كثير ممن تشهد لهم آثار اقلامهم الى اليوم .

فروى المؤرخون ومنهم الحافظ ابن عساكر المشهور في تاريخ دمشق المطول<sup>(١)</sup> عن جماعات نشأوا فيها وتخرج عليهم من قصد منهم الطلاب . وذكر غيره كثيرا من رحل الى بعلبك ومنهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي مؤلف الألفية في النحو الذي سكن بعلبك وقرأ عليه فيها جماعة .

(فن المهندسين) كالنيكوس البعلبي الذي كان في القرن السابع للميلاد وهو مخترع (النار اليونانية) وهي كرات خزفية رمانية الشكل او صنوبرية محشوة بالنفط والكبريت والقطران وأشبابها من المواد المشتعلة والمنفجرة تشعل بفتيل داخل فيها فتنفجر وتندك الابنية والحضون وكان اول استعمالها في مهاجمة معاوية بن ابي سفيان الأموي للقسطنطينية فردته تلك النيران عن فجها وفي متحف مجمعا العلمي في دمشق كثير منها .

وقسطا بن لوغا البعلبي اليوناني المسيحي المشهور بالهندسة والرياضيات والفلسفة والفلك

(١) طبع من هذا التاريخ الذي هذبه المرحوم الشيخ عبد القادر بدران خمسة مجلدات قبل الحرب وطوي نشر الباقي الى ان قام بهذا العمل صديقنا الأستاذ احمد افندي عبيد الدمشقي صاحب مكتبة العرب فنشر المجلدين السادس والسابع بضغط وجودة طبع وحواش .  
وعما طبع من مؤلفات قسطا (كتاب الفلاحة اليونانية) تعريبه طبع بمصر سنة ١٢٩٣هـ (١٨٧٦ م) في ١٤٩ صفحة . وكتاب (في رفع الأثقال) صححه البارون كروادي فوب . طبعه في باريس سنة ١٨٩٤ .

والموسيقى والطب وبمعرفة اللغات الكثيرة وبالبراعة في الترجمة وبمجموعة الترجمة وملاوة الانشاء . وهو معاصر ليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف الاسلام . ذكره ابو الفرج الملقب بقوله : «فلو قلت حقاً انه أفضل من صنف كتاباً لما احتوى عليه من العلوم والفوائد وما رزق من اختصار الألفاظ وجمع المعاني» توفي سنة ٢٩٦ هـ (٩٠٨ م) في بلاد ارمينية ومؤلفاته أكثر من مائة بين تأليف وترجمة وتصحيح من رسائل ومجلدات في جميع الفنون والعلوم منها (كتاب الفردوس في التاريخ) و(مراتب قراءة الكتب الطبية) و(آداب الفلاسفة) و(والفرق بين النفس والروح) و(ترجمة ديوفانتوس في الجبر والمقابلة) و(شكوك كتاب افليدس<sup>(١)</sup>) وغيرها . قال عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع الطيب النسطوري المشهور : «إن قسماً اجتذبه سحراريب الى ارمينية واقام فيها فاقترح عليه ابو الفطريف البطريق من اهل الفضل تصنيف كتب كثيرة في اصناف العلوم فوضعها» . ومن متأخري مهندسيها ابوبكر بن البصيص البعلبي الذي ذكره صالح بن يحيى البخاري في (تاريخ بيروت) انه استقدم سنة ٢٤٤ هـ (٨٤٣ م) لبناء جسر الدامور وله اعمال في بلاد طرابلس وجسر نهر الكلب القديم كان من بنائه .

«ومن شعرائها» : عماد الدين ابو الفضل حسان بن سلطان بن رافع اليوناني (نسبة الى قرية يونين من اعمال بعلبك) الفقيه الذي انشد :

لقد منعتني عن سلمي ثلاثة اذا ما استعار الجو ثوباً من الحجر  
ضياء محيّاها وجرس حليها ونفحة نشر دونه عبق العطر  
هب أن المحيّا قدّمته برفع وحل حلاها كيف تفعل بالنشر  
وحسان بن ابان الذي كان في زمن المتوكل على الله العباسي في القرن الثالث للهجرة والتاسع للميلاد ومن شعره قوله :

اكتسب مالا تعيش به ليس عيش المرء من نسبة  
عربي لا يسار له صقلي القدر في عربة

(١) نشرت بعض رسائله في اوروبا والشرق ووقفت على كثير من المخطوط منها وفي خزانتي ردّ قسماً على ابن النجم ورسالة هذا اليه وردّ حنين بن اسحق على ابن النجم ورسالة هذا اليه .



وتراهم خاضعين له ما بدا يختال في شبه  
 أمرا فيهم وكلهم باسط كفار إلى سبيه  
 طمعا في نيل فضته ليس الا بذاك أو ذهبه  
 وأديب قد رثيت له ما له عيب سوى أدبه  
 جاءهم فاستبدفوه كما يمتنى ذو الداء من جربه  
 دع لذي جمل تماديه في الذي يدنيه من عطبه  
 وتوق ما يساء به ان جبن الكلب في كآبه

والحسن بن جعفر بن حمزة ابو محمد الأنصاري البعلبي المعروف بابن بريك قيل انه  
 من ولد النعمان بن بشير وكان يتهم بالرفض توفي سنة ٥٥٢ هـ (١١٥٧ م) ومن شعره  
 قوله في أبيات :

قابل البلوى اذا حلت يصبر ومسر  
 فلعل الله أب يوليكَ بعد العصر يسره  
 كم عهدنا نكبة حلت فويلت بعد قبره

وقوله من قصيدة :

كأن صروف الدهر لم تلق منزلاً  
 فاصبحت من وشك الفراق وبينهم  
 سميري اذا ما الليل ارخى جرائه  
 فماني والدمع الخوف كأنما  
 فليت الليالي اذ ولعن بيننا  
 ابي الدهر الا بشت شمل وفرقة  
 واني لدور صبر على كل نكبة  
 وذلك طبعي قيل ان يصيدع النوي  
 تحل به غيري فحلت بجاني  
 من السقم اخفى من ديب مجاجي  
 لما لي من وجد سير الكواكب  
 جنيت فجازاني بعد الأقارب  
 جعلن الردى مقرونة بالمعاطب  
 وروعة مصحوب بغينة صاحب  
 وقد هذبتني للأبود تجاري  
 فمد جدعت جدت علي مذاهبي

وبهاء الدين العاملي صاحب الكشكول والحلافة ولد في بعلبك سنة ٩١٨ هـ (١٥١٢ م)  
 وتوفي بالمصافي من قرى الجعزين سنة ٩٨٤ هـ (١٥٧٦ م) وله موشحات وأشعار بليغة منها

ما ارسله الى والده الشيخ الحسين بن عبد الحميد العاملي الحلبي الحمداني راوياً الى غيره من  
أدباء عصره . فمن قوله لموالده :

بقزوين جسمي وروحي ثوت . بارض المواة وسكنها  
فهذا تغرب عن أهله . وتلك اقامت . بأوطانها  
وقوله في الموت :

ان هذا الموت يكرهه . كل من يمشي على الغبرا  
وبعين العقل لو نظروا . رأوه الراحة الكبرى

والأمير موسى الحرفوشي أمير بعلبك أباً عن جد<sup>(١)</sup> توفي سنة ١٠١٦ هـ (١٦٠٧ م)  
بدمشق وهو الملقب (الحراشي) لمواقع الحارة فانه حاصر خمسة باشوات مع جيشهم في  
بعلبك وضواحيها وهو وحده فقاتلهم ولم يبالوا منه شيئاً ومن شعره قوله لما فتح غزيراً في لبنان :  
غزير طور و نار الحرب موقدة . وانت موسى بذهاب اليوم منقات  
ألق العصى تتلف كل ما صنعوا . ولا تقف ما حبال القوم حيات  
ومن نظمه قوله في غزير :  
كان رأس جيوش الضد ليس له . علم بأن بلاد موطن الأعد  
ومن مهابة سيفي في القلوب غدت . أم العدو غير الموت لم تلد  
فليرقبوا صدمة مني معودة . أن لا تقرب لها الأعداء في البلد  
أست بنجل علي وهو من عرفوا . منه الخافة في الأحشاء والكبد  
وانني انا موهبي منه قد ورثت . كفي سيقاً قذيب الأرض في الجلد

وامير شعراء الحرافشة هو الامير محمد بن علي الحرفوشي الحريري العاملي الدمشقي توفي  
سنة ١٠٥٩ هـ (١٦٤٩ م) وله مصنفات كثيرة رأيت اكثرها في دمشق منها (الآلي  
الدربة في شرح الاجرومية) في مجلدين و (شرح التهذيب في النحو) . و (تهج النخاع في  
ما اختلف فيه النخاع) قال البديعي في ذكرى حبيب « انه كتاب لم ينسج على منواله يعرب

(١) وضعت تاريخاً مطولاً للأمرأة الحرافشة ومشايرهم وانشائهم وقدمت منه  
أمثلة في مجلة المرقان (في صيدا) واستغنيت ما قيل عنهم في مكاتب اوروبية وذلك لأن  
أجدادي كانوا مقرئين منهم وناقلي الكلمة لديهم .

عن غزارة فضله» و ( طرائف النظام ولطائف الإنسجام ) في محاسن الأشعار وغيرها وله  
الشعر الذي قال فيه البديعي انه : « الشعر الذي ديباجة الفاظه مصبولة • وحلاوة معانيه  
معسولة » وقال المحي : وكان في الشعر أكثرًا محسنًا في جميع مقاصده » فمن شعره قوله  
في الخال وله فيه مقاطيع بليغة كثيرة :

قال لي من غدا امام أولي الفضل      لى ورب المباحث الفلسفية  
ان عندي برهان حق على      نفي الميولى والصورة الجسمية  
قلت : ماهو (?) فقال شامة حيي      قد غدت وهي نقطة جوهريية  
وقوله من قصيدة في مدح الأمير محمد النجكي وأبدع في وصف السيف والجراد بقوله :  
فدارك حيث صادفت اعتزازاً      واهلك ذو الحفيظة والوداد  
ولا تصعب سوى غضب نجيل      تمسقى متته ضرب الهواديه  
مقيل الصنح رقاً وكاد لولا      بحفن يسيل من طرف النجاد  
تخال به وليس به غديراً      ترقرق او سعيراً ذا اتقاد  
وتحسبه اذا ما استل برقاً      تألق في الدجى غباً العهاد  
والاظهر مرحوب سليل الفحول من المطعمة الجياد  
يرى عاراً مسابقة النعامى      ويأنف نعله من الضلاد  
فلو وطى القطا ما ارتعن منه      نياماً وانتبهن من الرقاد  
بدا كالخيزرانة من فحول      من الادلاج في هجل البوادي  
يمر على الغدير به غليل      فيهجره لفرط الاجتهاد  
تساوى عنده حزن وسهل      وآكام مهوغة ووادي

ومن متأخري شعراء بعلبك في القرن الثاني عشر للهجرة ابو الحسن علي بن محمد الشمعة  
من بيت علم وفضل فمن شعره قوله في كتاب ( التحفة الطريفة ) للسيد حسن بن عثمان  
الحكيم الذي جمعه سنة ١١٨٨ هـ ( ١٧٧٤ م ) :

ابدى لنا الحسن الشريف لطائفاً      قد صاغها لتوسيع النعى مجموعاً  
كل المفرق من محاسن عصره      اضحى لدى ( مجموعه ) مجموعاً  
وقوله مضمناً :

لما بفكري مرّ طيف خياله      وارتدّ انظر وجنة لم تلثم  
كادت تسيل لطافة لحنه      «من عادة الكافور امساك الدم»  
وقوله مشطراً لبعضهم :

«أحامة الوادي بشرقى الغضا»      قد طاب مغناك ولذّ لمسمي  
ورميت في قلبي تباريح الجوى      «ان كنت مسعدة الكتيب فرجعي»  
«أنا تقاسمنا الغضا فقصونه»      لك معهد يستقى بسحّ الأذبح  
وظلاله لي موطن وزهوره      «في راحتك وجمره في أضلعي»  
ومنهم من نغم في هذا العصر مثل شاعر القطرين خليل بك المطران . والشيخ علي  
التقي زغيب والمرحوم عساف الكفوري وغيرهم .

زحلة :      عيسى اسكندر المعلوف





## التدوين في الإسلام :



كتب شيدي عبد الحي الكتاني احد اعضاء مجتمعنا في المغرب الأقصى مقالاً في موضوع التدوين والتصنيف في الاسلام نشره في (مجلة المغرب) فرأينا ان ننشر خلاصته في ما يلي :

ابتدأ التدوين في الاسلام بعد الهجرة فكان للنبي صلى الله عليه وسلم كتب في الصدقات والزكوات وكتابه الى أهل اليمن بأنواع الفقه وكتبه الى الملوك وأمرأه الأطراف وقد أمر صلى الله عليه وسلم أن يقيدوا له في ديوان من أسلم قال وهو اصل الديوان العربي الذي صار في ما بعد أقتوماً يرجع اليه في معرفة أنساب القوم وسوابقهم في الاسلام .  
وجمع ابو بكر وعمر وعثمان القرآن في مصحف . وجعل عمر تاهوتاً لجمع صكوكه الرسمية ومعاهداته الأهمية . وكتب ابن عباس الفتاوى التي كان يُسأل عنها . ودون ابن زيد في الفرائض والمناسك . وغير هؤلاء كثيرون من الصحابة والتابعين : منهم عبيد بن شربة الذي دون كتاب الأمثال وكتاب الملوك وأخبار الماضين بطلب من معاوية رضي الله عنه ودون (علامة بن كرم الكلابي) في عهد يزيد بن معاوية (كتاب الأمثال) في نحو خمسين ورقة . وكتاب مثله لسبحار العبدي . ولأبي مخنف الأزدي من اصحاب علي رضي الله عنه كتب : في (الردة) و (فتوح الشام) و (فتوح العراق) و (الجل) و (صفين) و (النهران) و (الخوارج) ومقتل علي ومقتل محمد بن ابي بكر ومقتل الأشتر ومقتل عثمان ومقتل الحسين و (الشورى) و (وفاة معاوية وولاية يزيد) و (وقعة الحرة) و (حصار ابن الزبير) و (الختار بن ابي عبيد) و (مرج راهط وبيعة مروان ومقتل الضحاك بن قيس) و (مصعب وولاية العراق) و (مقتل عبد الله بن الزبير) و (مقتل سعيد بن العاص) و (حديث حمراء)

و (مقتل ابن الأشعث) و (بلال الخارجي) و (حديث الأزارقة) وغير ذلك من حوادث ذلك العصر وقد سرد في الفهرست أسماء عدة كتب صنّفها السلف في تفسير القرآن ونزوله وأحكامه . وقال ياقوت (كان خالد بن يزيد يقول كنت معتباً بالكتب وما أنا من العلماء ولا من الجهال) ومن تصانيفه (السير البديع في الرعية المنيع) في البيئات و (كتاب الفردوس) وغيرها . ويظهر أن أبا بكر رضي الله عنه أول من بدأ في التدوين بدليل ما في كتاب (التعريف) لأبي عبد الله محمد بن عبد السلام بن اسحق الأموي في ترجمة أبي بكر قال (كان عمر قاضيه . وعثمان كاتبه . وسعد مولى مصاحفه) والمزاد بالمصاحف عندهم الكتب فهذا يدل على أن أبا بكر كان لديه كتب كثيرة تحتاج إلى قيم يلي أمرها أكثرها . ثم ما زالت تزداد إلى زمن عمر الذي كان له صندوق أو قنادوس يجمع فيه عهده مع الأمم . كما في خطط المقرئ (جزء ٢ ص ٧٤) . وأمر الديوان الذي دونه عمر بأسماء النابيين وصرايتهم معروف . إلى أن كان زمن عثمان فبالغ الناس في الوراقة وتجويد الكتابة والاعتناء بزخرفة الكتب . وفي كتاب (البيان والتحصيل) لابن رشد (قال ابن القاسم : وأخرج إلينا مالك مصحفاً لجدّه فحدثنا أنه كتب على عهد عثمان بن عفان فوجدنا حليته فضة وأغشيتها من كسوة الكعبة) فدل ذلك على حالة الوراقة يومئذ وعلمهم بكيفية تحليل الفضة وتحلية الكتب بها وجعل الأغشية لها حتى من كسوة الكعبة . وفيه أيضاً (قال مالك كان ناضراً في زمن عثمان رضي الله عنه) (أو في زمن ابنه أبان) (١) رفعت إليه كتب تقادم أمرها والتبس الشأن فيها فأخذها (ذلك القاضي أو أبان نفسه) وأحرقها بالنار . فقيل لمالك أفحش ذلك ؟ قال نعم (إني لأراه حسناً) وكانت هذه الكتب في الخصومات التي تتادم عندها حتى التبس أمرها على الحكام وكان غرضه من إحراقها أن يستأنف أصحابها خصوماتهم فتسجل من دون أن يقع فيها التباس . فيستدل بهذا على أن الناس في ذلك العهد (عهد<sup>(٢)</sup> أبان بن عثمان رضي الله عنه) بلغ بهم الأمر أن يضبطوا سجلات المرافعات

(١) [المجموع] ثم ذكر كاتب المقال حكاية يستدل منها أن (أبان بن عثمان) هذا ليس هو ابن عثمان بن عفان ثالث الخلفاء بل هو أحد فقهاء الأندلس . فحرق سجلات المرافعات والحجج والخصومات كانت في عهد ذلك البقية الأندلسي لئلا يكتفى على كل حال كان في عهد متقدم قبل الإمام مالك رضي الله عنه .

والخصومات والحجج امام المحاكم الشرعية- وفي حسن المحاضرة ان المفضل بن فضالة اول قضاة مصر الذين طولوا كتابة الأحكام والمرافعات والوصايا والديون في السجلات وكانت قبله تكتب باختصار . اما اول من أمر بكتابة نسخة عن الكتاب قبل تبليغه فهو زياد ابن ابى سفيان فقد أملى على كاتبه كتاباً الى معاوية بخصوص عمران بن الفضل البرجمي فلما وصل الكتاب الى معاوية كتب الى زياد ( كتبت في كتابك عمران بن الفضل ) ولم تذكر له ما يتصل به ( كأنه يعني قوله البرجمي ) فسأل زياد كاتبه فقال انت أملتته فقال حديث نس فلا تكتبوا كتاباً من بعد الآن الا جعلتم له نسخة فكات اول من وضع النسخ . وكانت لمعاوية مكتبة ولها خدمة وأعوان يتعاونون على احضارها له وقراءتها عليه يجلس لذلك في أوقات معينة لا يتخطاها وجاء بعده حفيده خالد فكبرت مكتبته بالكتب العربية والمعرية وجعله بعض الباحثين اول من جمعت له الكتب وجعلها في خزانة في الاسلام والحال ان الفضل في ذلك لأبي بكر ثم لعمر ثم لمعاوية قبل ان يكون لخالد . فمعاوية هو الذي بنى لحفيده خالد الأساس ونجر له هذا المقياس :

ولما ظفر طارق بن زياد في الاندلس بما ظفر به من الكتب القديمة التي تتفمن الطلسمات وعمل الصنعة ( الكيمياء ) واصباغ اليواقيت ومنافع الاشجار والاحجار وغير ذلك من العلوم والصنائع والحكم ارسلها الى خليفة دمشق الوليد بن عبد الملك وذلك سنة ٩٢ للهجرة ولولا علمه بعناية الوليد بجمع الكتب ما وجهها اليه من المغرب الى المشرق . وفي آخر القرن الأول كان لعمر بن عبد العزيز خزانة كتب وقد عثر فيها على ( كتاب ابن ابي عمير ) في الطب فأخرجه الى الناس ليستفيدوا . وكتب عمر الى سالم بن عبد الله بن عمر ان يرسل اليه رسائل عمر وسيرته وقضاياه وهذا يدل على ان عمر رضي الله عنه جمع رسائل وترك آثاراً مكتوبة مدونة . ولما راجع عمر بن عبد العزيز سليمان بن عبد الملك في مسألة إرثية قال سليمان يا غلام اذهب فأتني بسجل عبد الملك الذي كتب في ذلك ( اي في مسألة الارث ) . وكتب عمر بن العزيز رسالة في الرد على نقاة القدر وهي مقدار كرامة متوسطة . وقال معمر كنا نرى اننا قد أكثرنا عن الزهري ( يعني في الأخذ عنه ) حتى قتل الوليد بن يزيد فاذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ويقال انها من علم الزهري ( اي من الروايات المأخوذة عنه ) .

وكان ابن شهاب الزهري يجلس وكتبه حوله مشتغلاً بها حتى عن زوجته فنسارت وقالت والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث خسائر . وكان الزهري يقول : ( إياك وغلول الكتب قيل له وما غلول الكتب ) قال حبسها عن أصحابها اه . واصل معنى الغلول في اللغة السرقة من الغنائم قبل قسمتها بين الغانمين . ولما سعى الساعون بالزهري ضربه بالسياط وعلقوا كتبه في عنقه .

وكتب عبد الحميد الكاتب التي كان ينشؤها مشهورة في جودتها وكبر حجمها حتى ان الكتاب الذي كتبه الى ابي مسلم الخراساني علي لسان ( مروان ) كان يحمل على جمل من كبر حجمه فمما كانت رقوقه غلاظاً فهو في حجم مجلد على الأقل . وقولم ان جمع الكتب في خزائن لم يعهد قبل الرشيد والمأمون — فيه نظر لما ذكرناه من الحوادث الثابتة . وقد نقل القاضي عياض عن مالك انه قال : ( كانت عندي صناديق كتب لو بقيت لكأنت أحب اليّ من اهلي ومالي ) وروي انه قال : كتبت بيدي مئة الف حديث وقال بعض اصحابه دخلنا منزل مالك بعد دفنه فاذا فيه سبعة صناديق كتب من حديث ابن شهاب وصناديق أخرى من كتب أهل المدينة فجعل الناس يقرؤون ويدعون وعن امام الحرمين أن مالكا أملى في مذهبه نحواً من مئة وخمسين مجلداً في الأحكام الشرعية وفي تنوير الأبصار للحصكفي ان محمد بن الحسن المتوفى سنة ١٨٩ هـ صنف في العلوم الشرعية ٩٩٩ كتاباً .

انتهى تلخيص مقال سيدي الكتاني وظاهر انه لم يرد من مقاله ان الأمة الاسلامية فاقت غيرها من الأمم في جمع خزائن الكتب لأن هذا أمر معروف وانما اراد أن يثبت ان عناية المسلمين بالكتابة والتدوين وجمع الكتب ابتداء منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم خلافاً لمن قال انه ابتداء في القرن الثاني للهجرة .



## رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

- ٦ -

وبعد ان استلم السلطان سليم حماة بالامان جعلت سنجقاً تابعاً لآيالة طرابلس الشام ، ويبلغ عدد جندها حين السفر مائة هو في بطانة امير لوائها ومن الجبجية الذين يقدمهم ارباب التيمار والزعامة نحو الفين (١) وفيها مشائخ المذاهب الاسلامية الاربعة (١) ونقيب اشرف وجهاء واعيان وكتخدايري وسردار

(١) كانت الدولة تتجلى عن حقها في العشر والرسوم الاخرى الى اصحاب الخصاص وازعامة والتيمار او توقفه على جهة من الجهات الخيرية وفاقاً للطريقة الاقطاع التي كانت جارية في القرون الوسطى . وتقسيم الأراضي الى خاص وزعامة وتيمار كان باعتبار حاصلاتها المقيدة مثال ذلك ان الارض التي غلاتها اكثر من مئة الف الفجة ( الف الف فدان من العملة تعادل ثلث البارة ) يطلق عليها خاصاً وتحال على الوزراء والامراء وغيرهم من بطانة السلطان ومقربيه والتي غلاتها من عشرين الف الفجة الى مائة الف الفجة ، يطلق عليها زعامة وتحال على دفتر دار الخزينة في الالبلة ورئيس الالاي في اللواء وقواد القلاع ومن كان في منزلتهم والتي غلاتها من ثلاثة آلاف الفجة الى عشرين الف الفجة يطلق عليها تيمار وتحال على المستحقين من الجنود وكان كل من صاحب الخصاص والزعامة مكلفاً بان يجهز وقت الحرب عن كل خمسة آلاف الفجة جندياً بعدته الكاملة وصاحب التيمار مكلف بان يجهز عن كل ثلاثة آلاف الفجة جندياً واحداً . واستمرت هذه القاعدة التي كانت سائرة في البدء سيراً حسناً الى سنة الف من الهجرة ثم شابها سوء الاستعمال الى ان الفيت سنة ١٢٥٥ .

الانكشارية (١) وجري باشي (رئيس جند) ويوزباشي (رئيس مئة) ووزدار قلعة ومحتسب ويحيي قاضيها من نواحيها في كل سنة ستة أكياس ويحيي امير لوائها ثلاثين كيسان . وفي حماة قلعة بنيت فوق تل صناعي على شاطئ العاصي ركن اكثر أبراجها وأسوارها منهمة (٢) . وفي حماة كثير من القصور

(١) كانت رتب قواد جند الانكشارية تبدأ بأغلة الانكشارية ثم برئيس السكبان ثم بكتخدا القول وهو معاون الاغا الكبير او رئيس اركان حربه ثم بكتخدا يري وهو وكيل كتخدا القول وصلة الوصل بين الاغا الكبير وجميع جند الانكشارية يبلغ اوامر الاغا بمعرفة الكتاب الى الدزدارين اي محافظي القلاع والسردارين اي قواد الجند .

(٢) قال الضابطوني : بنيت قلعة حماة على صورة قلعة حلب فوق تل صناعي عال فقد كانت على هيئة من الاتقان غريبة ينظر الداخل الى باب لها مشمخر بمجارة عظيمة على خمسة جسور مرتفعة فوق الخندق ثم يدخل الى منعطفات الابراج فيرى البلد من النوافذ المفتوحة للحراسة الواسعة من الداخل والضيقة من الخارج ومن فوقها النوافذ الواسعة التي سدت بشبك من الحديد عظيم وبعد اجتياز المدخل بنايات عظيمة من دار الحكومة ومحل الدخائر وبيوت السكن يحيط بها سور عظيم مرتفع وفي مقابلته جامع ابي الفداء وجامع للقلعة ذي منارة شاذخة ومنه الى الجهة الشمالية بمسافة واسعة حمام كبيرة جداً وفي طرفها الشرقي المطل على طريق باب الجسر بئر واسعة فيها ماء عذب جداً يأتي من مكان خفي من نهر العاصي ولها طريق تحت الارض يصل الى العاصي من جهة الشمال ماراً من تحت بستان الدواليك متصلاً ببعض البيوت وكانت مرصوفة بالحجر الاملس من اسفل الخندق الى حيطان السور لئلا يصعد اليها العدو والقلعة خندق دائر حولها عميق جداً وكان العاصي مرتفعاً عنه ولهذا الخندق طريق الى الماء من المكان المسمى الآن جسر الهوا في مدخل محلة باب الجسر كانوا اذا ارادوا الحصار يفتحون منه ماء العاصي فيملئ الخندق . وقد أشار الى ذلك ابن جبير وياقوت اه . قلت وقد ظلت هذه القلعة على هذا المنوال الى ان جاء هولاء كوطاغية التتر في سنة ٦٥٨ هـ فخرّبوا وخرقوا ما فيها من الدخائر والعتاد ثم اعاد ملوك حماة الأيوبيون ترميمها الى ان قضى

الفخمة ذات الحدائق الغناء والأحواض والمياه الدافقة وأشهرها قصر محمد باشا الارناؤط وهو مبني على شاطئ العاصي وفيه ثلاثمائة غرفة (١) وقاعات عديدة وحمامات وحدائق ولم أر مثل هذا القصر الا في دمشق وقد أولموا فيه لمولانا مرتضى باشا وليمة يعجز اللسان عن وصفها (١) . واشتهر ايضاً

عليها تيورلنك في سنة ٨٠٣ القضاء الاخير وامست من ذلك الحين ليس فيها الا بعض بيوت وجدران قائمة وسجن للحكومة وانتقاض الى بعد مرور اوليا چلي في القرن الحادي عشر . وفي القرنين الماضيين جردت الاطلال وتقضت الاحجار واستعملت في بناء قصور الكيلانيين والعظميين وغيرها فأضحى سطح التل قاعاً صفصفاً ليس فيه من تراث الاقدمين الا بعض كسور الاحجار وأسس جدران من الآجر الى ان جاءت منذ سنتين بعثة أثرية دانيار كية وشرعت تحفر فيه فكشفت حتى الآن من آثار العرب عدداً غير يسير من الأواني الخزفية وقطع السيفساء والقنابل اليدوية الخزفية التي كان يستعملها العرب في حروبهم وغير ذلك وهي دائبة في ربيع كل عام على الحفر وتأمل ان تصل بعد آثار العرب الى آثار البيزنطيين والحثيين .

(١) ذكر جرجي بني مؤلف تاريخ سورية في اسم بابي هذا القصر مراراً في فصل طرابلس فما قاله ان محمد باشا الارناؤطي ولي ايلالة طرابلس في سنة ١٠٥٠ هـ وانه بنى على نهر زشعين قصراً وكلف الرعايا امراً ثم عزل واعيد ثلاث مرات وذلك من شدة جوره وعسفه وكان في كل مرة يعاد بعد مدة وجيزة وفي المرة الرابعة ارسل الى حماة واستقر بها اهـ . قيل ان هذا الباشا اعقب في حماة وانه لا يزال من اعتقابه بعض نساء وانه على الرغم من عسفه كان دلوياً ببناء القصور والمساجد والحمامات فقد بنى في حماة القصر الذي ذكره الجلي وبالنسبة في عدد غرفه ويظن انه هو دار الحكومة التي احترقت في حادثة حماة في سنة ١٣٤٤ هـ ويظهر من وصف الجلي ان البناء الملاصق للدار المذكورة الذي كانت فيه مدرسة التجهيز ودور بعض السراة المجاورة كانت كلها من شتملات هذا القصر الفخم . ومحمد باشا بنى ايضاً في حماة جامعاً قرب جسر السرايا يسمى جامع المدفن لأنه دفن فيه

في حماة قصر الشيخ ابراهيم افندي بن الشيخ عبد القادر الكيلاني (١) . اما جوامعها فكثيرة منها جامع ابو عبيدة بن الجراح فاتح حماة وهو في السوق الأعلى قيل انه كان في الأصل كنيسة قديمة وانه بني بمال الخراج الذي أداه اهل حمص وقد زبرت على رخامة فيه النققات التي صرفت في انشائه والصقت على احد جدرانها (٢) . وهناك جامع قاسم باشا المعروف بكوزلجه وهو اول

وعلى قبره تاريخ وفاته في سنة ١٠٦٨ وكان وقف له عقاراً كثيراً ومن الذين اتصلوا بخدمته وخدمة ابنه علي باشا شاعر حموي اسمه حسن الدقري المعروف بابن قنق . -

(١) الشيخ ابراهيم الكيلاني جد بني الكيلاني في حماة وهو على ما قيل ابن شرف الدين ابن احمد بن علي الهاشمي ولد في سنة ١٠٤١ وتوفي في بغداد في سنة ١٠٦٨ كان ذا ثروة ومكانة عظيمة احتجها بتصوفه ومشيخته بني قصره الذي ذكره الجلي من اتقاض قلعة حماة وبني في جانبه جامعاً ولا يزال هذا القصر عامراً باعقاب المترجم وهم يؤلفون اسرة كبيرة لبعض افرادها حظ وافر من سعة الملك ووفور الثروة والوجاهة في حماة وضواحيها . والقصر على شاطئ العاصي الأيمن في محلة تدعى جسر بيت الشيخ يقصده السياح لرؤية ما فيه من بحاسن البناء العربي كالتصور والقاعات .

(٢) في حماة جوامع ومساجد كثيرة نخص بالذكر منها ( الجامع الكبير ) الذي ذكره الجلي وهو في محلة المدينة وجد من عهد ابي عبيدة وكان يسمى الجامع الأعلى قيل انه جدد في خلافة المهدي من خراج حمص على ما نقش على رخامة فيه ثم جاء المظفر عمر فزاد فيه وبني مدرسة بجواره ثم جاء ابراهيم الهاشمي فانشأ منارته الشمالية سنة ٨٢٥ كما زبر ذلك على رخامة فوق بابها وبني ايضاً الحرم الصغير في جانب المسجد من جهة الشرق ورواق الجامع ايضاً بناء سنة ٨٣٢ وفي غربي فناء هذا الجامع قبة صغيرة تدعى بيت المال او الخزنة تشبه قبة جامع بني أمية في دمشق بنيت على ثمانية اعمدة ذات تيجان يونانية وتحتها بحرة صغيرة وعلى الأعمدة كتابة عبرية قديمة وله حرم واسع جداً وفي جانبه الغربي ضريح المظفر وابنه وليس في حماة جامع مثله في اتساعه وعظمته وله في جهة القبلة منارة مقطوعة الرأس بابها



من الحجر الأسود وكان لهذا الجامع أوقاف كثيرة اندرست ولم يبق الا القليل .  
وصف الاثري هرزفيلد هذا الجامع فقال : ان اصل جرمه كان كاتدرائية للنصارى  
غربية الشكل وله ثلاثة أفنية مختلفة السبعة وثماني دعائم وخمس قباب ومن كل ناحية خمسة  
عقود او اقبية ويظهر ان الحائط الغربي كان جائط رواق الكنيسة والحائط الجنوبي من  
العهد السابق للنصرانية كما هو الحال في جامع دمشق كان معبداً ثم بيعة ثم جامعاً . والى  
جهة الشرق قامت منارة قديمة منفردة وهي مربعة الزوايا زهت جليها كتابة كوفية ربما  
كانت من القرن الخامس . وتحيط بصحن الجامع الجبل أروقة معقودة وهناك سدة بمجرايين  
أمام الحرم وسدة أخرى لها حوض ماء ومحراب منفرد في الرواق الشمالي وخزانة قلعة على  
ثمانية أعمدة قديمة وفي الرواق الشرقي تربة ومصلى ولها نوافذ صلبة معمولة من الفخاس من  
عهد المماليك ومن الرواق الغربي يصل الانسان الى قبة الملك المظفر محمود . وله تابوت معمول  
بالخشب الجميل المنقوش وهناك منارة ثانية قامت في الخارج وسط الرواق الشمالي . يستدل  
من كتابته وشكله انه من عهد المماليك وفي جامع حجة تجلت خاصية من هندستها تجلياً غريباً  
وذلك ان ظاهرها الحيطان مزينة بنقوش رسمت بالوان تشبه الفسيفساء لمراوحتهم في صفها  
بين حجر العجزي الأسود والجير الكلسي الأبيض . ومن جوامع حماة ( جامع الحيات )  
في باب الجسر كان متسعاً وقد هدم من جهة الغرب فذهب نصفه وعدا عليه الجولاء فأخذوا  
من ارضه الشيرقية ربعة . بناء ابو الفداء وعمل لحرمه من جهة الشرق شباكين كبيرين  
بينهما عمود كبير من الرخام على شكل افاعي ملتفة ولهذا سمي جامع الحيات وعمل فيه خزانة  
كتب كبيرة كانت فيها سبعة آلاف مجلد فذهبت فيما ذهب منه ونقش حرمه بالذهب  
والفسيفساء والرخام الملون في جدراته وارضه وعمل له من الغرب شباكين كما في جهة  
الشرق غير انها هدمتا وادخلا في البستان الغاور له . وعلى يمين مدخل الجامع الذي ينزل  
اليه بدرج غرفة فيها ضريح الملك المؤيد ابي الفداء المتوفى سنة ٧٣٢ هـ صلحها بعد دثورها  
منذ سنتين العالم المصري احمد زكي باشا . وبني رجل ايضاً حموي يتوسط الخلال يدعي  
الاتسباب الى السلطان بدر الدين حسن اخي ابي الفداء منارة جميلة في جانب الضريح  
كان المنارة القديمة المنهدثة . و ( جامع السلطان ) في محلة الدباغة بناه السلطان حين

من حكم حماة من العثمانيين بعد فتح السلطان سليم (١) . وأشهر تكاياها « تكية عبد القادر الكيلاني » وهي عامرة ومزخرفة وذات ايراد جزيل وتعمج بالدر او بش (٢) . وأسواق حماة وان لم تكن عامرة بقدر أسواق حلب لكنها حافلة بجميع أنواع البضائع القيمة ويكثر فيها الصياغون والحلاقون . وحر حماة شديد لوقوعها في وسط الاقليم الرابع وتهب من بربتها ريح سموم

شقيق ابي الفداء على حياة جامع الحيات ومشملاته و( الجامع النوري ) في محلة باب الناعورة بناء نور الدين الشهيد في سنة ٥٥٨ بعد الزلزال الكبير الذي هدمت فيه حماة وأوقف له لوقافاً كثيرة لم يبق منها اثر وكان له باب شاهق من الغرب درس وباب آخر من الشرق باقى حتى اليوم وبين هذين البابين تاريخ بناء الجامع محفور بخط جميل وحروف ضخمة : وصفه هرزفيلد فقال : هذا الجامع على الشاطئ الأيسر من العاصي في ارض منخفضة وعلى بناء فحشي عال . بني هذا الجامع على عهد نور الدين وعلى ما دخله من الترميمات الكثيرة تشاهد فيه الى اليوم اجزاء مهمة من البناء القديم ولا سيما الحرم الطويل الذي يحيط به عقود حديثة العهد بالنسبة لمجموع الجامع وكذلك القباب الثلاث من الرواق الشمالي المختلفة الأشكال . والأبنية الثمانية من الجهتين الشرقية والشمالية والحائط الخارجى الشمالي من الجامع . وزبما كان الجزء الأسفل من المنارة بما فيه الحجارة المنحوتة البيضاء والسوداء قديم العهد ايضاً . وفي هذا الجامع بقايا منبر جميل عمل من الخشب يرد الى زمن نور الدين ثم محراب زين اجل زينة فيه اعمدة من الرخام المجزع من عهد الملك المظفر محمود (٦٢٦هـ - ٦٤٢) وفي مكان آخر من الشرق محراب ذو اعمدة من المرمر في تيجانها اسم ابي الفداء . (١) هذا الجامع لم يعرفه احد ممن سألتهم في حماة ولا سمع بهذا الاسم . فن أين أتى الجلي بذلك .

(٢) نرى الصابوني وجود التكايا الآن في حماة . اما التكية الكيلانية فقد أسماها زاوية وقال أنها من بناء بني الكيلاني القاطنين في حماة منذ القرن السابع . والذي علمته ان الايراد الذي ذكره الجلي اندثر والدر او بش لم يعد لهم اثر .

لذلك ينكثر السمر في اهلها ويقل الجمال في نسائها ( كذا ) . ويلبس الرجال جيباً وغناير ملونة تكون في موسريهم من الحرير ومتوسطيهم من القطن أو الصوف وتلبس النساء في أرجلهن أحذية طويلة الساق ويلتحن بملاآت بيضاء .  
ويصنع فيها شراشف ومناشف ومناديل حريرية . ولكثرة الشبان الذين يتجندون نكثر الفروسية بين اهلها ويصنع فيها سروج ولجم جميلة متقنة . اما قمحها فيمثل القمح الحوراني في الجودة . وكذا الأمر في شعيرها وقطانيها . وتكثر في حماة الخيول الاصيلة . اما حماماتها فكثيرة وعلى غاية من الحسن واتقان الخدمة أخص بالذكر حمام (١) محمد باشا الارناؤد الذي لم أر في ديار الروم ما يماثله في الإبداع إلا ان يكون حمام محمد كراي في بنجه سراي عاصمة بلاد القريم .

وفي حماة نواعير عظيمة منصوبة على نهر العاصي يسمع القادمون الى هذه البلدة أنينها من مسافات بعيدة . وهي دواليب مؤلفة من اخشاب واعمدة ومسامير حديدية على غاية من الطول وال ضخامة . وتنصب المياه من هذه النواعير في قناطر تذهب بها الى قصور البلدة ودورها وحماماتها ومساجدها وخاناتها . ولكل ناعورة اوقاف ذات ايراد وخدم وبنجارون مهياون لخدمتها .  
واذا اقترب الزائر الغريب منها تكاد آذانه تظم من شدة الضجة : والاغرب (١) هو حمام الباشا الذي كان في جانب جامع المدفن . والحمام والجامع من بناء محمد باشا الارناؤط الذي مر ذكره . وقد اندرس هذا الحمام منذ قرن في جملة المعالم الكثيرة التي اندرست في حماة وينعت وهي عامرة للحجارين كدار الترح في محلة باب الجسر كانت وفقاً للأفراح فمن أراد ان يتزوج مثلاً يأخذ مفتاحها من متوليها ثلاثة ايام ذكره الصابوني .

من كل ذلك زوئية غلمان حماة المتشردين يتعلقون باطراف الناعورة ويدورون بدورائها حتى اذا علت بهم القوا بانفسهم الى العاصي فيغوصون فيه ويسبحون . وفي حماة مئات من الحدائق والبساتين التي تروى من هذه النواعير . ولا يخلو كل بستان من ناعورتين او ثلاث على ان أعظم ناعورة بينها هي ناعورة المحمدية التي سارت بذكرها الركبان (١) . وفي حماة قبران لعالمين من التبرك احدهما المولى حامد جلبي الشهير بطاشكويري زاده والثاني المولى ابراهيم جلبي الآذري وكلاهما مدفون بجوار التكية الكيلانية وتاريخ وفاة الجلبي الآذري سنة ٩٩٣ هـ (٢) .

(١) نواعير حماة كثيرة وهي من صنع الرومانيين والعرب وكان منها في زمن ابي الفداء ٣٢ ناعورة . اما الآن فهي أقل من ذلك أكبرها ناعورة المحمدية التي ذكرها الجلبي وهي في باب النهر أنشئت في أيام المعز الاشراف السيفي كافل حماة في سنة ٦٦٣ لسقي الجامع الاعلى ومنها ناعورة المأمورية قرب جسر السرايا أنشئت هي وقناتها بامر الحاج بلباك كافل حماة في سنة ٨٤٧ تسقي جهة السوق . وقد اقتبس الصليبيون فيما اقتبسوه من بلاد الشام صنع النواعير ايضا فأوجدوا في ألمانيا في واد صغير في فرانكوني على مقربة من بايروت نواعير كالتى في حماة لاتزال دائرة . ذكره صوبرنهايم في المعلقة الاسلامية .

(٢) قيل انه كان في جوار الزاوية الكيلانية مقبرة للكيلانيين درست وبني في محلها دور ولعل هذين القبرين اللذين ذكرهما الجلبي كانا فيها . اما حامد جلبي فلم اعثر على ترجمته ولعله كان قاضيا في حماة ورث القضاء والعلم عن ابيه اوجده عصام الدين ابي الخير احمد بن مصطفى الشهير بطاشكويري زاده مؤلف كتاب الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية وكتاب موضوعات العلوم وغيرهما وكان عصام الدين من اعظم علماء الترك العثمانيين افضل من الق منهم ونظم باللغة العربية توفي في سنة ٩٦٨ . وآذري جلبي كان على ماقاله شمس الدين سامي مؤلف قاموس الاعلام — من الفضلاء المبرزين في عهد السلطان سليم الاول



كان عالماً شاعراً لطيف المعشر سلك مسلك القضاء وما زال يتنقل في قضاء مدن شتى في الاناضول حتى كانت خاتمة مطافه حمة توفي فيها سنة ٩٩٣ ودفن في خارجها وله ديوان شعر تركي سماه « نقش خيال » .

قلت ويبلغ عدد سكان حمة الآن اربعين ألفاً تسعة اعشارهم من المسلمين واكثر البقية من الروم الارثوذكس واقلها من السرياني القدماء والسريان الكاثوليك والبرتسنتات وحمة ما برحت قاعدة لتصرفية كان يتبعها اذنية حمة وحمص وسلمية ومصيايف تم فصلت عنها حمص وجعلت متصرفية والحقت مصيايف بحكومة اللاذقية ولم يبق لحمة سوى قضاءها المركزي وقضاء سلمية يتبع الاول نواحي حمة وطار العلاء والحيري والحرارة ويتبع الثاني نواحي علي كاسوت ومعريشعور وعقيربات وسلمية . وحمة بلدة زراعية اكثر منها صناعية وجل علائق سكانها مع الفلاحين والبدو فاذا جادت السماء والامطار اقبلت المواشم حسنت حالتهم وان شمت حصل الجذب وعم الضيق . اما صناعاتها فهي البياض ومنسوجات الحرير وقد كان لها في الماضي القريب مكانة كبرى وكان المرتزقون منها في حمة — ومثلها في حمص ودمشق وحلب وطرابلس — يعدون بالالوف ذكر في ( سالنامة ولاية سورية ) لعام ١٣٠٥ هـ انه كان في حمة ٥٠٠ نول يشتغل بها ٨٠٠ عامل يصنعون في كل عام ٣٠٠٠٠ من عدة الحمامات كالمناشف والفوط و ٣٦٠٠٠ ثوب من البياض و ١٠٠٠٠ شروش فراش مما كان يبلغ ثمنه ٢٠٠٠٠ ذهب عثماني اهـ . بدأ هذا الوارد يتضاءل منذ اليوم الذي كثر فيه اقبال الشرقيين على استعمال الثياب والترش الافرنجية وزادت ضوولته بعد الحرب العامة على اثر فصل بلاد الشام عن الاقطار المجاورة التي تروج فيها هذه المصنوعات واخصها بر الاناضول والقطر المصري وتزيد رسوم المكس عليها الى ان بطل استعمالها في الاناضول وتعذر تصديرها الى مصر فماتت هذه الصناعة او كادت وساء حال مرتزقيها .

وتصدر حمة للخارج أعناق الخيول العربية وأنواع الحبوب والسمن الحديدي الفاخر المشهور والصوف والجلد . وفيها كثير من الجوامع والكنائس والمدارس الميرية . احداها مدرسة تجهيز والمدارس الخاصة كدار العلم والتربية التي تقيم في قصر بني العظم.

الاثري وفيها الصيارف والاطباء والصيدليات والمحامون وتجار السلع المختلفة ومن هذه السلع ما هو خاص بالبدو . ويكثر في اهل حماة القرع وامراض العيون لكثرة الجحاج وشدة الحرارة والرطوبة في الصيف وقلة العناية بالصحة . وابهج الفصول في حماة الربيع - تزدان فيه حقولها وحدائقها وازوارها بجمالها الهندسية ويقصد الجمويون لا تئذ المتزهات والمقاصف المشرفة على تلك المرتبات فيضربون الخيام ويقضون فيها اياماً واسابيع ويجلب البدو الذين يكثر وجودهم في براري حماة - اللبن الخاثر الجيد ومشتقات الحليب كاللباء والزبد والكثانة وجميعه مما تباهي حماة بوفرته وجودته . وازداد الفصول فيها المصيف والتخريف فانهما شديدة وطأتها . وقد انجبت حماة في العصور الغابرة علماء وأدباء كخبيرين ذكروا في كتب التراجم وما برح اهلها في الجملة ذوي شغف بالدراسة وبينهم الآن لاسيما في الطبقة الوسطى عدد غير يسير من حملة الشهادات المتوسطة والعالية في مختلف المسالك . هذا ويتقص حماة لتحسين جمالها الطبيعي تغيير شكلها الموروث منذ قرون وذلك بتنظيم شوارعها وتنظيفها وتشيد المباني على الطراز الحديث وايجاد الفنادق والمطاعم والنسارح التي تذب اليها القرى والساحين وجلب الماء القراح ونور الكهرباء واصلاح بساتينها واعادة القواكة التي ذكرها ابن بطوطة وشيخ الرينة : الى آخر ما هنالك من وسائل العمران التي قصرت فيه عن بقية مدن الشام .

« للبحث صلة »:

وصفي ذكريا

## كتب الادب القديمة والحديثة

### ٦ -

- وقال في ص ٦٧ — لم نخلف انامله . والصواب لم نخلف .
- وفي ص ٦٨ — يعدن عداة زور . والصواب عدات .
- وفي ص ٦٩ — ياوصال الحسين . والصواب فأوصال .
- وفي ص ٧٠ — واعلم لقد خشيت صدر اخ . والظاهر ولقد خشنت اي اوغرت
- وفي ص ٧١ — ان الضيف يخسر ما رأى . والظاهر مخبر .
- وفي ص ٧٢ — من المشترين القدر . والصواب من المشتوين القدر .
- وفي ص ٧٢ — اي يأخذون العهد الخ . والصواب ان هذا ثر وليس يشعر
- وفيها . امراءة عبد الصمد . وسياق القول يقضي بان تكون أم عبد الصمد .
- وفي ص ٧٣ — شعار المولدين . والصواب اشعار .
- وفيها . لا ازرها . والصواب لا ازورها .
- وفي ص ٧٤ — يقول عبد الصمد . والصواب يقول .
- وفيها . عمرو بن فرخ الرجمي والمعروف الرجمي .
- وفيها . وايضاً لقبج مسبته . والصواب واتقاء .
- وفي ص ٧٥ — لقب اعرايياً . والصواب لقيت .
- وفيها . ضخم ضجبر عضوب . والصواب ضخم ضجبر عضوب .
- وفيها . نابض اوقار . والصواب اوتار .
- وفيها . له في الغيبة بعد الغيبة عند الخليفة . والظاهر في الغيبة بعد الغيبة .
- وفي ص ٧٦ — وما ادي . والصواب وما ادري .

- وفيهما . فمن تيك لم اصبر . والأولى فديتك لم اصبر .  
 وفي ص ٧٧ — على عتب الضمير . والصواب غيب .  
 وفيها . لي ان جرى . والصواب الى ان جرى .  
 وفيها . فبدل منا بمشهد بمغيب . والصواب فبدل منها مشهد بمغيب .  
 وفيها . الى شر يومها قد همم . والى عارضها قد لمع . والظاهر الى شؤبورها قد لمع  
 والى عارضها قد همم .  
 وفيها . بالوعيد قد اروي . والصواب اوري .  
 وفيها . داهية نار . والظاهر نادر .  
 وفي ص ٧٨ — سهلت لك العود . والصواب الوعود .  
 وفيها . من ركن نللم . والأولى ركن نللم وهو جبل على مرحلتين من مكة .  
 وفيها . موضع السيف من عاتقه فتعفو عن قتله . . والظاهر من عنقه فيمنعني من  
 قتله ابقائي . .  
 وفي ص ٧٩ — الحقد داللا ردي . . والصواب داللا دوي .  
 وفيها . جعلت نلبي كطرق السبك . والصواب كظرف . .  
 وفيها . قيس بن الكشوح . وفي امالي القاضي ابن مكشوح .  
 وفيها . تمثل به على . . راي عبد الرحمن . والصواب لما راي .  
 وفي ص ٨٠ — الا تبقي الحياء . ورواية البيت الا تبقي الحياء كما في امالي القاضي .  
 وفي ص ٨١ — طاط من اشرافه . والصواب طأطي .  
 وفي ص ٨٣ — الى الغلا . . . حادرا . والصواب الى العلى . . حاروا  
 وفيها . يعول اثنا عشر . . والصواب اثني عشر .  
 وفي ص ٨٤ — انما طيب الثناء . والأولى طيبك الثناء .  
 وفي ص ٨٥ — وموته موته لا موته الداني . . والأولى وموته خزبه . .  
 وفيها . اخذ هذا البيت الراضي . والصواب الرضي .  
 وفيها . البيت الشري . والصواب أليث الشري وروي هذا البيت . مكذا بنفسه  
 ثري ضاجعت .



- وفيها . يذكر بخدمة سلفها . والأولى بذكره بحكمة .
- وفي ص ٨٧ — بطبع هو الضابي . والصواب هو .
- وفي ص ٨٨ — قطعت الياء من ديمومة . والصواب اليك من .
- وفيها . دمع السموع باثر . . والصواب دمع المودع نحو . .
- وفيها . ما دمت انت ان تقوم . والصواب اسقاط ان .
- وفي ص ٨٩ — كما يشرف غيرهم . والصواب كما يشرف .
- وفيها . قطع متن الشعراء . . والصواب متن الشعر .
- وفي ص ٩٠ — اعطاك سورة . والصواب سورة .
- وفيها . عمرو ابن هند غصبة . والصواب غصبة .
- وفيها . وحقر المشارك . والأولى وحقد .
- وفي ص ٩١ — في حياتك لي عظة . والصواب عظات .
- وفيها . تستقل ملك العباد . والصواب بملك . .
- وفي ص ٩٢ — بالسطان الانفس خائفة والصواب بالسطان الانفس جائعة .
- وفي ص ٩٣ — صوالح صذغيبها . والصواب صوالج .
- وفي ص ٩٥ — يضيق بالضرر وسعه . والصواب ويسعه .
- وفيها . لحياه رعدة . والصواب لحياه .
- وفيها . يا اصحاب الجدود . . . المطروزة . والصواب يا اصحاب البرود . . . المطروزة .
- وفي ص ٩٦ — ويقل شبا . والصواب ويقل . .
- وفيها . وان قلباً لم ينصحه . وفي الاصل لم ينصحه
- وفيها . اسفرت الخلوة عن وجهة . والصواب عن وجهه
- وفي ص ٩٧ — خليت خجلة . والأولى خلعت .
- وفي ص ٩٧ — صار مجراً مروجاً في اليندين . والصواب صار مجرى برونجه كما في الديوان .
- وفيها . تجارياً الى مدد . والصواب الى أمد .
- وفي ص ٩٩ — عزني فيها لثيم وسامي . والأولى وساءني .

- وفي ص ١٠٠ — ولما احتفل القائد • والصواب القائل •  
 وفيها • بلاد حل بها الشباب ثمائي • والصواب بلاد بها حل •••  
 وفي ص ١٠١ — ذكر ان سكرته تعطي • والصواب ان غول سكرته يغطي •  
 وفيها • مقدار فضيلته في • والظاهر في قوله •  
 وفي ص ١٠٢ — فاستهلت بداعي شوقي • والظاهر لشوقي •  
 وفي ص ١٠٣ — بارادات الثواب • نال في الذيل الثواب جنباً يعني الاثياب ولم  
 اجدهما بهذا المعنى ولعلها الاثياب اصلها اثايب جمع اثياب •  
 وفي ص ١٠٤ — فاحتاج معتز • والاولى فاحتاج •  
 وفيها كان بغداد • والصواب كان بغداد ••• وبذلك يستقيم الوزن  
 وفي ص ١٠٤ — شوق الى وجه وليس بصحيح الوزن • والاولى الى وجهه •  
 وفي ص ١٠٥ — تخذتكم درعا • والصواب درعا •  
 وفيها • فيها منقوشة • والصواب منقوشة •  
 وفي ص ١٠٦ — امتطى بالجوزاء • والصواب الجوزاء •  
 وفيها • موثوقة بالوثاقة • والاولى موصوفة او موصومة •••  
 وفيها • فهمي حمى • والصواب فهمي •••  
 وفيها • قبل الخط مجرى • والصواب قبل الخط ونحوها مجرى •  
 وفي ص ١٠٧ — شرافته ••• شرافات • والصواب شرافاته ••• وشرفاته •  
 وفي ص ١٠٨ — يقضي زمامه • والصواب ذمامه •  
 وفيها • قوى الاستقلال والاضطباع • وقال في الذيل الاضطباع النهوض • والصواب  
 اضطبع الشيء ادخله تحت ضبعه اي عضديه وربما كان الاصل والاضطلاع •  
 وفي ص ١٠٩ — ولا بليت عذرا • والصواب ولا أبليت •  
 وفيها • ولولا النعمة بالزيارة نعمة لم تزل ••• وصواب العبارة • وله • احق النعم  
 بالزيادة نعمة لم تزل •••  
 وفيها • عادية احكامها ••• والصواب غادية لانها تقابل رائحة في الجملة الآتية •  
 وفيها • قبض الله من الأمير • والصواب قبضي •••

- وفيهما . التي عصا التيار . والصواب التسيار .
- وفي ص ١١٠ — فانسى به حادث الكلم . والصواب وآمى به .
- وفيهما . اذا تغذيت . . . . . بالغذاء . . والصواب تغذيت . بالغذاء وبه تحصل المجانسة مع قوله اراغ دائي .
- وفيهما . آذى قفاه ما ذاق قاه . والظاهر اذا قفاه اذا ذاق قاه .
- وفيهما . من عجبهم زحام . والظاهر من جهم .
- وفيهما . فرعى الله طويل حياة . والصواب فدعا الله طويلا يرجى .
- وفيهما . وافاه بعد تأبين بشر . والصواب بعد ياس بشر وحيثذ يصح المعنى .
- وفيهما . بدا بين ايدينا عمود . والصواب عمود او ترى بين ايدينا عموداً .
- وفي ص ١١٢ — خر راسه . والصواب خر اوجذ .
- وفيهما . قد كسى الباطن . . . . . والاولى حذف قد .
- وفيهما . وضفر من بنات . والصواب وضفر .
- وفيهما . واظهرها عواري . والصواب عوار .
- وفيهما . وامست تنج . والصواب وليست .
- وفيهما . لكل ساري . والصواب سار .
- وفي ص ١١٣ — ويزوغ عنه . والصواب ويزوغ عنه .
- وفيهما . فبعد الترك . والظاهر فبعض الشوك .
- وفي ص ١١٤ — جم الزلال . والصواب جم الزلازل .
- وفيهما : اذا سئلوا جادت سيوف اكفهم . عرائك احداث الزمان الجلائل وهو ملفق من يبتين وهما :
- اذا سئلوا جاءت سيوف اكفهم . تطاير جمات التلاع السوائل .
- خليقون سروا ان ثلثين اكفهم . عرائك احداث الزمان الجلائل .
- وفي ص ١١٦ — من هجته الرد . والصواب من هجته .
- وفي ص ١١٧ — تب في الذيل . المتخبط هنا النائر المائج . والمتخبط القهار الغلاب الذي له جلبة من شدة غضبه ولم ارها بمعنى النائر .

وفيها • بيتين اهلنا • والاولى يحلن •  
 وفيها • برياك يغذو ربنا بلداً قفراً • والاولى برياك تعروري بنا • • •  
 وفيها • الرتاج الاغلاق • والصواب هو الباب العظيم او المعلق عليه باب صغير •  
 وفي ص ١١٨ — تلهب جمر الفرقد • والصواب الفرقد وهو شجر عظام • • •  
 وفيها • نذود النفوس الضاريات والاولى الصاديات •  
 وفيها • في الذيل مرجحة متماوجة • والاولى ثقيلة واسعة مائلة من ثقلها •  
 وفي ص ١١٩ — كقول الطرماح في النور • والصواب في النور •  
 وفيها • عتباً بحبكم • طال بحبكم • والصواب بحبكم في الموضعين •  
 وفي ص ١٢٠ — يوصل متى تطالبه • والصواب متى تطالبه •  
 وفي ص ١٢٢ — وليس ذا حين الزيادة • والصواب حين الزيادة •  
 وفيها • ما قلت للطيف الملم الا ابتعد • والبيت في الديوان هكذا :  
 ما قلت للطيف المسلم لا تبعد تفشى ولا كفيكفت حامل كاسي •  
 وفيها • فلم يدر ثمر مادها وجيند • وفي الديوان فلم يدر ثمر • •  
 وفي ص ١٢٣ —

أني اهتدي في ظل اخضر مغدق • حق • نيم • بالعناء • وساديه  
 وصوابه : اني اهتدي في ظل اخضر مغدق • حق • نيم • بالعناء • وساديه •  
 وفي ص ١٢٤ — ممنوتاً ولا تزفا • والصواب ولا تزفا •  
 وفيها • كن يعي بحجته وسط النداء • والصواب يعيا • • • وسط النداء •  
 وفيها • مالي ومالك شبه حين اذكرك • والاولى انشده •  
 وفي ص ١٢٥ — دون الخير من شر • والصواب من شر •  
 وفي ص ١٢٦ — كالشراب الرقاق • والصواب كالسراب •  
 وفي ص ١٢٧ — كسوة من اعز ادرع • والصواب اعز ابروع •  
 وفيها • برد المضاع • والصواب برد الصناع •  
 وفي ص ١٢٨ — على عقود الثروة • والصواب على حقوق •  
 وفيها • في اخس رتان • والظاهر زمان •



- وفي ص ١٢٩ — موكل بحب الاجل . والصواب الاجل .
- وفي ص ١٣٠ — ليست الخالدة . والصواب الخالدة .
- وفي ص ١٣٢ — والظافر به عنزية . والأولى والظفر به .
- وفيه . سفايح جهله . والظاهر سفايح .
- وفي ص ١٣٣ — لا يحل الفاقة ولا يحل خنافة . والصواب لا يحل اتناقه ولا يحل خناقه .
- وفي ص ١٣٣ — عوانها اذا الوحوش . والصواب عنوانها .
- وفي ص ١٣٦ — لا يقع الا في البذر . وفي رسائل البديع الا في النذر .
- وفي ص ١٣٧ — الا قفص اللفظ . وفي الرسائل الا قفص اللفظ .
- وفي ص ١٣٨ — وبقل تجب خصمه بس كتاب حكمه . والظاهر بمسكنات حكمه .
- وفي ص ١٣٩ — ومن الكلفات اذا تعهد المهمل . والصواب اذا تعد به يستقيم الوزن .
- وفيه . كل قيمة نصيرة . والظاهر خطيرة .
- وفيه . وتمنحو على الرقة والتجني . . . . وسياق القول يقتضي ان يقال على الرقة له والتجني به . . . .
- وفيه . ولم يختلط به قلب معاب . والظاهر ثلب معاب .
- وفي ص ١٤١ — في التعزية قررت عينيًا أفديك . والظاهر اسقاط قررت عينا .
- وفيه . توجب انه ملك لا يحقق اعطاء . ولا يتحصل . والأولى توجب انه ملق لا يحقق وعطاء لا يتحصل . . . .
- وفيه . تخيل فهل فيكم له اليوم ثائر . والصواب اليوم ثائر .
- وفي ص ١٤٢ — ويتزرن على العوانك . قال سيف الذيل العوانك جمع غائكة وهي الحمرة من الطيب والمراد هنا الارذاف . والصواب العوانك جمع غائك وفي الرملة المنعقدة المرتفعة وهي كذلك في امالي القالي .
- وفيه . ويتهادين على الدوانك وقال في الذيل الدوانك جمع دونك وهو الوادي .
- والصواب الدرانك جمع درنك وهي الطنائيس .
- وفيه . وعن الحساء حوز . وقال في الذيل حوز مترددات . والصواب وعن الحساء نور جمع نور وهي النفور من الرية .

وفي ص ١٤٣ — هو داء تداوي به النفوس . والصواب تدوى به .  
 وفيها . وحمى مضطرم . والصواب وجهر مضطرم .  
 وفي ص ١٤٤ — وقد ذكرت ابصار قلوب ابنائها والظاهر كسرت .  
 وفي ص ١٤٥ — وليس بخافي . والصواب بخاف .  
 وفي ص ١٤٦ — يجني بها ثمر الانام . والصواب الانام .  
 وفي ص ١٤٧ — لقد جمعنا ظرفاً . والصواب جمعنا .  
 وفيها . قال البحيري . والصواب البحيري .  
 وفي ص ١٤٨ — نطاقها بحرب وازارها محصب . والصواب نطاقها محذب وازارها  
 محصب .

وفيها . واستوفى ماء الحسن . والظاهر اقسام الحسن .  
 وفيها . صورة تجلي الأَبصار . والأولى تجلو .  
 وفيها . كان خده سكران من خمرة فمه . والسجع يقتضي . خمرة طرفه .  
 وفي ص ١٥٠ — وتشوك رغفران خطه . والظاهر تشوك زعفرانه .  
 وفيها . فارقنا خشفاً . والصواب خشفاً .  
 وفيها . والاضفار حما . والظاهر حمى .  
 وفي ص ١٥٣ — ويتخذ خذ . والصواب خذ .  
 وفي ص ١٥٤ — وزري ملكي . والظاهر وزري ملكي .  
 وفي ص ١٥٧ — أمتت سروره . وفي الديوان أمت .  
 وفي ص ١٥٨ — وللماء ما دارت عليه القوانس . وقال — في الذيل القوانس اعالي  
 الرأس . وفي الصحاح القونس أعلي البيضة من الحديد . وبعد ذلك فرواية البيت هكذا :  
 ( وللماء ما دارت عليه القوانس )

وفيها : وحكى الباب بها فليس يبارح . والرواية وخلا الباب .  
 وفي ص ١٦٠ — يعادوني قطع . والصواب يعادوني قطع .  
 « للبحث صلة »

سليم الجندي

# جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٦ —

وحدثني قال حدثني القاضي أحمد بن سيار قال حدثني شيخ من التجار  
بعمان قال كنت بالابلة أريد الخروج الى البحر فرأيت سائلاً ياب الجامع  
فصيح اللسان مليح المسألة فرقت له واعطيته دراهم صالحة وخطفت في الوقت  
الى عمان فاقمت بها شهوراً ثم قضى لي ان مضيت الى الصين فدخلتها سالماً فاذا  
انا يوماً اطوف فاذا الرجل بعينه قائماً في السوق يتصدق فتأملته فعرفته فقلت  
له ويحك سائلاً بالابلة وسائلاً بالصين فقال قد دخلت الى هذا البلد ثلاث  
دفعات وهذه الرابعة لطلب المعيشة فلا اجدها الا من المكدي فارجع الى  
الابلة ثم ارجع الى هاهنا قال فعجبت من شدة حرمانه .

\*\*\*

وحدثني قال حدثني القاضي القضاة ابو محمد بن معروف رضي الله عنه  
قال حدثني بعض اهل بغداد عن ابي عبد الله بن ابي عوف انه قال ضاق  
صدري في وقت من الأوقات ضيقاً شديداً لا اعرف سببه فتقدمت الى من

حمل لي طعاماً كثيراً وفاكهة وعدة من جوارٍ إلى بستانٍ لي على نهر عيسى وامرت (١) غلاماني واصحابي ان لا يبيحثني احد منهم بنخري يشغل قلبي ولو ذهب مالي كله ولا يسكراني وعملت على ان اقيم في البستان بقية اسبوعي اُتفرج مع أولئك الجوارى قال وركبت حماري وقد تقدمني كلما أمرت بحمله فلما قربت من البستان استقبلني فيج (١) معه كتب فقلت له من أين وردت فقال من الرقة فتأملت نفسي ان أفق على كتبه وأخبار الرقة وأسعارها فقلت له تعرفني فقال نعم فقلت انت قريب من بستانٍ لي فتعال معي حتى اهب لك دنانير وأغير حالك وأطعمك وتستريح الليلة في البستان وتدخل بغداد غداً فقال نعم ومشى معي راجعاً حتى دخل البستان فأمرت من فيه ان يدخله حماماً فيه ويغير ثيابه ببعض ثياب غلاماني ويطعمه فابتدروا معه في ذلك. وتقدمت (٢) الى غلام لي فاره فسرقت كتبه وجامني بها ففتحتها وقرأت جميع ما فيها وعرفت من أسرار (٣) التجار الذين يعاملوني شيئاً كثيراً وتفرجت (٤) بذلك ووجدت جميع الكتب محشوة الى التجار بان تتسكوا بما في ايديهم من الزيت ولا يبيعوا منه شيئاً فانه قد غلا عندهم وعزّ ويوصونهم بحفظ ما في ايديهم فأنفذت الى وكلائي في الحال فاستدعيتهم فجاءوا فقلت لهم خذوا من فلان الناقد وفلان الناقد كلما عندهم من العين والورق الساعة ولا ينقضي اليوم اويبتاعون (٥) كلما يقدرون عليه من الزيت واكتبوا الي عند انقضاء النهار بالصورة فمضوا فلما

(١) ناقل البريد . (٢) بالاصل : وفقدت . (٣) بالاصل : اسار بمحذف الجار .

(٤) لعله : وفرت . (٥) لعله : ولا ينقضي اليوم أو تبتاعوا الخ .



كان العشاء جاءني خبرهم بانهم قد ابتاعوا زيتاً بثلاثة آلاف دينار فكتبت اليهم بقبض الوف دنانير أخر وبشري كلما يقدرّون عليه من الزيت وأصبحنا ودفعنا الى الفج ثلاثة دنانير وقلت له ان أقمّت عندي دفعت اليك ثلاثة دنانير أخرى فقال أفعّل وجاءتني رقعة أصحابي بانهم ابتاعوا زيتاً بأربعة آلاف دينار وانه قد تحرك سعره لطلبهم إياه فكتبت بان يبتاعوا كلما يقدرّون عليه وان كان قد زاد وشاغلّت الرسول اليوم الثالث ودفعنا اليه في اليومين ستة دنانير وأقام ثلاثة ايام وابتاع أصحابي بأربعة (١) آلاف دينار أخرى وجاءني عشياً فقالوا كان ما ابتعناه اليوم زائد أعلى ما قبله في كل عشرة نصف درهم ولم يبق في السوق شيء يفكر فيه فصرفت الرسول واقمت في بستاناي اياماً ثم عدت الى داري وقد قرأ التجار الكتب وعرفوا خبر الزيت بالرقعة فجاءوني يقرعون ويبدلون في الزيت زيادة اثنين في العشرة فلم أبع فبدلوا زيادة ثلاثة في العشرة فلم أبع ومضى على ذلك نحو من شهر فجاءوني يطلبون زيادة خمسة وستة فلم أفعّل فجاءوا بعد ايام فبدلوا الواحد الواحد فقلت في نفسي ترك هذا خطأ فبعته بعشرين الف دينار فنظرت فلم يكن لضيق صدري وانفرادي في البستان ذلك اليوم سبب الا ما أحبه الله تعالى ان يوصل اليّ ربح عشرة آلاف دينار .

\*\*\* :

وحدثني قال حدثني صائغ كان يخدم في خزانة الامير معز الدولة يعرف بظاهر قال كنت أشرب يوماً في منزلي وعندى جماعة من إخواني

(١) الصواب : ثلاثة كما يظهر .

فانقطع بنا النبذ فخرجت احتال لهم شيئاً من ذلك فلقيني ركابي فقال الامير بطلبك ققلت قل انك لم تجدني قال لا افعل ققلت خذ مني ديناراً وقل انك لم تجدني قال لا افعل قال وانا معه اذ جاء ركابي آخر فبذلت لهما دينارين فأيا وجاء الثالث فمضيت وحملت معي غلاماً كان لي فحين دخلت الى الامير قال لي امض فانظر مايقول لك علي المغني في الخزانة فافعله فبحثت الى الخزانة فقلت لعلني ايش تريد فاخرج اليّ مناطق كثيرة ذهباً موكدة (١) بلاسيوف مما أخذته معز الدولة من تركة اخته (٢) وكانت الاخت تشدها في اوساط الجوارى وتلبسهن القراطق والخفساتين وتلك المناطق فوقها ويخدمونها (٣) كذلك فلما حصلت لمعز الدولة لم يستحسنها فامر بكسرها وصياغتها مراكب وسيوفاً ومناطق اعجمية فقال لي اجلس واقلمها حتى ننظر كم يجتمع منها ويصاغ قلت ليس معي آتي التي تستعمل فقال انفذ من يحضرها فأنفدت غلامي فأحضر بعض الآلة فما زلت اقلع واغتفل المغني واسرق واجعل ذلك في كمي وتحت عمامي وارمي الى غلامي فاذا حصل معه شيء قلت له هات المبرد (٤) هذا قد كل فامض وجثني بغيره او هات الآلة الفلانية فيبضي وحصل (٥) ماقد سرقناه ويحي بالآلة واسرق واعطيه واطلب آلة أخرى على هذا الى ان جاء المساء فجمع علي المغني تلك المناطق واخذ الوعد علي في الحضور في غد

(١) بالاضل : مولدة • (٢) بالاصل : أخيه •

(٣) الصواب يخدمنها • (٤) لعله سقط : الفلاني او الآخر •

(٥) لعله : ويحصل اي يضع في البيت •

ومعي الصناع وشريكي الموسوم (١) معي بالخدمة في الخزانة فانصرفت فوزنت  
ما قد حصل عندي وكان اربع مائة وثمانين مثقالاً. فقلت اقبالي هذا جمات  
اليه كرهاً حتى اخذته بعد ان بذلت ان اعطي دينارين جعلاً ولا امضي  
وحدثهم (٢) بالقصة فلما كان من الغد حضر الصناع وشريكي وجلسنا  
نفكك الباقي واحضرنا شيئاً آخر فما استوى لنا ان نسرق الامائة وستين مثقالاً  
قاسمته عليها وعجبت من رزقي في ذلك .

\*\*\*

حدثني ابو الحسن ثابت بن ابراهيم بن هارون (٣) الحراني الصايي الطبيب  
قال حدثني ابي قال كنت بين يدي الموفق يوماً فقال لي يا ابراهيم انا اشتهي  
شهوة منذ سنتين وهو ذا استقبح ان اطلبها وقد عن لي الساعة مواضعتك على  
طلبها قال قلت يا امر امير المؤمنين قال ويحك انا والله منذ سنين كثيرة اشتهي  
كبود الدجاج وقوانصها مطهجة واستقبح ان اطلبها فيظن صاحب المائدة  
ان نفسي قد تابعت شهواته به عليهم لان رسمهم جار بان يرتفقون (٤) بأخذه  
ويعه وأريد اذا قدمت المائدة وجلست معي للأكل ان تشتهي ذلك علي  
وتشير به من طريق الطب لا تقدم اليهم باتخاذ شيء منه بشيء يسير فيصير ذلك  
القدر رسماً في كل يوم لا يؤثر عليهم قدره ويبيعون هم الباقي فانه كثير  
واكون قد قضيت شهوتي قال فعجبت من كرمه وفرط حيائه من خدمه

(١) لعله : المرسوم . (٢) لعله : ولم أحدث أحداً . (٣) العواب : زهرود  
راجع عيون الانباء ١ : ٢٢٧ (٤) العواب : يرتفقوا والضمير للمستخدمين في المطبخ .

حتى يلفق الحيلة في الوصول الى شهوته من غير ايجاشهم او تعرض لذمهم وقدمت المائدة فجلس يأكل عليها وحده وجلست مع الندماء آكل على مائدة بين يديه فلما أكل بعض أكله قلت له لِمَ لا يأمر امير المؤمنين الناصر بان يتخذ له شيء يسير في زبديات من كبود الدجاج المسمن وقوانصه بالبيض والمري فيطحن (١) بعضه فيولع منه بالشيء اليسير فان في ذلك كذا وكذا واخذت اصف ما حضرني في الوقت ونحن ايضا نشتهي ان نأكل منه فقال يصلح لنا من غد كذا وكذا زبدية مطحن (٢) وكذا وكذا زبدية من كبود الدجاج المسمنة وقوانصها فاصلحوا ذلك وصار رسمًا جاريًا ولم يفتن احد منهم بما جرى .

\*\*\*

حدثني عبيد الله بن احمد بن بكير قال حدثني ابو جعفر البضي الفقيه الحنفي وقد شأهده انا وكان من شيوخ التجار المستورين فقيهاً يحضر مجلس ابي للخلاف وينظر ولم اسمع منه هذه الحكاية قال حدثني شيخ من التجار بسيراف قال كان عندنا نفسان يمشيان في طريق فرأيا صرة فيها دراهم ملقاة في الطريق فقال احدهما للآخر خذها واحفظها لصاحبها فقال الرجل لا افعل فقال لكني آخذها واحفظها فان وجدت صاحبها رددتها عليه قال فأخذها ومشى فاذا برجل يصيح فقال له مالك فقال صرة صفتها كذا وكذا فيها دراهم لي سقطت مني الساعة فقال الذي هي معه خذها فانها هذه فسلمها اليه ثم قال لصاحبه أليس لو كان الناس كلهم على مذهبك في ان لا يحفظوا على

(١) لعله : فيطحن - (٢) لعله : مطحن .



الناس لضاعت اموالهم فقال له الآخر أليس لو كانت الناس كلهم على مذهبي ماضعت الصرة ولكانت تبقى في الطريق مكانها حتى يرجع صاحبها فيأخذها .

\*\*\*

حدثني ابو الحسين علي بن النظيف المتكلم على مذهب ابي هاشم قال كنت يجتازاً بناحية وردان ممابلي بمجستان ومكران وقد كانت يسكنها الخليفة من الخوارج وهي بلدهم ودارهم فانتهيت الى قرية لهم وانا عليل فرأيت قراح بطيخ فابتعت واحدة فأكلتها فحسنت في الحار ونمت يومي وبقية ليلتي (١) في قراح البطيخ ما عرض لي احد بشيء وكنت قبل ذلك قد دخلت القرية فرأيت شيخاً خياطاً في مسجد فسلمت اليه رزمة ثيابي وقلت له تحفظها لي فقال دعها في المحراب فتركتها ومضيت الى القراح فلما أفتت من الغد عدت الى المسجد فوجدته مفتوحاً ولم أر الخياط ووجدت الرزمة نشرها في المحراب فقلت ما أجهل هذا الخياط ترك ثيابي وحدها وخرج ولم أشك في انه قد حملها بالليل الى بيته وردها من الغد الى المسجد انتظاراً لي فجلست أفجمها وأخرج شيئاً شيئاً فاذا بالخياط فقلت له كيف خليت (٢) فقال أفقدت منها شيئاً ؟ قلت لا فقال ما سوءالك قلت أحبيت ان أعلم (٣) قال تركتها البارحة في موضعها ومضيت الى بيتي فأقبلت أخاصمه وهو يضحك وقال أنتم

(١) لعله : بقية يومي وليلتي . (٢) لعله سقط : هذه الثياب .

(٣) قد سقط شيء معناه : حقيقة الامر .

قد تعودتم اخلاق الارذال ونشأتم في بلاد الكفر انتم فيها السرقة والخيانة وهذا لا نعرفه هاهنا لو بقيت ثيابك مكنها الى ان تبلى ما أخذها احد غيرك ولو مضيت الى المشرق والمغرب ثم عدت لوجدتها مكنها فانا نحن لا نعرف لصاً ولا فساداً ولا شيئاً مما عندكم ولكن ربما لحقت في السنين الطويلة شيء من هذا فتعلم انه من جهة غريب قد اجتاز بنا فركب وراءه ولا يفوتنا فندركه فنقتله اما تأول عليه بكفره وتسعيه في الارض بالفساد أو تقطعه كما يقطع السراق عندنا من المرافق فلا ترى شيئاً من هذا قال وسألت عن سيرة أهل البلد بعد ذلك فاذا الامر كما ذكره واذا هم لا يغلقون ابوابهم بالليل وليس لاكثرهم أبواب انما هي شرائخ (١) يرد الكلاب والوحوش

« للبحث صلة »



(١) الشريعة بالمهملة نوع من السائر قال في الفرج بعد الشدة (١ : ١٢٥) رأيت شريعة مشوشة ففتحتها ودخلت ودورتها كما كانت أو هي الشريعة بالمججمة وهي باب من قصب يعقل للدكاكين .

## آراء وافكار

—(6)—

«دَر» -

كلمة فارسية معناها ( باب ) وفي اللغة العربية ( القديمة والحديثة ) غدة كلمات مبدوءة بكلمة ( در ) مما يدل على أن أصلها أعجمي . من ذلك : . . .

﴿ دَرَبَان ﴾ استعملها العرب بمعنى ( البواب ) أي حافظ الباب وحارسه وجمعوها على ( درابنة ) وأنشد الجوهري للثقب العبدى يدق ناقته ( كدكان الدراينة المظنين ) .

( دَرَبَنْد ) كلمة ( بند ) من مصدر ( بندن ) الفارسي ومعناه الربط ومنه البند والبندوف لضفائر المرأة ولحمائل السيف والرايات . ومعنى ( دربند ) الباب المربوط أي المغلق الموثق فالدربند الباب الذي لا يمكن النفوذ منه بسبب غلقه ثم سمي ( الغلق ) نفسه ( دربند ) والعمامة تسمى غلق الدكان ( دروند ) بقلب الباء واواً . والعرب يسمون مضيق الجبل ( دربند ) وهو من الفارسية بالطبع لأن مضايقي الجبال يكون فيها غلق أو سد من العمد أو الأخشاب أو سد من الخفراء والحراس ومنه مدينة ( دربند شروان ) ويسمونها جغرافيو العرب ( باب الأبواب ) وهي مدينة على بحر قزوين وراء جبال القفقاس مما يلي بلاد الروس منسوبة إلى ( كسرے انوشروان ) وكأنها سميت ( دربند ) لحصانتها أو لما أقيم فيها من الحراس والجنود ومتين الاغلاق .

﴿ درب ﴾ يطلقها المولدون على الطريق السالك ومنه قول ابن الوردي :

« لا تقل قنذ ذهبت أربابه - كل من سار على الدرب وصل »

وأما هي في كلام فضحاء العرب فيراد بها ( الباب الكبير ) و ( المضيق في الجبل )

وقد سميت المضايقي الواقعة على حدود بلاد الروم لجهة الشام والعراق ( دروب ) وهي الثغور

ايضاً يُدخل منها الى بلاد الاسلام ويُخرج. ويقال أذرب الجند اذا سلكوا تلك الدروب واجتازوها . وتسميتها بذلك قديمة ومنه قول امرئ القيس :

.. ( بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه وأيقن انا لاحقان بقيصرا )

فالدرب كلمة فصيحة ولعل فعل ( دربه بدربه تدريياً ) جاء من الدرب اذ أن التدريب في الاصل ان يعود المرء سلوك الدروب ثم عم كل عمل آخر وسمعت بعض الاساتذة بلغت نظري تليذه وهو يتجنى الى كلمة (الدرب) في شعر امرئ القيس ويلومه على كونه لم يزن فيها ولم ينتقدها من جهة انها كلمة عامية مبتذلة وقال الأستاذ كان علي امرئ القيس ان يقول ( بكى صاحبي لما رأى النهج دونه ) فان ( النهج ) انصح من (الدرب) . ولا أرى الأستاذ على صواب في ما قال : ( اولاً ) لأن الدرب ان كانت ابتدئت في زماننا فانها لم تكن مبتذلة في الجاهلية . ولكلمات اللغة تاريخ واطوار . و ( ثانياً ) ان امرأ القيس لم يرد ( بالدرب ) ما يريد عامتنا من معنى الطريق أو الزقاق: وانما أراد الثغور والمضائق اليهودية الواقعة بين بلاد الروم والعرب . فكلمة ( الدرب ) أو ( الدروب ) أصبحت اسماً عاماً لا يجوز لامرئ القيس ولا لغيره ان يبدل بها كلمة ( نهج ) و ( مناهج ) . و ( درب ) العجمية كما قال صاحب المصباح فتكون منخوطة من كلمة ( دربد ) السابقة فان ( الباب الكبير ) و ( المضيقي في الجبل ) و ( مدخل بلاد الروم ) — كلها أبواب ذات اخلاق وسدود وحراس لا يمكن النفوذ منها . « راجع كتاب ( الألفاظ الفارسية العربية ) لمؤلفه السيد ادبي شير الكلداني » .

﴿ درويش ﴾ معروف معناه وهو مركب من ( در ) بمعنى باب و ( ویش ) بمعنى أمام قدام فمعنى الدرويش في الأصل انه فقير يقف على الأبواب لسؤال الصدقة أو على باب الله يسأل العفو والمغفرة .

﴿ درباس ﴾ هو في لغتنا الدارجة اسم للحديدة تعترض خلف الباب فلا يعود يمكن فتحه . والدرباس في فصيح اللغة العربية اسم للأسد وأنشد في ( العباب ) لرؤبة بن العجاج ( كأنه ليس عربين درباس ) ومن المستبعد أن يكون اسم ( درباس ) بمعنى الباب مأخوذاً من معنى الأسد العربي والأقرب أن يكون أعجمي الأصل من ( در ) بمعنى باب و ( باس ) محرف ( باص ) من مصدر ( باصمق ) التركي بمعنى الشد والتضييق والكبس والعصر . ولا جرم أن حديدة الدرباس يشد بها على الباب فلا يفتح .



﴿درايزين﴾ يواد بها اليوم. أخشاب بشكل خاص توضع حاجزاً على الدرج أو حول السطوح وهي مركبة من (در) بمعنى باب و (يزين) بمعنى تحت كذا في (كتاب الألفاظ الفارسية المعربة) ومعنى (تحت) في الفارسية (خشب) فيكون معنى (درايزين) باب خشب فلعله كان يطلق في أول استعماله على حاجز خشبي يوضع على الأبواب ثم توسعوا في إطلاقه على المعنى الذي نستعمله فيه اليوم .

﴿درفة﴾ يطلقها عامتنا اليوم على غلق الباب والشباك فهل هي محرفة عن (دبة) تأنيث ذرب أو مركبة من (در) بمعنى باب وكلمة أخرى مبدوءة بفاء ؟ وقد صرح صاحب التاج أن (دركة) عامية فقد قال (ودرفة الباب مصراعه ولكل باب درفتان هكذا يستعمله العوام) اهـ .

﴿درسعادت﴾ اسم للقسطنطينية في عهد الأتراك العثمانيين ومعناها باب السعادة . قال شمس الدين سامي وقولم (درعليه) غلط اهـ . يريد أن قولم (درسعادت) يفهم منه معنى (باب السعادة) . أما (درعليه) فلا يصح أن ينعم منه (باب العلية) إذ لا معنى له لكن يقال أن (درعليه) مختصرة مثلاً من (درسعادت عليه) أي باب السعادة العلية .

المغربي

## كتاب تذكرة النوادر

« من المخطوطات العربية »



عن جلالة السلطان ( مير عثمان علي خان ) صاحب حيدر اباد خاطر شريف في نشر العلم فأصدر أمره بتأليف كتاب يحتوي على صفوة المخطوطات العربية النادرة فتلفت جمعية دائرة المعارف أمره بالارتياح ورشحت لهذا العمل ( الأستاذ هاشم الندوي ) فرحل في نواحي الهند منقباً في بطون الخزائن فظفر بنصيب وافر مما أرادته وسعى اليه وأودعه كتاباً سماه ( تذكرة النوادر ) وهو على شكل بديع : يذكر اسم الكتاب برقمه الخاص ثم اسم المؤلف وتاريخ وفاته وذكر شي من مناقبه . ثم يذكر مزينة الكتاب وتاريخ كتابته والخزانة التي عثر عليه فيها . وقد قدم كتب السلف على الخلف . ورتبه على العلوم بحسب خطورة أمرها فابتدأ بالقرآن ثم بالحديث الخ . وأول كتاب ذكره هو كتاب ( إعراب القرآن لأبي عبيدة المتوفى سنة ٨٢٠ ) وآخر كتاب ختم به كتاب ( الكلمات الألفية في الصفات المحمدية ) للشيخ عبد الكريم الجيلبي .

انتهى ملخصاً من مقال نشر في مجلة ( الضياء ) الهندية جزئها الخامس بقلم الأستاذ تقي الدين الهلالي وقد ختم الكاتب مقاله ببيان رأيه في الكتاب : من ذلك أنه كان على المؤلف ان يذكر حجم كل كتاب وعدد اجزائه ليعرف الأمر من يريد استنساخه ويعرف ان كان الكتاب مطولاً أو متوسطاً أو مختصراً . وقال أن من رأيه ان يضرب الصنف عن ذكر ما لا قيمة له من مصنفات المتأخرين — وقال قد فات مصنف الكتاب ذكر كتب نادرة في افطار العالم الاسلامي ولا سيما المغربيين الأدنى والأقصى .

( المجمع ) لم يعجبنا نقد الأستاذ ( الهلالي ) للأستاذ ( الندوي ) فيما يتعلق بأعماله نوادر الكتب في الأقطار الاسلامية . فان هذا غير مستطاع وان استطاعه المؤلف فانه يعوزه مراجعات ومراسلات ونفقات وغير ذلك مما يثبط الهمم عن إنجاز المشروعات وانما كل ما نريده من الأستاذ الندوي ان ينشر لنا أخبار المخطوطات الهندية . واما الأقطار

لا أخرى فلها علماء ينقبون عنها أو عليهم أن ينقبوا ثم ينشروا خبرها فالشكر للفاضل  
الندوي .

\*\*\*

وفي مجلة ( الضياء ) ايضاً أن ( حكومة الولايات المتحدة ) في الهند نشرت تقريراً  
عن المطبوعات التي طبعت في السنة الأخيرة ( في الهند بالطبع ) وقد جاء فيه ذكر الكتب  
والصحف التي نشرت في مختلف اللغات فكانت الكتب الهندية ( ٢٠٥٨ ) والأوردية  
( ٥٦٠ ) والانكليزية ( ٣٠١ ) والسانسكريتية ( ١٣٠ ) وغير ذلك من البنغالية والكچراتية  
والفارسية التي لم ينشر فيها الا تسعة كتب فقط اما لغة القرآن العربية فقد كسدت سوقها  
؛ هذه الديار على ما يظهر والصحف التي نشرت باللغة الهندية ( ٣٥٣ ) والأوردية ( ٢٢٥ )  
والانكليزية ( ٨٤ ) .

من نواذر المخطوطات  
« في دار الكتب الظاهرية »

— ٧ —

( ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض ) : تأليف ابي العباس احمد بن محمد التلمساني المعروف بالمقري المتوفى سنة ١٠٤١ هـ في القاهرة . وهو صاحب فتح الطبيب . أوله : الحمد لله الذي اعلى مراتب العلماء الاعلام الخ . نسخة في ٦٤٤ صفحة كبيرة بخط محمد الخضرية [ رقم التاريخ ٨٣٠ ]

( غريب القرآن ) — تأليف عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦ أوله : برحمة الله بفتح كتابنا هذا ونذكر اسماء الله الحسني وصفاته الخ . وهو مرتب على سور القرآن . نسخة في ٢٩ صفحة صغيرة تنتهي الى سورة اذا الشمس كورت . كتب بخط نسخ ومضبوط بالشكل يرجع الى القرن السادس [ رقم اللغة ٣٣ ] .

( صفوة الصفوة ) : تأليف جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن بن ابي الحسن المعروف بابن الجوزي البغدادية المولود سنة ٥٠٨ هـ المتوفى ٥٩٧ هـ ببغداد . اختصرها من كتاب حلية الاولياء لابي نعيم فبدأ بالحرمين الشريفين ثم عاد الى بغداد فجعلها مركزاً فذكر ما كان في شرقها من البلاد ولما انتهى منها ذكر ما كان في غربها من البلاد وختم الكتاب بعباد الجن مرتبة على الطبقات . الموجود منها نسخة في اربع مجلدات ملفقة من خطوط مختلفة ومن نسخ مختلفة ومن هذه المجلدات تتألف نسخة فيها اكثر الكتاب أوله : الحمد لله الذي بعلم ما ظهر وما خفي وما تكدر وما صنى الخ [ رقم ٦٧ — ٧٠ التاريخ ] .

( طبقات الحنابلة ) : (١) تأليف ابي الحسين محمد بن محمد بن الحسين ابي يعلى الحنبلي الفراء الشهير سنة ٥١٦ هـ . أوله : الحمد لله العلي العظيم السميع البصير ذي الفضل الواسع

(١) اختصار شمس الدين بن عبد الله محمد بن عبد القادر النابلسي المتوفى سنة ٧٩٧ هـ

طبع بمعرفة السيد احمد عبيد سنة ١٣٥٠ هـ .



والمتن التوابع والنعم السوابغ الخ . ورتبها على ترتيب الطبقات الأولى والثانية على حروف المعجم وما بعدهما على تقديم العمر والوفاء انتهى فيها الى سنة ٥٦٥ هـ . نسخة في ٦٤٠ صفحة كبيرة كتبت بخط نسخ سنة ٨٣٥ هـ [ رقم ٥٩ التاريخ ] .

( المفاضلة بين الصحابة رضي الله عنهم ) تأليف محمد علي بن محمد بن سعيد المعروف

بابن حزم الأندلسي صاحب الملل والنحل وغيرها من المؤلفات المتوفى سنة ٤٥٦ هـ رسالة في ٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ٨٧٥ هـ . [ رقم ٤٥ الآداب المشهورة ] .

( ثمار المقاصد في ذكر المساجد ) تأليف يوسف بن حسن بن عبد الهادي الخبلي

الدمشقي المتوفى سنة ٩٠٩ نسخة في ٢١٠ صفحات صغيرة بخط المؤلف [ رقم ٨٧ الآداب ] .

( سفر السعادة وسفير الافادة ) تأليف ابي الحسن علي بن محمد البخاري المتوفى سنة

٦٤٣ هـ . أوله : باسم الله الذي باسمه تفتح الاوائل الخ . الموجود منه جزآن في مجلد واحد

عدد صفحاته ٣٢٠ بخط عبد الملك بن يوسف سنة ٦٣٧ [ رقم ١٤ الآداب ] .

( شرح مقصورة ابن دريد المشهورة ) تأليف ابي عبد الله محمد بن احمد بن هشام

اللمعي المتوفى سنة ٥٥٧ نسخة في ٢٨٠ صفحة صغيرة كتبت بخط نسخ سنة ١٠٣٠ [ رقم

٢٦ الآداب ]

حسني الكسم

## رحلة الى القاهرة

« ١٣٤٩ هـ و ١٩٣١ م » (١)



اذا ركبت قطار السكة الحجازية في محطة القنوات بدمشق فانطلق بك صاحباً  
ينساب بين حدائق الغوطة الغناء تحت باسقات الادواح وبين قصيرات الجنبات وطويلات  
الأبنج وخلال مخضرات البقول على انواعها ، سيراً مع تني بردي وسواقيه التي لا تحصى ،  
وقد اذنت نباشير الربيع بتفتق البزاعم والعيون عن افانين الزهر ومخضل الورق ، وبدت  
عن يمينك بلاس وداريا وغيرهما من القرى فذكرتك بقول الصنوبري :

ونعم الدار داريا ففيها صفالي العيش حتى صار اوريا

ولي في باب جيرون طباء اعاطيها الهوى ظيماً فظيماً

صفت دنيا دمشق لمصطفى فاست اريد غير دمشق دنيا

ثم طلع بك الجبل المانع وهو يلهث تعباً فاستقبلتك اللجأة بمرتها السوداء فطواها على  
عجل الى حوران حيث تذكر قول جرير في صفاتها :

هبت شمالاً فذكرى ما ذكرتك عند الصفاة التي شرقي حوران

هل يربحن ، وليس الدهر مرتجعاً ، عيش نبيها طال ما حلولى ومالانا

حتى اذا بلغ بك وادي اليرموك فانحدر فيه قلقاً حذراً يتند في سيره ، وانت تذكر  
روعة التاريخ في وقعة ذلك الوادي الشهير ، وتتمع ناظريك بأزهاره الفتانة التي تنبت  
الطبيعة على انواع واصناف لا تعد ، ثم استقبلك نهر الأردن وبدت امامك بحيرة طبريا  
فقف هنالك واذكر دمشق وقل مع اليزيدي :

(٢) محاضرة القاها الأمير مصطفى الشهابي في ردة المجمع العلمي العربي في تشرين

الثاني « نوفمبر » سنة ١٩٣١

ما ذا بقلبي من دوام الخلق اذا رأيت لمعات البرق  
من قبل الأردن او دمشق لأن من اهوى بذلك الأفق  
ذاك الذي يملك مني رقي ولست ابغى ما حبيت عتقي  
وتبدو لك بعد قليل بيوت بيسان واشجارها وهي تنظر من عل الى غور الأردن كأنها  
تدفع عنه صروف الدهر . ومن العجيب انك لا تشاهد حولها كرمًا مع ان خمرها كانت  
مضرب الأمثال فيما مضى . ولا ازال اذكر البيت الذي قاله عبدالرحمن بن سيمان بن أرطاة  
في سبيته بيسان اي خمرها وهو :

سبيته من قرى بيروت صافية عذراء اوسبتت من ارض بيسان  
وليس في مرج ابن عامر ما يلفت نظرك سوى كثرة الصبوينيين فيه ، وفي السهول  
التي تقطعها في اليوم الثاني الواقعة جنوبي حيفا الا طول كرم وقليلة ورملة ولدت فانها حلت  
نفسها منهم ولا يزال يصح فيها قول كثير :

حموا منزل الأملاك من مرج رادط ورملة لدت انت قباح سهولها  
وكأنني بك ذاكر قبيل الغروب وقد بلغ بك القطار غزوة قول الامام الشافعي فيها :  
واني لمشتاق الى ارض غزوة وان خاتني بعد التفرق كمتاني  
سقى الله ارضا لو ظفرت بتربها كملت به من شدة الشوق اجفاني  
ومتى ارخى الليل سدوله رأيت القطار يضرب بمن فيه صحراء التيه دون انت يتيه ،  
لأن السكة امامه ممدودة تتلوى كالأرقط وهو كما قال حافظ : حديد ينساب فوق  
حديد ، فلا خوف في دخوله التيه ، ان بضل كما ضل قوم مرمى او يجازف مجازفة المتنبى  
في قوله :

ضربت يها التيه ضرب القمار اما لهذا واما لذا  
واذا ماجزت قناة السويس في القنطرة وركبت قطار مصر فانطلق بك في دساكر  
القطر ومستغلاته ، فلا تعلم بان تتمتع نظرك في الليل البهيم الا بمصاييح البلدان والمدن التي  
تجري بها القطار حينئذ ، او يقف بها هنيهة وقفة القلاني الذي لم يبلغ الغاية في سيره ، حتى اذا  
بدت لك مصاييح القاهرة المشرقة حق عليك ان تحيي مصر بصرخة شبيهة بالتي خرجت من  
نوادب الشاعر الياس فياض :

سلام على مصر ولو عشت ادهراً      لما كنت الا طول عمري مسلماً  
 على موطن لو خير المرء موطناً      من الارض لم يحترابر واكرماً  
 سرت في اهاليه عذوبة نيله      وسال فما ان تعرف الماء منها  
 ولا تبين بعد خروجك من المحطة ليلاً      لوفرة الأنوار المتألقة في ساحتها ، وفي شارع  
 الملكة نازلي الطويل البديع ، ولا لروعة تماثيل نهضة مصر الذي يجب ان تحييه نجيحة من  
 يعشق الحرية اينما كانت ، فكيف في عاصمة الفاطميين والأيوبيين ، ولا لازدهام السبارات  
 والجلالات وضمخامة الابنية ، وكثرة المارة ، ونظافة ارض الشوارع المظقولة صفلاً ، فانت  
 في مدينة اوربية في عظمتها ، شرقية في روعتها ، وهذا المزيج هو مما يستغنىك ويستهيوك ،  
 فلست في الاسكندرية ولا في بورسعيد حيث رطانات الاجانب بمختلف اللسان الأعجمية ،  
 يجعلك تمنى ان تُصم اذنك الى حين ، وحيث يظهر هؤلاء امامك بمظاهر تود معها لو كان  
 لك عينا المعري ريثما تنسل من بينهم بسرعة الكهرباء .

انك اينما سرت في القاهرة تجد شوارع نظيفة واسعة ، وابنية كبيرة شاذقة ، وحدائق  
 مزدانة باجمل اشجار البلاد الحارة ، وتجذب ايضاً جوامع قديمة وحديثة ، وقصوراً مبنية على  
 الطراز العربي تأخذ تقوشها وزخارفها وتطابريزها بمجموع القلوب . فحدائق الأزبكية  
 والنباتات ، والقناطر الخيرية والحيوانات ، والأسمك والمعادني وغيرها وهي كثر ، ثم  
 جوامع السلطان حسن والرفاعي وابن طولون وسيدنا الحسين والأزهر ومحمد علي وعشرات  
 غيرها من آيات الفن المنبثة في انحاء المدينة كلها ، تجعلك على الاعتقاد بأن القاهرة هي  
 اروع مدينة لافي الشرق العربي وحده بل في الشرق الأدنى بلا جدال . واجمل من المدينة  
 سكانها فانك لا ترتطم فيها بعدد كبير من صلفاء الأجانب ، بل الجمهور الذي تقع عليه  
 عينك احد اثنين مصريي اسمر بشوش مرح محتفظ بطربوشه القصير ، او مصرية سمراء  
 كحلاء هيفاء في الغالب لفاء في الأقل ، تحتال في الحرير الأسود سافرة الوجه اومسبلة  
 عليه نقاباً أرق من دين صاحب البيت الآتي في الخمرة وهو ابو نواس .

عنت في الدن حتى      هي في رقة ديني

نم لقد رقت النقب على وجه السيدات المضربات حتى طار نصفها لدى نصفين ، واوشك  
 النصف الثاني ان يلحق بأخيه ، وصرت ترى السيدة المصرية تجلس بجانب الرجل في



محال على الأدب ، وإيهاء المحاضرات والحدائق والمسارح وغيرها دون أن يعد ذلك منها خروجاً على المألوف من العادات . ولدت المدنية الاوربية هذه احوال تدريجياً فالمرأة المصرية أسلم فيها عاقبة من المرأة التركية التي حملوها قسراً على أخبت ما في السفور من أمور مستحجة . ومن المعروف ان القرويات في مصر كالقرويات في الشام لا يتخذن النقاب على أوجهن . وأنت اذا أردت شبيهاً لصور المصريات في المتاحف وعلى الستائر ، بقدودهن الهيف ، وعيونهن السود التي يشبهونها بفلقة اللوزة ، وما أوجدته الطبيعة في الأهداب من كثافة وكحل ، وفي الحواجب من استقامة وقصر ، الى غير ذلك من الصفات التي تلفت نظرك في صور المرأة المصرية القديمة ، فانك واجد هذا الشبه في فتيات القرى المصرية لا فتيات المدن .

ومنى رحت تبحث في القاهرة عن كل ما يجب عليك ان تراه وتدرس باعمان كل ما يحتاج الى درس حتى عليك ان تسلم فيها اشهرأ بل سنوات . ولو جشمت نفسك التأليف في ذلك لما خرجت بسفر بل بأسفار . وبعد فماذا تراني محدثك عما شاهدته فيها خلال أيام معدودات ، أذكر دار الآثار المصرية ، وفيها تتجلى عظمة المصريين الأقدمين فيما خلفوه من هياكل وتمائيل ونصب مصنوعة من الحجر الصلد ، واثاث ورياش وحلي مذهبة ، قوام عنها فيما كتب عن توت غنخ آمون خاصة الى غير ذلك مما يجعل تلك الدار لا تقل في عظمتها وغناها عما شاهدناه في اكبر المتاحف الاوربية . أم أذكر دار الآثار العربية وهي ان لم تستر دهشتك من حيث عظمة ما فيها من مخلفات الأجداد فتنتك بما تحويه من دقيق النقش والوشى والزخرف وأعادت الى نفسك ذكر روعة الممالك العربية في إبلتها . أم أتحدث عن اهرام الجيزة وسقارة وابوصير وغيرها . اذكرني بهرم خوفو الأكبر في الجيزة وهو من اقدم ما بنته يد الانسان ، رسا اصله على ٢٣٣ متراً من الأرض ، وعلا جرمه فوقها حتى بلغ ١٤٧ متراً . وهناك يربض ابو الهول الجبار الذي هنأ بالدهر كالهرم ، وصارع احداً مثله ، حتى ناجاه امير الشعراء بقوله :

ابا الهول طال عليك العصر . وبلغت في الأرض اقصى العمر

فيا لدة الدهر لا الدهر شب - ولا أنت جاوزت بعد الصغر

ومنى ذكر ابو الهول وجب ان يتصور الانسان اسداً رابضاً من حجر طوله ٥٧ متراً

وعلوه ٢٠ متراً وله رأس آدمي تبلغ أذنه ١٠٣٧ متر ويبلغ فيه ٢٤٣٢ متر ولو وقف رجل على فرع أذنه ومد يديه لما بلغت قمة رأسه . أم انتقل بك طيراً إلى مصر الجديدة حيث ترى الآيات الينيات في بناء المدن الحديثة ، من قصور شاذقة ، وشوارع نظيفة واسعة ، وحدائق هي بهجة للناظرين . ولو شاهدت أجمل الأحياء في المدن الأوربية لما تركت في نفسك أثراً يفوق الأثر الذي تطبعه فيها رؤية مصر الجديدة . أم اسير بك إلى حي الزيتون والمطرية وواحة عين شمس فتذكر هنالك قول أمير الشعراء في قصيدته « المطرية تتكلم » .

لولا حلى زيتوني النصر ما أقسم بالزيتون رب العباد

الواحة الزهراء ذات الغنى تربى التي ما مثلها في البلاد

تزيك بالصبح وحنج الدجى بدور حسن وشموس اتقاد

وبين الزيتون وواحة عين شمس ترسى بيت الامام محمد عبده رحمه الله وقد اوشك يتداعى فتنبض لذلك نفسك وتود لو ان الحكومة المصرية على غناها رحمته وجعلته بيتاً من بيوت الأمة يحج اليه ابناء الشرق العربي كافة . وكنت ادليت بهذا الرأي الى معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاستصوبه .

أم نصعد الى القلعة التي كان أمر بنائها السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب على أحد منحدرات المقطم ، فنحظى بمنظر لا تقع العين على أجمل منه لبيوت القاهرة الجميلة ، وجوامع البارزة ، وماآذنها الشاذقة ، وقبابها الكروية ، وجنائها الفردوسية ، ونيلها الهادي ، تنساب مياهه بجلال وعظمة . وهنالك ندخل قصر محمد علي الكبير فتذكر أيامه الغر ، وابقاعه بظلام الممالك ، واستنصاله شأفتهم . وندخل الجامع الذي بناه ذلك الرجل العظيم ، وأتمه الخديوي سعيد باشا على طراز جامع نور عثمانية في فروق ، بقيته البيزنطية العظيمة وماآذنه الرشيقة العالية ، فتحجى فيه ضريح مؤسس النهضة الحديثة باحترام وبخشوع . أم نمتطي السيارة فنطلقها شمالاً الى شبرا فالقناطر الخيرية حيث نشاهد ذلك السبد العظيم الذي بدأ به محمد علي ، فأقامه في وجه النيل وأتمه بعده خلفاؤه ، وحيث تقع العين في الجزيرة التي ولدتها الترع على حديقة غناء من أجمل حدائق العالم تشابقي فيها بالجمال اشجار الفصيلة السنوبرية ، وهن ملوك دوحه النيات واشجار الفصيلة النخيلية وهن أمراؤها ، دغ أنواع السنط والجميز ومختلف الأزهار . وأعجب لأرض الحديثة كيف

اوجدوا فيها تلك المنعطفات والمنحدرات والتلال الصناعية وكيف ذبتوها بتزاويق الزهر  
وتعاريجه . فاذا ما اضفت الى خضرة الحديقة وزرقة النيل حمرة وجوه الحسان المرحات  
فانت اذن في الجنة التي فضلها أمير الشعراء علي بن أبي طالب عند ما هتف بسينيته المشهورة  
في الأندلس :

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني اليه بالخلد نفسي

أم نيم الجنوب في القطار الى حلوان بلدة عبد العزيز بن مروان ، فنعيد الى الخاطر  
ما كان بنى الأمير فيها من دور وقصور وما زرع من بساتين وكروم ، ثم نزور حمامها  
الكبريتي الشهير فترى بناء عريفاً ضخماً بنته الحكومة يحتوي على عشرات من الغرف  
والمقاصير النظيفة فيها مغاطس تملأ بالمياه الكبريتية أو المياه العادية وتادفات للبخر أو  
للحمام الحار . وكأني أراك أمام هذه الوسائل الحديثة ذاكرة حالة حماماتنا الكبريتية في  
ظبريا والحمة وضمير والسنة وتدمر وغيرها ، وهي كما اوجدتها الطبيعة لم تعمل بها يد انسان ،  
ولم ينفق فيها دنانير واحد .

أم نرانا تترك الجدد الى حين فنقلت بضع ليال في شارع عماد الدين ، وما عهدنا  
عماد الدين الكاتب الذي جعله صلاح الدين في خاصته ، اخاه وطرب بل عهدناه على  
حد وصف الجاحظ لأمثاله « الف تفكير وتنقير ودراسة كتب وحلف تبين » . ولو لم  
يكن كذلك لما الف « خريدة القصر وجريدة العصر » في عشر مجلدات ، والبرق الشامي  
وهو سبع مجلدات في التاريخ ، وديوان شعر وديوان رسائل وغيرها . فاذا صحت نسبة  
الشارع المذكور اليه « ولست اعلم عماداً للدين غيره تصح فيه هذه النسبة » كان من عبث  
الدهر وهزلته ان تجتمع انواع الملاهي في شارع حتى صار يعرف بها وصارت تعرف به .  
فهناك تشاهد يوسف وهي اشهر ممثل انجنيته مصر ومسرحه يعرف بالجد سواء من حيث  
التمثيل أم من حيث الآداب التي يشترط على المخرجين ان يتخلوا بها . فانت لا تجد هناك  
اخلاقاً بالمواعيد أو قهوة أو مسامرة أو شرب ماء أو تدخين تبغ أثناء قيام الممثلين بعملهم .  
ومتى فرغ الممثلون من تمثيل احد الفصول جعلوا لك بينه وبين اخيه وقتاً تدخل فيه بهواً  
واسعاً فتأكل وتشرب وتدخن وتطلق لسانك العنان . وبكاد يكون مسرح فاطمة  
رشدي تخلياً بالصفات المذكورة . وهو يمتاز بصاحبه التي تحلت برشاقة القد وجمال



الصورة وجودة التمثيل ، فكانت أشهر ممثلات مصر على الإطلاق . ولقد أبدعت في رواية  
عجنون ليلي تلك الرواية التي تعد من فرائد شوقي شاعر العرب الأكبر ، كما أبدع رفيقها  
أحمد علام . ولا شك أن التمثيل العربي في مصر لم يبلغ بعد مستوى التمثيل في دار الأوبرا  
الملكية حيث تمثل فرق اجنبية غالباً ، وهو لا يزال بعيداً عما شاهدناه من الروايات في  
اوربة . ولكن القصور على ما أرى ليس في غواة التمثيل المصريين ، ولا في مؤلفي الروايات  
التمثيلية بل في ضيق ذات يدهم جميعاً . فلو مدتهم الحكومة بالمال الكافي لبرهن كل منهم  
على أنه أخو عبقر في عمله ، ولنهضوا بالتمثيل العربي الى المستوى الذي نتوق اليه .

وفي ذلك الشارع تسمع صوت عبد الوهاب يزينه تقنن صاحب الصوت بالغناء وانتقاؤه  
قصائد شوقي المتينة الحوك والجميلة المعنى ، ولو أعطيت أم كلثوم صناعة عبد الوهاب ثم لو  
انتقت على الأقل قصائدها الغزلية من نظم فحول الشعراء المتقدمين أو المتأخرين لبلغت  
سكرة المنتهى ، ولتضاعف تأثير صوتها العذب الذي ما حاكاه صوت رجل أو امرأة في  
البلاد العربية على ما نعلم . ولا شك أن لحوك القصائد ومعانيها أثيراً كبيراً في نفوس  
الستمعين فستان من حيث السبك والمعنى ما بين قولك :

مضى يا جميل الحيا أرے      رجاك وبذهبت عنا الغيب

واني محب كما قد عهدت      ولكن حبك شيء عجب

وبين قول الثاني :

ليلي تردد في سمعي وفي خلدي      كما تردد في الأيك الأغر يد

اغبر ليلاي ناديا أم بها هتفوا      فداء ليلي الليالي الخرد الغيد

والقصيدتان أصيبتا أشهر من نار على علم ، إلا أني تنشدها أم كلثوم والثانية عبد الوهاب .  
وأما من حيث الفن فلا يزال ينقصنا الشيء الكثير من التنويع والتشكيل والمفاجآت فقد  
مللنا من الانغام المجزنة وما فيها من نواح وعويل . ولست أقصد بذلك تقليد الفرنجية بانغام  
باردة كالتي أخذ بعضهم يلحنونها في هذه الأيام ليست بشرقية ولا غربية وهي جديرة  
بثقب طبله الأذن قبحاً وسماجة . وبعد هذا ماذا تراك ملاقياً في شارع عماد الدين ؟ إنك  
ملاق في ممثلين للروايات الهزلية ودوراً للروايات السينمائية وقرناً للرائع والملاعة مما يجعل  
عماد الدين الكاتب رحمه الله يتمنى لو كان سمي بأي اسم آخر أو لو انعقد الذين احبوا



تجلد اسمه فخلدوه في غير هذا الشارع .

وانتقدت هذه الجولات الليلية الى حياة الجدد في النهار ، ولتزر على عجل ما يتاح لنا زيارته ركضاً في ايامنا المكدودات . ولنبداً بدار الكتب المصرية فهناك يلقاك مديرها العالم اشعد بك برادة بوجهه البشوش ويعرفك ببعض مساعديه ، وكل منهم استاذ فاضل يبحث عن الكتب ، تقار خلال سطورها ، يدرك منها بالعين المجردة ما لا يراه غيره بالمجهر . والله ما حوته تلك الدار من نفائس الرقوق والمصاحف القديمة وغالي المخطوطات والكتب فانها ثروة في البلاد اي ثروة ، واعجب لجهود الدين يطبعون الكتب الادبية في مطبعة تلك الدار فيخرجونها في تلك الحلل القشبية التي اكتسى بها كتاب الأغاني وكتاب الأصنام ودويان مهيأ الديلمي وعيون الأخبار للدبتوري ونهاية الأرب في فنون الأدب للنويري وأشباهاها .

وهل يجوز ان نعود من مصر دون ان نزور رجال الأدب والصحافة فيها ولا سيما الشاسين منهم وهم في ذلك البلد قوة يسب لها الف حساب . خدموا اللغة العربية بجهودهم وأناروا الأذهان بنتوجات عقولهم ، وما برحوا الى اليوم قابضين على أهم الصحف اما مالكين لها أو كتاباً فيها<sup>(١)</sup> . وبأي يجب ان نبداً ، وأي صحيفة أحق بالكبار من المقتطف شحنة مجلاتنا العلمية ورأسهن ، وأي ذكرى في عالم الصحافة العربية أحق بالتجلد من ذكرى العلامة الفقيه الدكتور يعقوب صروف وهو من لم يجاره احد قبل مماته ولا بعده بسلاسة لغته العلمية وصحتها ، وسلسلة الأبحاث فيها ، حتى أصبح جميع الكتاب الذين يقام لقولهم وزن يجزمون بان العلوم الطبيعية خاصة لم تكتب بقلم أصلح من قلم الدكتور يعقوب . ولئن حالت الأقدار دون رؤية الفقيه فقد تمتعت بخليفته فؤاد صروف وهو يبدو لك شاباً في زخانة الشيوخ وحنكة أصحاب السياسة والادارة ، ليس له بساطة العلماء واسترسالهم في الأحاديث ، وان كان منهم بل ثراه يزن كلامه كما يزن بعينه مخاطبه . وقد دل حتى اليوم على انه جدير بأن يقوم بحمل المقتطف الثقيل خير قيام .

ونجد في تلك الدار دار المقتطف والمقظم ذلك الشيخ الجليل والسيامي الاقتصادي

(١) من البديهي اننا لم نتعرض للذهب السيامي الذي دان به كل رجل بين رجال الأدب والصحافة الذين تناولناهم في بحثنا هذا .

المحك الدكتور فارس غر الذي له علينا حق المواطن على ابن بلده (حاصبيا) وحق الصحفي القديم الذي ما برحت صحيفته تسير على وتيرة واحدة منذ نصف قرن تقريباً . وهناك أيضاً خليل ثابت بك رئيس تحرير المقطم ولولها الذي يسيرها بمحكمته المعروفة على الخطبة التي رسمت لها .

وإذا ما انتقلنا الى دار «الاهرام» وهي أقدم الصحف اليومية الحاضرة ، دهشنا لعظمة ذلك البناء ، وظننا نفسنا في احدي دور الصحف الاوربية الكبرى . وهناك وجدنا شخصيتين بارزتين مشهورتين في عالم الادب والصحافة اولاهما شخصية الاستاذ داود بركات رئيس تحرير «الاهرام» بل قلبها الخفاق وسر الحياة فيها ، وهو يشجيك بدياته وفروط ذكائه ووفرة نيكاته التي يأخذ بعضها برقاب بعض . ولم اجد اقدر منه على القيام باعمال مختلفة في آن واحد . فقد كان في مكتبه يقص علينا من نكاته العذبة ، وينظر في قصيدة بعث بها احد الشعراء ، ويصحح عدة اخبار قبل نشرها ، ويتلقى وضحاً لأحذي الحفلات ، كل ذلك في آن واحد وبسرعة البرق ، وبدون ان يمل احد او يهضم حق احد ، حتى قلت لنفسي اذا كانت قوة المرء على تدوير دولا بالاعمال الصحافية تقاس بعدد الأحصنة فإن ما في دماغ الاستاذ بركات من قوة يساوي الف حصان على الأقل . . . .

أما الشخصية الثانية في «الاهرام» فهي شخصية الكاتب الفذ والوطني الصادق الوطنية الأستاذ اسعد داغر وقد وجدناه على ما عرفناه منذ اثنتي عشرة سنة في دمشق لم يبدل ادنى شيء في مبداءه ومشربه . وأما دار «الهلل» فلم تعد داراً لجملة الهلال وجدناها كما تركها المؤرخ الشهير الذي خدم قراء العربية اجل خدمة المرحوم جرجي زيدان صاحب تاريخ التمدن الاسلامي وتاريخ آداب اللغة العربية وتاريخ العرب قبل الاسلام وروايات زيدان التاريخية الخ بل قام ابناؤه الأفاضل من بعده بعمل كبير فأصدروا مجلات «المصور» و«كل شيء» و«الحياة المصورة» و«الفكاهة» بالعربية ولينماج ( Les images ) بالفرنسية حتى صرنا نجد في تلك المجلات رسوماً جميلة للحوادث السياسية والاجتماعية وللكائنات الغريبة مما لا عهد لقراء العربية به من قبل . وقد فقدت الهلال بعد مؤسسها مادتها التاريخية لكنها اعتاضت بها مقالات أدبية لعدد من ادياء اليوم كما ازدادت دوتقياً وبهاء بما ذكرنا فصارت مجلة طبقة من الشعب أكثر عدداً من التي كانت تقرأونها فيما مضى

ذلك انه اذا شد المرء شيئاً من مبادئ العلوم في مدارس التجهيز ودور المعلمين والمدارس الأهلية والأجنبية لذت له قراءة مجلات دار الهلال واستفاد مما فيها من معلومات ومتع نظره بصورها وتفكه بما حوته من نكات مستلحة واحاديث لذيذة . أما اذا حملته على قراءة المقتطف بما فيها من مواد علمية جافة فسرعان ما يمل منها لأن تلك المجلة ليست لمثله بل هي لمن زادت معارفهم على معارفه . ولما كانت عدد خريجي مدارس التجهيز وخريجي المدارس العالية محدوداً اذا قيس بسواد المتعلمين كان قراء مجلات دارالهلال اكبر عدداً من قراء المقتطف . وانت ترى ان كلاً من مجموعة دارالهلال ومجلة المقتطف ضرورية لقراءها .

ومن الشاميين الأحمس الأستاذ محمد علي الباطر صاحب جريدة «الشورى» المعروفة ببلاتها في سبيل القضية العربية . ومن الأدباء الذين يعمل واحد عمل الجماعة صديقنا الأستاذ محب الدين الخطيب صاحب مجلتي «الزهراء» و «الفتح» الذي يصحح وطبع «ادب الكاتب» لابن قتيبة و «البيان والتبيين» للجاحظ و «خزانة الأدب» للبغدادي . وقد بدأ أخيراً بمجم لسان العرب فطبع جزءه الأول وهو مشاير على تنقيح اجزائه السائرة وطبعها . وله على الاشتغال باللغة وآدابها مهمة لا تحاكيها الا مهمة الجبارة .

ومنهم شاعر دمشق الأكبر خير الدين الزركلي صاحب قاموس الأعلام في تراجم اشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين في الجاهلية والاسلام والعصر الحاضر وهو سفر ثمين في ثلاثة اجزاء . ومن الغريب ان عيني لم تكد تقع على عينه حتى تذكرت قصيدته التي يحن بها الى الشام حنين الشكلى الموجه الى قعيدها تلك القصيدة التي بكيت عند ما تلوتها منذ بضع سنوات ومطلعها :

العين بعد فراقها الوطن لا ساكنات ألفت ولا بسكنات

وهو يجتمها بقوله :

ان الغريب معذب أبداً ان حل لم ينعم وان ظمنا

لو مثلوا لي موطني وثناً لعمت أعبد ذلك الوثناً

رده الله الى دمشق لئلا نسمعنا صداحه البتتان في بردى والزبوة واليربين ودمر وجيرون

والغولة فكلها له مشتاقه .



ومن الذين لم شخصيتان بارزتان الأولى علمية والثانية سياسية العلامة الدكتور شبنندر فقد ألقيت جميع العلماء المصريين والشاميين يحترمون فيه غزارة المادة العلمية ولا اظن احداً غيره جمع هاتين الشخصيتين فجلى بها الا العلامة الأمير شكيب ارسلان وهو الذي لا يضاهيه احد بين كتاب العربية بكثرة منتوجات قلمه ، حتى ان الانسان ليحار كيف يجد الأمير متسعاً من الوقت لكل ما يتخطه انامله ، ويسيل به دماغه على القراطين .

اما الآنسة التي اختارت لنفسها اسم «مي» ( والله ما أعذبه اسماً ) فهي كبيرة أديبات العربية في يومنا هذا بلامنازع . زرتها مع صديقي العلامة امين باشا المعلوم صاحب معجم الحيوان بعد ان تلطفت واجتمعت بي مع رهنط من العلماء والادباء في فندق «كوتنتنثال» فاذا بي في دارها كأنني في هيكل الأدب الأسمى وقدس النبوغ والبغربة . واذا باحاديثها تنم على أدق ما تلمسه مشاعر الانسان وقد خيل لي انني في حضرة احدي سيدات الملأ الاعلى اللواتي كنت أقرأ عنهن في كتب كبار الادباء الفرنسيين . وما كدنا نودعها ونخرج حتى اجدرني الصديق الأمين قائلاً : «انها شقيقة» فقلت صدقت يا باشا وماذا أخافك منها قال حدة ذكائها ووفرة معلوماتها الأدبية ، قلت اما انا ففرط احساسها لدقائق الحديث حتى كدت أرى نفسي غير قادر على مجاراتها فيه .

ومن الكتاب الشاميين الذين يكتبون في الصحف المصرية الاستاذ شامي السراج والاستاذ توفيق اليازجي وهما من فحول الكتاب الصحفيين ولهم في الجرائد المصرية تأثير أي تأثير ومنهم الكاتب نجيب شاهين والكاتب حنا خباز وكلاهما مجيد وقد اشتهر الدكتور شخاميري بما يكتبه في المقتطف من الفصول الطبية الطلية . كما اشتهر الاستاذ نسيم صبيحة بمقالاته السياسية والاقتصادية عن الشام . ولم أر من يعالج قضية البلاد بمثل قلمه وخبرته وحفظه للوقائع والحوادث .

وهناك ترى خليل مطران شاعر القطرين بل شاعر الحياة والحقيقة والخيال معاً الذي قال فيه أخي الشيند عارف الشهابي في تذكركه منذ ٢٤ سنة « نعم ان شعره شعر المستقبل الذي ستزدهر فيه آداب اللغة العربية . ولقد كسر الشاعر قيود التكلف وهدم صروح التقليد واندفع بعامل الشعور والاحساس فهتف بماهتف وكان هتافه شعراً . ولولم يكن من مضائل ديوان الخليل سوى خلوه من المحجول والمدحج (عدا قصيدة أو قصيدتين) لكفي » انتهى .



هذه صورة ضغينة الصحافة الشامية في مصر لمن حظينا بمشاهدتهم من ارباب الانلام الشاميين فيها . ولكن كثير ممن لم نُسعد بالتعرف بهم فضل كبير كالعلامة الجليل صاحب المنار والاستاذ اسكندر مكاربوس صاحب اللطائف المصورة وهي منتشرة في الشام والاستاذ المعروف اسعد خليل داغر والنكاتب البغد نقولا الحداد والاستاذ يوسف اليان سر كين صاحب معجم المطبوعات العربية والعصرية وغيرهم . اما الصحافة المصرية فهذه ان يتمكن في ايامنا المعدودة من ابداء رأي فيها وفي رجالها الافذاذ . وكيف وقد صار لدى اخواننا المصريين جرائد ومجلات لا تقل قيمتها عن قيمة امثالها في الغرب وذلك بغزارة مادتها وتنوع حواشيها واخصاء كتابها بمختلف الموضوعات ووفرة النسخ التي تطبعها ، امثالها جريدة السياسة والسياسة الاسبوعية والبلاغ والبلاغ الاسبوعي والجهاد والفلاح والضياء والكوكب وغيرها وهي كثير . وصار يكتب فيها ادباء وكتاب ذاع صيتهم واستفاضت شهرتهم امثال العقاد والمازني وهيكمل وجوز وذيب ولطفي جمعة وعبدالرازق ومنصور فهمي وعنان وغيرهم . وقد كنت اتمنى ان اجتمع خاصة بالعقاد الشاعر الرقيق والاديب الكبير والوطني الصادق الوطنية فاذا ذكره بقوله :

ياتنديم الخلوات اقبل الليل فهاهنا

فاذا به في خلوة ما كان ليرقبها ولا ليتناها له احد في العالم العربي . واذا به سجين في قضية سياسية وكأني به في مجبسه يردد قوله :

يا به يادهز هات ماشيت وانظر عزيمات الرجال كيف تكون

ما تعسفت في بلائك الا هان بالصبر منه ما لا يهون

ولقد ذكرني سجنه بايائه البديعة في هذا الكون الاحق :

يا شمس ما ضررك لو لم تشرق ياروض ما ضررك لو لم تعبق :

يا قلب ما ضررك لو لم تتحقق بيان في هذا الوجود الاحق

من كان مخلوقا ومن لم يخلق :

وهل يجوز ان نعود الى الشام قبل ان تزور الجامعة المصرية ونشاهد ابنتها وحداثتها الجميلة في الجزيرة وهناك يلتقانا من اسيادتها المعلمان الشهيران احمد امين وعبدالوهاب عزام ويجمعاننا في اليوم الثاني برهط من الرجال الافاضل الذين تتألف منهم لجنة التأليف والترجمة

والنشر فاذا بكل منهم عالم أخضائي في فرع من العلوم واذا بهم ينسطون لنا على منصة كبيرة نحتو أربعين كتاباً عربياً ألفوها أو صححوها وطبعوها طبعاً غاية في الدقة والنفاة . وكيف نغادر القطر قبل ان نجتمع ببعض العلماء المصريين الذين تربطنا بهم رابطة العمل في موضوعات متقاربة والفضل في تعريفنا بهم يعود للصديقين الكريمين امين باشا المملوف والدكتور عبد الرحمن شهنيدر فقد مهدا لنا السبيل لرؤية العلامة المحقق الدكتور احمد عيسى صاحب معجم اسماء النبات وكتاب التهذيب في أصول التعريب وكتب ورسالات شتى في ابحاث طبية خاصة . والعالم المجتهد الذي يناقني من حين الى آخر وأناقره الدكتور محمد شرف صاحب معجم العلوم الطبية والطبيعية وهو أول معجم كبير في بابہ يستحق المؤلف علي ابرازہ للعالم العربي كل ثناء . والدكتور الأديب الاملح الاخلاق احمد زكي ابو شادي الذي نقرأ اشعاره وابجائه في ديوانه وفي المقطف والذي اجاد في ترجمة «العاصفة» خاصة وهو من غواة احد فنوننا الزراعية اي تربية النحل وله فيه كتاب ومجلة وله اليه دعوة ونداء . والشيخ الجليل العلامة احمد زكي باشا صاحب دار العروبة (وحق على كل عربي بدخل مصر ان يزورها) الذي له على اللغة العربية وآدابها اكرام يد بما جمع ورسوم من شئت مخطوطاتها وصحيح وطبع من ظلي دررها القديمة . وهو ما فتى منذ عشرات من السنين يناضل عنها وعن ابتائها بقلم العالم الناصح .

ومن اجتمعنا بهم المحامي القدير والقانوني الكبير محمد علي باشا وزير الاوقاف السابق الذي له على العالم العربي يد المدافع عن البراق مدافعة البطل الغيور وله الرأي الصائب في ايجاد معلمة (موسوعة) يتوفر عليها علماء الشرق العربي كافة . ومنهم الأديب المعروف السيد علي عبد الرازق صاحب كتاب «الاسلام وأصول الحكم» وهو الكتاب الذي ترك في العالم الاسلامي دويماً لأن صاحبه توخى فيه اثبات أن لا خلافة في الدين الاسلامي . ومنهم الأديب العراقي الكبير الشيخ كاظم الدجيلي وكذا الدكتور احمد قدرني قنصل العراق العام في مصر وكان رفيقنا في باريس ايام الدراسة وكنا نسميه قنصل العرب لما كان له من العطف على جميع التلامذة العرب . ومنهم طلعت باشا حرت مديرة بنك مصر ومؤسس نهضة مصر الاقتصادية وهو الرجل الكبير الذي قرن العلم الى العمل فأوجد للمصريين قوة كبيرة من المال المشترك كان الأجانب يمتصون ثروة البلاد بمثلهما . واذا شئت ان تعلم

مبلغ ثقة المصريين بهذا المصرف ويطله الذي صار يعد من رجال التاريخ الحاضر فسله عن مقدار الأمانات اي الودائع التي سلمه الأهليون اياها يثبتك انها كانت دون الثمانين من آلاف الجنيهات في السنة الأولى من تأسيس المصرف اما اليوم فانها بلغت تسعة ملايين من تلك الجنيهات وهو مبلغ كبير . وقد تمكن المصرف من تأسيس شركات وطنية مهمة لحلج الأقطان والغزل والنسيج والنقل والملاحة وصيد الأسماك والطباعة وغيرها وأسس فروعاً له في انحاء القطر المصري وفي بيروت ودمشق ، وبني داراً بديعة للتمثيل العربي في حديقة الأزبكية ، كما بنى لنفسه بناء في شارع عماد الدين جاء آية من آيات الفن . واذا شئت ان تعرف كيف توصف القصور وزخارفها فاقرأ وصف هذا البناء الرائع بقلم الاديب الكبير الشيخ عبد العزيز البشري في عدد ٦ حزيران « يونيو » سنة ١٩٢٧ من جريدة السياسة الغراء .

وحق علينا ونحن ما يرحنا منذ عشرين سنة نعالج الشؤون الزراعية والاقتصادية ان لا نعود الى دمشق قبل ان نزور المعرض الزراعي الصناعي الذي أقيم في السنة الحاضرة في أرض الجمعية الزراعية الملكية في الجزيرة وقبل ان نلقي نظرة على مدرسة الزراعة العليا في الجزيرة وعلى مؤسسات وزارة الزراعة المهمة . ولقد نمت لبوغ هذه الغاية معالي وزير الزراعة حافظ حسن باشا فاذا استقبله لي يدل علي وفرة أدبه وشدة عطفه واذا به ممن زاروا الشام في الأيام الخالية ، ومن النادر ان يزورها مصري كريم دون ان تترك في نفسه اثراً جميلاً .

وتقدم الوزير المشار اليه الى السيد حلمي احمد مفتشي الوزارة بان يكون دليلنا خير مكره فكان مثلاً للرجل الوديع من جهة والمهندس الزراعي الخبير بيلاده من جهة ثانية فاما المعرض الزراعي الصناعي فتسجلت فيه جهود المصريين بحكومة وشعباً في سبيل الانتاج الزراعي والصناعي فكان اجمل صورة لذلك الشعب الشيخ الفتي والنائم المستيقظ فهناك اجود مجموعة للأقطان في دار الجمعية الملكية الزراعية ، وهناك مصنوعات ادارة السجون من مفروشات ومناشف ومنسوجات حريرية وصابون وسجاد واحذية وكراسي وماسح الخ. كلها متقنة الصنع ، ومصنوعات المدارس الصناعية في انحاء القطر من نسج حريرية وآلات زراعية وأثاث ورياش ، ومنتجات المدارس الزراعية ومفروشات أقسام وزارة



الزراعة كقسم الحشرات وقسم النباتات وقسم الأقطان وقسم البساتين وغيرها . وهناك اجود محاصيل القطر الزراعية على انواعها من حبوب وفواكه وخضر ونباتات صناعية وهناك ايضا مصنوعات الشركات التي أسسها بنك مصر والغرف المختصة بمديرية الصحة والاسعاف وهي جديرة بأن تسمى مدرسة لحفظ الصحة . واذا اضفنا الى ذلك معروضات معامل الجلود والتبغ والصناعات الصغيرة المختلفة نكون قد ارجزنا في كلمتين ما احتجنا في زيارته الى اربعة ايام وما نحتاج في درسه الى شهر على الأقل وليس الخبر كالمعاينة .

ومما لا شك فيه ان اخواننا المصريين لم يلحقوا الشاميين بالصناعات الوطنية الحديثة وليس لسيهم اليوم امثال ما لدينا من معامل الدباغة والجوخ و « الكريب » وضائر النسيج الحريرية و « التريكو » والجوارب وقمصان الكتان وسراويله وانواع الحلويات وعود الكبريت والسمنت وغيرها مما لا أثر فيه لرؤوس المال الأجنبية لكنه ليس ثمة ما يمنهم من اللحاق بنا ومن تخطينا بمراحل . ولا شك ان السباق في هذا المضمار سيكون بنك مصر بمعامله . ومن البديهي ان مصر كالشام لا يمكن ان يكون فيها صناعات كبيرة خلوها من الفحم الحجري والحديد لكن في وضعها ان تسج كل ما يلزم لسكانها من الألبسة القديمة والحديثة وان تصنع كل ما قلنا انه يصنع اليوم في الشام فنستغني عن دفع ملايين من الجنيهات سنويا الى البلاد الأجنبية .

وأما مدرسة الجيزة الزراعية العليا فهي لا تقل بمخايرها ومعداتنا ووسائل التعليم فيها عما خبرناه في المدارس الأوربية الشبيهة بها . ومن بواعث السرور ان جميع الدروس تلقى فيها باللغة العربية دون غيرها . وكذا في مدارس الزراعة المتوسطة الواقعة في مشهر والميناء ومنهور وفي مدارس التجهيز كافة . وقد اخذت العربية محل عمل الانكليزية والفرنسية في سائر المدارس العليا كالطب والحقوق والهندسة وغيرها .

\*\*\*

وبعد هذه صورة جد صغيرة لما شاهدته في رحلتي القصيرة الى القاهرة . ونحن اذا رحنا لنلخصها في بضعة اسطر حصلنا على النتيجة الآتية وهي ان تلك المدينة الرائعة اصبحت اليوم رأس مدن الشرق العربي بعمرائها وبروعة آثارها الشرقية وان فيها نهضة علمية تجملى في جماعة الجمع المصري للثقافة العلمية وفي عديد من الأخصائيين بمختلف العلوم ، ونهضة



أدبية واسعة النطاق تسطع في جماعة دار الكتب المصرية ورجال لجنة التأليف والترجمة ونوابغ الشعراء وفحول الأدباء من أساتذة ومؤلفين ، ونهضة وطنية وسياسية لم تتعرض لها ولكنكم تلمسونها كل يوم فيما تقرأونه في الصحف المصرية ، ونهضة صحافية كبيرة لأعهد لمصر يمثلها من قبل وهي قائمة بجهود عدد لا يستهان به من حملة الأقلام المصريين والشاميين ، ونهضة مالية واقتصادية لها في حياة القطر المصري الشأن الأكبر ومبعثها بنك مصر خاصة .  
 فاذا أضفتم الى ذلك ان القاهرة عاصمة بلاد غنية يبلغ عدد سكانها ٥ مليوناً من الناطقين بالضاد أدركتم الأسباب التي تجعل مصر زعيمة الشرق العربي بلا منازع .

مصطفى الشهابي



## اثنا عشر كوكبا

- ٢ -

( الحالة السياسية في زمن الباعونية )

قبل ان نصف أسفار الباعونية الى مصر ثم الى حلب ثم موتها نذكر مجملًا من الحالة السياسية في بلاد الشام ومصر إذ ربما كان لسفرائها علاقة بهذه الحال كما يأتي :

كان المملك سيخ مصر والشام ( لصالح الدين ) الايوي واولاده واولاد اخيه الملك ( العادل ) الذي نحن الآن في مدرسته ( العادلية ) ونلقى هذه المحاضرة بجانب خمر يجه . وتسمى دولتهم ( الدولة الايوية ) . ثم قام بالمملك بعدهم بماليكم الشراكسة واشهرهم الملك ( الظاهر بيبرس ) المدفون في المدرسة الظاهرية امام العادلية حيث دار الكتب العربية . ومنهم الملك ( المنصور قلاوون ) وابنه ( الاشرف خليل ) و ( الظاهر برقوق ) الذي بني جسر الشريعة .

ومنهم الملك ( قانصوه الغوري ) وهو آخرهم . وقد استقام الملك سيخ بني ايوب وماليكمهم الشراكسة نحو اربعة قرون : القرن السادس للهجرة والسابع والثامن والتاسع ولم يستهل القرن العاشر حتى كانت دولتهم قد هزمت وتطرق اليها الخلل والفساد وعلى العكس الدولة التركية العثمانية التي كانت تتكون يومئذ في بلاد الاناضول وتشتد وتتسع رقعة مملكتها بالتدريج .

وكان السلطان سليم العثماني معاصراً لآخر ملوك الجراكسة ( قانصوه الغوري ) . وفي زمن هذين السلطانين كانت عائشة الباعونية حية وقدملاً ذكر علمها ونضالها بمصر والشام . حارب السلطان سليم ملك العجم ( اسماعيل شاه ) وكاد يتغلب عليه ويستولي على بلاده لولا ان ( قانصوه الغوري ) سلطان مصر كان يساعد ملك العجم ويمده مراً . فثعر

م : ٦

السلطان سليم بذلك وعلم أن الاستيلاء على بلاد العجم لا يتيسر له ما لم يستول على مملكة (قانسوه الغوري) التي تعترض طريقه الى بلاد العجم فرجع الى الاستانة وجيز جيشاً عرمرماً زحف به على بلاد الشام حيث يترصده عدوه الألد قانسوه الغوري وجرت بينهما معركة (مرج دابق) بقرب حلب فوقع قانسوه الغوري تحت سبابك الخيل قتيلاً . وتمزقت عساكره شذر مذر واستولى السلطان سليم على بلاد الشام ومصر من يومئذ . وذلك سنة (٩٢٢) وهي السنة التي ماتت فيها عائشة الباعونية .

### ( أسفار الباعونية ووفاتها )

« وهل لوفاتها علاقة بالحالة السياسية المذكورة »

مر معنا ان ( الباعونية ) ارسلها أهلها في صباحها الى مصر والشام لطلب العلم فنبت هناك . وهذه اول سفرة من سفراتها وبعدها عادت فاستقرت في وطنها دمشق الشام . وفي سنة (٩١٩) ( اي قبل وفاتها بثلاث سنين ) سافرت الى القاهرة . وفي الطريق أصيبت بمؤلفاتها وقصائدها التي كانت تحملها معها . ولا نعلم كيف أصيبت بها : فاما ان يكون أصابها مطر أتلفها . أو أغارت على القافلة عصابة من اللصوص فكانت كتب الباعونية في جملة ما نهبوا وسلبوا . لكن لما ذا سافرت الباعونية الى مصر في وقت تكاد تشب نار الحرب بين السلطان سليم وبين قانسوه الغوري ؟ ؟ يفهم من كلام المؤرخ ( الغزي ) انها ذهبت الى مصر « لتضاء مأرب لها يتعلق بولدها » . وما هو هذا المأرب ياترى ؟ ؟

ليس امامنا سوى طريق التكهن في معرفة هذا المأرب : فاما أن ولدها كان تاجراً وله مشاكل مع عملائه في مصر فذهبت معه اليها لتساعده بجهاها عند ولاية الأمور . أو هو موظف في الحكومة وقد نسبوا اليه قصوراً أو تقصيراً فذهبت به لتثبت أهليته . أو تبرأ ساحتها . وما بذرنا ان يكون ابنها قد كلف الخدمة العسكرية فذهبت الي (قانسوه الغوري) ملك مصر تطلب منه ان يعفي ابن الشحنة من هذه الخدمة الشاقة التي لا يحسنها وقد يتعرض الى الهلاك بسببها وهي في حاجة اليه بخدمها . ويكفيها مؤونة العمل خارج بيتها ؟ كل ذلك مما يدخل تحت الامكان .

وكان مصاحباً لها في سفرها الي مصر ( ابو الثناء محمود الحلبي رئيس ديوان الانشاء

في الحكومة المصرية ) فلما وصلوا جميعاً الى القاهرة أنزلها ابو التناء في داره . واكرمها  
واكرم ولدها . وكانت هي من قيل مدحته بقصيدة مطلعها :

( روى البحر اخبار العطا عن ندا كمو ونشر الصبا عن مستطاب ثنا كمو )  
ثم انت ( ابا التناء ) قدمها الى شيخ الادب والادباء في الديار المصرية وهو ( السيد  
الشريف عبدالرحيم العباسي ) وعرفه بها فأعجب بها السيد المذكور وبعث اليها بقصيدة  
من بديع نظمه فاجابته بقصيدة مطلعها :

( واقت تترجم غن خبر هو البحر بديعة زانها مع حسنها اخفر )

ثم ارسل اليها ابو التناء قصيدة أخرى قال في مطلعها :

( ليهنك مجد بطارف وتليد يعضك آباء به وجتدود )

الى ان يقول مخاطباً لها :

( فياروضة العلم التي بان فضلها وليس من الفضل السري مديد )

( فمشور ما تبديه قد ضاع نشره ومنظومه فوق النخور عقود )

( وورق المعاني فوق دوح يانها له يديع السجع فيه نشيد )

( اذا ماتنقى مطرباً عندليبها تميل قلوب لذة وتميد )

فاجابته الباعونية تقول :

( تساميت مرمى للحاق بعيد وحسبك ما ابدعت فهو شهيد )

( حصلت على الغايات مجداً وسوداً وفضلاً مينا ليس فيه جمود )

( وأصبحت في روض العلوم مفككها تجول وتجنّي ما تشا وتفيد )

( وكم بوجيز اللفظ أشرعت منهالاً يطيب به للظالمين ورود )

( موارد آداب صفا سلسيلها وحام عليها مهتد ورشيد )

ثم رجعت الباعونية من مصر الى دمشق الشام وبقيت الى سنة ( ٩٢٢ ) .

في هذه السنة نشبت معركة ( مرج دابق ) بين السلطان سليم وقاتلوه الغوري كما

ذكرنا وقد سافرت الباعونية الى حلب في تلك السنة .

قال المؤرخ ( ابن الخبلي ) : « جاءت الباعونية الى حلب سنة ( ٩٢٢ ) وكان في حلب

يومئذ ( السلطان الغوري ) وكان لها عنده مصلحة تريد قضاءها . فاجتمع بها من وراء حجاب



كل من (البدرالسيوفي) وتليذه (الشمس السفيري) وغيرهما . ثم عادت الى دمشق وتوفيت في السنة المذكورة . انتهى مقاله المؤرخ ابن الحنبلي . ولم نجد طريقا الى حل الطلاسم عن سفرتها الى حلب في هذا الوقت العصيب سوى طريق التكهن ايضا فنقول : اجتمعت الباعونية وهي في حلب مع (البدرالسيوفي) وغيره من الأعيان وكأنها كادت في المصلحة التي نال عنها ابن الحنبلي : إنها انما جاءت الى حلب من أجل قضائها . وما هي هذه المصلحة يا ترى في وقت ينتظر فيه السلطان الغوري قدوم عدوه السلطان سليم ؟ ثم جاء سليم وحارب الغوري وقتله كما مر ؟ ربما كانت مصلحة الباعونية في هذه السفارة الى حلب تتعلق بولدها ايضا ؟ ؟

لعل الآباء والأمهات كانوا في ذلك الوقت — وقت اشتباك الحرب في وجل شديد على اولادهم . وفلذات اكبادهم . كما خافوا عليهم في عصرنا الحاضر أي منذ بضع سنين حينما كانت الحرب ناشبة بين الترك ودول الحلفاء . وكان جمال باشا يمسك الثبان فيجندهم بالقهر . فكم آباء وأمهات ماتوا حسرة على اولادهم بهذا السبب . فهل يا ترى وقع شيء من هذا القيل للباعونية ؟ فإن المؤرخ (الغزي) قال انها رجعت من حلب الى دمشق وتوفيت وذلك في تنبر السنة التي قُبل فيها الغوري في مرج دابق . أعني سنة (٩٢٢) . هكذا قالوا عن وفاة الباعونية لكنهم لم يذكرنا سنة ولادتها . لنعلم كم عاشت من العمر .

### ( ابن قبر الباعونية )

ماتت الباعونية في بلدها دمشق . وذلك منذ اربعمائة سنة : فاين قبرها يا ترى . الفصل ربيع . والهواء عليل . والبرية برآة . وجداول الماء خراقة . والأشجار مزينة بالأزهار . والأغصان ترتص على غناء الأطيوار . ونزهة الصباح تنفي عن النفس الهموم والأكدار . نذهب الى النزهة في ضواحي دمشق ميممين الجسر الأبيض ومن هناك نسلك طريق الشيخ محيي الدين الجديد مشيا على الأقدام : نصل الى نصف الطريق . نجد على يميننا زقاقا الى البساتين . نسلك هذا الزقاق ويسمى (زقاق طاحونة الأحمر) . نمر بالطاحونة المذكورة عن يميننا . ثم بساقية ماء عن شمالنا . ثم نقف أمام باب بستان . فيقال لنا أنت اسمه ( بستان الباعونية ) واصحابه بيت الشلبي . فتخطر بيا لنا للحال شيختنا

(الباعونية) التي قرأنا تاريخها وسمعنا أخبارها فنقول في أنفسنا : ياترى هل سمي هذا البستان بستان ( الباعونية ) نسبة الى شيخنا المذكورة ؟ ؟

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان فنصل الى عمارة قديمة كالمدرسة الصغيرة مبنية بالحجر المنحوت وطول واجهتها نحو ١٢ ذراعاً ولها ثلاث نوافذ مسدودة بالحجر . وقد كتبت على واجهتها بحروف خط واضح جميل هذه العبارة ؟

(هذا مقام حضرة السيدة الباعونية رضي الله عنها) . فلا يبقى عندنا شك أن في هذا البناء قبر ( شيخنا الباعونية ) إذ أئمة باعونية غيرها لها مثل شهرتها في دمشق .

ثم نمشي قليلاً حذاء سياج البستان المتصل بالمدرسة فنجد في أسفل البك حجارة منحوتة وآثار بناء . وطول هذا السياج نحو اربعين ذراعاً ولا تزال نمشي حتى نصل الى طرفه أو زاويته . فنجد أثراً بلغت النظر ويستدعي الانتباه هذا الأثر هو بقية عصابة كعصابة البوابة الكبيرة مركبة من ثلاثة أحجار ضخمة وهي في ضخامتها ولونها تشبه أحجار هذه المدرسة العادلية . فمن يراها يقل أنها بقية بوابة بناء كان مشيداً هناك بجانب قبر الباعونية . شيء آخر أم : قد طُرح على الأرض بجانب العصابة حجر آخر كبير طوله ذراعان وعرضه ذراع عليه كتابة بحروف نائرة منحوتة في الحجر . وهي واضحة تمام الوضوح . ومقروءة كلها سوى بعض كلمات . ويظهر من تقص الكلام أن الحجر كان طويلاً فكسر من جهة رأسه نحو ثلثه وبقي ثلثاه . والكتابة التي على طول الحجر تتركب من خمسة أسطر يقرأ الباقي منها بعد انكسار الحجر هكذا :

- السطر (١) ..... رحمه ربه القدير نسل الدولة كافر الحسامي .
  - السطر (٢) ..... خانكاه على طائفة من الصوفية المجردين باسم مسكنهم .
  - السطر (٣) ..... المسلمين ومنه جميع المزرعة والكرم الذين بأرض .
  - السطر (٤) ..... فمن بدله بعد ما سمعه . فانما إثمة على الذين يبدلونه .
  - السطر (٥) ..... من شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة .
- وخلاصة ما يفهم من هذه الكتابة أن كافر الحسامي بنى خانكاه (اي زاوية) باسم الصوفية لتكون مسكناً لهم وأنه وقف عليها مزرعة وكرماً وذلك في شهر رجب سنة ٩٢٣ اي بعد وفاة عائشة الباعونية بسنة واحدة .

ولكن لا يوجد في هذه الكتابة ذكر لعائشة الباعونية . وانما تاريخها موافق فقط لتاريخ وفاة الباعونية . فلعل احد اهل الخبر شيد هذه الزاوية على قبرها وأسكنها الصوفية يقرأون القرآن ويذكرون الله ويهدون ثواب ذلك اليها .

وينبأ نحن واقفون هناك نسائل الديار . ونستنطق الأحجار . اذا جماعة من اهل الجوار الساكنين في تلك الحلة احدثوا بنسا نساء ورجالا وكان بينهم امرأة ذات إزار ونقاب فقالت لنا ان البستان المدفونة فيه (الباعونية) ملك بيت الشلي وان امها هي من بيت الشلي وقد عاشت امها نحو سبعين سنة . قالت وقد أخبرتني أمي انه كان يوجد في هذا البناء المشيد بجانب قبر الباعونية فرن وقف يخبزون فيه صفيحة وشعبيات ويفرقونها على المارين من الفقراء والمساكين بجانب من دون ثمن ثم أخبرنا بعض الرجال المسنين مؤكدا قول المرأة الشلية وقال انه سمع خبر الصفيحة من رجل مسن وهو سمعه من رجل مسن آخر رأى الفرن بعيني رأسه .

ولعل في هذا الخبر ، باللغة وأن القرن انما كان يخبز الصفيحة والشعبيات في بعض أيام السنة ( كأيام رمضان والمولد النبوي ) لا في كل يوم من أيام السنة . وبعد أن نشاهد القبر من واجهته البرانية نتوق أن ننظر اليه والى حالته الجوانية . فيقال لنا ان الدخول اليه يكون من باب بستان الشلي . فترجع الى البستان وتدخل اليه من بابه ثم تمشي فيه بين زريعة البصل والفول والبق حتى تبلغ البناء الذي فيه القبر . فتزل اليه نزولا لأن ارض البستان أعلا من أرضه . فتري في وسط المكان قبرا متناسبا الشكل وهو من الحجر النحيت . وعلى طول القبر شجر واحد بشكل جمالون<sup>(١)</sup> واحجار القبر متزعزعة متخلخلة ولولا ان هذا الجمالون الضخم قد أمسكها وحفظها والا كانت سرقت كما سرقت الأحجار الأخرى . وليس على القبر ولا في الجدران كتابة أو نقوش وليس للبناء سقف . ويظهر انه كان له سقف بدليل وجود تنطرتين من حجر كانتا تحملان السقف وما زالتا قائمتين الى اليوم . ويزعم بعض بيت الشلي أن اجداده بنوا السقف المرة بعد المرة لكنهم كانوا كلما بنوه يصيحون فيمدونه قد تهدم وتفرقت احجاره . يعني بالعجوبة

(١) الجمالون في اصطلاح الناس شجر مستطيل محدب على شكل سننم الجمل ولعله من هذا سمي جمالون أو جمالون .

سماوية • وتزور القبر معنا سيدة أفرنسية<sup>(١)</sup> فذ ترسى أنه لا ستف فوق قبر الباعونية وتسمع من ابن الشلي أن اجداده كلما بنوه طار • وتعت منه الآثار تسمع ذلك فتقول مازحة : يظهر إن السيدة الباعونية لا تريد أن يسترها عن ربها رستار • ولا يحول بينها وبين السماء سقف ولا أحجار •

هذا هو قبر (الباعونية) : نراه فلا نملك نفوسنا من رهبة الموت • وجلال الذكرى • نذكر المرأة التي اذا عد العلماء المؤلفون كانت واحداً منهم • واذا عد الشعراء المتأدبون كانت في طليعتهم • واذا ذكرنا زهاد المتسكون كانت لها المنزلة العظمى بينهم • ان كانت الباعونية ماتت فان ذكرها لم يمت • وان غاب عنا جسمها • فلم يغيب عنا فضائها وعليها •

ان كانت الشجرة يبست وتحطمت وأضجت تراباً فإني أثمار الشجرة مازالت غضة طرية بعد مرور أربع مائة سنة عليها • وكما امرأة من النساء ذات جوار وعظمة ومال وجمال ماتت ونسي ذكرها اما الباعونية فانها ما زالت حية الى اليوم بفضلها • وثمرات عقلها • اذكرن أيتها السيدات (عائشة الباعونية) • وزرن قبرها • وقصوا على بناتكن أخبارها • وروين عن أشعارها • ثم لعلكن تأخذكن الغيرة عليها فترمن مزارها • وتحفظن من السرقة أحجارها •

ولعمري أيتها السيدات ! إن (الباعونية) تستحق منكن أكثر من هذه العناية : لأنها رفعت قدركن في الحياة • فأحيوا ذكرها ولا تضيعوا كرامتها بعد المات<sup>(٢)</sup> •

المغربي



(١) هي مادام (سليم هري) الكاتبة القاصية المشهورة وقد أقامت في سورية وفلسطين وحوران أياماً ولها كتابات وروايات قصصية عن أهل هذه البلاد •

(٢) بلغني أن طائفة من السيدات خرجن من ردهة المحاضرة وذهبن توارى الى قبر عائشة الباعونية لزيارتها وإهداء الفواتح الى روحها •



## رحلة اوليا جلبي

« في البلاد العربية »

- ٧ -

ويجدر بنا بعد اجتياز حماة ان نصف ما في براريها الشرقية من الأماكن القديمة فنخص بالذكر منها سلمية وتصر ابن وردان وخربة الأندرين .  
فسلمية قرية كبيرة او بليدة في شرقي حماة الى الجنوب بينها طريق غير معبدة بعد طولها ١٢ كيلومتراً ويسير تاصدها بعد ان يخرج من حاضر حماة في نجد فيه تلال متموجة وأودية احدها يدعى العميق تنحدر مياهها في الشتاء نحو العاصي وليس بينها ذوبنايع واشجار الملية سوى وادي عين القصارين ووادي الكافات . والسائر يرى على يمينه في غربي العاصي جبل تقسيس « علوه ٦٨٥ متراً » وفي سفحه في منخفض العاصي تنبت في قرى الباجية وسريحين وجنان والجرنية وتقسيس وبينها أزوار تروى بالتواعير . ويرى على يساره سلسلة أكام وهضاب من اعضاد جبل العلا بينها وبين الطريق من الضياع الصغيرة التي يملكها سراة حماة ام جرن وصماخ ومباركات وغيرها . وتربة هذه الأرضين تميل الى الاصفرار والبياض كما ذهبت مشرقاً . ومن غريب امر أكام جبل العلا المؤلف من الحرات السوداء ، الموحشة لتجردها عن الاشجار والأشجار بل كل اخضرار - أن امتدت في بعض منحدراتها وسفوحها الوعرة سلاسل من الأحجار من صنع الأتدمين مما يحمل على الذان بأنهم كانوا يملأون اجوافها بالفراس والكروم . ترى ، هل ضاقت هذه السهول الشاسعة في القرون الخالية بسكانها حتى اضطروا للتعلق بأذيال الجبال وكيف كان يتم لهم ذلك وهذه البقاع النقيرة بالامطار لا سبيل لنمو الغراس والكروم الاعضاء فيها ؟ هذا

وبعد ان يجتاز السائر قرية الكافات يشاهد عن بعد قلعة شيميس تطل من وراء الأسكاف المحيطة بها ثم بقربة تل الدرة واهل ماتين القريتين اسماعيلية ويفعة طواحين في جنوبها مرج القريم وبعين ماء كبيرة تدعى عين الزرقاء الى ان يدخل في سهل افصح متراحي الأطراف جئت فيه سلمية .

وسلمية قاعد: قضاء من اعمال لواء حماة يطلها زهاء ثمانية آلاف من الاسماعيلية بينهم عدد ضئيل من الغرباء السنين هم موظفون أوباعة . وفي قضائها اربع نواح : معر شحور وكاسون وعقيربات وسلمية ، يتبع كلاً منها قرى وضياح عديدة تمتد شرقاً الى ضفوح جبل البلعاس حيث ينتهي العمران وشمالاً الى ما بعد محطة كوكب على مسكة حديد حماة — حلب ، يقطن أكثرها الاسماعيلية والنصيرية واقلها البدو والشر كس . وهواء سلمية جاف جيد وتشتد فعل الرياح الغربية فيها لوقوعها في السهل فتثير العجاج وتحول دون نمو اثمار الاشجار ويستخرج ماثودا من الآبار وهو قريب الفور ووسط في عذوجه وقد يصل البرد في الشتاء الى درجة الصفر كما ان حر الصيف قد يبلغ الأربعين علي ان جفاف الهواء يخفف وطأتها فلا يشعر بها كما في حماة وكية الأمطار السنوية قليلة لا تنيف عن الاربعائة ميليمتر في معظم السنين . ولذا لا تخب تربتها الرملية الكلسية الصفراء الا اذا جادها الغيث بكثرة ولا تنمو الزروع الصيفية وكذا الحبوب في مستهل حياتها الا اذا رويت . وقد اشتهرت سلمية بسعة كرومها وبساتينها وارضها الاعداء واجل غلالها التي تصدرها الى باندري حصص وحماة علي السواء الحنطة والشعير والقرح والبصل وصنف من العنب يدعى البياضي يتأخر نضجه حتى انتهاء الخريف . وقد تمت في السنين الأخيرة زراعة القطن المصري والاميركي واتسمت . وهي تصدر عدداً غير يسير من اطابت الخيول العربية . ويرجع الفضل في عمران سلمية الى القنى القديمة البيزنطية والعربية الممتدة فيها وفي ضواحيها كخيوط الشباك مما لا نظير له في بلاد الشام الا قليلاً في افضية منبج ودوما والقطيقة . وهذه القنى من الجوانب الشاهدة بمقدرة الأقدمين في تقرر العنبر الصلد ورسوخهم في علم استنباط المياه وجرها . يجتفر اهل سلمية هذه القنى وقد يزعموا في تتبع آثارها ونفخ أسرارها وآبارها وبسبلونها . وبوشك اذا دامت هذه العناية ان تصبح كورة سلمية غوطة مصفرة وبعود

اليها مجدها الغايز الذي ذكره جغرافيو العرب ونعتوه بكثرة المياه والشجر ووفرة الخصب والرخاء .

قال اليعقوبي من رجال القرن الثالث في كتاب البلدان : وسلمية وهي مدينة في البرية وكان عبد الله بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابتناها وأجرى اليها أنهرأ واستنبت أرضها حتى زرع فيها الزعفران وأهلها من ولد عبد الله بن صالح الهاشمي ومواليهم وأخلط من الناس تجار وزراعين . وقال ياقوت : سلمية بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة بينهما مسيرة يومين (كذا) وكانت تعد من أعمال حمص اتخذها صالح بن علي بن عبد الله بن عباس منزلاً وبني هو وولده فيها الأبنية ونزلوها وبها الخارب السبعة (!) يقال تحتها قبور التابعين وفي طريقها إلى حمص قبر النعمان بن بشير وينسب اليها بعض أهل العلم . وكان ينجي من ابن الفداء : وسلمية كانت على مقربة من غاصته — ان يصفها بتفصيل ولكنه رحمه الله اكتفى بقوله : سلمية من أعمال حمص ، بلدة نزهة ومناهاها قنى ولها بساتين كثيرة ، قال ابن حوقل وسلمية الغالب على سكانها بنو هاشم وهي على طرف البادية خصبة ، قال في العزيري ومدينة سلمية على ضفة البرية كثيرة المياه والشجر رحية خصبة اه .

واسم سلمية قديماً ( Salamias ) — وان لم نعثر على تاريخها في العصور القديمة — الا انها كانت ولاسيما في عهد الروم البيزنطيين عامرةً بدليل العثور على كثير من الآثار والعاديات فيها وضواحيها بنبتها الاهلوت من المباني والمدافن القديمة ويبيعونيا من غواتها باثمان جيدة . وتاريخها في عهد المسلمين غامض لم يذكره المؤرخون الا الفينة بعد الفينة وعرضاً . والمفهوم من أقوال الجغرافيين التي نقلناها ان سلمية خربت عقيب الفتح الاسلامي لوقوعها في طرف البادية والا فما معنى قولهم « ابتناها عبد الله بن صالح وأجرى اليها أنهرأ » وقولهم « وبني هو وولده فيها الأبنية ونزلوها » وما معنى وجود كثير من الأحجار والانتقاض البيزنطية في تضاعيف مبانيها العربية القديمة . واذا حسبنا ان هذه هي المرة الاولى التي خربت وعمرت فيها سلمية يثبت معنا ان عمرائها هذا دام وازدهر خلال ثلاثة قرون في عهد سكانها بني عبد الله بن صالح الهاشمي الذين ذكرهم الجغرافيون . واول

ماورد اسمها في التواريخ كان في حديث المعركة التي نشبت في مرج الأخرم الذي صار اسمه في يومنا مرج القريم غربي سلية بين عبد الله بن علي العباسي اول قائد وعامل عباسي في الشام وزباد بن عبد الله الأموي قائد جيش قنسرين الذي انتقض على العباسيين وكانت الدائرة على زياد فثبتت أقدام العباسيين وقضى على آمال الأمويين في الشام . ويظهر ان بني هاشم الذين أخفقوا مراراً في الوصول الى كرسي الخلافة في عهد الأمويين ثم العباسيين ظلوا في موطنهم سلية يحاولون ويثثون دعايتهم السياسية . وكان أخصهم في ذلك محمد الحبيب بن جعفر الصادق بن محمد المكتوم بن اسماعيل . واسماعيل هذا هو الذي تعتقد الاسماعيلية ان الامامة انتقلت اليه من أبيه جعفر الصادق بن محمد الباقر بن زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب . وكان محمد الحبيب يرسل من سلية الدعاة والمبشرين لمبداه . وقد امتعان اذذاك بعبد الله بن ميمون القداح وكان هذا من بقايا مجوس الفرس الساعين لهدم كيان العرب والاسلام تحت ستار الدعوة الاسماعيلية يشتغل بها في اصفهان والأهواز والبصرة فوافى سلية مليكاً طلب محمد الحبيب وأقام فيها الى مماته مشتغلاً بالدعوة وذلك في منتصف القرن الثالث . ويظهر ان القداح جر وراءه جمعا من هؤلاء الدعاة فصارت سلية من ذلك الحين مركزاً لهم ولشيعتهم . منهم ابو عبد الله الشهير بالشيعي نشأ في سلية وذهب الى المغرب ووفق الى ازالة دولة الأغابة ثم لحقه عبيد الله محمد وكان ممن نشأ في سلية ايضاً تلقب بالمهدي وادعى انه من نسل فاطمة وتوصل الى تأسيس الدولة الفاطمية التي انتقلت بعد حين الى مصر ونازعت العباسيين الخلافة . وفي سنة ٢٩٠ جاء القرامطة ويظهر انهم كانوا حاققين على بني هاشم يتقصدون استئصالهم ففتكوا بهم وباهل سلية كما فتكوا في حماة والمرة . قال ابن الأثير في حوادث هذه السنة : ثم سار القرمطي الى سلية فمنعه أهلها ثم صالحهم وأعطاهم الأمان ففتحوا له بابها فبدأ فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم أجمعين ثم قتل البهاثم والصبيان بالمكاتب ثم خرج عنها وليس بها عين نظرف وسار فيها حولها من القرى يسي ويقتل ويخيف السبل اه . ولم يذكر ابن الاثير ان كان القرمطي خرب سلية أم اكتفى بتقتيل سكانها وإخلائها ولم يذكر معنى وكيف عاد العمران والسكان . وهل كانت حينئذ ما سيف الدولة بن حمدان في سبة



٣٤٤ أهلة أم خالية . فقي تلك السنة جرت في المروج الممتدة شمالي سلمية بين سيف الدولة وأعراب البادية من بني عامر بن صعصعة وقتيل وقشير والجهلان وقد كانوا ثاروا عليه فلحقهم الى تلك المروج وقتك بهم فامتدحه المتنبى بقيدة جاء فيها :

فاقبلها المروج مسومات ضواصر لا منزل ولا ثيار

تثير على سلمية مسبطراً تناكر تحتها دون الشعار

وسكنت التواريخ عن بيان شيعة السكان الذين عمروا سلمية للمرة الثانية بعد حادثة القرامطة . كانوا من الاسماعيلية أم من غيرهم . لأنه لم يرد لم ذكر مع ساكني قلاع الدعوة اتباع راشد الدين سنان وخلفائه الذين كانوا يجندون الفدائيين لاغتيال ملوك المسلمين وأمرائهم . وعادت التواريخ لذكرها في عهد الأيوبيين أبناء صلاح الدين . قيل ان الملك المعظم عيسى صاحب دمشق جاء في سنة ٦١٩ فحاصر ابن اخته الملك الناصر قليج أنزسلان صاحب حماه لاخلاف هذا بوعده في دفع مال مشروط عليه فنهبت جنوده اذ ذاك سلمية لانهما من توابع حماه . ولما جاء الملك الكامل صاحب مصر في سنة ٦٢٦ ليخلع الملك الناصر ويجلس مكانه أخاه الملك المظفر حاصر حماه بعث بجيش سلم قيادته الى الملك الجاهد أسد الدين شيركوه النسيبي سيرد ذكره في بحث حمص . ولما تم له ما أراد انتزع سلمية من المظفر وسلمها الى شيركوه فانسخت سلمية من ذلك الحين عن حماه وظلت علة الشنء بين أبناء الاعمام ملوك حمص وحماه لاسبيا بعد أن عمر شيركوه في سنة ٦٢٧ قلعة شيميس وقطع ماء القنطرة التي كانت تجري من سلمية الى بسامين حماه . ولما جاء التتار بقيادة هولاكو في سنة ٦٥٨ وغازان في سنة ٦٩٩ نالوا من سلمية كغيرها من مدن الشام فانحط شأنها لكنها لم تخرب على ما يظهر بالكلية ويهجرها أهلها للمرة الثالثة الا في منتصف القرن الثامن في عهد المماليك حينما اختلت ادارتهم وازدادت قنن أعراب البادية ووثب بعضهم على بعض . قال في خطط الشام في حوادث سنة ٧٤٨ : « وفي هذه السنة اقتتل سيف الدين ابن فضل أمير العرب وأتباعه مع أحمد فياض من الأمراء في جمع عظيم قرب سلمية فانكسر سيف ونهبت أمواله وكانت هذه الحروب ضربة قاضية على بادية حماه فطفق البدو ينهبون القرى ويغيرون على جماع والمرة فخر للفلاحون ودرست القرى اه .

وظل هذا الخراب مستمراً خمسة قرون يضرب البدء في ارجائها ويرعون انعامهم بين اطلالها لقاء اناوات يؤدونها للحكومة العثمانية التي عدت سلمية وما حولها لمواءمته كحماء وحمص بابالة طرابلس الشام وما هو بلواء حقيقي . قال كاتب چلي في جغرافيته «جهان تما» المطبوعة في الامستانه في سنة ١١٤٢ : ولواء سلمية هو في ايامنا في خوزة امراء عشيرة الموالي يأخذونه من آل عثمان اه . وظل اسماعيلية الجبال الغربية في تلك القرون يبرنون نحو الشرق في لهفة وحسرة ويتربصون الفرصة ليعودوا ويمروا سلمية احياء لمنشأ شيعتهم وتوسعاً في الأرضين وتخلصاً من مثل المذبحة التي ذاقوها من النصيرية في مصيف في سنة ١٨٠٧ م علي ما ذكره بروكهازت سائج تلك الايام . ولما استتب الأمن والنظام في الجبله في العقد الأخير من القرن الماضي جاء فقر عنهم الى سلمية قبيل سنة ١٢٨٠ او عقبيها واعتصموا بادي ذي بدء في الحصن الذي هدم وبني مكانه دار للحكومة وشرعوا يزرعون حوله ويدراون عن انفسهم عيش البادية ومازالوا يزدادون بانسلال ابناء جلدتهم من جهات مصيف والقدموس والخوابي وعكار ويمتدين الى الشرق يعمرون القرى الخربة حتى كثر عددهم . ولما استقر امرهم جعلت الحكومة سلمية في غرة قرننا الحالي قاعدة ناحية دغتها ( مجيد آباد ) ثم جعلتها بعد حين قاعدة قضاء دعي باسمها واتبعته بلواء حماه . وقد زاد عدد الاسماعيلية في السنين الأخيرة في سلمية وغيرها من القرى الآهلة بهم واخصها تل التوت ويري الشرقي والغربي ومنقر الشرقي والغربي وجدوة وعقارب وسعن وسعين وذلك بانضمام ذبيهم النازحين من مواطنهم في جبال النصيرية لأنهم وجدوا الرخاء والخصب في السهول الشرقية الواسعة والعزة التي نالها السليمنون من السلطة الافرنسية لقاء تفانيهم في خدمتها خلال ثورة الشام في سنة ١٣٤٥ هـ هي اكثر منها في قراهم الغربية الجبلية الضيقة . ويفترق الاسماعيلية من حيث المذهب الى حجاوية وسويدانية يعتقد الأولون بالوهمية آغا خان الزعيم الهندي المعروف في نوادي انكلترة وفرنسا يذخه وترفه ويؤدون له الزكاة والثانون لا يشاطرون اولئك ذلك الغلو . وكل سكان سلمية وقراها القدماء وسكان القرى المجاورة لقلعة الخوابي من الفريق الأول بينما القدموسيون والمصيفيون من الثاني . والنفور من جراء هذا التباين سائد بين التخلتين . ويفترق الاسماعيلية أيضاً بحسب الطبقات



# حفلة تأبين

«حافظ بك ابراهيم»

أقام المجمع العلمي العربي يوم ٥ تشرين الأول سنة ١٩٣٢ حفلة تأبين لحافظ ابراهيم بك شاعر النيل أحد أعضائه الراحلين تحت رعاية صاحب الدولة خفي بك العظم حضرها جمهور غفير من جميع الطبقات الرسمية والعلمية والشعبية فافتتح الحفلة الاستاذ الشيخ عبد الله المنجد شيخ قراء دمشق بآيات من الذكر الحكيم ، ثم وقف صاحب الدولة خفي بك العظم فألقى خطاباً ، وجاء بعده الاستاذ فارس بك الخوري أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم جاء الاستاذ محمد بك كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي فذكر حياة حافظ ، وجاء بعده الاستاذ الشيخ عبد القادر المغربي أحد أعضاء المجمع وألقى خطاباً ، ثم وقف الاستاذ شفيق بك جبري فألقى قصيدة ، وختم الحفلة سعادة محمد سري بك قنصل المملكة المصرية جواباً على الخطباء ، والينكم صوراً مما قيل في تأبين فقيد اللغة والشعر رحمه الله .

\*\*\*



﴿ خطاب صاحب الدولة حتي بك العظم ﴾  
« رئيس مجلس الوزراء في الجمهورية السورية »

سادتي

ليس شاعر النيل حافظ ابراهيم بالرجل الذي يحتاج أن يعرف اليكم . أنت فجيعة  
الآداب به عظيمة جداً على العرب والعريية . لأن أدبه من الأدب الذي يرفع مستوى  
اللغة والأخلاق والاجتماع . يستظهر الناس شعره ونثره ويتلى بأعجاب في الأندية  
والمجالس منذ نحو أربعين سنة .

اني اذا ذكرت حافظاً أذكر عظيماً من أكبر حداثم لغتي الذين أعادوا اليها بهاءها  
بقرائهم الوقادة ومادتهم الواسعة . هو ممن أحبوا شعرنا فأحبوا شعورنا . وهل الشعر  
العالي الا الشعور العالي .

أذكر صديقاً باراً عاشرتة بوجاورته سنين طويلة . وما شهدته ، ويشهد الله في عامة  
أدوار حياته الا مولعاً بخدمة مفسر بل بخدمة العريية وأديبها القومي بل بخدمة كل قطر  
يتكلم أهله العريية . ومن منا ينسى قوله من قصيدة تحت عنوان « الامتان تنصالحان »  
ألقاها في حفلة بمصر اذ قال :

هذي يدي عن بني مصر تصالحكم فصالحوها تصالح نفسها العرب  
فـيجان من أنزل الحكمة والبلاغة علي لسانه وقلمه وسبحانه أن قضى بفراقنا . والموت  
مسير كل حي .

ولكن مثل حافظ ياسادتي لا يموت لانه حي بشعره وأثره في الأزواح على وجه الدهر .  
تذكره الأجيال بعد الأجيال وينعم أهلها بما يقبسون من عبقه بكلامه . فهو زين الشعراء  
الخالدون . وما أقلم حتى في عدة أعصار وأمصار .

حافظ بدل أسلوب الشعر العربي بدياجته انثينة وسبكه الرائع وما تخلل قوله من  
الحكم والعبير والدعوة الى إصلاح النفوس والمجتمع . وما شعره الا الشعر الذي ينفع  
الأم ويرقي عقول أفرادها وقل ان دأناه فيه أحد .

\*\*\*

أحسن المجمع العلمي العربي بإقامة هذه الحفلة لحافظ لأنه أبان عن عواطفنا نحن السوريين نحو شاعر النيل بل نحو مصر المحبوبة التي صرفت فيها شطراً من حياتي فأكرمت وفادتي في أشد أيام المحن . يوم كنت متطوعاً صغيراً في خدمة سورية ومقاتلة الظلم والاستبداد .

ان الروابط الكثيرة التي تربطنا معاشراً أهل هذه الديار بمصر تدعونا الى ان نشعر بشعورها في كل حين . فاذا فقدت مصر رجلاً من رجالها عددناه هنا كأنه منا . واذا أصابتها سعادة فرحنا لسعادتها . وكذلك نحن يوم تحزن وتألم .

واني لأرجو لمصر ولرجال مصر حياة طيبة سعيدة لمكان الثقافة التي تدين بها الشعوب العربية بما لعلماء القطر الشقيق وأدبائه وشعرائه . وأسأله تعالى أن يخلق لمصر ولغير مصر عشرات من فقيدها العزيز يدعون الناس الى مكارم الأخلاق . ويلطفون من شعورهم وعواطفهم ، ويصلحون من مجتمعهم وعاداتهم . يعملون على كل ما فيه نهضتهم على نحو ما فعل ويفعل شعراء الغرب لعهودنا . فان القرنين اليوم علي نحو ما كان عليه أجدادنا في الدهر السالف اذا نبغ فيهم نابغة اغتبطوا وسعدوا بنبوغها ، واذا فسدوا عدوا فسدوا وخساراً دونها كل خسارة .

قال حافظ لاحد أصدقائه منذ سنين وفي هذه الديار ، اذا أنا مت لا تدمع علي عين احد لأنني لا اخلف وراءني امّاً ولا اباً ولا زوجاً ولا ولداً . فتلجأ به صديقه . انت اذا مت يا حافظ تبكي عليك عيون العرب كلها وكفى بهم أمرة كبيرة . وكذلك كان فاناً لله وانا اليه راجعون .

وقال حافظ في آخر قصيدة له القاها في بيروت — وهو كما علمت حبيب الشامين عامة ولطالما نوه بهم وعطف عليهم في شعره الرائق .  
وقد وقفت على الستين اسألهما أسوفت ام أعدت حراً كيفاني  
وكان ان قدّر الله فرحل غنا في البتين وبضعة أشهر رحمه الله عدد أياديه البيضاء  
على هذا الشرق العربي ولا حول ولا قوة الا بالله .

\*\*\*

## ﴿ خطاب الأستاذ فارس بك الحوري ﴾

هذه هي المرة الثانية التي نجتمع بها في هذا المكان لتكريم هذا الرجل الخالد والعلم الشامق بين اعلام الشعر والأدب العربي .

اعتاد الناس ان يحتفلوا بالغزاة والفاتحين ويقيموا لهم المواسم والاعياد تذكراً لفتوحهم وتقديراً لما جلبوا القوم من المغنم والخيرات . وفي هذا العصر صارت ثروة الأمة الأدبية أعز عليها وأغلى لديها من اثروة المادية ، وأصبحت الاحتفالات لتكريم رجال العلم والأدب أكثر رواجاً وأوسع انتشاراً وأجلب للرضى والارتياح العام من مثلها لابطال الفتح ومغاوير القتال . ولا غرو ان فتوح العلوم والفنون ابقى على الدهر من فتوح السيوف والنيران فقد زال أشيل وهكتور وبقي هوسر كما زال سيف الدولة ودولته وبقي المتنبي على القرون والأدهار .

المرة الاولى منذ اربعين شهراً في ١٧ حزيران سنة ١٩٢٩ اجتمعنا في دارالجمع هذه للاحتفاء بشاعر النيل المحبوب حافظ ابراهيم عند زيارته الاولى والأخيرة لمدينة دمشق وكثيرون من شهدوا تلك الحفلة الشائقة التي أسرع اليها أمائل هذه المدينة ووفود المدن الأخرى ليرحبوا بالزائر العزيز فخطوا بروثيته وكان ملء قلوبهم حباً ووقاراً وملء صدورهم تيجيلاً واحتراماً .

وما زلنا نذكر وقفته الوقورة على منبر هذا المجمع يشكر المحفل الفقير الذي اشترك بتكريمه وأولياء الأمر الذين عرفوا كيف يكرمون وسام الاستحقاق السوري بتعليقه على صدره .

لم يكن في دمشق ولا غيرها من البلاد العربية من يجمل مكانة حافظ فقد سبقه إلينا من شعره الرائق رسل كرام جاءتنا عنه بالنبا اليقين . وانما وجدنا بعد ان أسعدنا الحظ بمجالسته انه لا يقتصر على السيادة بين الشعراء والكتاب بل هو جليس لا يشق له غبار

وسمير لا يسار معه في مضمار ، محدث واسع الرواية وظريف حاضر النكتة ومتكلم تقي .  
العبارة يستهوي جلاله ويمسك على السامع أنقاسه . يجول في كل حديث جولة العالم  
المعتمد على علمه والأديب الوائق من نفسه .

في تلك الزورة القصيرة مكن حافظ لذاته في قلوب المشتقين حباً صميمًا وإعجابًا .  
عظيماً وترك لنا واحدة من الذكريات الطيبة التي ما زال الدهر بها ضئينا .  
وهذه هي المرة الثانية التي يقوم بها المجمع العلمي لتكريم حافظ ميتاً بعد أن أكرمه  
حيّاً . فجعل به الأدب العربي بمنظومه ومنثوره فانهد له ركن من أركانه الراسخة وتداعى له  
صرح من صروحه الباذخة وفقد مجدها العلمي به تضرعاً من أنجب أعضائه وأضاع بهصره  
أبا من أبر آبائه .

الأمة العربية اليوم ليست فقيرة بشعرائها فانهم يحجزون العدة ونعيا باسمائهم الحوافظ .  
وخزائن الأدب العربي ليست بحاجة لديوان من الشعر يضاف إليها فان فيها من الدواوين  
ما يجبع أكداً .

ما أكثر الشعراء في سوريا والعراق . انك لا تكاد تقرأ صحيفة أو مجلة الا تراها  
مزينة بقصيدة لشاعر معروف أو مجهول . ولا يحدث في البلاد حدث كبير أو ضئير  
الا تتسابق قرائح هذا الجيش من الشعراء لتدبج القصائد الجيدة في وصفه وتفضيله وبينما  
كان الذين يقرضون الشعر في الجيل الماضي نزرأ يسيراً صاروا اليوم جمّاً غفيراً .

بعد ان وضعت قواعد الصرف والاعراب وتعينت أوزان الشعر بالتفاعيل وصار علم  
العروض في متناول الجميع لم يعد نظم الشعر سليقة لا يملكها الا من من الله عليه بها كما  
كان امره عند العرب قبل الاسلام وفي صدره . بل أصبح صناعة يستطيعها كل من تعلمها  
ومارسها فيأتي بالكلام الموزون المقفى ويستعين بمحفوظاته ومطالعاته ليستعير المعاني وبه وغها  
في قالب خاص منطبق على شرائط الوزن والقافية فيعد نفسه انه قال الشعر ويمجد من ينعت  
به وينظمه في سلك الشعراء .

يبد أن الشاعرية ليست بهذه السهولة التي يتخيلها فيها دارس علم العروض فالمركب  
وعمر والسلم بعيد المدى وليس كل من نظم القصائد شاعراً كما أشار الى ذلك حافظ بقوله :  
قالوا صدقت فكان الصدق ما قالوا      ما كل منتسب للقول صدق قول



والشعراء لا يخلدون بكثرة ما ينظمون بل يخلدون بما يمازجون به من قريضهم طباع  
الناس وأساليب التفكير الرجيحة ويعالجون الأدواء الاجتماعية ويحللون العواطف النفسية  
باوصاف منطبقة على الحقائق الواقعة التي يشعر بها الخلق في أطوارهم المعاشية . وأنت ترى  
أن الشعر الذي يثير فيك الإعجاب هو ما يتجده مؤلفاً مع ما عندك من الشعور وموافقاً لما في  
نفسك من فكر عميق لا تقدر على تصويره بالكلام أو مثيراً فيك عزرة كامنة أو مذكراً  
إياك بخلق ترضاه فان كان ذلك من طباعك وسجاياك اعتزرت به وافخرت وان لم يكن  
تميت لو كان لك منه نصيب . وهذا مطلب صعب المرتقى كما وصفه أحدهم :

الشعر صعب وطويل سلمه اذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه  
زلت به الى الخفيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

وهذا الذي جعل أكثر العلماء المتقدمين وأشهر الأدباء الأولين مثل ابن خلدون وابن  
المقفع يتجافون عن ركوبه ويتحامون التزول في مضماره . وعند ما سئل ابن المقفع لماذا  
لا تنظم الشعر قال : ما يرضيني لا يلبيني وما يلبيني لا يرضيني . فلو حذا حذوه الذين لم  
ينصهم الله بسجية الشعر وتركوا أمثال هذا العمل لأمثال حافظ من التابئين خللت خزانة  
شعرنا من توافه الكلام . أن حافظاً لم يكن مكثراً في نظمه فكان لا يقول القصيدة  
الا اذا دعاه اليها داع واحب التلبية فكانت قصائده متباعدة الآجال تطالع على الناس  
مثل ورد الربيع بغضارتها ومثل فيض النيل بجزالتها فلا تكاد تصدر عنه الا تخطفها العيون  
والآذان وتحتويها العقول والأذهان .

قصائده الشرد السائرات لا يختصن من الأرض دارا

اذا هن فارقت مقوله وثبن الجبال وخضن البحارا

وكم من شاعر كالسموال احرز مكانة في الصف الأول بين الشعراء بقصيدة واحدة  
وشاعر بقي في غيابة الخمول وله مئات أو الوف من القصائد .

كثيرون من الشعراء شعروا الحياة وتكاليها أو اناخ عليهم الدهر فتمنوا الموت ليخلصوا  
من آلام الحياة ولكن قليلون منهم وضعوا هذه الأمنية بمثل ما وصفها حافظ :

سلام على الدنيا سلام مودع رأس في ظلام القبر انسا ومغنا

أضرت به الأولى فهام بأختها وان بساعت الأخرى فويلاه منها

فهي رياح الموت فكباء واطفئي  
 فما عصمتني سبي زمني فضائي  
 فيا قلب لا تجزع اذا عضك الأسي  
 ويا عين قد آت الجمود لمدمعي  
 ويا يد ما كلفتك البسط مرة  
 فله ما أحلاك في انمل الردى  
 ويا قدمي ما سرت بي لمذلة  
 فلا تبطئي سيراً الى الموت واعلمي  
 ويا قبر لا تبخل برد تحية  
 علي صاحب وافي علينا وسلمي

وهذا كلام يحلي مرارة الموت ويحرض النفس على انتقام غمرته بالطمانينة والحبور .  
 وقع احتلال مصر منذ خمسين سنة فرافق حافظاً منذ كان صبياً الى أن أدركته  
 المنية فقصى نخبه وفي نفسه غصة على حال قومه وبلاده أظهرها في كل قصيدة من قصائده .  
 وقد جرت في زمانه جميع الحوادث الخطيرة التي صاحبت هذا الاحتلال وكانت سبباً لتوليد  
 الروح الوطني وانبعاث الأمانى القومية في ذلك القطر الشقيق ويسرت مجالاً فسيحاً لشعراء  
 يادي النيل ليشيروا بأشعارهم النعرة الوطنية ويسكبوا على بزورها النامية قطرات الرى  
 بالإنعاش ويربوا في الناشئة المصرية هاتيك الروح الوثابة التي هي أساس نهضة الأتوام  
 عليها يتوقف استقلال الشعوب .

نجد قصائد حافظ ملامى بنقد الحياة الاجتماعية في مصر خاصة وفي بلاد العرب عامة  
 فيها من الجرأة والصراحة بذكر الحقائق المؤلمة مانبه القوم الى مواطن الضعف في نظامهم  
 لاجتماعي وعدم كفاءته للثبات في هذا الكفاح العمراني الذي أبجبه تراحم الشعوب  
 لحديثة . فهبوا الى الدرس وتلافي النوائص الموجودة واصلاح الفاسد من مرافق حضارتهم  
 كان هذا التحريض عاملاً قوياً لتلك النهضة الجريئة التي دشنت مصر عهدها وسبقت بها  
 غيرها من الأقطار الشرقية فكانت لها قائداً ودليلاً .

انظروا الى مثال من مصارحته قومه منذ ثلاثين سنة يذكرهم بتقصيرهم في سباق  
 الحياة ويحرضهم على النهوض .

وهل في مصر فخرة      سوى الألقاب والرتب  
 وذية ارث بكائنا      بال غير مكتسب  
 وفي الرومي موعظة      لشعب جد في اللعب  
 أروني بينكم رجلاً      ركيناً واضح الحسب  
 أروني نصف مخترع      أروني ربع محتسب  
 أروني نادياً حفلاً      باهل الفضل والأدب  
 وماذا في مدارسكم      من التعليم والكتب  
 وماذا في معابدكم      من التبيان والخطب  
 وماذا في صحائفكم      سوى التويه والكذب  
 فهبوا من مراقدكم      فان الوقت من ذهب  
 وهذي أمة اليابان      جازت دارة الشهب  
 فهامت بالعلي شغفاً      وهمنا بابتة العنب

فهو قد صدق قومه حين كاشفهم بحقيقة حالهم والصديق من صدق لا من صدق .  
 رحم الله حافظاً ونفع قومه العرب بأدبه العالي وأخلاقه السامية . وانظر الى قوله يصف  
 حال مصر وحاله مع المحتلين .

فقد غدت مصر في حال إذا ذكرت      جادت جفوني لها باللولؤ الرطب  
 كأنني عند ذكرى ما ألم بها      قرم تردد بين الموت والحرب  
 إذا نطقت فقاغ السجن متكأي      وان سكث فان النفس لم تطب  
 وهذا عين ما يشعر به ولا يستطيع وصفه بمثل هذه الديباجة الرائعة كل من رأى في  
 قومه ضيماً فهو بتردد بين الافدام لدفعه فيسحقه كيد الظالمين أو السكوت على الأذى  
 أو الانغماض على القذى فيبقى حليف الغصة وصريع الهموم .  
 بماذا يرثي حافظ وهو أمير الرثاء وما هي مرأته للأفذاذ الذين خلد لهم بآيات رثائه  
 المثل الأعلى في الاعجاز والابداع . حتى ان أمير الشعراء تمنى هذه الأمنية في مطلع  
 قصيدته التي رثي بها حافظاً حيث قال :  
 قد كنت أوثر ان تقول رثائي      يا منصف الموتى من الاحياء

فهرست الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية  
إدارة الشؤون الفنية

د . أسر على زكى ، حسن الكمشوشى

الاضمة - ط ١

الإسكندرية : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ٢٠٠٨ .

١٧ × ٢٤ سم .

أ- العنوان

الناشر : دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

العنوان : بلوك ٣ ش ملك حفى قبلى السكة الحديد - مساكن

دربالة - فيكتوريا - الإسكندرية

تليفاكس : ٥٢٧٤٤٣٨ / ٠٠٢٠٣ (٢ خط)

الرقم البريدى : ١٦٠٣١ - الإسكندرية - جمهورية مصر العربية

E\_mail : [dwdpress@yahoo.com](mailto:dwdpress@yahoo.com)

Website : [www.dwdpress.com](http://www.dwdpress.com)

رقم الإيداع : ١٧٤٧٤ / ٢٠٠٨

I.S.B.N 977-327-685-6



## ﴿ حياة حافظ ابراهيم ﴾ « للاستاذ محمد بك كرد علي »

ولد حافظ ابراهيم في اليوم الرابع من شهر شباط سنة ١٨٧١ في مدينة الاسكندرية وكان والده مدير شرطة جرجا . فنشأ نشأة ابناء الموظفين ليصبح كأبيه موظفاً . وبعد ان انهى دروسه الابتدائية والثانوية في المدارس الاميرية . دخل المدرسة الحربية وخرج منها برتبة ملازم ثان في المدفعية فأرسل الى السودان في خدمة الجيش المصري . وفي السودان تجلّى استعداداته للشعر ، وكان ينظمه وهو يافع للتسلية والتجلية . وعرف بين اقرانه بشدة عارضته ، وقوة حجته ، فكانوا يندبونه اذا حزبهم حازب للدفاع عنهم في المحاكم العسكرية ، فيرجح القضايا ببلاغته وحضور ذهنه . ولذلك عدوه الصدر المقدم فيهم علي صفر سنة ، لما أوتيته من خفة الروح ، وجميل النادرة ، ولعطفه على لداته ، ولما خص به من الفصاحة التي لم يكتب مثلاً لاحد .

ووقعت في السودان مؤامرة اوشبه مؤامرة في الجيش ، فكان حافظ في جملة من اتهموا بتدبيرها ، لانه كان كبش الكتبية ، فسرح مع من سرح من الخدمة ، وعاد الى مسقط رأسه ، أسفاً للظلم الذي ناله فأضاع مستقبله ، فرحاً بانتقاده من عيش قاصي فيه الامرئين في بلاد الزوج من غطرسية بعض ضباط البريطانيين ، وبري بعد حين مما اتهم به بتوسط كبير من احبابه ، ومنع رتبة رئيس ، ثم دخل الشرطة سلك أيه فعرفت نفسه عنها ، ولم يلبث ان غادرها لعدم ملائمتها لنوازع نفسه .

ولقد اودتته الترية العسكرية مضاء وحزماً وسلطاناً على النفوس ، وكان مما خص به جهارة الصوت ، كأنه قائد يأمر جنده وقت التعبئة والمصاف ، وكأنه الامر الأكبر يلي ارادته على مأموريه ، ولكن بلطف شاعر ، لا يعنف أمر . واجتمعت له رفاة الصوت الى جمال الالتقاء ، فكان تأثيره عظيماً في يوم الحفل اذا انشد . وظل حافظ منذ خرج من

الخدمة في سنة ١٩٠١ الى ان عين رئيساً للقسم الادبي في دار الكتب المصرية سنة ١٩١١ يتوفر على حرس حقول الادب يزرعه ويحجبه ، وهجيره مطالعة ( كلية ودمنة ) و ( العقد الفريد ) و ( الاغانى ) يقرأوها ثم يقرأوها ، حتى هضم ما فيها وتمثله وتصفع دواوين الشعر واختار بيتاً فذاً لكل شاعر اصاب معنى شريفاً .

وساعده الطالع فاتصل منذ كان في السودان بصلة النسبة الى الامتاز الامام الشيخ محمد عبده ، وكان شكاً اليه بالمراسلة بشه وحزنه ، وما يلقاه من جور الدهر ، ولما عاد الى مصر التي مفتي الديار المصرية في روعه من جميل حكمته ، ومحكم تجاربه ما استعدت به نفس الشاعر الى الانتقال الى طور آخر في الشعر يجرده من اوضاعه القديمة ، ويكسوه ثوباً قشيباً ، ويكسره على المطالب الوطنية العالية ، بضرب فيه على العرق الحساس في الناس ، وكانت نفوسهم سئمت ما رأت من اجذال الشعر في الغزل والمدح وما اليهما ، وهي الى بضاعة جديدة أشوق ما كانت منها الى أطمار بالية .

وكان الرعيل الصالح الذي يلتف حول الامتاز الامام صفوة أئمة الثقافة العالية في عصره وكلم ممن بلغ في العلم والأدب أطوره كخفي بك ناصيف والشيخ سيد المرصفي من رجال الأدب القديم ، ومحمود سامي باشا البارودي واسماعيل باشا صبري من مجددي الشعر الحديث ، وابراهيم بك المويلحي وابنه محمد بك المويلحي من الكتاب الجودين الى عشرات أمثالهم من الأدباء والعلماء والقضاة والاجتماعيين والسياسيين أمثال قاسم بك امين وأحمد فني زغلول باشا وسعد زغلول باشا وحسن عاصم باشا وأحمد حشمت باشا وأحمد تيمور باشا في نفر من أساتيد المدارس العالية ولا سيما جماعة دار العلوم . وكلم كما قال حافظ في الامتاز المفتي . ( يعرف مهر الكلام ومقدار كد الافهام ) هؤلاء كانوا لحافظ عشراء ومعلمين وموحين ومنشطين ، وهم من قادة الأفكار في الأمة المصرية ، اما ناشئتها المنورة فما ينقصي عجبها من شعر حافظ كلما رأت منه موضع إعجاب أولئك الاعلام .

وبدأت شهرة حافظ تعظم بين المصريين لان نفسه كانت تألم للظلم حل به أم بغيره ، يحس مطالب الشعب ، لأنه يعيش بين ظهريه ، ويستمتع لشكواه وبلواه ، وما فتئ منذ تطوع في خدمته ، ينطق بما يفرج عنه كربته ، ويدعوه الى النهوض ، ويشجده من العزائم ، يربده على اطراح سفساف الأمور ، والتذرع بما يبق عليه ثروته ، ويعيد اليه مجده .

ليستوي شعباً فاضلاً في المدينة الفاضلة . وكان من يشعر شعور حافظ من الشعراء قبل نبوغه قد يقع لأحدهم اليتان والثلاثة في معنى الاصلاح أو الشكوى . اما الشاعر المجدد فأشأ ينشي القصائد تلو القصائد .

وكان العقد الذي مضى بين خروجه من الخدمة الى ان عاد اليها ( ١٩٠١ - ١٩١١ ) من أخصب أيام شاعرنا انطلق يتفنن في النظم على وجوه جديدة في أبواب الاجتماع والسياسة ، ومصر بل كل مصر لا تعدم الحين بعد الحين نهزة جوادث تفتق لسان الابكم بالكلام ، فكيف برب البلاغة والفصاحة ، يضاف ذلك الى ما في تلك اليتة الغنية من العظات ، ومالك البلد الطيب الداهب بفضل السبق بين الانطار العربية من الموقع الجغرافي المتوسط بين المشرق والمغرب .

عبر كلها الليالي ولكن أين من يفتح الكتاب ويقرأ

وكانت الأمة المصرية في تلك الحقبة من الزمن تشتد في بلوغ هدفها الاسمي في الاستقلال ، وتقوى كل يوم في بنيتها الدعوة الى الوطنية والقومية ، وكان عهد استمتاعها بحريتها في القول والعمل على صورة ما عادت مثلها في تاريخها ، فكان للشاعر من مطالب أتمه موضوع جذاب متسع الاطراف ، اتساع أفق الشاعر الذي توفر على الزهد في موضوعات الشعر القديم ، خصوصاً وهو بما من مما يعث بالحرية المدنية والوجدانية ينعم بنعمة حرية القلم واللسان .

وما اقرب مترجما من ارباب المقامات العالية الا بالقدر الذي لا يحرق فيه نفسه ، مجتزئاً بما يغنيه عن الفناء فيم هوام في الحقيقة الاحتفاظ بسلطانهم ، ولا يرضون عن الشعراء والكتاب الا اذا باعوا منهم الاستقلال الفكري بشيء من حطام الدنيا ومظاهرها الخلابية ، ومن كانت الأمة تصفق له ، وعلى رأسها أولئك السادة يناضلون عنه ، لتفرسهم فيه الخير ، يستوي عنده رضا الكبراء وغضبهم . فحافظ اذاً هو وليد النهضة الاخيرة ولسانها الجري ، اربطت معلمته بمصلحة الأمة منذ عاهد ربه الشعر على الوفاء لها ، فاصبح شاعر مصر الاجتماعي والوطني غير مدافع ، لا ينتج الا للادب ، ولغة العرب .

سئل المرجوم اسمعيل حبري باشا شيخ شعراء مصر عن الثلاثة المبرزين من شعراء القطر ( شوقي وحافظ ومطران ) فقال ( شوقي ينظم ، وحافظ ينبي ، ومطران يتدعج ) هذا حكمه

عليهم وهم في الكهولة ، فاي حكم يصدر ياتري وهم في سن الكمال ، يبدعون هذا الابداع ويعيدون بصنيعهم الى شعرنا ما كان له من اشراق الجزالة في القرن الرابع باليحتزي والرضي وابي الطيب وابي تمام .

نعم ان حافظاً في الشعر بناءً وأي بناء ، ما عهد عصرنا شاعراً يصقل شعره كصقله قبل ان يخرج للناس ، ولا كاتباً يطيل النظر في كلامه إطالته ، ولا اديباً اروي منه للشعار والاخبار ، يسقط على مناجم الأدب فيستخرج منها كنوزها الدفينة . هو بناء مُقدّر يتعذر على احذق النقاد ان يتبين الخلل في تضاعيف نسجه ، يصور فيه حالة عصره وروح اهله وعشيرته ، ويسرهم وعسرهم ، وما ديوان شعره على اختصاره الا صورة ظاهرة للوقائع التي شغلت قلوب اهل جيله وقبيله . وليس في ايقاع ما يوقع على قيثارته من قوافيه وضروبه الا ما يفعل سيف الارواح ، فتترنح له الاشباح غير متعملة ، يشدو به وينوح ، وبطرب ويعجب ، ويهز به اوتار القلوب .

ما استفاضت شهرة حافظ الالسيده بشعره مع حاجة العصر ، فأثر به هذا التأثير القليل النظير ، واحتظى به هذه الخطوة عند العرب كافة . بيد انه حاول ان تكون له مثل هذه المتزلة في النثر فكتب كتاب ليالي سطيج وعرب البؤساء لموغو وخرج بها بعد اكراه السليقة مستقيمين له كما أراد لا كما يُراد . اخطأهما التوفيق الذي كان يتوقعه من نشرهما ، وجاءت عليهما مسحة من التعمل ، وهذا ما عافه الناس بعد ان ابتلوا قروناً بقراءة دواوين المتكلمين من النادرين والناظمين . اما كتابه الموجز في علم الاقتصاد الذي نقله الى العربية مع صديقه خليل مطران بك فكان من اجل ما نقله الناقلون في العهد الاخير .

واذا كان حافظ قد تخطاه الحظ في مشوره على الجملة ، فذلك لأن من الموضوعات ما تشد حاجته الى ضلاسة في التقرير وسلامة في التعبير ، اكثر من رصف الالفاظ واحكام الجمل . فمن ثم كان حافظ في نثره فحاشاً باهراً لا بناءً ماهراً ، ما كتب له على ثنائه في اجزاء بنائه ان يورث النفوس روعة اذا نظر اليه بمجموعه . والروعة في المبنى تنبعث من روح الباني ولا تتأتى بعمل واجهاد ، والبلاغة في الاسلوب اكثر ما هي في القوالب وما تعطيه من المعاني .

ولئن عصى بيان حافظ علي التبريز في النثر ، فقد كان مطواعاً له اذا حدث وحاضر ،



كان يسحر الطبقات المختلفة بما يورد عليهم من احاديثه ومروياته ، ويسقيهم من معين محفوظه الذي لا ينضب ، اعذب ماظفر به من كلام القدماء والمحدثين ، وكان بحضور ذهنه ، وغريب بديته ، على ما يندر في الادباء مثله ، يتسادر بكل ذلك بحسب المجالس التي يصير اليها ، رصيناً في الفاظه ومعانيه ، بارعاً في مختاراته ، يردفها ابداءً بما يوائمها من حاضر الوقت ، يطرب بها نفس الفرح والمكثب ، ويود جلوسه لو طال مكثه في حضرته بتغنى كالبلبل الغريد ، وقل جداً في كبار الكتاب والشعراء من حيز لم يبان اللسان كحافظ ، اللهم الا ان كان ما يروي من احاديث انا تول فرانس كاتب فرنسا الاكبر الذي سارت بقصصه وافاكيهه الر كيان ، واعجبت بمجالسه الرجال والنسوان .

اطلع حافظ على شعر الاقرب بقدر ما واثته ملكته من اللغة الافرنجية ، اطل منها على ادبهم اطلال ثالسة . اما وقوفه على شعر العرب فهناك الامتاع ، وهناك الابداع . وفي الحق انا لانعرف في هذا العصر اديباً عربياً جزل قسطه من جيد المحفوظ كما جزل قسط حافظ من استظهار ادب العرب ، ولا غرو فهو حافظ الادب ، ولكل اسم من مسماه نصيب . كان حافظ يتسبط في احاديثه مع جلسائه ، يلقي على سامعهم من كل صنف في ساعة ما يحمد حافظه غيره عن ايراده في ايام . يلعب بالعقول والقلوب حتى ينسي سامعيه كل منهم لهم . هو جد طروب ، جد لعوب ، لا يميزن الالفقد حبيب ، ولذلك تراه قد جود من وراء الغاية في رثاء من رثاهم من معاصريه ، وهو لا يتكلف الندب لانه منق من يجب ويحب . وقل ان تنقبض نفسه الا اذا حلت بامته كارثة فيكون في ظليعة من بواسيها ، ولا تنهيا له اسباب القول الا يوم تعرض للقوم كبريات المسائل فتستدعي اشتراكه بطبيعة الحال . وكان لكلامه ابداءً موقع من القبول في القلوب ، لانه مؤمن حق الايمان بما يقول .

كان رحمه الله في الغاية من حسن الوفاء مع كل من عرفه ، يمثل منذ وعى على نفسه الاخلاق الفاضلة والتعاليم السامية ، وتجلى فيه البطولة وقوة الارادة . ماعهدت فيه كرازة اليد ، ولا خطر يباله جمع المال ، فكان طول حياته كاسياً واهباً ، يسخو سخاء الاغنياء ، وهو في الواقع بائس مقتر عليه ، وربما اخرج من جيبه كل ما يملك من الدراهم قزل عنه لطالب عطائه لاسيما اذا كان من المتأدين ، يعطي وهو مقتبط لتلبية الطالب ،

وقيامه بالواجب ، وان اضطرته الحال بعد ساعة الى ان يقترض ديتاراً ليظم به .  
كان حافظ لا يعرف الرياء والمصانعة والدس ، كذلك كان وهو يشكو بؤسه ، وكذلك  
كان وهو عامل من عمال المعارف موسع عليه في الجملة ، وضعف جسمه فكان في اعوامه  
الاخيرة لا يعمل الا مضطراً ساعة من بهار ، اما فكره ففي شغل شاغل ابدأ باليجاد اللفظ  
اللائق للمعنى البديع . وأضت به الحال بأخرة ان لا يختلف الى مقر عمله الا يوم قبض  
الراتب ثم يعود ادراجه . وكان لا يتأنيق في لباسه ولكنه يتأنيق كثيراً في طعامه  
وشرابه وتدخينه .

هذا ياسادتي حافظ وهذه سيرته وسيره وادبه . لا جرم انه رجل حسن عال ، عاش  
في ألم وأمل . ألمه لما أصاب قومه من الانحطاط ، وألمه ان يرى العرب يقولون من جدهم العاثر  
ويستعيدون مجدهم الغابر ، وما اصطنع الشعر الافتة بجماله ، فكان صناعة له استخدمها في أفضل  
المروآت ، وأنبى الغايات . هو غريب في بابه ، منقطع القرين بين أتراكه . ما نهنا الحياة  
كثيراً ، وما عرف سعادة اليوت ، وعطف البنين ، عاش للمجتمع ، وشقي ليسعد الناس  
وما خلف الا هذا الشعر الخالد ، الذي تنفى الايام ولا تبلى جدته ، وما أجدرنا أن  
نحافظه وقد هدأ ذاك العصب الحساس ، وسكت ذاك الجرس القاتن ، وهو رهين بحفرته  
يقول أستاذه اسماعيل صبري في راحة القبر :

ان سئمت الحياة فارجع الى الارض	ض تم آمناً من الأوصاب .
تلك أم أحنى عليك من الأ	م التي خلقتك للأتعاب
لا تخف فالمات ليس بماح	منك الا ما تشكي من عذاب
كل ميت باق وان خالف العن	وان ما أنص في غضون الكتاب
وحياة المرء اغتراب فان ما	ت فقد عاد سالماً للتراب

## ﴿ حافظ ابراهيم واللغة العربية ﴾

« للاستاذ المغربي »

ليس إحتفال بمجمعنا العلمي بتأيين ( حافظ ) وإكبارنا الفجيلة فيه لأنه كان صديقاً لنا : إذ ما كل صديق نحتفل بتأيينه — ولا لكونه شاعراً من شعراء أربعة أو خمسة .  
تعدُّ البلاد العربية عليهم الخناصر — ولا لكونه كاتب نديماً ظريفاً . ولا أخبارياً محدثاً — بل ولا لكونه من أعضاء مجمعنا العلمي : إذ لم يأخذ المجمع على نفسه أن يحتفل بكل واحد من أعضائه .

الفجيلة في حافظ أيها السادة هي فجيلة اللغة العربية فيه ولم ينشأ المجمع العلمي الا لخدمة هذه اللغة . والحرص على إرضائها : فاذا بكت اللغة بكى المجمع . واذا صاحت اللغة : واثكلاه واوحيداه صاح المجمع صياحها : واثكلاه واوحيداه ! وهذه لغة الضاد في موت ( حافظ ) أقامت مأتماً عاماً شمل بلاد العرب كلها : من طنجة الى السلبيانية : تبكي في مأتماها هذا حافظاً وتندبه .

( أبنان<sup>(١)</sup> يبكيه . وتبكي الضاد من حلب الى القيما الى صنعاء )  
وان اجتماعنا هذا أيها السادة صورة مصغرة للمأتم الكبير الذي أقامته اللغة لتأيين حافظ . وأقولنا في هذه الحفلة انما هي صدى نديها وعويلها :

( لقد<sup>(٢)</sup> رزئت أم اللغات وحيدها      فان لم تكنه فالأب البر والجد )  
( ممت تتلو خلف نعشك كلما      دعا باسمها الداعي أجداً لها وجدا )  
( فلما بلغت القبر خرت لوجهها      تضج وتشكو من تباريحها الجهدا )  
حافظ أيها السادة هو الشاعر الشاعر . وهو فوق ذلك أغوي وأخباري .

(١) من مرثية احمد شوقي في حافظ .

(٢) من مرثية احمد محرم في حافظ .

أما كونه شاعراً فأمر لا يجهله أحد . ومن يجهل أن « حافظاً » كان اذا قال شعراً لا يلبث أن تتناقله الأفواه . وتتلظ بجلاوته الشفاه ؟  
 شعر حافظ يمزج بالمعاطفة فيؤاد فيها رقة الشعور . ويمتزج بالنفس فيؤاد فيها ذوق اللغة . ويمتزج باللسان . فيغرس فيه ملكة الفصاحة .  
 مدارس كتب الأدب . واستظهار الفصح من نواذر اللغة لا يبخ النفس واللسان ملكة الفصاحة بقدر ما يبخها شعر . ك شعر حافظ : نقي اللفظ منسجم الأسلوب مشرق الديباجة .  
 يُعبر عن خواج النفس الوطنية الثائرة فيحفرها بنحو مطامحها العظمى . ويُبهر أمامها الطريق الى مثلها الأعلى .

شعر حافظ كالمصباح يمشي نوره بين أيدي أبناء أمته . فيهديهم الطريق . لا بعيداً عنهم يمشي وحده . ويتركهم في ظلمات لا يبصرون .  
 شعر مثل شعر « حافظ » يحيي لغتنا . ويحيي قوميّتنا . ويثبت أقدامنا في أوطاننا . كان ( حافظ ) رحمه الله يقول الشعر لخدمة أمته . لا لخدمة شهرته .  
 وإن فتى عربياً أو فتاة عزيّة يحفظ من شعر حافظ قصيدة ( عادة اليابان ) أو قصيدة :  
 ( نخرج الغوالي بحجة نـ ن وبـت أرقب جمعنه )  
 فتستفيد منها ملكة في اللغة الفصحى . وخيمة في حب الوطن . أكثر من مئة قصيدة غامضة المعنى . أعجبية الأسلوب .

ولو لا أني أتكلم عن ( حافظ ) من ناحيته اللغوية لسردت لكم شواهد تؤيد ما ذكرت . على أن أحداً منكم قلما يجهل ذلك من أمره . ومعظمكم يستظهر الكثير الطيب من شعره .

\*\*\*

نحن معشر العرب أصبحنا منذ سنين نهاجم في عقائدنا وفي تقاليدنا وسائر أوضاع اجتماعنا . ولم نخجل لغتنا المحبوبة من هذه المهاجمة العنيفة أيضاً : لم نخجل من تبين هائل يوائها . ويحاول القضاء عليها . ذلك التبن هو فكرة مشؤومة ترمي الى إحياء اللغة العامية وإماتة اللغة الفصحى .

ها هي اللغة العربية في حدود سنة ( ١٩٠٠ ) أي منذ ثلاثين سنة تقف على صفاق النيل . شاحبة اللون . مرتجفة الأعضاء والهة ذاهلة : تندب نفسها . وتشكو مصائبها :



( يا ويح أهلي ألي تجت أعينهم على الفراش ولا يدرون مادائي )  
 داؤها أيها السادة هو ما خامر نفوس أبنائها من زهدهم فيها . وانصرافهم عنها الى  
 غيرها من اللغات الأجنبية . والى نصرة الفكرة المشؤومة : فكرة إحياء اللغة العامية .  
 تلك الفكرة الممثلة في أحد دهاة الانكليز (المسترويلور) .  
 هبط (المسترويلور) مصر في ذلك الحين . وقام بدعاية واسعة النطاق للغة العامية  
 المصرية . وخطب في الموضوع وكتب . وحاو وناظر . وألف كتاباً نشره على  
 المصريين . بدعوم الي فكرته . ويقنعهم بصحة نظريته .  
 وما يؤسف له أيها السادة أن يجد ( ويلور ) أنصاراً له من الشعوبيين . شابعوه على  
 رأيه . وأقاموا ضجة في القطر المصري اهتزت لها البلاد العربية قاطبة . وكادت تكون  
 لويلور ولا شياعه الغلبة لو لم تصدمهم نهضة حمة اللغة الفصحى . وفي طليعتهم فقيدنا بالأسمن  
 ( حافظ ابراهيم ) فبرفع ضوته في وسط تلك الضجة . منشداً قصيدته الخالدة . على لسان  
 اللغة الفصحى : يخاطب أبنائها وتسألم أغائتها . فتقول :  
 ( أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادي بوادي في ربيع حياتي )  
 ( ولوتزجرون الطير يوماً علمتمو بما تجته من فرقة وشتات )  
 ثم تلوم الصحف على خوضها في هذا الموضوع فتقول :  
 ( أرى كل يوم في الجرائد منلقاً من القبر بدنيي بغير أناة )  
 ( وأسمع للكتاب في مصر ضجة فأعلم أن الصائحين أعمائي )  
 ثم تحضهم على الأخذ بالحزم في دفع الضر عنها :  
 ( فيا ويحكم أيلي وتبلى محاسني ومنكم اذا عز الداء أساتي )  
 ( فلا تكلوني للزمان فإني أخاف عليكم أن تجين وفاتي )  
 ثم ذكرتهم بمجدودهم أبطال الجزيرة الذين كانوا يغارون عليها :  
 ( سقى الله في بطن الجزيرة أعظماً يعز عليها أن تلين نساى )  
 ( تحفظن ودادي في البلى وحفظته لمن بقلب دائم الحسرات )  
 وعانتهم على ميلهم الى اللغة العامية المزوجة بالانفاظ الافرنجية .  
 ( أبهجني قومي عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل بمرواق )

(مرت لوثة الافرنج فيها كما سرى لعاب الأفاعي في مسيل قرات)  
 (لجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشككة الألوان مختلفات)  
 وعادت اللغة الفصحى الى وصف منايها والتساؤل لماذا عفا بنوها . وهي لم تقصر في  
 خدمة دينهم وحضارتهم . فقالت :

(ورسعت كتاب الله لفظاً وغاية وما رصقت عن آي به وعظاات)  
 (فكيف أضيّق اليوم عن وصف آله وتنسيق اسماء لمخترعات)  
 (أنا البحر في أحشائه الار كامن فهل سألو الفواص عن صدفاي)  
 ثم عيرت أبناءها بالغريبين الذين عزوا لما عزت لغاتهم فقالت :  
 (أرى لرجال الغرب عزاً وتمعاً وكم عز أقوام بعز لغات)  
 (أتوا أهلهم بالمعجزات تفنناً فيا ليتكم تأتون بالكلمات)  
 ثم ختمت شكواها بتقديم إنذار مخيف الى الكتاب الحسني الظن بلغات الافرنج  
 وآداب الافرنج . فنالت :

(الو. معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائي بعد بطل شكائي)  
 (فإما حياة تبعث الميت في البري وتنبئ في تلك الرموس رفاي)  
 (وإما ممات لا قيامة بعده نلمات للمري لم يقس بمات)  
 كانت هذه القصيدة من شعر (حافظ) من أمضى الأسلحة التي شهرت في وجه  
 (المسترويلور) فأخفقت دعوته . وطويت رابته . ونكص على عقبيه الى بلاده .  
 وكان أمير الشعراء (احمد شوقي بك) يشير الى هذا الموقف المحمود الذي وقفه  
 (حافظ) في وجه دعوة (ويلور) فقال في رثائه له :

(يا حافظ الفصحى وحارس مجدها وإمام من نبئت من البلغاء)  
 (ما زلت تهتف بالفصحى وفضله حتى حميت أمانة القدماء)  
 وكما خنق (حافظ) على (ويلور) خنق أيضاً على المستر (بلاذت) الانكليزي الذي  
 اشتهر في الدفاع عن القضية المصرية ضد قومه الانكليز : فان هذا المستر كان يرفع من  
 شأن القصص العربية السخيفة العبارة ويقول عن قصة (بني هلال) انها نوع من القصص  
 المسي (إبيك) وانها إيلياذة عربية صغيرة .

فما كان قوله هذا لـ"سمر" (حافظاً) بل كان يحسبه خدعةً ودعوةً الى اللغة العامية .

\*\*\*

ثم إن فوز (حافظ) في هذه المعارك نشطه الى متابعة العمل في نصرة اللغة . فاستمر يبيح فصيحها . وينثر الدر من كلماتها الى آخر نسمة من حياته . بل كان في مجالسه . وبين طلاب الأدب المطيفين به — كأنه (استاذ سيار) يصحح أغلاطهم . ويرشدهم الى الفصح من القول . والصحيح من الأساليب :

قال الدكتور (زكي مبارك) ما ملخصه :

استنشدني (حافظ) يوماً شيئاً من شعري فأنشدته قولي :

(يا من يعز علينا أن نجازيهم صداً بصدٍ وإغضاءً بإغضاء)

ونطقت (يعز) بكسر العين فقال (حافظ) يظهر يا مبارك أنه يحسن أن تقول (يعز) بفتح العين لأن (يعز) هنا بمعنى (يشق) لا بمعنى (صار عزيزاً) حتى تكسر العين ومع هذا أرجوك أن تراجع القاموس . قال فراجعت فوجدته يقول يجوز الوجهين : الكسر كما قلت أنا . والفتح كما قال حافظ . قال الدكتور : ومع هذا فقد استفدت من حافظ فائدتين : (١) اللطف في تصحيح أغلاط الإخوان . و (٢) الشعور بقيمة الدقة في نطق كلمات اللغة : إذ كان من رأي حافظ أن نخص (يعز) المفتوح العين لمعنى يشق والمكسور العين لمعنى صار عزيزاً .

\*\*\*

ولا يخفى عليكم أيها السادة أن الجامعات العلمية اللغوية إذا كانت إنما أنشئت لغرض حماية لغة الوطن — فإن (حافظ ابراهيم) عضو من أعضاء مجامعنا اللغوية بفطوته . وبنايل من غيرته على لغته .

قال الدكتور (حسين هيكل) « إن لحافظ ميلاً شديداً الى أن يظهر اللغة العربية في كمال قوتها . وأنها تضاهي أحدث اللغات صفلاً وحياء . وهو يهزأ بالمزاعم التي كانت توجه اليها من أنها لغة قديمة عاجزة عن أن تجاري الحياة الحديثة اهـ ) .

وقال الشيخ عبد العزيز البشري في مرآته :

(ولا ننس لحافظ يداً جليلاً على اللغة العربية : فلقد طالما استخرج من بحثة واللغة

صيناً طريقةً بليغةً أدت كثيراً من المعاني التي تتحرك في أنفس الناس . ويعي أداؤها على  
الاقلام ) .

\*\*\*

أما مقدرة ( حافظ ) اللغوية العملية فتجلى لنا في الألفاظ الفصيحة التي كانت يودعها  
قصائده ومصنفاته . وقد شهد له بهذه المقدرة ( الشيخ إبراهيم اليازجي ) : فقد كان يستعيد  
ذوق حافظ في اللغة . واختيار فصيح كلماتها .

وقال الشيخ عبد العزيز البشري أيضاً :

« إن ( حافظاً ) لا يرى جلال الشعر وبهاءه في التعلق بدقائق المعاني : لأن هذه المعاني  
تقع للدهاء والعامة . وإنما جلال الشعر وبهاؤه في إشراق الديباجة . ونصاعة القول » .  
وقال خليل بك مطران :

« لحافظ غرام باللفظ لا يقلُّ عن الغرام بالمعنى : وهو يؤثر البيت الذي جاد لفظه على  
البيت الذي جاد معناه . فإذا فاتته الابتكار في تصور المعنى . لا يفوته الابتكار في تصويره  
باجزله الألفاظ . وأبلغ الأساليب » .

إذن يمكننا القول بأن ( حافظاً ) كان لغوياً من الوجهة العملية التطبيقية كما كان  
لغوياً من الوجهة العاطفية القومية .

\*\*\*

وكثيرون من نقاد الأدب المعاصرين حمّدوا الله على أن كان أسلوب ( حافظ ) في  
شعره . غير أسلوبه في نثره : فقد كانت رحمه الله يتأنق في شعره مع مراعاة السهولة  
والسلاسة . أما في نثره فأمره على العكس : كانت يتأنق فيه وينصب نفسه في انتقاء  
كلماته . لكنه لم يوفق إلى جعله سهلاً سلساً . فلم يعد نثره مقبولاً إلا لدى الخاصة  
وجهازة الأدب .

على أن بعضهم مرّد لحافظ طريق العذر : كالدكتور لطفي جمعة فإنه قال :  
« إن ( حافظاً ) على كلِّ حال قد أحسن إلى قراء العربية وكتّابها : وذلك لأنه أنعش  
أسلوب الكتابة . وحفز الهم للبحث عن الألفاظ الجزلة . وأثر في كتابة الصحف  
أثراً نافعاً » .



ثم إن عناية (حافظ) باستعمال غريب اللغة كان على أشده في ترجمة (البؤساء) فلم يُرض ذلك أنصار الأدب الحديث . وإنما أَرْضَى أنصار الأدب القديم كالشيخ محمد عبده فإنه رحمه الله كان يُحِبُّ بكتابة حافظ وما تضمنته من الألفاظ الجزلة وكان يقول : « ان كان بؤس حافظ هو الذي أدى الى استخراج كتاب (البؤساء) فندعو الله أن يريده بؤساً حتى يزيدنا من هذا الأدب الجميل » .

\*\*\*

ولا غرو أن يرحب مجتمعنا العلمي بنثر (حافظ) كما رحب به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده . لأننا معشر أعضاء الجمع أول ما يهمننا من الآثار الأدبية ان تكون لغتها صحيحة . وأن تستوعب من روائع كلمات اللغة ما كاد يميته الجهل . ويطمس عليه شيطان الشعبية .

واللغات أيها السادة ! كما تنمو بإضافة كلمات أجنبية اليها تنمو باحياء القديم الفصيح من كتابها .

وقد تنطّن (حافظ) الى هذا فأودع مصنفاته الكثير الطيب من تلك الكلمات . فكتابه (الاقتصاد السيامي) ألغى أو ترجمه (مع صديقه خليل بك مطران) ليثقف الطلاب على هذا العلم . ويقرر لم قواعد . لكنه أودعه من (الألفاظ الكتابية) ما جعله كتاب أدب ولغة . أكثر مما هو كتاب علم واقتصاد . وكذلك شأنه في كتابه (سطيح) الذي تقد فيه أحوال المصريين وأفرغ حوادثه في قالب قصة نسب روايتها الى من سماه (سطيحاً) . فالكتاب إذن رواية قصصية وكان ينبغي ان تستجمع شرائط القصة وليس من شرائطها أن تكون بهذه الأساليب الفخمة . وأن تحتوي هذا القدر من الألفاظ الجزلة .

وهذا كتابه (البؤساء) الذي نقل فيه الى العربية بؤساء (فيكتور هيكو) . وفيكتور هيكو جعل أبطال بؤسائه من طبقات مختلفة . وجعل كل بطل منهم يتكلم باللهجة التي اعتادها طبقته . فالسوقي العامي مثلاً لا يتكلم بلغة العالم الأديب . ولا العكس . وطريقة (هيكو) هذه مطابقة للمبدأ الذي قرره أديب العرب الأكبر (الجاحظ) في كتابه الحيوان : من أن الواجب في نقل عبارات السوقه وألفاظ العامة أن تُتروى كما هي

أي مغلوطة ملحونة والا ذهب رونقها وضعف تأثيرها .

وشاعرنا (حافظ) رحمه الله كان كلفه بفصيح اللغة وجزل الفاظها يحمله على أن يترجم كلام السوق من أبطال البؤساء بعبارة نعمة الألفاظ لا ينطق بها عادة إلا الفصحاء . فالبناء الذي يبني رصيف الشارع إذا أراد أن يتكلم هل ينطق بكلمات (تينا من ثم تيساسر) و (ركب الحجة) و (ما أخلقك يا فلان بكذا) . هكذا (حافظ) ترجم لنا كلام البناء الفرنسي .

ودصف لنا فرساً بأنه (سحير . عصب . أحنع . أدك . مفتوح اللبان) و (فلان لبث . عاقاً بخيط من الأجل تحت شقي متص الفناء) .

وكذلك استعمل كلمة (أجر) بمعنى أدركه التفجير و (بسل) بمعنى حرام و (انتعل أديم الأرض) أي سار بلا حذاء . و (قنابل قنابل) بمعنى جماعات جماعات . إلى غير ذلك مما حملة ولوعه به على استعماله في غير مواطنه . مواطن هذه الكلمات كتب الأدب و (المقامات) . لا القصص والروايات . فحافظ بهذا الاعتبار مخلي لغوياً كاتباً . بل كاتباً مقاماتياً قديماً . لا كاتباً روائياً حديثاً .

أما هو في الشعر فعلى العكس : إذ كان لا يستعمل غريب اللغة بكثرة . تدل على شره وحرصه . فمن ثم لم يكن لغوياً في شعره . كما كان لغوياً في نثره . ولكن هذا الشره إلى غريب اللغة في النثر إن كان ساء أقواماً فإنه لم يكن ليسوء جمعنا العلمي الذي يحرص على أن تجني اللغة العربية بإحياء النصيح من كتابتها . والقديم الرائع من تعابيرها .

لذلك كانت فجيعة الجامع اللغوية بحافظ من جهة لغته ونثره . تعادل بل تفوق فجيعة الأمة العربية به من جهة نظمه وشعره .

\*\*\*

وصفنا لكم أيها السادة (حافظاً) العضو في مجامع اللغة والأدب أما (حافظ) العضو في مجالس الأُنس والطرب فإليك طرفاً مما يتسوخ له المقام :  
يظهر أن أهل (حافظ) تنبأوا يوم ولادته بأن سيكون مولودهم كثير الحفظ لأخبار العرب وأشعارهم ومستلح نوادرهم فسموه (حافظاً) .

روى أصدقاؤه (حافظ) أنه كان يعمل على وضع مُصنّف في المُرْقَص من شعر العرب : يختار فيه لكل شاعر بيتاً من أروع أبياته وقد جمع مواد ذلك الكتاب . حتى بلغ نصفه . فاختار لبعض الشعراء مثلاً قوله :

(ولا بدّ لي من جهلة في وصاله فهل من كريم أودع الحلم عنده)  
واختار لغيره غيره وهكذا .

وان اتساع (حافظ) في حفظ بليغ أشعار العرب على هذه الصّورة أثر فيه . ذوقاً في اللغة العربية . فكان أتقى الشعراء المعاصرين عبارة : وأصحهم تركيباً . وأكثرهم تدقيقاً في اختيار الفصح الرائع من الألفاظ .

وليس هذا فقط بل إن حفظه لأخبار العرب جعله نديماً ظريفاً : غير مملول المجلس . ولا مأجوم الحديث .

وقد استحسن الدكتور (زكي مبارك) أن نطلق على (حافظ) ومن كان على شاكلته من حفاظ أخبار العرب — كلمة (محدث) قال : وهو الذي يسميه الفرنسيون (Causeur) وأنا لا أوافق الدكتور على ما قال : لأن لقب (المحدث) غلب في لغة الاسلام على راوي أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وان في آدابنا العربية كلمة أخرى أحق بالقبول وأجدر وهي كلمة (أخباري) نسبة إلى التجر في الأخبار . والاتساع في الرواية .

وقد كان (الجاحظ) أكبر (أخباري) قام في الاسلام . وبعده المسعودي والمحسن التنوخي صاحب تشوار المحاضرة وغيرهم كثيرون .

وسمى (الجاحظ) هذا العلم (علم الخبر) وأثر عنه أنه قال (علم الخبر هو علم الملوك) . وعلى هذا يمكننا أن نقول : إن حافظاً كان أكبر المعاصرين في (علم الملوك) عندنا . كما كان (أناطول فرانس) أكبر أستاذ في هذا العلم عند الفرنسيين .

وكان (حافظ) رحمه الله يعرف من نفسه التفوّق في هذا العلم : استأذن يوماً على المغفور له (سعد زغلول) وكتب إليه هذين البيتين :

(قل للرئيس جزاء الله صالحاً بأن شاعره بالباب ينتظر)

(إن شاء حدثته أو شاء أقبحه بكل نادرة تُروى وتُبكر)

وقد اتفقت كلمة من ترجم لحافظ كما اتفقت كلمة فضلاء دمشق الذين حضروا مجالسه

في زيارته الأخيرة لبلدهم — أنه أبرع أخباري وأظرف نديم عرفوه في حياتهم .  
ولولا وقارُ ( ماتم التأبين ) لروينا لحضراتكم شيئاً من ملحمة الأديسة مما يدل على  
شدة ذكائه . وقوة حفظه .

\*\*\*

على أنني مما أغفلت ذكر خبر من أخبار حفظه . لا أحب أن يفوتني ذكر خبر  
مستغرب اتفق له مرة في نسيانه :

ذلك أن ( حافظاً ) يحفظ أخبار الأولين والآخرين ويروي ما يحفظه بكل دقة  
وتثبت . ولكنه مع هذا ذهل مرة عن خبر ( قصر الجزيرة ) الذي كان للتخديوي  
اسماعيل ثم اتخذ فندقاً لكبار السياح ثم صار قصرآ لآل لطف الله — فروى لنا ( حافظ )  
أن هذا القصر أصبح ( بستان حيوان ) . وذلك قوله من قصيدة<sup>(١)</sup> وصف فيها ذلك القصر :  
( كنت بالأمس جنة الحور يا قص — فأصبحت جنة الحيوان )

مع أن الذي تحول إلى ( جنة حيوان ) إنما هو ( قصر الجزيرة ) لا ( قصر الجزيرة ) .  
ولعمري إن نسيان ( حافظ ) لخبر هذين القصرين اللذين هما على مرمى سهم من  
نظراته . وطالما لمهما في غدواته وروحاته — أمر مستغرب جداً نرويه في غرائب أخباره  
بعد مماته . كما كان رحمه الله يروي غرائب أخبار من كان قبله في حياته .

وهذا النسيان من ( حافظ ) يشبه ما روي عن الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده أنه  
استأذن يوماً على بعض إخوانه . فسأله الحاجب عن اسمه . فأطرق يتذكر .  
رحم الله ( الشيخ عبده ) ورحم ( حافظاً ) . وهل ترون الزمان . أيها الإخوان .  
يخالف علينا مثلها في العلماء والشعراء ؟ إن فعل نكن حقاً من السعداء .

—•••••

(١) هذه القصيدة منشورة في ديوان حافظ المطبوع سنة (١٩٠٧) ولم أجدها في

ديوانه الذي طبع سنة (١٩٢٢) .



## ﴿ قصيدة الاستاذ شفيق بك جبري ﴾

- - -

مدون عامًا على كره تعانيتها	هدأت عنها ولم تهدأ لياليها
ما زلت منها على يأس تغاليه	حتى طواك على الأشجيات طاريتها
فاطرح شدائدك عن كاهل دمت	من جانبيه ولم تهدم عواديتها
ياوقفة لك في أفيائها انحدرت	عنك العواطف مضميتها ومشجبتها <sup>(١)</sup>
ناجيت فيها صبا ولت نواغمه	بدلت شيخوخة منه تناجيتها
فتوة ملئت بؤسا نفاذتها	وكبرة أمتت سقا حواشيتها
أهبت بالموت من سقم ومن شجن	كأنما الموت آمال تناغيها
فتم حنيئا فلا جسم تراوحه	تلك الشجون ولا نفس تغاديتها

\*\*\*

غنت قوافيك بالاحزان مأجحة	تكاد تنطق عن بؤس اغانيها
على قريظك من أنانها أثر	اراه بفصح عن أقصى مراميها
ماقي اغاريدك ان ناح نائمها	الا تهاويل من شكوى تزجيها
تجهتلك الليالي في تصرفها	ففاض شعرك في الافاق تأويها
فما تمليت في يوم مضاحكها	ولا تمليت الا في مباحكها
أمتت في طلب الدنيا فما ابتعت	لك الحياة ولا هشت امانها
سعت بك القدم المشؤم طالعها	فلم تؤد الى نجيح مساعيها
على نعالك من تبريحها دفع	من ثاني الدم لم تنشف جواريتها

(١) إشارة الى قوله رحمه الله :

وقد وثقت على الستين أسالما أسوفت أم اعدت حرا كنفاني .

حتى وددت لو ان النفس عاديها  
أو كان في مسبح الحيتان مطرحها  
المانوية لم تعتق مذاهيها  
لله شعرك كم هاجت هوايجه  
قذفت منه على السودان طائفة  
لوحنوا البؤس في شعر زردده  
ودعت دنياك توديعاً تفرقه  
فما لعينيك في لآلئها انس  
كأنما فبك المأنوس متسع  
العقريه ما زالت معذبة

من قبل أن تسأم الاشجان باريها  
أو في مسارح من هلك مأويها  
على قوافيك رسم من اماليها  
بضيقة في حواشي النفس تضفيها  
صورت بلواك تصويراً يلميها  
لكان بؤسك ألمانا نغنيها  
شكوى يذوب على الآلام شاكيها  
وانما الأوس في أدجى دياجيها  
لعيشك المر من جلى تقاسيها  
في الشرق ما جددت يوماً ماقيها

\* \* \*

لكن نفسك لم تصرع جوانبها  
هنأت بالعمر لم تعباً بنمته  
داويت بالكأس آلام الحياة وهل  
لقبتها ضرة الاحزان زاكية  
الكأس والطاس والصهياء مائلة  
شنت شمل الليالي في تناولها  
لئن نظرت الى الدنيا وبهجتها  
لقد خلعت على الأحزان مشرقة  
وما الحياة اذا اسودت جوانبها  
خير من العمر ممدوداً مرادقه  
لله بمسك المحشوك كم طربت  
فقد تكون حزين البال متعبه  
تلك الأحاديث قد ذقنا حلاوتها

ظلماء من خيبة الآمال تديرها  
وعشتها عيشة طلقاً نواحيها  
بغير اشراقها قلب يداويها  
غراسها مستطابات مجانيها  
في شعرك الطلق تزهى في مزاجيها  
على رخيخ من الأنعام تحييها  
بمقلة ما رأت الا مساويها  
من الحبور طوت من شجوى شاجيها  
وما الليالي اذا لم يصف ضافيها  
على الأسمى لحظة تجلو ثوانيها  
فيه القلوب وكم بشت بواكيها  
وقد نراك ضحكوك العين ساجيها  
في كل نادرة يمر يحليها

تزداد حسناً اذا ازدادت روايتها رقيقة سكبت من روح راويها

\* \* \*

لكن روحك ان جدت وان هزلت  
غنت بوادي الحمى في فجر نهضته  
قد كنت بلبلها الغريد هيجه  
أحببت مصر وسارت في محبتها  
ينجول فيها هوى القسطاط مزدهجاً  
أيقظت منها غفاة في مضاجعهم  
كم أمة رسفت في القيد أطلقها  
أمضك الجرح في احشاء عثرتها  
أردتها حرة لا النير يثقلها  
فما تخوفت الا لعب لاعبها  
فكم بكيت على مصر وحاضرها  
جادت لها عينك الريا محاجرها  
اذا سكنت فلم تأمن هوادتها  
أسيتها يوم دنشواي وروعه  
جلد وشنق وفي الامرين مهزلة  
كشفت عنها غطاء كان يسترها  
ضحوا بشعب بديلاً من قتلهم  
ويج الحضارة كم رافت ظواهرها  
في طيها الموت خفاق سبائه  
ذئب تلف في جلد الشياة وهل  
خير من العلم جهل لا يشمه

لم تنس مصر ولم تهمل مغانيها  
وخاضت النهضة المحمر وادبها  
غول على مصر محتل روايتها  
قصائد من عباب النيل ترونها  
على فؤاد عناء خطب أهلها  
والشعر يوقظ في الأقوام غافها  
من القيود فلم تملك نواصيها  
فكنت في شرك الريا أسيرها  
اذا تهادت ولا الأصفاة توهيها  
ولا تجشيت الا هو لاهيها  
وكم حنوت على مصر وباقيها  
بالؤلؤ الرطب من حال تعانها  
وان نطقت فلم تأمن منافها  
يايوم دنشواي ما أبقى الأذى فيها  
تلك الجنايات باسم العدل جانيها  
حتى تمثل للعينين قاسيها  
تلك الجراحات لم تضمد دوامها  
هذي العيون وكم ساءت خوافها  
مكشوفة عن ضمماها محايها  
يخفي الذئاب طلاء في مغاطها  
عسف الشعوب وهزم من اضاحها

\* \* \*

ما كان شمر كالأوحي عاطفة      ظل الجزيرة والاهرام موحيا  
عليه من مضر الحمراء منزعة      محبوكة الوشي مرصوص مبانيها  
لئن جفت مصر ارض الشام واطرحت      هوى العروبة كم انبت جافيا  
صاحت جلق لم تنقض موائقها      على البعاد ولم تنكث اواخيا  
فان بكتك على جرح تعالجه      فقد رأيتك على الاهرام تبكيها



### خطاب قنصل مصر

« في حفلة تأبين حافظ »

ألقى سعادة قنصل مصر في بيروت في الحفلة التأبينية لشاعر النيل المرحوم حافظ بك  
ابراهيم الخطاب الآتي :

دولة رئيس الوزراء — سادتي

ليس هذا يوم مصر فقد قامت مصر بقطبا من واجب التأبين واحياء ذكرى الراحل  
العظيم ولم يبق فيها صغير ولا كبير الا اشتبك بقلبه أو لسانه في تمجيد شاعر النيل بل  
شاعر الشرق المغفور له حافظ بك ابراهيم . وانما اليوم يومكم . يوم سوريا الخالدة ورجالها  
الأبجاء ، يوم حماة العربية لتمجيد ذكرى شاعر العربية . وعلم النهضة الفكرية . وحامل  
لواء الشعر في البلاد العربية . . . اليوم يومكم فليس لي ان اطيل الكلام بينكم وقد وفي  
خطباؤكم المقام حقه فأجادوا وأبدعوا . وانما وقفت لاعبر لكم عن خالص شكري  
وتقديري لشعوركم واغتيابي لما تظهره سوريا دائما نحو شقيقتها مصر من العطف والود  
والاخلاص . ويزيد اغتيابي ومروري ان هذه المظاهرة لا تبدو في ناحية واحدة من  
نواحي الحياة بل تبدو في جميع الظروف والمناسبات فلا تمر فرصة أدبية كانت أو عملية



اقتصادية أو تجارية ، اجتماعية أو سياسية لا تظهر فيها تلك العواطف بأجلى وضوح ...  
ولا شك ان هذا الود المتبادل هو اكبر عامل من عوامل التقارب بين البلدين كما ان مثل  
ما نحن مجتمعون له اليوم له اثره الفعال في زيادة الروابط الروحية والنفسية بين الشعبين الشقيقين  
شعب سوريا وشعب مصر ... عاشا صديقين يؤلف بين قلوبهما عواطف الولاء والحب  
والإخلاص .

ولا يفوتني ان اسدي اجمل الشكر لحضرات رئيس واعضاء المجمع العلمي الذين  
يكرمون في الراحل الكبير لاهن مصر فقط ولاشاعرها الفذ بل يكرمون فيه فتيمة اللغة  
العربية وفقيد الشرق باجمعه كما واني أشكر حضرة صاحب الدولة حقي بك العظم رئيس  
الوزارة السورية على تعطفه بوضع هذه الحفلة التاريخية تحت رعايته السامية .

قراران في تأليف  
«المجمع العلمي العربي»  
( ١ )

قرار (١٢٥)  
بوضع القانون الأساسي للمجمع العلمي العربي والمكتبة الوطنية  
في دولة سورية

ان رئيس مجلس الوزراء  
بناء على القرار رقم ٢٩٨٠ بتاريخ ٥ كانون الأول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية  
وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٢ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨ .  
وبناء على قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ .  
وبناء على القرار رقم ٢٨٣ بتاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ القاضي بوضع نظام الجامعة  
السورية. وفصل المجمع العلمي العربي عنها .  
وبناء على اقتراح وزير المعارف .

« يقرر »

- المادة الاولى المجمع العلمي العربي جمعية علماء غابتنها ومهمتها حفظ اللغة العربية  
وترقيتها والتدقيق في البحث عن تاريخ سورية وتاريخ اللغة العربية .
- المادة الثانية مركز المجمع العلمي العربي في دمشق ويمكن ان يكون له شعبة في  
حلب واعضاء مراسلون في البلاد المشمولة بالانتداب والبلاد الأجنبية .
- المادة الثالثة يشرف المجمع العلمي العربي على دور الآثار في دولة سورية من  
الوجهة العلمية .
- المادة الرابعة يربط المجمع العلمي العربي ادارة وزارة المعارف .

ان وزير المعارف مكلف بدرس الأمور المتعلقة بالمجمع العلمي ولا سيما الأمور التي يجب ان تعرض على رئيس الدولة أو المفوض السامي ( فمن هذه الأمور ) .  
 (١) يعي وزير جميع قرارات رئيس الدولة المتعلقة بنظام المجمع أو تعيين رئيسه واعضائه . وهذه القرارات تعرض على المفوض السامي للمصادقة عليها .  
 (٢) بدق في مطالب رئيس المجمع العلمي بشأن الاعانات ويرسلها الى رئيس الدولة مشفوعة بملاحظاته .

المادة الخامسة يدير المجمع العلمي رئيس ينتخب بالتصويت السري لمدة ثلاث سنوات من بين الأعضاء وبناء على اقتراح زملائه يجوز تجديد انتخاب الرئيس .  
 المادة السادسة يساعد رئيس المجمع العلمي مجلس مؤلف من جميع الأعضاء .  
 أعضاء المجمع العلمي عشرون .

وعند ما يتوفى أحد الأعضاء أو يقدم استقالته ينتخب مجلس المجمع خلفه ولا يصح هذا التعيين مبرماً الا بعد موافقة رئيس الدولة وتصديق من المفوض السامي .  
 يجتمع مجلس المجمع العلمي مرة في السنة بجلسة اعتيادية بناء على دعوة الرئيس الذي يمكنه ان يدعو ايضاً للاجتماع في جلسة غير اعتيادية .  
 وعدا ذلك فانه يساعد الرئيس عضوان اداريان دائمان ينتخبهما المجمع ضمن الشروط نفسها التي ينتخب بها الرئيس .

المادة السابعة يدرس المجمع العلمي جميع المسائل المتعلقة بالمجمع ليرسلها الى وزارة المعارف فمن هذه المسائل تهيئة الموازنة والنظام الداخلي وبرنامج مباحث التاريخ واللغة والنشر والمطبوعات التي يجب القيام بها وادارة المكتبة الوطنية في دولة سورية الخ . . .  
 يدي المجمع العلمي امانيه ومطالبه المتعلقة بالحفر أو بالمباحث الأثرية التي تظهر له ضرورة القيام بها وبالتشيل والاشتراك في المؤتمرات العلمية الدولية .

المادة الثامنة تحدد فيما بعد بقرار خاص الشروط التي يجب بموجبها على المؤلفين والناشرين وأصحاب المطابع والمكاتب أن يقدموا الى المكتبة الوطنية ثلاث نسخ من كل كتاب أو صحيفة أو جريدة أو مجلة مطبوعة في دولة سورية أو من تأليف وطني سورية ومعدة للبيع في دولة سورية .

المادة التاسعة يتمتع المجمع العلمي بالشخصية المعنوية وله زيادة على ذلك استقلال في ميزانيته وتتكون واردات موازنة المجمع العلمي من محصول العطايا والاعانات التي تجود بها دولة سورية .

أما النفقات فانها تشمل ما يأتي :

راتب الرئيس والعضوين الإداريين .

راتب موظفي الإدارة والخدمة الذين يدخل في عدادهم موظفو المكتبة .

التعويضات الخاصة التي تعطى بعد قرار وزاري الى الأعضاء للأبحاث والمحاضرات التي يكلفهم بها المجمع .

حفظ المفروشات والأماكن والأجرة والتبوير والتدفئة وفرش الأماكن المعينة للمجمع ولشعبه والمكتبة الوطنية .

نفقات نشر الكتب والمخطوطات القديمة مع اعمال المجمع . نفقات المراسلات والاشتراك والنشریات .

نفقات اشتراك وتمثيل المجمع العلمي في المؤتمرات الدولية العلمية وذلك بعد موافقة وزير المعارف وقرار رئيس الدولة .

انجاء جوائز لمكافأة اعمال اللغة والتاريخ وتاريخ اللغة والآثار .

شراء كتب مطبوعة ومخطوطة للمكتبة الوطنية . والعناية بتجليدها وحفظها ووضع فهرس عام للمكتبة .

ينفذ تنظيم هذه الموازنة التي يصدقها رئيس الدولة بناء على اقتراح وزير المعارف طبقاً لقواعد المحاسبة العامة .

يقوم رئيس محاسبة وزارة المعارف بدون راتب اضافي بوظيفة محاسب المجمع العلمي العربي  
أحكام التطبيق

المادة العاشرة ان جميع موافقات رئيس الدولة المنوّه بها في هذا النص تصدر بصورة قرار .

المادة الحادية عشرة ان الرئيس والعضوين الإداريين الدائمين الموجودين الآن في وظائفهم يقعون على رأس وظائفهم مدة ثلاث سنوات اعتباراً من نشر هذا القرار .



المادة الثانية عشرة تلغى أحكام النصوص النظامية المتعلقة بإدارة المجمع العلمي المخالفة لهذا القرار وعلى الأخص القرار رقم ١٣٢ المؤرخ في ١٥ حزيران سنة ١٩٢٣ .  
 المادة الثالثة عشرة ان وزير المعارف ووزير المالية مكلفان بتنفيذ هذا القرار الذي يطبق اعتباراً من يوم نشره للأعمال الادارية ومن ابتداء كانون الثاني سنة ١٩٢٨ من الوجهة المالية .  
 دمشق : في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ .

وزير المعارف شوهده مندوب المفوض السامي رئيس مجلس الوزراء  
 محمد كرد علي ديليله ديولوج محمد تاج الدين الحسيني  
 شوهده وصدق في ٨ أيار سنة ١٩٢٨ تحت رقم (٦٧٠)  
 المفوض السامي ( بونسو )

—••••—

— ٢ —

قرار رقم (١٤٠٩)

ان رئيس مجلس الوزراء بدولة سورية  
 بناءً على قرار تأسيسها تاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ رقم ٢٩٨٠  
 وعلى قرار تعيينه رقم ١٨١٢ بتاريخ ١٤ شباط سنة ١٩٢٨  
 وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨٢٤ بتاريخ ١٥ شباط سنة ١٩٢٨  
 وعلى القرار رقم ٢٨٣ القاضي بوضع نظام الجامعة السورية  
 وعلى القرار رقم ١٣٥ تاريخ ٨ أيار سنة ١٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي  
 وعلى القرار رقم ١١٣ القاضي بوضع ملاك التعليم العالي . وحيث ان التقلب في ادارات  
 المعاهد العلمية الكبرى يحول دون رقيها .  
 وبناءً على اقتراح وزير المعارف

« يقرر »

المادة الاولى تبديل المادة الثالثة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦  
 بالأحكام الآتية :

المادة (٣) يدير الجامعة السورية رئيس يعين بقرار من رئيس الدولة بناءً على اقتراح وزير المعارف وينتخب من أساتذة التعليم العالي ولا يجوز ان يجمع بين وظائف أخرى ذات راتب يدفع من موازنة الدولة أو موازنة ملحقة بها .

المادة الثانية تبديل المادة التاسعة من القرار رقم ٢٨٣ تاريخ ١٥ آذار سنة ١٩٢٦ بالأحكام الآتية :

المادة (٩) يدير كلاً من معهدي الطب والحقوق رئيس ينتدبه رئيس الدولة بقرار الى مدة خمس سنوات بناءً على اقتراح وزير المعارف .

ينتخب رئيس لكل معهد حتماً من بين المرشحين الذين يقترحهم مجلس المعهد ذي العلاقة من جهة ومجلس الجامعة من جهة أخرى . وكل من هذين المجلسين ينظم بهذا الشأن لائحة تحتوي على ثلاثة أسماء مرشحين من بين الاساتذة القائمين على رأس العمل في المعهد ومن الممكن تجديد مهمة رئيس المعهد .

المادة الثالثة يعين رئيس المجمع العلمي بقرار من رئيس الدولة بناءً على اقتراح وزير المعارف الى مدة خمس سنوات . وينتخب من لائحة تحتوي ثلاثة أعضاء في المجمع يهيئها المجمع المذكور باجتماع عام . ومن الممكن تجديد مدة رئيس المجمع العلمي .

المادة الرابعة يمكن انهاء مهمة رئيسي المعهدين ورئيس المجمع العلمي العربي بناءً على اقتراح وزير المعارف بموجب قرار من رئيس الدولة تبين فيه الاسباب الموجبة . كل رئيس معهد أو رئيس مجمع علمي يعزل من مهمته لا يمكن ان يكون فيما بعد موضوع انتخاب رئيس الدولة الا بعد مضي خمس سنوات .

المادة الخامسة يتقاضى رئيس الجامعة السورية ورئيس المجمع العلمي الراتب المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ ويتقاضيان ايضاً باسم نفقات تمثيل تعويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية . .

ويتقاضى رئيسا معهدي الحقوق والطب عدا الراتب الخاص بكرسيهما المنصوص عليه بالقرار رقم ١١٣ تعويضاً شهرياً قدره خمسون ليرة سورية لبنانية .

المادة السادسة تلغى أحكام القرارات رقم ٢٨٣ و ١٣٥ و ١١٣ فيما هو مخالف لهذا

القرار .

المادة السابعة وزير المعارف والمالية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار .  
دمشق : في ايلول سنة ١٩٢٩

وزير المعارف وزير المالية شوهد - المندوب رئيس مجلس الوزراء  
محمد كردعي محمد جميل الالشي (بروير) محمد تاج الدين الحني  
شوهد وصدق بتاريخ ٢ ايلول سنة ١٩٢٩ تحت رقم (١٢١٤)  
عن المفوض السامي  
التوقيع (يترو)

### قرار رقم ٢٣٧٦

ان رئيس مجلس الوزراء

بناء على القرار رقم ٢٩٨٠ تاريخ ٥ كانون الاول سنة ١٩٢٤ القاضي بتأسيس دولة سورية  
وبناء على قرار تعيينه رقم ١٨١٢ في ١٤ شباط ١٩٢٨ .  
وعلى قرار صلاحيته رقم ١٨١٤ في ١٥ شباط سنة ١٩٢٨ .  
وبناء على قرار رقم ١٣٥ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي . وبناء على اقتراح وزير  
المعارف وبعد استطلاع وزير العديلة .

« يقرر »

المادة الاولى عندما ينتهي طبع كل مطبوع سواء اكان هذا المطبوع يصدر في  
وقت معين ام لا وكل قطعة موسيقية وكل رسم مصور الخ - على صاحب المطبعة ان  
يودع المكتبة الوطنية في الدولة السورية نسختين منها والا كان عرضة لجزاء يتراوح بين  
١٠ و ٥٠ ليرة ورقاً وتحتوي وثيقة الابداع على اسم صاحب المطبعة وعنوانه واسم المطبوع  
وعدد نسخه ويعطى بالنسختين وصل مرقم مؤرخ . يستثنى من ذلك اوراق الانتخاب . رسائل  
وبطاقات الدعوات وبيانات العنوان وعنوان الفواتير والاسهم المالية والعهود والاذاعات  
التجارية والصناعية .

المادة الثانية يجري الابداع الاجباري المنصوص عليه في المادة السابقة .

- اما رأساً في المكتبة الوطنية ( المجمع العلمي ) بدمشق .
  - واما رأساً في مصلحة المعارف بحلب .
  - واما بموجب كتاب مضمون باسم محافظ المكتبة الوطنية ( المجمع العلمي ) بدمشق .
  - عند ما يجري الايداع رأساً يعطى الوصول فوراً وعندما يرسل بواسطة البريد يعطى الوصول بالطريقة نفسها .
  - وعلى كل الأحوال يوضع رقم الوصول بالخبر على النسختين المودعتين بجانب اسم صاحب المطبعة يستعمل سجل خاص حسب تتابع الأيام مرقم من ( ١ ) الى ( ١٠ ) في المكتبة الوطنية وسجل آخر في مصلحة المعارف بحلب لتسجيل الايداعات .
  - المادة الثالثة تجري التعقيبات من قبل النيابة العامة في المركز الموجودة فيه المطبعة المخالف صاحبها وهذه التعقيبات تجري اما من قبل النيابة العامة مباشرة واما بناء على طلب رئيس المجمع العلمي أو رئيس مصلحة المعارف بحلب .
  - المادة الرابعة تلغى جميع الأحكام المخالفة لهذا القرار وأحكام القوانين السابقة التي تتعلق بايداع نسخة واحدة من بعض المؤلفات الى مصلحة المعارف .
  - المادة الخامسة وزير المعارف والعدلية مكلفان كل بما يخصه بتنفيذ هذا القرار .
- دمشق : في ٢٦ آب سنة ١٩٣٠

وزير المعارف      شوهد وزير العدلية      رئيس مجلس الوزراء  
التوقيع (محمد كرد علي)      التوقيع (صبيح النبال)      التوقيع (محمد تاج الدين الحسيني)

شوهد وصدق بتاريخ ٦ ايلول سنة ١٩٣٠ تحت رقم ٨٨٢٦

المندوب

التوقيع (بروير)



## رياسة المجمع العلمي العربي

انتهت مدة رياسة المجمع العلمي العربي فكتب معالي وزير المعارف مظهر ياشا رسلان الى رياسة المجمع كتابا بتاريخ ٢٨ حزيران ١٩٣٢ هذا نصه :

« نرجوا ان تأمروا بجمع اعضاء المجمع العلمي لانتخاب رئيس له بحسب الاصول وتفضلوا باعلامنا النتيجة وقبول فائق الاحترام سيدي »

فانتخب المجمع ثلاثة من اعضائه عملاً بقرار رقم ١٤٠٩ وهم الاساتذة محمد بك كرد علي والدكتور اسعد الحكيم والامير مصطفى الشهابي فاختارت وزارة المعارف الرئيس الاول وكتبت الى المجمع بتاريخ ٢٧ آب سنة ١٩٣٢ الكتاب الآتي :

« لمعالي رئيس المجمع العلمي العربي الانتم  
هيأنا مرسومًا بتجديد انتخاب معاليكم لرياسة المجمع العلمي العربي وسنرسله اليكم  
متى صدق فأمل ان يستمر المجمع في رياستكم الجديدة في سبيل التقدم والترقي وان  
يزداد ازدهاراً وتفضلوا بقبول فائق الاحترام سيدي »

وهذه صورة المرسوم العالي الوارد بتجديد تعيين الرئيس

« ان رئيس الجمهورية السورية

بناءً على الديكتور المنشور في ١٤ أيار سنة ١٩٣٠

وبناءً على القرار رقم ١٣٥ بتاريخ ٨ أيار ٩٢٨ القاضي بوضع نظام المجمع العلمي

وبناءً على القرار رقم ١٤٠٩ بتاريخ ايلول ٩٢٩ القاضي بوضع نظام تعيين رؤساء المعاهد

وبناءً على قرار المجمع العلمي بتاريخ ٢٤ آب سنة ١٩٣٢

وبناءً على اقتراح وزير المعارف

« يرسم مايلي »

المادة ١ - يحدد تعيين الاستاذ محمد بك كرد علي رئيساً للمجمع العلمي العربي لمدة

· خمس سنوات اعتباراً من ١٦ حزيران سنة ١٩٣٢

المادة ٢ — يذاع هذا المرسوم ويبلغ الى من يجب ·

دمشق في ربيع الآخر سنة ١٣٥١ هـ وفي آب سنة ١٩٣٢ م

١٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ هـ و ١٣ ايلول سنة ١٩٣٢ م

التوقيع : محمد علي العابد

صدر عن رئيس الجمهورية

رئيس مجلس الوزراء

وزير المعارف

التوقيع : حقي العظم

التوقيع : مظهر رسلان

## آراء وافكار



### « جامع أو جامعة القرويين »

ان فاخر المشرق بالأزهر وقدم الأزهر فان المغرب الأوسط جدير بان يباهي بجامع الزيتونة . والمغرب الأقصى بجامع او جامعة القرويين . وان هذا الأخير أسبق زهناً من رفيقيه بل ربما كان أقدم مدرسة جامعة في العالم .

أسست جامعة القرويين امرأة وهي فاطمة أم البنين سنة ٢٤٥هـ وما زالت تلك الجامعة منذ ذاك التاريخ الى الآن تهدي الى مختلف الأقطار في الشرق والمغرب حظاً من ثمار رجالها الذين خدموا العلم بنشاط واخلاص ونثروا في كل جهة يزور الفنون المختلفة سواء منها ما يتعلق بالدين أو الدنيا . وما كان تعصب هؤلاء الرجال لدينهم والذي يمنهم ان يفتخروا صدورهم لقبول كل شيء ودرس كل ما من شأنه ترقية الفكر واصلاح الفهم . ولنسرد على سبيل المثال طائفة من هؤلاء الرجال :

- (١) عبد الله بن حجاج صاحب الأرجوزة في الجبر والمقابلة ( توفي سنة ٦٠١ هـ ) .
- (٢) الإمام ابن البنا الفلكي المهندس الفيلسوف ( نيف و ٧٢٠ هـ ) .
- (٣) احمد بن شعيب الجزنائي الطبيب الأديب ( ٧٤٩ هـ ) .
- (٤) محمد بن عمر الفلكي ( ٧٩٤ هـ ) .
- (٥) ابو زيد الجاديري الفلكي الشهير ( ٨١٨ هـ ) .
- (٦) عبد الله اليفرني البحوي الكبير ( ٨٥٦ هـ ) .
- (٧) ابو عمران بن العقدة موسى الصلتاني ( ٩١١ هـ ) .
- (٨) ابو العباس احمد المطرفي المعدل ( ١٠٠١ هـ ) .

- (٩) أبو زيد البعقلي الفلكي (١٠٠٦ هـ) .  
 (١٠) محمد بن أبي القاسم بن القاضي الرياضي (١٠٤٠ هـ) .  
 (١١) أبو الحسن بن عبد الواحد صاحب المؤلفات في الطب والتشريح والفلك (١٠٥٢ هـ) .  
 (١٢) عبد الوهاب بن أبي حامد الميقاتي المهندس (١٠٧٩ هـ) .  
 (١٣) محمد بن سليمان الروائي مخترع كرة الدوائر الفلكية الشهيرة به المتوفى بالثام (١٠٩٥ هـ) .  
 (١٤) أبو زيد عبد الرحمن النامي اسنوطي زمانه الذي قيل فيه أنه أعرف بكل فن من اهل كل فن مؤلف كتاب الأتقنوم ومخطط الخرائط الجغرافية والفلكية الخالدة (١٠٩٦ هـ) .

هذه طائفة من أشهر علوم الدنيا اما علماء الدين فانهم يفوقون الحصر . وكانت جامعة القرويين على اختلاف الاعصار مثابة لطلاب الاقطار يفدون اليها رغبة في التزود من معينها والكرع من ينابيع رجالها فقد قبلت عديداً من طلبة مصر وافريقية والاندلس وانكلترا وروما وغيرها وقد نال بعض علماء الروسية ( ان أقدم كلية في العالم ليس في اوربا كما كان يظهر بل في افريقية في مدينة فاس عاصمة بلاد المغرب سابقاً اذ تقق بالشواهد التاريخية ان هذه المدرسة كانت تدعى (كلية فيروان) وقد أسست في القرن التاسع للميلاد ( أي الثالث للهجرة ) وعليه فهي ليست فقط أقدم كليات العالم بل هي الكلية الوحيدة التي كانت تتلقى فيها الطلبة العلوم السامية في تلك الأزمنة وثبت ان لم تكن سككت باريس واكسفورد وباردو وبولونيا يعرفون من الكليات الا الاسم ولذلك كانت الطلبة تتوارد على (كلية فيروان) من انحاء اوربا وانكلترا فضلاً عن بلاد العرب الواسعة للانخراط في سلك طلابها وتلقي العلوم السامية باللغة العربية مع الطلبة الافريقيين والمصريين والاندلسيين وغيرهم ومن جملة من تلقى علومه في هذه الكلية من الأوربيين البابا (سلفستر) وهو اول من ادخل الى اوربا الأرقام العربية وطريقة الأعداد المألوفة بعد أن اقتنبا جيداً في هذه الكلية كما يظهر من رسالته الى الامبراطور (أتون) بمساعدته التي أتى فيها على ذكر الصفر بقوله : إني أشبهك بالرقم الأخير من الأعداد البسيطة العشرية التي تزداد قيمته بوضع اعداد



أخرى عن يساره اه . وقول هذا الكاتب الروسي ان اسم تلك الكلية ( كلية قيروان )  
تغير في الترجمة وصوابه ( كلية القرويين ) وقد رأى القاري من اسماء العلماء السابقين بانهم  
كانوا مجوراً في علوم الدنيا كالطب والفلك والهندسة وهذا في القرن الثالث عشر الهجري  
بعد بحق عصر الاسفاف في الافكار والانحطاط في العلم وقد أشار الى ذلك كثيرون ممن  
تعرضوا للمغرب في كتاباتهم من الأوربيين أمثال الموسيو (بونيه مورو) مؤلف كتاب  
الاسلام والنصرانية في افريقية . ومن العلماء المعاصرين الذين تلقوا العلوم الحديثة في جامعة  
القرويين .

(١) — الطيب سيدي عبدالسلام العلمي وله مضاف في البواسير ومضاف آخر سماه :  
(ضوء الزبراس . في حل الفاظ الانطاكي بلغة فاس) وقد ذكر في آخر هذا الكتاب انه  
شرع في وضع معجم المصطلحات الطبية الجديدة ومقابلتها بالمفردات العربية والهجاء المغربية  
ولا نعلم ان كان أتمه او حالت المنية دون الاتمام .

(٢) — ابو عبد الله الأغراوي المهندس .

(٣) — سيدي ادريس البلغيثي الفلكي .

(٤) — السيد محمد الايراربي الموسيقي البارع الذي استمر يدرس الموسيقى بظهر  
صومعة القرويين الى آخر العقد الثالث من هذا القرن .

ولسنا ننكر ان في هذه الجامعة فوضى تحتاج الى إصلاح ونظام متين ولعل هذا في  
جملة الاسباب التي دعت جلالة السلطان مولاي الحسن الى إيفاد البعثات العلمية .  
الاستفادة من العلوم الحديثة وتطبيق برنامج ثابت في جامعة القرويين تتال من ورائه الفائدة  
المبتغاة ان شاء الله . انتهى ملخصاً من مقال لسيد محمد عمال القاسمي نشره في (مجلة المغرب)  
«المغرب» .

«الفهرس العام»

( لما في هذا المجلد من المواد والموضوعات مرتباً على حروف الهجاء )

صفحة	حرف الهمزة ( الف )	صفحة
٢٤٩ استفهام ( عن كلمات لغوية )	٢٥٢ آداب المعلمين ( كتاب )	
٣١٦ الأسلام ( كتاب )	١١٠ ابن اسحاق ( سيرته - كتاب )	
١٧٥ الأسماء العربية للثمار النباتية	٢٦ ابن خفاجة الاندلسي (٢)	
٣٩٨ اصطلاحات النباتات الدنيا	٦٣٥ ابن خلدون ( آراؤه الاقتصادية - كتاب بالافرنسية )	
٦٣ الاعلام العربية والفارسية عند السريان ( كتاب )	٥٤ ابن العديم ( بشأن تاريخه )	
٤٣٩ الفاظ عربية في اللغة الارمنية	٥٧١ ابن عساكر ( طبع الجزء السابع من تاريخه )	
٢٩ و ٢٠٤ و ٢٨٢ الف ليلة وليلة ( محاضرة فيها )	٣١٧ الابنية الاثرية في حلب ( احداثها - كتاب )	
٣٧٦ أمراء الشعر العربي ( في العصر العباسي - كتاب )	٤٤٤ اتجايب اعلام النابلس ( تاريخ مكنايس - كتاب )	
٢١٦ و ٤١٦ و ٤٧٨ و ٥٤٨ اولياچلي ( رحلته ٧٢٨ و ٦٧٢ و ٦٠٧ )	٧٢١ و ٦٤١ اثناعشر كوكبا ( محاضرة )	
حرف الباء	٣١٥ أحاديث الزواج في مضر ( كتاب )	
٤٤٨ البيت الشامي في حوراث وغيرها ( كتاب بالافرنسية )	٣١٧ اخبار دمشق عن الصليبيين ( كتاب )	
حرف التاء	٥١٣ اخوان الصفا ( العلوم الطبيعية عندهم )	
٦٠٣ تاريخ الفقه الاسلامي ( كتاب فيه )	٢٥٧ و ٤٠٣ و ٦٨٢ الادب ( كتبه القديمة والحديثة )	
٣٢٦ و ٣٥٢ التبصر بالتجارة ( كتاب وثمة ناشره )	١٢٢ الادب والبيان ( مقالات فيها )	
	٤٣٩ الارمن ( الفاظ غريبة في لغتهم )	

صفحة	صفحة
٥٧٤ الحديث ( ثلاث رسائل في مصطلحه )	٦٦٨ التدوين في الاسلام ( تلخيص مقال )
٢١ خروف التاج	٧٠١ تذكرة النوادر ( كتاب مخطوطات بالهند )
٥٧ الحسبة ( آدابها . كتاب )	١٠٦ التكملة والصلة والذيل للقاموس
١٨٩ الحلاج ( ترجمة ديوانه )	٣٥٦ توم الميت حيا ( بحث لغوي . تابع
٣٠٩ حلب ( اصل بنائها )	مقالات قاعدة توم اصالة الحرف )
حرف الحاء	١٢٦ تهذيب الاخلاق والتعليم الاجتماعي
٤٤٧ الخزف الشامي العراقي ( كتاب	الوطني ( كتاب )
بالافرنسية )	حرف الاء
٣٨٢ الخطرات ( مقالات في كتاب )	٤٤٩ الثقاله والثقلاء ( محاضرة )
١٨٠ الخطط العربي ( تلاخيص من كتاب فيه )	حرف الجيم
٣٧٨ الخيام ( رباعياته )	٤٥٤٠ الجاحظ ( نهكه )
حرف الدال	٢٣٣ = ( عبقريته )
٦٩٨ در ( كلمة فارسية في الكلمات العربية )	٣٦٢ و ٢٩٩ = ( فنه )
حرف الزاء	٣٢١ = ( كتاب من مصنفاته )
١٩١ الزاء ( بحث لغوي فيها )	١٥٢ = ( مذهبه في الأدب )
٣٧٨ رباعيات الخيام	٩٧ و ٨٩ = مذهبه في النقد
٢٠٥ رحلة الي القاهرة ( محاضرة )	١٢٥ الجزائر ( كتاب في شعرائها المعاصرين )
٦٥ الرسالة النباتية	٣١٢ الجزائر ( كتاب تقيس فيها )
٢٥٥ الرسالة النباتية ( تقريظها )	٧٧٤ جامع القرويين ( تلخيص مقال فيه )
٦٣ رياحين الأرواح ( كتاب )	٣٨٤ الجيش العرهم ( كتاب )
حروف الزاي	حرف الحاء
٦٢٢ الزبور الشريف ( مخطوط )	٧٣٥ حافظ ابراهيم ( حفلة تأييده والخطب
	التي القيت فيها )

صفحة	صفحة
١١١ زكي مغامر ( ترجمة حياته )	٣١٥ الزواج ( احاديث فيه )
٣٧٩ العبرات الملتبهة ( ديوان شعر )	٥٣٣ عرب البادية ( القضاء عندهم )
٦٥٤ العبير والخراج في اختلافات العربية	٣٨٥ الفارابي ( ترجمته )
١٦١ الفراسة ( قصيدة )	٦٠٣ النقه ( مصنف في تاريخه )
٦٠٣ الفكر السامي ( جزاء الثالث والرابع )	٦٠٣ الفكرة السامي ( جزاء الثالث والرابع )
( راجع مجلد ٩ ص ٥٠٦ )	
٦٣٧ القرآن ( بالحروف اللاتينية )	١٢٠ القرآن ( ترجمته الى الافرنسية )
٧٦٥ قرارات تتعلق بالمجمع العلمي العربي	٧٧٤ القرويون ( جامعته )
٦٣٦ قصص جديدة للاطفال ( كتاب )	٥٣٣ القضاء عند عرب البادية ( محاضرة )
٣٧٨ كتابان في النكاح والطلاق والهبات	
والوصايا والفرائض ( مترجم عن العربية الى الفرنسية )	
٦٨٢ و٤٠٣ و٢٥٧ كتب الادب القديمة	
والحديث	
٥٨ السريان ( اعلامهم . كتاب )	٥٨٩ سورية ( شعوبها واثارها . محاضرة )
٦٦١ سورية المخوفة ( تاريخها )	
٥٦٨ شنته ( أي كلمة عربية تقوم مقامها ؟ )	
٦٤ الصابون ( تأليف فيه )	٣١٤ الصبح المنبي ( كتاب )
٢٩٢ و٢٤٣ صفي الدين الحلي ( ترجمته )	٣١٧ الصليبيون ( كتاب عنهم )
٥٠٣ الصليبيون ( كلماتهم الدخيلة في العربية )	٥٢ الصنوبري ( الشاعر )
٥٦٨ ضونة ( مكان ) شنته	٣١٦ الصهيونية ( مناقبها )
٦٣٨ الطب العربي ( كتاب )	
٢٥٥ طوق الحمامة ( كتاب )	
٧٢١ و٦٤١ عائشة الياقوتية ( في محاضرة )	



صفحة	صفحة
١٤٣ الكلمات الابوية	١٠٦ و ٥٥٠ مخطوطات (تكملة القاموس وغيرها)
٥٧٧ و ٥٢١ الكلمات غير القاموسية (الكلمة	٥٠٦ و ٦٣٤ و ٧٠٣ مخطوطات دار الكتب
الاخيرة فيها)	الظاهرية (نوادرها)
٥٦٨ كلمة مكان كلمة	٤٧٠ مخطوطات المدرسة العثمانية بحلب
١٢٤ الكنائس الشرقية البيزنطية (كتاب)	٧٠١ = المكاتب الهندية
٦ الكوكائين (محاضرة)	٥٧٥ المسك الازفر (كتاب)
حرف الميم	٥٧٤ مصطلح الحديث (ثلاث رسائل فيه)
١٢٦ المبشرون (كتاب فيهم)	١٩٣ و ٢٧٠ مصطلحات علمية (مقال مسهب
٥١١ مجلة الابحاث الشرقية (بالفرنسية)	فيها)
٥٠٨ مجلة الضياء الهندية	٦٠ المقصد (كتاب)
٤٤٢ مجلس احياء المعارف النعمانية في الهند	٤٤٤ مكناس (كتاب في تاريخها)
١ المجمع العلمي (جذولان باسماء اعضاءه	٤٩٢ ملاحظات لغوية
الاحياء والراجلين)	٢٥٠ ملاحظات (في نقد مقال)
٧٦٥ المجمع العلمي (قرارات فيه)	٣١٦ نبات الصهيونية (كتاب)
٣١٩ = = (مخطوطاته التي اقتناها	٦١ المنتخب من ادب العرب (كتاب)
حديثاً)	٢٣١ منصور البهوتي (ترجمته)
١٢٣ المجمع المصري (كتابه السنوي)	١٩٠ الموجز التاريخي (كتاب مدرسي)
٥٩ مجموعة الرقم العربية (جزء اول)	حرف النون
٦٣٩ مجموعة الرقم العربية (جزء الثاني)	١١٥ النثر الجاهلي (تلخيص مقال عنه)
٣٧٩ المحفوظات المختارة والموجز في علم المنطق	٤٨٩ و ٤٣١ و ٣٦٢ } تسوهر المحاضرة (جزء
(وهما كتابان مدرسيان)	الثاني مخطوط ينشر
٢٥٣ محمد عبيدو (كتاب في تاريخ حياته)	٥٥٩ و ٦١٨ و ٦٩٠ } قباة
٣١٩ مخطوطات (اقتناها المجمع العلمي)	٥٧٦ نصوص على قبرين لملكين مصريين
	٤٤٦ نظرات الشوري (كتاب)

صفحة	حرف الهاء
٢٤٩	تقد لتقوي ( استفهام )
٢٥٠	تقد مقال ( حول الحلاج )
٥٠٣	نموذج من الكلمات الصليبية
٨١	نهاية الإرب ( تصحيح اغلاط جزئه الثامن )
	حرف الواو
٦٣٣	واثلة ابن الاسقع ( حول وفاته وقبره )
	صفحة
	١٢٧ و ١١١ هدايا كتب
	٧٠١ الهند ( كتاب في مخطوطاتها )
	٥٠٨ الهند ( مجلتها - الضياء )
	٤٤٢ الهند ( مجلس لطيع كتب السادة الجنفية فيها )
	٥٧٢ الهند ( نهضتها - رسول الوحدة )

## فهرست الاعلام

« اي اسماء كتاب المقالات المنشورة في هذا المجلد مرتبة على حروف المعجم »

صفحة	حرف الالف	صفحة
و٢٣٣ و٢٩٩ و٣١٤ و٣٦٢ { شفيق جبري	أ . . . أبيان	٤٣٩
و٣٧٦ و٣٧٨ و٣٧٩ و٧٦٠ {	ابوالوفاء (الهندي)	٤٤٢
٢٤٩ شكيب ارسلان	احمد الاسكندري	٢٦ و٢٤٣ و٢٩٢
حرف العين	احمد حسن الزيات	١٢٩ و٢٠٤ و٢٨٢
عبد الرحمن جوخدار	٦ و٢٥٥ و٦٣٦ و٦٣٧ و٦٣٨ اسعد الحكيم	
٣١٧ عبد القادر المبارك	حرف الجيم	
٣٨٤ عبد الله رعد	جبرائيل رباط	٣٠٩
٦٣ و٦٤ و١٢٣ و١٢٤ { عبد الله رعد	جعفر الحسني	٣١٦ و٣١٧ و٤٤٧ و٤٤٨
٣١٥ و٣١٦ و٣٣٣ و٥٧٥ {	١١ و٥٧٦ و٥٨٩ و٦٣٩	
٦٢٧ و٦٣١ و٦٣٣ عبد الله مخلص	حرف الحاء	
٥٥ عبد الهادي بن محمد السلاوي	حيب غزالة	٢١
٦٦١ عيسى اسكندر المعلوف	حسن حسني عبدالوهاب	٣٢١
حرف القاء	حسني الكسم	٥٠٦ و٦٣٤ و٧٠٣
فارس الخوري	حقي العظم	٧٣٦
حرف الكاف	حرف السين	
١٦١ كامل الفزي	٢٥٧ و٣٧٩ و٤٠٣ و٦٨٢ سليم الجندي	
حرف الميم	حرف الشين	
٢٥٠ محمد احمد دهمان	٤٠ و٦١ و٨٩ و١٢٠ و١٢٢ { شفيق جبري	
٤٩٧ محمد بهجة الاثري	٥٢ و١٨٩ و١٩٠ و١٩١ {	
٢٧٠ و١٩٣ محمد جميل الخاني		
١٠٦ و١١٠ محمد الحجوي		

صفحة	صفحة
٨١ و ١٢ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٤٣ و ١٩٣	٤٧٠ و ٥٢ محمد راغب الطباخ
٣٥٦ و ٤٤٤ و ٤٤٩ و ٥٠٣ و ٥٠٨	٧٦٣ محمد مري (تصل مصر)
٥١١ و ٥٢١ و ٥٦٨ و ٥٧٢ و ٥٧٤	٥٧ و ٥٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٦٥ و ٦٥٢
٦٩٨ و ٦٦٨ و ٦٤١ و ٦٠٣ و ٥٧٧	٥٧١ و ٣١٢ و ٢٥٥ و ٢٥٣ و ٢٥٣
٧٧٤ و ٧٥٠ و ٧٢١	٧٤٤ و ٥١٣ محمد يحيى الهاشمي
حرف الواو	٣٨٢ و ١٧٥ و ٦٥ و ٦٣
٢١٦ و ٤١٦ و ٤٧٨ و ٥٤٨	٦٣٥ و ٤٤٦ و ٣٩٨ و ٦٣٥
٧٢٨ و ٦٧٢ و ٦٠٧	٧٠٥ و ٦٥٤ و ٣٨٥
وصفي زكريا	مصطفى الشهابي
	مصطفى عبد الرازق



## جدول الخطأ والصواب

ورد في اجزاء هذا المجلد اغلاط مطبعية نبهنا اليها فيما يلي :

جاء في ص ٢٣ س ١ احو صوابها هو . وفيها س ٢ للغة صوابها اللغة . وص ٢٦ س ٤ بوغه صوابها نبوغه . وص ٣٩ س ٦ لظية صوابها لظية . وص ٤٩ س ٥ من ا صوابها من أن . وص ٥٨ س ١٣ الحبة صوابها الحبة . وص ٦٦ س ١١ يك ن صوابها يكون . وص ٧٢ س ٩ زهرة الجريس صوابها زهرة الجملجل . وص ٨٧ س ٦ conte صوابها comte . وفيها س ١٠ مقمة صوابها مقامة . وص ٩٥ س ٢٣ بلاد صوابها يلاد . وص ١١٣ س ١٨ بعد صوابها بعدها . وص ١٢٥ س ٦ ويتذقون صوابها ويتذوقون . وص ١٥١ س ٢ فصل صوابها فصل . وفيها س ٧ والفصل صوابها والفصل . وص ١٥٤ س ٢٠ فظا صوابها لفظاً . وص ١٥٧ س ٨ يقذوا صوابها يقذفها . وص ١٥٩ س ١٥ الاستكره صوابها الاستكراه . وص ١٧٨ س ١٤ التفحية صوابها التفاحية . وص ١٨١ س ٢٢ بالنقط صوابها بالنقط . وص ١٩٢ س ٨ — ١١ صوابها واوا . وص ١٩٥ س ٦ و لآخر صوابها والآخر . وص ٢٣٠ س ١٣ القطلب صوابها القبس . وص ٢٤٥ س ١٠ معاملة صوابها معاملة . وفيها س ١٣ بعدي صوابها لبعدي . وص ٢٤٧ س ١٩ يترضى صوابها فيترضى . وص ٢٥٩ س ٧ وفي صوابها وفي . وص ٢٦٢ س ١٢ ف صوابها في . وص ٢٩٥ س ١٤ بوا صوابها قويا . وص ٣٠٠ س ٢٢ الممدد صوابها الممدود . وص ٣٠٣ س ٨ نزل صوابها منزله . وص ٣٠٤ س ٧ حلقه صوابها خلقه . وص ٣٢٧ س ١٢ خامة صوابها خامدة . وص ٣٨٤ س ٢٠ المفخرة صوابها المعاصرة . وص ٣٩١ س ١ الأشار صوابها لأشار . وص ٣٩٩ س ١٠ الطلحب صوابها الطلحب . وص ٤٠١ س ٢ وعائها صوابها وعاءها . وص ٤٠٩ س ٨ (١) صوابها ١٠ . وص ٤١٨ س ٢ عرب صوابها تركان . وفيها س ٣ سرارة التركان صوابها سراتهم . وفيها س ٥ في زهاء صوابها وزهاء . وفيها س ١٥ (١٣٥) صوابها ١٣٥١ . وص ٤٤٤ س ٤ في صوابها في . وص ٤٤٦ س ٦ وضعه صوابها وضمنه . وص ٤٤٨ س ١٥ (٤) صوابها (٠) . وص ٤٥٤ س ١ رجع صوابها ترجع . وص ٤٦١ س ٢٠ تم صوابها ثم . وص ٤٦٤ س ١٩ و وى صوابها

وروى . وص ٤٧٤ س ١١ يقنص صوابها يقنص . وص ٤٧٩ س ٢٢ وربما صوابها وبما .  
 وص ٤٨٠ س ١٢ الحارار صوابها الحرى . وفيها س ١٨ طمى الحرات صوابها التلمي الحرى .  
 وفيها س ٢٠ تميمى صوابها بتعميق . وص ٤٨٥ س ١ متعددة صوابها متعددة . وفيها س ١  
 مقعرة دنائثة صوابها مقعرة أونائثة . وص ٤١٧ العنوان محمد يحيى الاثرى صوابها محمد يحيى  
 الهاشمي . وص ٥٢٣ س ٢٠ نحتاج صوابها نحتاج . وص ٥٢٦ س ١٧ المتردافة صوابها المترادفة .  
 وص ٥٥٠ س ٢٢ (٤٩ — ٥٠ صوابها ٤٠ — ٥٠ . وص ٥٥٣ س ٣ البيان صوابها البيان .  
 وص ٥٥٦ س ٦ (٦٣) صوابها ٦٣٠ . وفيها س ٧ (٦٨٩) صوابها ٦٧٩ . وص ٥٥٩ س ١٣  
 اربع صوابها اربع . وص ٥٦٧ س ١٠ قلت الصواب فقلت . وص ٥٧٢ س ٨ التي تعاوته  
 الصواب التي تعاوته . وص ٥٨٦ س ٢٠ لكلمات الصواب الكلمات . وفيها س ٢١ — حاجة  
 الصواب حاجة . وص ٥٩٥ س ١١ أصبح الصواب فأصبح . وص ٥٩٧ س ١٠ : يحفى الصواب  
 يئفى . وص ٦١٠ س ٨ الداوية اي الفرسان الميكين — الصواب الاسبتاراي فرسان  
 مستفى ماريوحنا . وص ٦١٣ س ١٦ الزيادات صوابها ازيادات . وص ٦١٥ س ٢٤ له  
 صوابها عليه . وص ٦١٦ س ١٨ يمثل صوابها يمثل . وص ٦١٩ س ١٨ منكسراً — صوابها  
 منكسراً . وص ٦٢٨ س ٢ في فيج صوابها في فتح . وص ٦٥٦ س ٨ حسين صوابها خمسين .  
 وص ٦٥٧ س ٤ جري صوابها جريب . وفيها س ١١ نيابين صوابها نباتين . وص ٦٧٤  
 س ١٤ في اسم صوابها اسم . وص ٦٧٥ س ١٤ كلقصور صوابها كلقود . وص ٦٧٦  
 س ٢١ رجل ايضاً صوابها ايضاً رجل . وص ٦٧٨ س ٢ غناير صوابها غنايرز وص ٧٠٠  
 س ٦ دبة صوابها دربة . وص ٧٠٢ س ١ — لأخرى صوابها الأخرى . وفيها س ٩ هذه  
 صوابها في هذه . وص ٧٠٨ س ١٥ توت غنخ صوابها غنخ . وص ٧١٦ س ١ مصر لمن  
 صوابها مصر لمن . وص ٧٢٣ س ٦ غاه صوابها غاه . وفيها س ١٠ مخاطباً صوابها مخاطباً .  
 وص ٧٢٥ سطر ٢٥ ي صوابها أي . وص ٧٢٨ سطر ١٢ الحرات السوداء صوابها حجارة  
 الحارار السود . وص ٧٣٢ سطر ١ جرت في صوابها جرت معركة في . وص ٧٤٩ سطر  
 ١٤ مخاطبه صوابها مخاطبه . وص ٧٥٢ سطر ١ يايح صوابها يايح . وص ٧٥٦ سطر  
 ١١ الفصيح صوابها الفصيح .





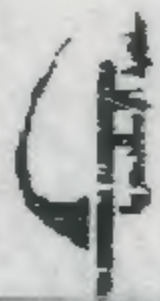








Bibliotheca Alexandrina



0652777